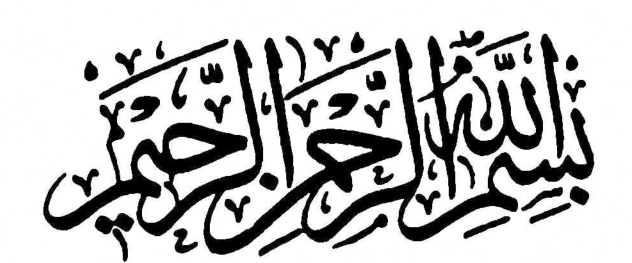

جهاد الإمام السجاد
زين العابدين
علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام
تأليف
السيد محمد رضا الحسيني الجلالي
جهاد الإمام السجاد


بسم الله الرحمن الرحيم



زين العابدين

علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

تأليف

السيد محمد رضا الحسيني الجلالي



الكتاب : جهاد الامام السجاد (ع)
المؤلّف : السيد محمد رضا الحسيني الجلالي
الناشر : دارالحديث
المبطعه : شمشاد
الكمية : ٣٠٠٠
الطبعة : الاولى ١٤١٨ هـ

الثمن : ١١٠٠٠ ريال

شابک:٦_٢٢_٥٩٨٥_٩٦٤ ISBN 964-5985-22-6

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

لقد فاز هذا الكتاب

بالمرتبة الأُولىٰ

في المباراة الفكرية الكتابية عن الإمام زين العابدين السجّاد عليه السلام التي أُقيمت في بيروت عام ١٤١٤هـ بين (٢٤) كتاباً قُدِّمَ بالمناسبة.

إقرأ تقريراً عن ذلك في الملحق رقم (٣) في آخر الكتاب

والحمد لله ربّ العالمين

دليل الكتاب

المقدمة : لماذا هذا الكتاب .... ٩_١٤
التمهيد : وفيه بحثان .... ١٥_٣٨
البحث الأول : الإمامة ومستلزماتها .... ١٧_٢٨
البحث الثاني : إمامة زين العابدين عليه‌السلام .... ٢٩_٣٨
الفصل الأول : أدوار النضال في سيرة الإمام عليه‌السلام .... ٣٩_٧٦
الفصل الثاني : النضال الفكريّ والعلميّ .... ٧٧_١١٦
الفصل الثالث : النضال الاجتماعيّ والعمليّ .... ١١٧_١٥٤
الفصل الرابع : التزامات فذّة في حياة الإمام عليه‌السلام .... ١٥٥_٢٠١
الفصل الخامس : مواقف حاسمة للامام عليه‌السلام .... ٢٠٣_٢٤١
الخاتمة : نتائج البحث .... ٢٤٣_٢٥٢
الملاحق .... ٢٥٣_٣٠٤
الفهارس .... ٣٠٧_٣٥٧

المقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيّد المرسلين محمد الرسـول الصـادق الأمين، وعلى الأئمة الأطهار المعصومين من آله الأكرمين وعلى التابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

لماذا هذا الكتاب؟

كثيرةٌ تلك الكتُب والمؤلّفات التي كُتِبَت حَولَ الإمامِ السجّاد، عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب، زيـن العـابدين عليه السلام المـولود عـام (٣٨) والمـتوفّىٰ عـام (٩٥) من الهجرة.

وقد عُني مؤلّفوها بجوانب من حياتِهِ الكريمة لتزويد الأُمّة بثرواتها مـن مكـارم الأخلاق والآداب، والمعارف والعلوم والآثار، وما في تاريخه من عظاتٍ وعِبَرٍ وجهادٍ وجهودٍ، ليستنير أمَامَهَا دربُ الحياة، للوصول إلى السعادة الدنيوية والأُخروية.

ولقد تبارىٰ في هذا الموضوع الرحب مؤلّفون قدماء، كما شارك في حَلَبته مؤلّفون في عصرنا الحاضر.

وفي المؤلّفين الجُدُد من استهدف تحليل تاريخ الإمام، ودراسة حوادثه علىٰ أساس من المقارنة بين الأسباب والمسبَّبات، ليقتنص حقائق ثابتة، مدعومة بالأدلّة، مـن بطون المصادر والحوادث التاريخية.

ولقد فوجئتُ بأنَّ عِدَّةً من الدارسين من هذا القبيل، اتفقوا ـ أو كادوا ـ علىٰ مقولة مُعيَّنَةٍ في ما يرتبط بواقِعِ الحركة السياسية في حياة الإمام السجَّاد عليه السلام.

فهم يؤكّدون علىٰ إبعاد الإمام عن «الجهاد السياسي» ويُفرّغونَ حياته من كـلِّ

أشكال العمل السياسي.

بالرغم من اختلاف اتجاهاتهم الفكرية وانتماءاتهم الدينية: ففيهم السُنّي، والعلماني، والشيعي: الزيدي، بل الإمامي الاثنا عشري!

وهم يحسِبون الإمام قائماً بدور المُعَلِّم ـ فحسب ـ في تربية الطليعة المثقّفة والواعية، بعيداً عن الصراع السياسيّ، ومنصرفاً عن أيّ تحرُّك معارض للأنظمة الحاكمة، ويُحدّدون واجباته بالإعداد الثقافي للأُمّة، والتحصين لها عقائدياً، وفقط!

وحاول بعضُهم إجراءَ هذا الحكم على الأئمّة بعد الإمام السجّاد عليه السلام، وفَرَضَهم سائرين علىٰ منهج واحد، أو يؤدّون دوراً، بِعَيْنِهِ.

ولنقرأ معاً بعض ما كتبوه في هذا الصدد:

تقول كاتبة جامعية: افتقدت الشيعة ـ بمصرع الحسين ـ الزعيم الذي يكون محوراً لجماعتهم وتنظيمهم، والذي يقودهم إلىٰ تحقيق تعاليمهم ومبادئهم، وانصرف الإمام عليّ زين العابدين عن السياسة إلى الدين، وعبادة الله عزوجل، وأصبح للشيعة زعيماً روحيّاً، ولكنّه لم يكن الثائر السياسي الذي يتزعّم جماعة الشيعة، حتّىٰ أنّه آثر البقاء في المدينة طوال حياته.

وحاول المختار بن أبي عبيدة الثقفي أن ينتزع علياً من حياة التعبيد، والاشتغال بالعلم إلىٰ ميادين السياسة، دون جدوىٰ![1]

ويقول كاتب شيعي: كانت فاجعة مقتل أبيه التي شاهدها ببصره أقسىٰ من أن تتركه يطلب بعد ذلك شيئاً من إمارة الدنيا، أو يثق في الناس، أو يشارك في شأن من شؤون السياسة، اعتكف على العبادة...[2].

ويقول كاتب سُنّي: لكن الإقبال على الله واعتزال شؤون العالم... كان منهجه في حياته الخاصة، وطابعه الذي طبع به التشيع الاثني عشري، فاتجه إلى الإمامة

---

(١) جهاد الشيعة للدكتورة الليثي (ص ٢٩).

(٢) نظرية الإمامة، لصبحي (ص ٣٤٩) عن كاظم جواد الحسيني: حياة الإمام علي بن الحسين (ص ٣٢٠)، وانظر ثورة زيد لناجي حسن (ص ٣٠ ـ ٣١)..

الروحيّة مبتعداً عن طلب إمامة سياسية[١].

ويقول كاتبٌ يَمَنيّ: وفي تاريخ الشيعة ـ كذلك ـ نشأتْ نظراتٌ مُتَخاذلةٌ، تولّدت من شعور بعض العلويّين وأنصارهم بالهزيمة الداخليّة، وقلة النصير، وفجعتهم التضحيات الكبيرة التي قدَّموها، ففضَّلوا السلامة.

وقد وطَّدتْ معركة كربلاء من هذا الاتجاه، إذ كان تأثيرها مباشراً علىٰ عليّ بن الحسين الذي ابتعد ـ من هول الفجيعة ـ عن السياسة، ونأىٰ بنفسه عن العذاب الذي عاناه مَن سَبَقَه، وعلىٰ قريب من هذا النَهج سار ابنه محمَّد، وحفيده جعفر[٢].

وفي أحدث محاولة لتقسيم أدوار الأئمة عليهم‌السلام، جُعِلَتْ حصّة الإمام السجّاد عليه‌السلام «الدور الثاني» وهو الذي امتدَّ منذ زمانه حتّىٰ زمان الإمام الباقر، والصادق عليهما‌السلام، وهو: بناء الجماعة المنطوية تحت لوائهم.

ويشرح واحد من أنصار هذه المحاولة هذا الدور بقوله: والمرحلة الثانية التي بدأها الإمام الرابع، زين العابدين عليه‌السلام، تتركّز مهمّة الأئمة عليهم‌السلام فيها: علىٰ حماية الشريعة، ومقاومة الانحراف الذي حدث في جسم الامة علىٰ يد العلماء المزيَّفين والمنحرفين،...، ولذلك نرىٰ حرص الأئمة في «المرحلة الثانية» على الابتعاد عن الصراع السياسي، والانصراف إلىٰ بَثّ العلوم، وتعليم الناس، وتربية المخلصين، وتخريج العلماء والفقهاء علىٰ أيديهم، والإشراف علىٰ بناء الكتلة الشيعية...[٣]

ويقول: إنّ الإمام أراد أن تكون زعامته للأُمة، زعامة دينية، وأن تصطبغ نشاطاته بصبغة روحية علمية، فكانت زعامته في الأُمّة تختلف عن زعامة الأئمة قبله، حيث كانوا يصارعون الدولة، ويقصدون الإصلاح، ويقارعون الظالمين.

فكانت الطريقة التي عاش بها الإمام زين العابدين والظواهر التي برزت في حياته لاتسمح بزعامته إلّا أنْ تكون دينية وروحية وعلمية، وأن يكون قدوة صالحة في

---

(١) نظرية الإمامة (ص ٣٤٩) وانظر (٣٥١)، وانظر: الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، للشيبي (ص ١٧) والصلة بين التصوف والتشيع، له (ص ١٠٤ و ١٤٧)..

(٢) معتزلة اليمن (ص ١٧ ـ ١٨).

(٣) الإمام السجاد، لحسين باقر (ص ١٣ ـ ١٤).

المجال التربويّ والمعيشة الربانية، لا في مجالات التضحية والجهاد!

فكانت حياته بطولات في ميادين الجهاد الأكبر ـ جهاد النفس ـ لا الجهاد الأصغر ـ جهاد الأعداء ـ[(١)]..

وزاد في تعميق المفاجأة: عندما وجدتُ هؤلاء ـ جميعاً ـ قد أغفلوا أمراً واحداً وهو تحديد «السياسة» التي ادّعوا أنّ الإمام: «ابتعد عنها» أو «انصرف عنها» أو «زهد فيها» أو «لم يشارك فيها» أو «انعزل عن ساحتها» الىٰ غير ذلك من التعابير المختلفة.

وإذا كانت هي زعامة العباد، وتدبير امور البلاد[(٢)] فهي داخلة في معنىٰ «الإمامة» التي لابد أن نفرضها للإمام أو ـ على الأقل ـ نفرضها له عندما نتحدّث عنه من حيث كونه إماماً.

وإذا كانت الإمامة متضمنّة للسياسة، فكيف يريد الإمام أن يبتعد عنها؟.

أو يريد الكُتّاب أن يفرضوا فراغ إمامته عنها؟.

أو حصرها بالزعامة الروحية والعلمية، فقط؟.

وفي خصوص الإمام زين العابدين عليه السلام: كانت المفاجأة أعمق أثراً، عندما لاحظتُ أنّ المصادر القديمة والمتكفلة لذكر حياة الإمام عليه السلام تعطي ـ بوضوح ـ نتيجة معاكسة لما شاع عند هؤلاء الكُتّاب، وهي:

أنّ الإمام عليه السلام قد قام بدور سياسي فعّال، وكان له تنظيم وتخطيط سياسي دقيق، يمكن اعتباره من أذكىٰ الخطط السياسية المتاحة لمثل تلك الظروف العصيبة الحالكة.

---

(١) الإمام السجاد، لحسين باقر (ص ٦٣) وانظر خاصة (ص ٩١ ـ ٩٣). ويلاحظ: أن جهاد النفس ليس من شؤون الإمامة، ولا الإمام فقط، بل إنمّا هو واجب عام علىٰ كل من آمن بالله، وأراد الجنة!.

(٢) يلاحظ أن التصدي للحكام غير الشرعيين يعتبر داخلا في هذا المعنىٰ للسياسة، حتّىٰ في العرف المعاصر. وسيأتي في (التمهيد) تحديدنا للسياسة التي ندّعي أنّ للإمام زين العابدين «جهاداً وجهوداً» في سبيل تحقيقها.

ووقفتُ علىٰ شواهد عينية من التأريخ تدل علىٰ أن «الجهاد السياسي» الذي قام به الإمام السجاد عليه السلام من أجل تنفيذ خططه يعدُّ من أدق أشكال العمل السياسي، وأنجحها.

فكان أنْ قصدتُ الىٰ تأليف هذا الكتاب ليجمع صُوَراً من تلك الشواهد والعيِّنات:

فمهّدتُ بحثين يعتبران منطلقاً أساسياً لما يلي من بحوث في الكتاب، وهما:

١ـ البحث عن الإمامة، وتعريفها، وما تستلزمه من شؤون.

٢ـ البحث عن إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام وإثباتها.

ثم دخلتُ في الفصول، وهي:

الفصل الأول: أدوار النضال في حياة الإمام عليه السلام: في كربلاء، وفي الأسر، وفي المدينة.

الفصل الثاني: النضال الفكري والعلمي في مجالات: القرآن والحديث، والعقيدة والفكر، والشريعة والأحكام.

الفصل الثالث: النضال الاجتماعي والعملي في مجالات: التربية والأخلاق، والإصلاح وشؤون الدولة، ومناهضة الفساد الاجتماعي في أشكال: العصبية، والفقر، والرقّ.

الفصل الرابع: مظاهر فذَّة في حياة الإمام: الزهد والعبادة، والبكاء، والدعاء.

الفصل الخامس: مواقف حاسمة في حياة الإمام: من الظالمين، ومن أعوان الظالمين، ومن الحركات السياسيّة المعاصرة له.

وختمته بذكر نتائج البحث.

راجياً أن يؤدّي دوراً في تصحيح الرؤية التي انطلتْ علىٰ أُولئك الكُتَّاب.

وفي بلورة ما أُريد عرضه علىٰ صفحات هذا الكتاب.

وقد يسّر اللهُ جلّ جلاله لي بفضله ومنّه العملَ في الكتاب منذ فترة تأليفه سنة (١٤١٣) وحتّىٰ صدور هذه الطبعة المزدانة بمزيد من التدقيق، فراجعتُ المزيد من المصادر والمراجع، وأخذتُ بنظر الاعتبار ما لوحظ على الكتاب فزاد من الثقة به، برفع الأخطاء المطبعية التي تلازم طبيعة العمل البشريّ، ومن الله التوفيق.

حُرِّر في الخامس والعشرين من شهر محرَّم الحرام سنة ١٤١٧هـ
والحمد لله أوّلاً وآخراً

وكَتَبَ
السيّد محمّد رضا الحسينيّ
الجلاليّ

التمهيد

وفيه بحثان

البحث الأول : الإمامة، ومستلزماتها

البحث الثاني : إمامة زين العابدين عليه السلام

التمهيد:

البحث الأول: الإمامة ومستلزماتها

الإمامة: هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا[1] والإمام: هو الذي له هذه الرئاسة[2].

وقال الشيخ المفيد: الإمامة في التحقيق علىٰ موضوع الدين واللسان: هي التقدُّم في ما يقتضي طاعة صاحبه والاقتداء به في ما تقدَّم به[3].

وقد عرَّفها القاضي الآبي ـ من متكلّمي الإمامية ـ بقوله: الإمامة: التقدُّم لأمر الجماعة[4].

وقال فخر المحقّقين: الإمام هو الذي له الرئاسة العامّة في أُمور الدين والدنيا، نيابةً عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[5].

فإذا كانت الإمامة بهذه السعة في شمول نفوذها، وهي كذلك عند المسلمين الشيعة، الذين يعتقدون بإمامة السجاد عليه السلام، فلا يمكن أن تفرَّغ من «السياسة» فضلا

---

(١) شرح المواقف، للجرجاني (٨: ٣٤٥) وانظر أنوار التمام لأحمد زبارة المطبوع مع الاعتصام (٥: ٤٠٤).

(٢) التعريفات، للجرجاني (ص ١٦).

(٣) الإفصاح، للمفيد (ص ٢٧).

(٤) الحدود والحقائق (ص ١٥ رقم ١٦).

(٥) النكت الاعتقاديّة (ص ٥٣) جواب السؤال (٩١).

عن أن يكون للإمام نفسه التخلّي عنها، واعتزالها.

خصوصاً إذا لاحظنا رأي الشيعة في الإمامة، فهم يعدّونها من الاصول الاعتقادية، ويعظّمون شأنها، فيلتزمون بوجوب النصّ عليها من الله تعالىٰ، باعتبار أنّ العلم بتحقّق شروطها، لا يكون إلّا ممن يعلم الغيب ويطّلع على السرائر وليس هو إلّا الله تعالىٰ[١].

ولذلك: اختصّت الإمامة عند الشيعة بهالة من القدسية، وبإطار من العظمة، وبوفرة من الاهتمام، تجعلها عندهم بمنزلة النبوّة في المسؤوليات، إلّا أن النبوّة تمتاز بالوحي المباشر من الله تعالىٰ، وقد استوحوا هذه المنزلة من قول الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «**أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبيَّ بعدي**»[٢] الحديث الذي يُعتبر من أدلة إمامة عليّ عليه السلام.

وقد جاء التعريف الجامع للإمامة ـ علىٰ رأي الشيعة الإمامية ـ في حديث الإمام الرضا علي بن موسىٰ بن جعفر عليه السلام، حيث قال: ...

إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء.

إنّ الإمامة خلافة الله عزّوجلّ، وخلافة الرسول، ومقام أميرالمؤمنين ...

إنّ الإمامة زمام الدين، ونظام المسلمين، وصلاح الدنيا، وعزّ المؤمنين.

إنّ الإمامة أُسّ الإسلام النامي، وفرعه السامي، إلىٰ آخر كلامه في ذكر الإمام

---

(١) الافصاح للمفيد (ص ٢٧) وانظر الأحكام للهادي إلى الحق (٢: ٤٦٠ ـ ٤٦١) وإكمال الدين للصدوق (ص ٩).

(٢) حديث «المنزلة» من المتواترات، قاله الكتاني في نظم المتناثر (ص ١٩٥ رقم ٢٣٣) وأورده من حديث ثلاث عشرة نفساً، وقال: وقد تتبع ابن عساكر طرقه في جزء، فبلغ عدد الصحابة فيه نيفاً وعشرينا.

وفي (شرح الرسالة) للشيخ جسوس: حديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ» متواتر جاء عن نيف وعشرين صحابياً.

وقد رواه من أصحاب الكتب: البخاري في صحيحه (٤: ٢٠٨) و(٥: ١٢٩) ومسلم في صحيحه (٢: ٣٦٠) وأحمد في مسنده (١: ١٧٣) وانظر الاعتصام (٥: ٣٩٠).

وأوصافه، وواجباته[١].

ومن يُنكر أن تكون السياسة من صميم شؤون النبوّة، ومسؤوليات النبيّ المهمة ؟! وأنّىٰ تُبْعَد السياسة من اهتمامات نبيّ الإسلام صلّى الله عليه وآله ؟.

وقد اتفق الزيدية مع الإمامية علىٰ مجمل الذي ذكرناه، إلّا أنهم عبَّروا عن شرط الإمامة، بالخروج، وأضافوا: الدعوة إلىٰ نفسه[٢].

ومذهبهم: أن كلّ فاطميّ، خرج وهو عالم، زاهد، شجاع، سخيّ، كان إماماً واجب الاتباع[٣].

وأضاف بعضهم: أن يكون قائماً، شاهراً لنفسه، رافعاً لرايته[٤] وهو المراد بشرط الدعوة الىٰ نفسه.

والمراد بالخروج واضح، وهو إعلان العصيان على الحكومات الجائرة، الغاصبة للسلطة، وعدم الانقياد لحكمها.

وقد أدخل متأخّرو الزيدية كلمة «السيف» علىٰ هذا الشرط، فعبَّروا عنه بـ«الخروج بالسيف»[٥].

ولعله باعتبار ملازمة الخروج للمقاومة، التي لا تخلو من مقارعة بالسيف! ولذلك لم تخل حالات الخروج المعروفة في التاريخ من استعمال السيوف ووقوع ضحايا وشهداء!!

أما لو اقتصرنا علىٰ مدلول «الخروج» الذي فسّرناه، فلم يختلف المذهب الزيدي عن الإماميّ، في الخروج علىٰ حكم السلطات وعدم الاعتراف بالحكّام غير

---

(١) أورده الصدوق في الأمالي (ص ٥٣٦ ـ ٥٤٠) وهو تمام المجلس (٩٧) وهو آخر مجلس في الكتاب.

(٢) الملل والنحل، للشهرستاني (١: ١٥٦) وانظر (ص ١٥٤).

(٣) الملل والنحل، للشهرستاني (١: ٢٧).

(٤) المجموعة الفاخرة، ليحيىٰ بن الحسين (ص ٢١٩).

(٥) لاحظ أوائل المقالات للمفيد (ص ٤٤) ومعتزلة اليمن (١٧ ـ ١٨).

الشرعيين، ورفض كل أشكال التحكّم الخارج من إطار الإمامة الحقّة.

وأمّا بناءاً على الالتزام بالخروج بالسيف شرطاً في الإمامة فإنَّ الإمام علي بن الحسين السجّاد، وأبناءه الأئمة عليهم السلام لم يقوموا بدور عليّ في هذا المجال، حتّىٰ نُسِبَ إليهم معارضة كلّ حركةٍ مسلّحة ضدّ الأنظمة الحاكمة!

ولكنّ هذه التهمة بعيدة عن ساحة الأئمّة عليهم السلام:

أولاً: لأنّ عمل الأئمة: علي والحسن والحسين عليهم السلام في قياداتهم للحروب واشتراكهم في المعارك، هو الحجّة عند الشيعة، ويكفي دليلاً علىٰ بُطلان هذه التهمة، لأنّ الإمامة شأنها واحد، فلو كان للأئمة السابقين أن يقوموا بعمل مسلّح، فمعناه جواز ذلك للّاحقين، وأن ذلك لاينافي الإمامة.

فنسبة معارضة الحركة المسلّحة إلىٰ أيّ إمام ثبتتْ إمامتُه، وكان مستجمِعاً لشرائطها، نسبةٌ باطلة، فكيف تجعل دليلاً علىٰ نفي الإمامة عن أحد؟

وثانياً: إنّ الإمام السجّاد عليه السلام هو في أوّل القائمة التي وُجِّهت إليها هذه التهمة، مع أنّا نجد موقفه من «السيف» ينافي هذه التهمة تماماً ويُبطلها، فهو في الحديث التالي يعتبر «إشهار السيف» عملاً لمن هو «سابق بالخيرات».

ففي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٥ـالآية ٣٢»].

قال عليه السلام: نزلت ـ والله ـ فينا أهل البيت ـ ثلاث مرات ـ.

قال الراوي: أخبرنا: مَنْ فيكم الظالم لنفسه؟

قال عليه السلام: الذي استوت حسناته وسيئّاته، وهو في الجنة.

قال الراوي: والمقتصد؟

قال عليه السلام: العابد لله في بيته حتّىٰ يأتيَهُ اليقين.

قال الراوي: فقلت: السابق والخيرات؟

قال عليه السلام: مَنْ شهر سيفه، ودعا إلىٰ سبيل ربه.(١)

فاعتقاد الإمام السجّاد عليه السلام أنّ الفضل والسبق يتحقّق بإشهار السيف، يقتضي بُطلان نسبة معارضة الحركة المسلحة إليه عليه السلام.

وثالثاً: إنّ هذا الشرط «الخروج بالسيْف» ليس شرطاً علىٰ إطلاقه، وليس قابلا لأن يكون شرطاً للإمامة كذلك.

ومن ثَمَّ، فإنّ التُهمة المذكورة مردودة وباطلة.

وقد يكون مَنْ قلّل من شدّتها وحِدَّتها، فعمد إلىٰ تخفيفها، وعبَّر عنها بدعوىٰ «عدم صحة الإمامة لو أَرخىٰ الإمام ستره، وأغلق بابه»(٢) كان ينظر إلىٰ هذه الملاحظة.

فإنّ هذه الصيغة يمكن التأمّل فيها، والبحث عنها، من حيث أنّها لا تتجاوز شرط «الخروج» بالمعنىٰ الذي عرفناه، لانها يمكن أن تكون فرضاً للحدّ الأقل من الفروض الممكنة للخروج، وأن «إشهار السيف» هو الحدّ الأكثر له.

ومع أنّ «إغلاق الباب، وإرخاء الستر» ليس ذكراً إلّا لأبعد الاحتمالات الممكنة، فإنّا لم نجدْ في سيرة الإمام السجّاد عليه السلام ـ وكذلك الأئمة من ولده ـ مثل هذا الإرخاء وهذا السِتر!

فهم عليهم السلام ـ وإن لم يشهروا السلاح الحديدي ـ لكنهم لم يغلقوا أبوابهم، بل نجد سيرتهم مليئة بالنشاط القيادي، حتّىٰ في أصعب الحالات، وأقسىٰ المواقف والظروف، وأكثرها حساسية، كما في حالة الأسر التي مرّ بها الإمام السجاد عليه السلام، وحالة السجن التي مرّ بها الإمام الكاظم عليه السلام، فإنهم لم ينقطعوا فيها عن أداء دورهم المتاح لهم.

---

(١) تفسير الحِبَريّ (ص ٣٥٤) الحديث (٨٨) وانظر الحديث (٨٩) وتخريجاته، وكذلك الحديث (٩٠) وشواهد التنزيل للحسكاني (٢: ١٠٤) رقم (٧٨٢) وفي الحديث (٧٨٣) نحوه عن زيد الشهيد عليه السلام.

(٢) كفاية الأثر، للخزّاز (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢) ولاحظ معتزلة اليمن (ص ١٧ ـ ١٨).

هذا بغضّ النظر عن عملهم الدؤوب في إرشاد الناس وهدايتهم إلى الحق في أُصول العقائد، ومن ذلك إعلان إمامة أنفسهم، وتعريفهم بالحق الصحيح من فروع الأحكام وعلم الشريعة، وتربيتهم على الأخلاق الفاضلة، وتعليمهم سنن الحياة الحرّة الكريمة، هذا العمل الذي هو الهدف لكل الأنبياء في رسالاتهم، ولكل المصلحين في نضالهم، وهو من أميز وظائف الأئمة، وأبرز واجبات الإمامة.

والظالمون من الحكّام غير الإلهيين يقفون أمام مثل هذا العمل، ويعدّونه تحدّياً لسلطانهم، ومنافياً لمصالحهم، وبناء علىٰ ذلك: فالقائم به يكون معارضاً سياسياً خارجاً عليهم ولو بغير سيف!

وإصرار الأئمة من أهل البيت عليهم السلام علىٰ هذا العمل، إلىٰ جانب مَنْ كان يقوم منهم بنشاط مسلّح، يدل علىٰ أن الجهاد في هذا المجال له من الأهمية والأثر في الوصول إلى الأهداف المنشودة من الإمامة، ما يوازي الحاصل من الجهاد المسلّح، علىٰ أقلّ الاحتمالات.

ويمكن التأكّد من ذلك، من خلال الممارسات العنيفة للحكّام الظالمين تجاه اولئك الأئمة الذين لم يحملوا السلاح، بنفس الشكل الذي واجهوا به المجاهدين المسلّحين.

فعمليات المراقبة، والمطاردة، والجلب إلىٰ مراكز القوّة والجند وعواصم الحكم، بل السجن، والتهديد، والضغط علىٰ بعض الأئمة الاثني عشر، من الأُمور التي كانت قائمة ومستمرة، على الرغم من عدم مدِّ أيديهم إلى الأسلحة الحديدية.

إنّ ذلك يدلّ بوضوحٍ علىٰ أنّ الحكّام عرفوا أن هؤلاء الأئمة يحاربونهم بأسلحة أفتك من السيف.

كما يعرف كلّ المناضلين: أن الحرب الفكرية والاختراق الثقافي من أساليب ما يُسمّىٰ بالحرب الباردة، هي أشدُّ ضراوة، وأعمقُ أثراً في الخصم، وأنفذُ في كيانه، من الحرب بالأسلحة.

وهل يجرؤ عارف بالتاريخ الإسلامي علىٰ إنكار الأثر البارز للأئمّة الإثني عشر عليهم السلام في هذا المجال؟ فضلاً عن نسبة «إغلاق الباب وإرخاء الستر» إليهم!؟

لولا الخطأ في الحكم ؟! أو التعمّد في تخطّي الحقائق ؟!

وعلىٰ كلّ، فإنّ حالة «إرخاء الستر، وإغلاق الباب» لا تمثّل إلّا أبعد الفروض المحتملة، والممكنة الوقوع في حياة الأئمة عليهم‌السلام.

كما أنّ حالة «إشهار السيف» تمثّل أقوى الفروض، وأشدّ الحالات، وأحوجها إلىٰ مثل ذلك.

فكلا الفرضين محتملٌ في الإمامة.

فكما أنّ من الممكن فرض حالة «إشهار السيف» في ما إذا تحقّقت الظروف المناسبة للحركة المسلّحة، وتوافرت الشروط والامكانات اللازمة للخروج بالسيف، إذ لم نجد نصّاً يمنع الحركة، فضلاً عن أن يجوّز للإمام تفويت تلك الفرص، وتبديد تلك الإمكانات.

فكذلك إذا اجتمعت شروط الإمامة ـ غير السيف ـ فإنّ تحدّي الظالمين عَبْرَ وسائل أُخرىٰ، تعبّر عن الخروج والتصدّي لحكمهم، هو المتعيّن للكشف عن عدم الرضا باستمرار الأنظمة الجائرة، ولا يمكن أن يُعتبر ذلك نقطة ضعف، أو يُجعل دليلاً على التخلّي عن الحركة المسلّحة.

ومن هنا نعلم أن «السيف» ليست له موضوعية، وهو ليس شرطاً بإطلاق الكلمة، من دون تقييد بوقتٍ، ولا محدوديّة بإمكانيات.

بل، لا ريب في أن الخروج بالسيف، مشروط بما يحقّق الأهداف المطلوبة منه، وهي لا تتحقّق بالخروج العشوائي، بل، لابدّ أن يتأهَّب الخارج لها، ويُعدّ للامر ما يلزم له من قوّة وعُدّة.

وإلّا، فإنّ الانفراد في الساحة، والاستبداد بالرأي من دون أنصار، أو بأنصار غير كفوئين، أو من غير خُطّة مدَّبرة مدروسة، أو في ظروف غير مؤاتية.

إن الخروج ـ ولو بأقوىٰ سيف ـ في مثل ذلك لا يمكن أن يكون شرطاً لشيءٍ متوقّع، فضلاً عن أن يكون شرطاً لشيء هامّ مثل «الإمامة».

هذا إذا صدق علىٰ مثل ذلك اسم غير «الانتحار»!

وقد أرشد الإمام السجّاد عليه‌السلام إلىٰ هذه الحقيقة في احتجاجه علىٰ من

اعترض عليه بترك الجهاد، والالتزام بالحجّ، بقوله: تركتَ الجهاد وصعوبته، وأقبلتَ على الحجّ ولينه، والله عزّوجلّ يقول: ﴿ إن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلون ويُقتَلون ـ إلىٰ قوله ـ وبشّر المؤمنين ﴾ [التوبة: ٩ الآية ١١١].

فقال الامام عليه السلام: إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحجّ.(١)

وهو المستفاد من كلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «أما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أن لا يقارّوا علىٰ كِظّة ظالم ولا سَغَب مظلوم، لألقيت حبلها علىٰ غاربها، ولسقيت أوّلها بكاس آخرها»(٢)

ولو كان الخروج واجباً علىٰ كل حال، وغير مشروط، لما قال الإمام هذا الكلام.

وفي الجامع الكافي للشريف العلوي: قال الحسن عليه السلام: ويحقّ علىٰ من أراد الله والانتصار للدين: أن لا يُظهر نفسه، ولا يعود بسفك دمه ودماء المسلمين، وإباحة الحريم، إلّا ومعه فئة المتديّنين يوثق بطاعتهم ووفائهم.(٣)

إن رسول الله صلى الله عليه وآله أوصىٰ إلىٰ علي عليه السلام، قال: يا أخي، عليك بالصبر، إلّا أن تجد أعواناً وأنصاراً، فاشهر سيفك حينئذٍ، فإن لم تجد أعواناً وأنصاراً، فاحقن دمك، فإنّ القوم لم ينسوا قتل ساداتهم في مواقفك التي شرّفك الله تعالىٰ بها في دينه.(٤)

نعم، قد يضطرّ الواقع إنساناً أبيّاً، إلى الإقدام على الخروج المسلّح، وإن لم توجد شروطه، لحاجة الوضع إلىٰ إثارة، فيضحّي بنفسه فداءاً من أجل قضيّته.

وهذا وإن كان لا يُسمّىٰ في قاموس اللغة «خروجاً» ولا في مصطلح الفقه «جهاداً» ولا يمكن أن يُعتبر في حسابات العقل «واجباً» ولا في موازين

(١) الاحتجاج، للطبرسي (ص ٣١٥) وانظر الكافي (٤: ٢٥٧) ح ٢٤، وثواب الأعمال (٧١: ٧) ووسائل الشيعة (١١: ٩٥) تسلسل (١٤٣٣٠).
(٢) الإفصاح للمفيد (ص ٤٦) نهج البلاغة (٣١٥).
(٣) الاعتصام (٥: ٤٠٨).
(٤) المقنع في الإمامة، للسدّآبادي (ص ٩٩) وانظر (ص ١٠٩).

المنطق «شرطاً» لشيء، فضلاً عن الإمامة!

إلّا أنّه يحتوي علىٰ فضيلة هذه العناوين كلّها بأعظم شكل، إذ أنه يُعدُّ في قاموس النهضات «بطولة» وفي وجدان الشعوب «تضحية» وفي روح الدين «فداءاً» وعلىٰ صفحات التاريخ «خلوداً» ويكون قاعدةً لإصلاحات كبيرة، وبارودا لانفجارات مهيبة، بعيدة أو قريبة، كما كانت نهضة الإمام الحسين الشهيد عليه السلام.[1]

وأخيراً: فإنّ من الممكن نفي اشتراط الإمامة بـ«الخروج بالسيف» خاصّة، علىٰ أساس المفهوم من حديث النبي صلى الله عليه وآله ـ دالاً علىٰ إمامة الحسن والحسين عليهما السلام ـ بقوله: «ابناي هذان إمامان، قاما أو قعداً».[2]

فإن القيام لو كان شرطاً للإمامة، والقعود لو كان منافياً لها، لما كان ـ حتّىٰ للنبي صلى الله عليه وآله ـ أن يثبتها للحسنين عليهما السلام مع فرض القعود!.

ثم إنَّ الحسنين عليهما السلام، قد استجمعا هذا الشُرط، فقاما وناضلا، فما هو المبرّر لفرض القعود في حقّهما؟ وإبراز إمامتهما مع القعود؟ فليس من الحكمة إظهار هذا المعنىٰ، لو كان حديث الرسول صلى الله عليه وآله موجّها إليهما بالخصوص.

إلّا أنّ من الواضح أنّ المراد تعميم الحكم المذكور على الإمامة نفسها، باعتبارها واقعاً واحداً، وعلى الأئمّة جميعهم، باعتبارهم قائمين بأمرٍ بعينه.

والمفهوم من الحديث: أنّ الإمامة إذا ثبتتْ حَسَبَ الموازين المتّفق عليها، التي أهمّها النصّ، فإنّ القيامَ بالأمر والقعود، متساويان.

---

(١) تحدّثنا عن ذلك في رسالة «ذكرىٰ عاشوراء والاستلهام من معطياتها فقهياً وأدبيّاً». ولا تزال مخطوطة.

(٢) حديث متفق عليه بين المسلمين: صرَّح بذلك الشيخ المفيد في النُكَت (ص ٤٨) الفقرة (٨٢) ورواه الصدوق في علل الشرائع (١: ٢١١) عن الحسن عليه السلام، والخزّاز في كفاية الأثر (ص ١١٧) من حديث أبي أيّوب الأنصاري، والمفيد في الإرشاد (ص ٢٢٠) وابن شهر آشوب في المناقب (٣: ٣٩٤) وقال: أجمع عليه أهل القبلة، ورواه مجدالدين في التحف (ص ٢٢) وأرسله في حاشية شرح الأزهار (٤: ٥٢٢) نقلاً عن كتاب الرياض، ورواه الناصر في ينابيع النصيحة (ص ٢٣٧) وقال: لاشبهة في كون هذا الخبر مما تلقته الامة بالقبول وبلغ حدَّ التواتر فصحَّ الاحتجاج به.

إذَنْ:

فالذي يمكن أن يكون شرطاً لابدّ أن يعمّ الحركة المسلّحة المباشرة، وأن تكون هي وحدةً تمثّل تحقّق ذلك الشرط الذي تبتني عليه الإمامة، بل هي متعيّنة، عندما تتهيّأ ظروفها وتتكامل إمكاناتها، أو كما يُشخص الإمام نفسه ضرورة القيام بها.

ويتحقّقُ ذلك الشرط ضمن وحدات أُخرىٰ تمثّله، وتوصل إلى الأهداف المطلوبة لأجلها الإمامة.

وذلك الشرط هو «الإصلاح» في الأمة.

وقد عُبِّرَ عنه في مصادر قدماء الزيدية بـ«الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

في ما رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيىٰ بن الحسين، قال: بُلّغنا عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «مَنْ أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر من ذرّيتي فهو خليفة الله في أرضه، وخليفة كتابه، وخليفة رسوله».[١]

ولم يختلف أحدٌ من الأمة ـ خاصة الشيعة: إمامية وزيدية ـ في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا على الامام فحسب، بل على الأمة جمعاء.[٢]

لكن هذا الواجب:

أوّلاً: ليس من أصول الدين، بل من فروع العمل، ولذا كان وجوبه عامّاً علىٰ كلّ الأمة، فلا يمكن أن يؤخذ شرطاً خاصاً، لأصل دينيّ، كالإمامة، ولا علىٰ شخصٍ معيّن، كالإمام.

ثانياً: إنّ وجوبه ليس مطلقاً، بل هو مشروط ومقيّد بحالات[٣]، فلا يعلّق عليه أمر ضروري مطلق، كالإمامة التي يعدّها الشيعة من أثافي الاسلام وأعمدته[٤].

---

(١) درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية (ص ٤٨).

(٢) شرح الازهار (٤: ٥٨٢).

(٣) شرح الأزهار (٤:٥٨٣).

(٤) لاحظ وسائل الشيعة (ج ١ ص ١٣ ـ ٢٩) الباب الأول.

فمن القيود، عدم التقية:

قال الإمام السجّاد عليه السلام: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلّا أن يتقي تقاةً.

قيل: وما تقاته؟

قال عليه السلام: يخاف جبّاراً عنيداً، أن يَفْرُطَ عليه أو أن يطغىٰ [١].

ومنها، ظنّ التاثير:

فإنْ لم يظنّ لم يجب.

بل جعل منها في الفقه الزيدي شرط: أن لايؤدّي إلىٰ مثله أو أنكر، أو تلفه، أو بعضو منه، فيقبح غالباً.

واحترز بقيد «الغالب» عمّا لو حصل بتلف القائم إعزاز الدين، كما كان من الحسين عليه السلام وزيد عليه السلام [٢].

فهو قد جعل حركة الحسين وزيد عليهما السلام مثلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا ريب في أنهما كذلك، وفي المنظار العام، بل هما من أروع الأمثلة وأعلاها!

وذكره للإمام الحسين عليه السلام مع أنّ إمامته ثابتة بالنصّ ـ عند الشيعة إماميّة وزيديّةَ ـ دليل علىٰ أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجبٌ آخر، من دون دخالةِ له في أمر الإمامة.

والذي نستخلصه من هذا البحث:

أنّ الإمامة إنّما هي منصب إلهي يعتمد على النصّ ـ خاصّاً كما يقوله الإمامية، أو عاماً كما يقوله الزّيدية ـ وإذا ثبت النصُّ علىٰ إمام بعينه كان الحجة علىٰ الأمة، مهما فعل من قيام أو قعود.

نعم، إن من المستلزمات الواضحة للإعلان عن الإمامة هو التحرّك في سبيل مصلحة الدين والمسلمين، والتحرُّق من أجل مشاكلهم ومآسيهم، والسعي في حلّ

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٣: ١٤٠).

(٢) شرح الأزهار (٤ ـ ٥٨٥) وانظر الاعتصام (٥ ـ ٤٢٥ و ٥٤٣).

أزماتهم بكلّ الطرق والسُبل، ولو بتجريد السيف!

ولعلّ اشتراط الخروج والدعوة الذي يظهر من كلمات الزيدية، يُراد كونه شرطاً لتعريف الأمّة بالإمام، والإعلان عن بدء حركته الجهاديّة، لا شرطاً في الإمامة وثبوتها للإمام، وبهذا يقترب المذهبان.

ولنختم هذا البحث بكلام واحد من كبار علمائنا الذين عاشوا في القرن الرابع الهجريّ، وهو الشيخ المحدِّث الحافظ، المتكلّم، الفقيه، أبوالقاسم، علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي، الذي قال في كتابه القيّم «كفاية الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر» بعدما أورد النصوص المتضافرة علىٰ إمامتهم عليهم‌السلام ما نصُّه:

فإن قال قائل: فزيد بن عليّ، إذا سمع هذه الأخبار، وهذه الأحاديث من ثقات المعصومين، وآمن بها، واعتقدها، فلماذا خرج بالسيف؟ وادّعى الإمامة لنفسه؟ وأظهر الخلاف علىٰ جعفر بن محمد؟ وهو بالمحلِّ الشريف الجليل، معروف بالستر والصلاح، مشهور ـ عند الخاصّ والعامِّ ـ بالعلم والزهد؟ وهذا ما لا يفعله إلّا معاند أو جاحد، وحاشا زيداً أن يكون بهذا المحلِّ.

فأقول في ذلك، وبالله التوفيق:

إن زيد بن علي عليه‌السلام خرج علىٰ سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا علىٰ سبيل المخالفة لابن أخيه جعفر بن محمد عليهما‌السلام.

وإنما وقع الخلاف من جهة الناس، وذلك أنَّ زيد بن علي عليه‌السلام لمّا خرج، ولم يخرج جعفر بن محمد عليهما‌السلام توهَّم قوم من الشيعة أنَّ امتناع جعفر كان للمخالفة!

وإنما كان لضربٍ من التدبير.

فلمّا رأى الذين صاروا للزيدية سلفاً قالوا: ليس الإمام «مَنْ جلس في بيته وأغلق بابه وأرخىٰ ستره» وإنّما الإمام «مَنْ خرج بسيفه يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر».

فهذا كان سبب وقوع الخلاف بين الشيعة، وأما جعفر وزيد عليهما‌السلام، فما كان بينهما خلاف [١].

---

(١) كفاية الأثر للخزّار (ص ٣٠٠ ـ ٣٠٢) وانظر ثورة زيد بن علي (ص ١٤٠ ـ ١٤٧).

التمهيد :

البحث الثاني : إمامة السجّاد زين العابدين عليه السلام

اتّفق الشيعة الإمامية علىٰ إمامة زين العابدين عليه السلام :

قال الشيخ المفيد : واتفقت الإمامية علىٰ أن رسول الله صلى الله عليه وآله نصَّ علىٰ علي بن الحسين ، وأن أباه وجدَّه نصَّا عليه كما نصَّ عليه الرسول عليه السلام ، وأنه كان بذلك إماماً للمؤمنين[1] .

وقد أقاموا الحجج وجمعوا النصوص الدالة علىٰ إمامته عليه السلام في كتبهم[2] .

ثمَّ إن خصال الفضل ـ الموجب للتقدُّم ـ ووجوهه ، في عصر التابعين ، هي : العلم بالدين ، والإنفاق في سبيل الله ، والزهد في الدنيا[3] .

وقد اجتمعت كلّها في شخص الإمام زين العابدين عليه السلام .

ولا أظنّ أنَّ القول بإمامة السجاد عليه السلام في عقيدة الشيعة الإمامية بحاجة إلى الاستدلال ، بعد وضوح ذلك ، والاتفاق الذي نقله الشيخ المفيد ، وإثبات النصوص في صحاحهم المعتمدة .

---

(١) أوائل المقالات في المذاهب المختارات (ص ٤٧) .

(٢) الكافي للكليني (١ : ١ ـ ٢٤٢) والإمامة والتبصرة (ص ١٩٣) الباب (١٠) وكفاية الأثر للخزّاز (ص ٢٣٠ ـ ٢٣٥) والغيبة للطوسي (ص ٥ ـ ١٩٦) وإثبات الهداة للحر العاملي (٣ : ١ ـ ٣٢) .

(٣) راجع الإفصاح للمفيد (ص ٢٣١) .

وأمّا الزيديّة:

فالذي يظهر من كلام الهادي إلى الحق يحيىٰ بن الحسين (المتوفّىٰ ٢٩٨) أنه يلتزم بإمامة السجاد عليه السلام بالنصّ على الوصية إليه حيث ذكره باسمه الصريح. فقد قال: إن الله عزوجل أوصىٰ بخلقه علىٰ لسان النبي الىٰ عليّ بن أبي‌طالب، والحسن، والحسين، وإلى الأخيار من ذريّة الحسن والحسين، أولهم علي بن الحسين، وآخرهم المهدي، ثم الأئمة في ما بينهما[1].

فهذا الكلام صريح الدلالة علىٰ أن الوصية كانت إلى الإمام السجاد عليه السلام كما كانت لأبيه وعمّه وجدّه. بالتعيين من الله تعالىٰ فهو عليه السلام من الأوصياء الذين اختارهم الله للإمامة وثبتت لهم بالاختيار الإلهي.

لكنّ بعض العلماء المعاصرين، من فضلاء الزيدية حاول صرف هذا الكلام عن صريح لفظه. إلىٰ أن سيد الساجدين علي بن الحسين صلوات الله عليه من دعاة الأئمة[2] ولم يذكره في عداد الأئمة.

فبالرغم من عدم قرينة علىٰ هذا الحمل، فإنه يقتضي أن يكون «المهدي» أيضاً من دعاة الأئمة، وهو ما لا يلتزم به أحد من الأُمّة!

ونقل السيّد بدرالدين الحوثي عن القاسم عليه السلام ما نصّه:

وجرىٰ الأمر في ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصفوة بعد الصفوة، لا يكون إلّا في خير أهل زمانه وأكثرهم اجتهاداً وأكثرهم تعبّداً وأطوعهم لله وأعرفهم بحلال الله وحرامه وأقومهم بحقّ الله وأزهدهم في الدنيا وأرغبهم في الآخرة وأشوقهم للقاء الله، فهذه صفة الإمام، فمن استبان منه هذه الخصال فقد وجبت طاعته على الخلائق، فتفهّموا وانظروا:

هل بيننا وبينكم اختلاف في علي بن أبي‌طالب ثم بعده الحسن بن علي؟

---

(١) كتاب فيه معرفة الله والعدل والتوحيد، للهادي، مطبوع في رسائل العدل والتوحيد (٢: ٨٢). وأورده بنصه في المجموعة الفاخرة (ص ٢٢١). ونقله السيد بدرالدين الحوثي في رسالة (الزيدية في اليمن) (ص ١٧).

(٢) التحف شرح الزلف (ص ٢٥).

أو هل اختلفنا من بعده في الحسين بن علي ؟

أو هل اختلفنا في علي بن الحسين ؟

أو هل اختلفنا في محمد بن علي ؟

أو هل ظهر منهم رغبة في الدنيا ؟! او طلب اموال الناس ؟

إلىٰ قوله عليه السلام : فلو أردنا أن نجحد الحقّ لجحدناهم من بعد الحسين بـن عـلي، وصيّرناه في أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله عامّةً (١).

وهذا النصّ أصرح في التزام الزيدية بامامة علي بن الحسين السجاد ومحمد بـن علي الباقر عليهما السلام ، حالهم حال الإمامية بلا خلاف في القول بامامتهم الخاصة.

والذي يظهر من تتبُّع أقوال خبراء الملل والنحل أنَّ الزيدية القدماء كانوا يلتزمون بإمامة السجاد عليه السلام ، ولم يختلف الشيعة في إمامته:

فالشهرستاني ـ لما ذكر الاختلاف في الإمامة، وذكر مَنْ قال بالنصّ على الحسن والحسين ـ قال: ثم اختلفوا: فمنهم من أجرىٰ الإمامة في أولاد الحسن عليه السلام ، فـقال بعده بإمامة ابنه الحسن [المثنىٰ] ثم ابنه عبدالله...

ومنهم من أجرىٰ الوصية في أولاد الحسين، وقال بعده بإمامة ابنه علي بن الحسين زين العابدين، نصّاً عليه، ثم اختلفوا بعده: فقالت الزيدية بإمامة زيد، وأمّا الإمامية فقالوا بإمامة ابنه محمد بن علي الباقر، نصّاً عليه (٢).

وقال في الجارودية: فساق بعضهم الإمامة من علي إلى الحسن، ثم إلى الحسين، ثم إلىٰ علي بن الحسين زين العابدين، ثم إلى ابنه زيد... (٣).

وقال القاضي النعمان المصري: الزيدية من الشيعة زعـموا أنَّ مَـنْ دعـا إلى الله عزَّوجلَّ من آل محمد فهو إمام مفترض الطاعة.

قالوا: وكان علي إماماً حين دعا الناس إلىٰ نفسه، ثم الحسن والحسين، ثم زين

---

(١) الزيدية في اليمن (ص ١٧ ـ ١٨) عـن كـتاب (الردّ عـلى الروافـض مـن الغـلاة ـ المخطوط ـ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥).

(٢) الملل والنحل (١ : ٢٧).

(٣) الملل والنحل (١ : ١٥٨).

العابدين، ثم زيد بن علي...[(١)].

ويظهر التزام زيد بإمامة أبيه من الحوار الذي جرىٰ بينه وبين أخيه الإمام الباقر، والذي نقله الشهرستاني، فإنّ زيداً كان يرىٰ الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً، فقال له الباقر يوماً: مقتضىٰ مذهبك: والدك ليس بإمام! فإنه لم يخرج قطْ! ولا تعرّض للخروج[(٢)].

فلو لم يكن زيد ملتزماً بإمامة والده السجاد عليه السلام، لم يتمّ إلزامُه بما في هذا الحوار.

لكنّ الزيدية المتأخّرين خالفوا ذلك: ففي المعاصرين مَنْ لم يلتزم بإمامة السجّاد عليه السلام بل يَعُدُّهُ من دعاة الأئمة!

وهؤلاء يسوقون الإمامة من الحسين عليه السلام الشهيد في كربلاء (سنة ٦١) إلى الحسن المثنىٰ بن الحسن المجتبىٰ عليه السلام ويلقبونه بـ«الرضا» ثم إلىٰ زيد[(٣)].

ويبدو أن الالتزام بعدم إمامة السجاد عليه السلام أصبح مذهباً للجارودية في الفترة المتأخرة عن عهد الهادي إلى الحق، فإنّ الشيخ المفيد نقل إنكارهم أن يكون علي بن الحسين عليه السلام إماماً للأمة بما توجَب به الإمامة لأحد من أئمة المسلمين[(٤)].

وقال السيد ما نكديم أحمد بن الحسين بن هاشم الحسيني ششديو، في تعيين الإمام: إعلم أن مذهبنا أن الإمام بعد النبي صلى الله عليه وآله: علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم زيد بن علي، ثم مَنْ سار بسيرتهم[(٥)].

والملاحظ عدم ذكره للحسن المثنىٰ.

---

(١) شرح الأخبار للقاضي (٣: ٣١٧).

(٢) الملل والنحل (١ ـ ١٥٦).

(٣) التحف شرح الزلف (ص ٢٢ و ٢٤ ـ ٢٥).

(٤) أوائل المقالات (ص ٤٧) ولاحظ أجوبة ابن قبة الرازي علىٰ كتاب (الاشهاد) لأبي زيد العلوي الزيدي المطبوع في إكمال الدين (ص ١١٣) اذ قال له: وانت لا تعترف بإمامة مثل علي بن الحسين عليه السلام!، مع محله في العلم والفضل عند المخالف والموافق.

(٥) شرح الاصول الخمسة، للقاضي (ص ٧٥٧).

ومع أن هذه النصوص تدلّ على الخلاف الكبير بين الزيدية في تعيين الإمام بعد الحسين عليه السلام، فإنا يمكننا الوصول إلىٰ رأي واحد من خلال الملاحظات التالية:

فعلىٰ الرأي الأخير، فإن منصب الإمامة يبقىٰ شاغراً عمّن يتولّاه من سنة (٦١) مقتل الإمام الحسين عليه السلام، إلىٰ سنة (١٢١) مخرج زيد عليه السلام.

وحتّىٰ على الرأي الثاني، فالمنصب يبقىٰ شاغراً من سنة (٦١) إلىٰ سنة (٨٣) مخرج ابن الأشعث ودعوته إلى الحسن المثنىٰ، على الفرض[١].

ومن المعروف ـ وحسب الأحاديث الصريحة ـ أنّ الأرض لا تخلو من حجّة[٢].

ودلالة الأحاديث المشهورة: «من مات لا يعرف إمامه» أو «وليس له إمام، مات ميتةً جاهلية»[٣] علىٰ أنـّه لابدّ للأُمَّة ـ في كل زمانٍ ـ من إمام عدل يعرفونه، ويدينون بإمامته وولايته، وأن الجاهل بالإمام خارج عن ملّة الإسلام، واضحة صريحة.

فخلوّ الفترة بين (٦١) إلىٰ (٨٣) أمر لاينطبق علىٰ هذه الأصول.

علىٰ أنّ القول بإمامة الحسن المثنّىٰ، وإن التزم به بعض المتأخّرين من الزيدية، استناداً الىٰ ما قيل من أن: عبدالرحمن بن الأشعث قد دعا إليه، وبايعه، فلمّا قُتِلَ

---

(١) ولا يمكن الالتزام بإمامة الحسن ولا زيد قبل خروجهما، إذا كان الخروج شرطاً للإمامة، كما يقول هؤلاء، وحسب تفسيرهم للخروج!.

(٢) الكافي (١ ص ٦ ـ ١٣٧) والإمامة والتبصرة (ص ١٥٧ ـ ١٦٣) ب (٢) وإكمال الدين (ص ١٠).

(٣) الكافي (١ ص ٣٠٨) والإمامة والتبصرة (ص ٢١٩ ـ ٢٢٠) ب (١٨) وح ٥٠ ب ١١ وانظر: بحار الانوار (ج ٢٣ ص ٧٦ ـ ٩٥) ورواه في (الجامع الكافي) كما في الاعتصام (٥ : ٤٠٩) وقال: رواه الهادي في الاحكام (٢ : ٤٦٦) ودرر الأحاديث اليحيوية (ص ١٧٧) ورواه المفيد في الافصاح (ص ٢٨) وعبّر عنه بالمتواتر، وعبّر عنه الشهيد الثاني بقوله: «من مشاهير الأحاديث بين العامّة والخاصّة وقد أوردها العامّة في كتب أُصولهم وفروعهم» جاء ذلك في كتاب: حقايق الإيمان (ص ١٥١). ورواه من العامة الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١ : ٧٧ و ١١٧) والطبراني في المعجم الكبير (١٠ : ٣٥٠) رقم (١٠٦٨٧) وبلفظ (بغير إمام) في (١٩ : ٣٨٨) رقم (٩١٠) ومجمع الزوائد (٥ : ٢٢٥) وقد جمع الحديث بالفاظه المختلفة الشيخ مهدي الفقيه في كتابه (شناخت امام) باللغة الفارسية وهو مطبوع.

عبدالرحمن توارىٰ الحسن حتىٰ دُسّ اليه من سقاه السمَّ، فمات، وعمره ثلاث وخمسون سنة [١]، فهو أمرٌ لم يثبت.

لأنّ الشيخ المفيد قال: ومضىٰ الحسن [المثنّىٰ] ولم يدّع الإمامة، ولا ادّعاها له مدّعٍ [٢].

ولو فرضنا صحّة الدعوة منه، أو اليه، فهل مجرّد الدعوة ثمّ الاختفاء والموت يكفي لإسناد منصب الإمامة العظيم إلىٰ شخص ؟!

وهل يقنع العقل بمجرد ذلك لإسناد الإمامة إلىٰ شخص غير الإمام السجّاد؟ فيُعرض عن ملاحظة الإنجازات السياسية والدينية الهائلة التي قدّمها الإمام السجّاد عليه السلام طيلة فترة إمامته (٦١ ـ ٩٥) والتي سنستعرضها في الفصول القادمة ؟!.

وهل تُقاس هذه الجهود بمجرد الدعوة ثم الاختفاء والموت ؟!

وهل مثل تلك الدعوة ـ علىٰ قصرها ـ تحقّق المطلوب من روح شرط «الخروج» ؟!

مع أنّ الإمام السجاد عليه السلام قد أعلن الدعوة صريحة إلىٰ إمامة نفسه، وعلىٰ رؤوس الأشهاد، وعلىٰ مدىٰ أربع وثلاثين عاماً! كما سيأتي.

وأما العامّة:

فقد قال الذهبي في ترجمة الإمام السجاد: السيد الإمام، زين العابدين، وكان له جلالة عجيبة، وحقّ له ذلك، فقد كان أهلاً للإمامة العظمىٰ: لشرفه، وسؤدده، وعلمه، وتألّهه، وكمال عقله [٣].

وقال المناوي: زين العابدين، إمام، سند، اشتهرت أياديه ومكارمه، وطارت بالجوّ في الوجود حمائمه، كان عظيم القدر، رحب الساحة والصدر، رأساً لجسد

---

(١) عمدة الطالب (١٠٠ ـ ١٠١) وانظر هامشه.

(٢) الإرشاد إلى ائمة العباد للمفيد (ص ١٩٧) وقد فصل الحديث عنه وقال: كان جليلاً رئيساً فاضلاً ورعاً وكان يلي صدقات أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وقته، وله مع الحَجّاج خبر (الارشاد ص ١٩٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٨).

الرئاسة، مؤمّلا للإيالة والسياسة[١].

وقال الجاحظ: أمّا علي بن الحسين بن علي: فلم أر الخارجي في أمره إلّا كالشيعي، ولم أرَ الشيعي إلّا كالمعتزلي، ولم أرَ المعتزلي إلّا كالعامي، ولم أرَ العامي إلّا كالخاصيّ، ولم أجد أحداً يتمارىٰ في تفضيله ويشكّ في تقديمه[٢].

وقال الجاحظ أيضاً: وأمّا علي بن الحسين عليه السلام فالناس على اختلاف مذاهبهم مجمعون عليه لايمتري أحد في تدبيره، ولا يشكّ أحد في تقديمه[٣].

وقد ترجَمَ له عليه السلام أعلام العامة فلم يذكروه إلّا بالسيادة والشرف، والتقىٰ والعلم، والعبادة والفضل، والحلم والكرم، والتدبير والحكمة، وكثير منهم وصفه بالإمامة[٤].

وهل يشكّ مسلم مؤمن بالكتاب والسنة، ومزدان بالعقل والعدل، في تقدّم هذا الإمام علىٰ خُلَفاء عصره، وأولويّته بالإمامة والخلافة والحكم؟

الإشارة إلىٰ إمامة السجّاد:

ولنختم هذا البحث بحديث اتّفقت المذاهب الإسلامية الكبيرة علىٰ روايته ونقله:

١ـ من طرق الإمامية:

روىٰ الشيخ أبوجعفر الصدوق محمّد بن علي ابن بابويه القمّي، مسنداً، عن الصادق جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: **إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد: أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر الىٰ ولدي عليّ بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب يخطر بين الصفوف**[٥].

وروىٰ الصدوق أيضاً، مسنداً عن عمران بن سليم، قال: كان الزهري إذا حدّث عن علي بن الحسين عليه السلام قال: «حدّثني زين العابدين علي بن الحسين» فقال له

---

(١) الكواكب الدريّة (٢: ١٣٩).

(٢) عمدة الطالب (٣ـ ١٩٤) عن (رسالة) الجاحظ في فضل بني‌هاشم، وانظر العلم الشامخ للمقبلي (ص ١٠).

(٣) رسالة الجاحظ، ونقله عنه في كشف الغمّة (١: ٣١).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (٥ / ٢١١) المعارف لابن قتيبة (ص ٢١٤) حلية الأولياء (٣: ١٣٣) تذكرة الحفاظ (١: ٧٤) تهذيب التهذيب (٧: ٣٠٤) النجوم الزاهرة (١: ٢٢٩) وغيرها.

(٥) أمالي الصدوق (ص ٢٧٢) نهاية المجلس (٥٣) وعنه في بحار الأنوار (٤٦ ص ٣).

سنيان بن عُيَيْنة: ولِمَ تقول له: «زين العابدين»؟

قال: لأنّي سمعت سعيد بن المسيّب، يحدّث عن ابن عبّاس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان...[١] وروى الحديث بلفظه.

ورواه في العلل أيضاً مسنداً إلى الصادق عليه السلام موقوفاً عليه[٢].

٢ـ من طرق العامة:

روىٰ الحافظ ابن عساكر، بسنده، عن سفيان بن عُيَيْنَة، عن أبي الزبير قال: كنّا عند جابر، فدخل عليه علي بن الحسين، فقال له جابر: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فدخل الحسين، فضمّه اليه وقبّله وأقعده إلىٰ جنبه، ثم قال: يولد لابني هذا ابن يقال له «علي بن الحسين» إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ من بُطنان العرش: «ليقم سيّد العابدين» فيقوم هو[٣].

وروىٰ ابن المديني عن جابر أنه قال للامام الباقر محمد بن علي، وهو صغير: «رسول الله صلى الله عليه وآله يسلّم عليك» فقيل له: وكيف ذاك؟

قال: كنت جالساً عنده، والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: يا جابر، يولد له مولود اسمه عليّ، إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: «ليقم سيّد العابدين» فيقوم ولده، ثم يولد له ولدُ اسمه محمد، فإنْ أدركْتَه ـ يا جابر ـ فأقرئه منّي السلام[٤].

٣ـ من طرق الزيدية:

روىٰ السيد الموفق بالله قال: أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد: أخبرنا أبوأحمد الحسن بن عبدالله: أخبرنا الحسن بن علي بن زكريا: حدثّنا العباس بن بكّار: حدثّنا أبوبكر الهذلي، عن أبي الزبير، عن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

---

(١) علل الشرائع (ص ٨٧) وعنه في بحار الأنوار (٤٦ ص ٢ ـ ٣) وعوالم العلوم (ص ١٧).

(٢) علل الشرائع (١: ٢٢٩) وعنه بحار الأنوار (٤٦ ص ٣).

(٣) تاريخ دمشق ص ٢٦ الحديث ٣٤ (من ترجمة الإمام زين العابدين عليه السلام) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٣٤).

(٤) الصواعق المحرقة (ص ١٢٠) ولسان الميزان (٥: ١٦٨).

يُولَد للحسين ابنٌ يُقال له علي، إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: ليقم سيّد العابدين[١].

ورواه الشهيد المحلّي أنّه صلى الله عليه وآله قال: **إذا كان يوم القيامة نادىٰ منـاد: «ليـقم سـيّد العابدين» فيقوم عليّ بن الحسين**[٢].

الدلالة:

وهذا الحديث مع تعدّد طرقه وشواهده، التي يؤيّد بعضها بعضاً، فيه الإشارة إلى الإمام السجاد، من نوع النصّ الخفيّ ـ الذي يلتزم به كثير من الزيديّة ـ علىٰ إمامته، وإلّا فدلالته علىٰ تشخّصه وفضله وشرفه علىٰ أهل عصره، مما لا يُرتاب فيه.

خير أهل الأرض:

وروىٰ الباقر عليه السلام عن الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام أنه قال لابنه الحسـين لمّـا أخـذ شَهْربانُوَيْه ـ أُمَّ علي بن الحسين ـ: **يا أباعبدالله، لتلدنَّ لك خير أهل الأرض.**

فولد عليّ بن الحسين عليه السلام[٣].

ومن المعلوم أن خير أهل الأرض في عصره لابدّ أن يكون هـو الإمـام، لأنـه الأفضل.

دعوة الإمام إلىٰ إمامة نفسه:

ثم إنّ الإمام السجاد عليه السلام قد دعا إلىٰ إمامة نفسه في كثير من أقواله وتصريحاته ومنها قوله: **نحن أبواب الله، ونحن الصراط المستقيم، ونحن عيبة علمه، ونحن تراجمـة وحيه، ونحن أركان توحيده، ونحن مواضع سرّه...**[٤].

وغير ذلك من النصوص التي سنذكر بعضها[٥].

---

(١) كتاب الاعتبار وسلوة العارفين (ص ١٨٥).

(٢) الحدائق الوردية (ص ١٣٧).

(٣) الكافي للكليني (١: ٤٦٦) وإثبات الوصيّة للمسعودي (ص ١٤٥) وانظر: محـاضرات الراغب الاصـفهاني (١: ٣٤٧) ط بـيروت وقـد نـقله في العـوالم (ص ٦) عـن بـصائر الدرجـات للصفار (ص ٣٣٥ ـ ٣٥٥) وانظر البحار (٤٦ / ١٩ / ٢).

(٤) معاني الأخبار للصدوق (ص ٣١).

(٥) لاحظ نهاية الفصل الثاني من كتابنا هذا.

ومهما يكن:

فلو التزمنا بإمامة الإمام السجاد عليه السلام، كما تقول به الشيعة الإمامية، وقدماء الزيدية.

أو التزمنا بأهليّته للإمامة، كما نصَّ عليه العامة.

أو قلنا إنه من دعاة الأئمة، كما يقول به المعاصرون من الزيدية!

فإن حياة مثله لا يمكن أن تفرّغ من التحرّك السياسي، الذي عرفنا أنه من مهمات «الإمامة» بل من صميم معناها!

ويعد:

فلو أعرضنا عن كل ذلك، فإن ما نستعرضه في الفصول القادمة، تعطينا الأدلة والبراهين الصادقة، والشواهد العينية البيّنة، علىٰ أنّ الإمام السجاد عليه السلام، لا أنّه لم يعتزل السياسة ولم يبتعد عن شؤونها، فحسب، بل إنه خطّط لعمله السياسي أدقّ الخطط، ودخل معمعة السياسة من الأبواب الواسعة، والخطيرة، بما حقّق أهداف الإمامة بأحسن شكل.

وأهم ميزات هذه الخطط أنّها كانت دقيقة حتّىٰ أنّها خفيت على الكثيرين من المؤرّخين والدارسين، فراحوا ينكرونها وينفونها.

وأمّا الحكّام والساسة المعاصرون للإمام، فقد أربكتهم تلك السياسة الدقيقة، ولم يتمكّنوا من مقاومتها، ولا الوقوف في وجهها، فلم يكن منهم إلّا مسايرتها، والتسليم أمامها، وبالتالي التراجع عن كثير من مواقع السلطة التي بنوا عليها نظام حكمهم، واسّسوا عليها أساس ظلمهم وغصبهم للخلافة.

وتفصيل هذا الإجمال، تتكفّله الفصول التالية، بعون الله.

←

ويبدو أنّ البحث عن إثبات إمامة السجّاد عليه السلام قد كانَ مُثاراً منذ القرن الرابع فقد قام واحد من كبار علماء الإماميّة وهو العيّاشي السمرقندي محمد بن مسعود السلمي صاحب التفسير المعروف، بتأليف كتاب باسم «إثبات إمامة علي بن الحسين عليه السلام» ذكره النجاشي في رجاله (ص ٣٥٢) رقم (٩٤٤) وانظر الفهرست للطوسي (ص ١٦٤) رقم (٦٠٥) ولاحظ الفهرست لابن النديم (ص ٣٢٥).

الفَصْلُ الأوَّل

أدْوَارُ النِضَالِ في حَيَاةِ الإمَامِ عَلَيْهِ السَّلامُ

أولاً: في كربلاء

ثانياً: في الأسر

ثالثاً: في المدينة

إنَّا نقرأ في سيرة الإمام السجَّاد عليه السلام ـ منذ البداية ـ صفحات من النضال الواضح، بحيث لا يمكن تجاوزها، والغضّ عنها بسهولة:

فحضوره في كربلاء.
ومواقفه في خُطَبِهِ في الأسر.
وتخطيطه عند الوصول إلى المدينة.

ثلاث محطّات للتأمُّل في سيرة الإمام السجّاد عليه السلام، وفي بدايتها بالضبط، تستدعي التوقّف عندها لأخذ الشواهد العينيّة لمعرفة أبعاد نضاله المستقبلي.

وإنّي أعدّ هذه البداية مهمّةً جداً للبحث، إذ أنّها توقفنا على اتجاه السهم السياسي الذي أطلقه الإمام السجاد عليه السلام ليصيب به هدفه الأوّل والأخير، والذي امتدّ سيره طول حياته الشريفة.

ولو تأمّلنا ما في هذه المحطّات من أعمال، وبظروفها وحوادثها، نرىٰ أنها لم تَقْصُر ـ في الاعتبار السياسي ـ عن قعقعة السيوف وصليلها، ولا عن عدْو الخيول وضبحها وصهيلها، ولا عن وَغىٰ العساكر ولجبها!

بل تتجاوز ـ في بعض الاعتبارات ـ أثر خروج محدودٍ يؤدّي إلى الشهادة، في تلك الظروف الحرجة المعقّدة، التي غطّىٰ فيها التعتيم على الحقائق، وظلّل الإعلام كلَّ الأجواء، وأصمَّ الدجل كلّ الآذان، وأعمى التزوير كلّ الابصار، وكدّر الظلم النور المؤدّي إلى النظر الصائب.

فلنقف في كلّ نقطة مع أهم ما حُفظ لنا من خلال المصادر، ولنقرأ تلك الصفحات:

أوّلاً: في كربلاء

لقد حضر الإمام السجّاد عليّ بن الحسين، في معركة كربلاء، إلىٰ جنب والده الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما تذكره كلّ المصادر بلا استثناء.

ويَرد في مصادر الوقعة، اسم «عليّ بن الحسين» في بعض مقاطع رحلة الإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى الشهادة، وفي بعض الحديث بينه وبين ولده «عليّ».

ولم يُحدَّد المقصود من «عليّ» هذا، هل هو السجّاد عليه السلام أو أخوه «علي» الشهيد عليه السلام؟

وقد اشتهر أنّه هو الشهيد، لكنّ ذلك غير مؤكّد، فلعلّ الذي ورد ذكره، هو الإمام السجّاد عليه السلام (١).

والدلالات النضالية في هذا الحضور من وجوه:

أوّلاً: إن هناك نصوصاً تاريخية تدلّ علىٰ أن الإمام السجاد عليه السلام قد قاتل يوم عاشوراء وناضل إلىٰ أن جُرِحَ، وهي:

النصّ الأول: ما جاء في أقدم نصٍّ مأثور عن أهل البيت عليهم السلام في ذكر أسماء مَنْ حضر مع الحسين عليه السلام، وذلك في كتاب «تسمية مَنْ قُتِلَ (٢) مع الحسين عليه السلام من أهل بيته وإخوته وشيعته» الذي جمعه المحدّث الزيدي الفُضَيل بن الزُبير، الأسدي، الرسّان، الكوفي، من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام (٣).

---

(١) لاحظ شرح الأخبار للقاضي (٣: ٢٦٥ـ٢٦٦) والإرشاد للمفيد (٢٥٣) وانظر السرائر لابن إدريس (١: ٦٥٥)، ولاحظ تواريخ النبي والآل للتستري (ص ٣٠ـ٣٢).

(٢) كذا في ما نقل عن هذا الكتاب في مصادره، لكنّي أظنّ أن الكلمة هي (قاتَلَ) لأنّ المذكورين لم يُقتلوا جميعاً، بل في بعض المذكورين مَنْ أُسر، ومَنْ فرّ، ومن قُتِلَ قبل كربلاء، فلاحظ مقدّمتنا للطبعة الثانية لهذا الكتاب، الذي نقوم بإعداده بعون الله.

(٣) نشر هذا الكتاب، بتحقيقنا، في مجلة (تراثنا) الفصلية التي تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث في قم سنة (١٤٠٦) وقد ذكرنا سنده وترجمة مؤلّفه بتفصيل وافٍ. والكتاب مذكور في الامالي الخميسية للمرشد بالله (١: ١٧٠ـ١٧٣) والحدائق الوردية للمحلي ج ١ ص ١٢٠.

فقد ذكر ما نصّه:

«وكان عليٌّ بن الحسين عليلاً، وارتُثَّ، يومئذٍ، وقد حَضَرَ بعض القتال، فدفع اللهُ عنه، وأخِذَ مع النساء» (١).

ومع وضوح النصّ في قتال الإمام السجّاد عليه السلام في كربلاء فإن كلمة «ارْتُثَّ» تدل علىٰ ذلك، لأنها تقال لمن حُمِلَ من المعركة، بعد أنْ قاتل، وأُثخِنَ بالجراح، فأُخرج من أرض القتال وبه رَمَقٌ، كما صرّح به اللغويون (٢).

النصّ الثاني: ما جاء في مناقب ابن شهرآشوب ـ بعد ذكره مشهد علي بن الحسين المعروف بالأكبر وأن الإمام الحسين عليه السلام أتىٰ به إلىٰ باب الفسطاط، أورد هذه العبارة **«فصارت أُمُّهُ شهربانويه وهيٰ تنظر إليه ولا تتكلّم»** (٣)

ومن المعلوم أن أُمّ علي الشهيد هي ليلىٰ العامرية أو برّة بنت عروة الثقفي ـ كما يراه ابن شهرآشوب ـ والمعروف أنّ «شهر بانويه» هي أمّ علي بن الحسين عليه السلام، فلابدّ أن يكون قد سقط من عبارة مناقب شهرآشوب ذكر مبارزة علي بن الحسين السجاد عليه السلام، وبهذا يكون شاهداً علىٰ ما نحن بصدده.

ومن المحتمل أنْ تكون العبارة مقدّمة علىٰ موضعها في مقتل علي الأصغر الذي ذكره ابن شهرآشوب بعد هذا النصّ المنقول، لأن ابن شهرآشوب ذكر أن أُمّ علي السجاد هي أمّ علي الأصغر شهر بانويه رضي الله عنها (٤).

النصّ الثالث: ما جاء حول مرض الإمام عليه السلام، إنّ المصادر تكاد تتّفق علىٰ أنّ

---

(١) تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام، مجلة (تراثنا) العدد الثاني (ص ١٥٠).

(٢) لاحظ مادة (رثث) من كتب اللغة، وقد صرحوا بأن الكلمة بالمجهول، انظر: المغرب للمطرزي (١: ١٨٤) والقاموس (١: ١٦٧) ولسان العرب (٢: ٤٥٧).

(٣) مناقب آل ابي طالب ـ طبع دار الاضواء (٤ / ١١٨).

(٤) مناقب آل أبي طالب (٤ / ٨٥) دار الاضواء.

الإمام السجاد عليه السلام كان يوم كربلاء، مريضاً، أو موعوكاً[١].

إلّا أنّها لم تحدّد نوعية المرض ولا سببه، لكنّ ابن شهرآشوب روىٰ عن أحمد بن حنبل قوله: كان سبب مرض زين العابدين عليه السلام أنّه كان اُلبس درعاً، ففضُل عنه، فأخذَ الفُضلة بيده ومزّقها[٢].

وهذا يُشير إلىٰ أن الإمام إنّما عُرّض للمرض وهو علىٰ اُهْبة الاستعداد للحرب أو علىٰ أعتابها، حيث لا يُلبَس الدرعُ إلّا حينذاك، عادة.

ولا ينافي ذلك قول ابن شهرآشوب: «ولم يقتل زين العابدين لأنّ أباه لم يأذن له في الحرب، كان مريضاً»[٣].

لأنَ مفروض الأدلة السابقة أنّ الإمَام زين العابدين قد أصيب بالمرض بعد اشتراكه اوّل مرّة في القتال وبعد أنْ ارتُثّ وجُرح، فلعلّ عَدمَ الإذن له في أن يُقاتل كان في المرّة الثانية وهو في حال المرض والجراحة.

ولو فرض كونه مريضاً منذ البداية فالأدلة التي سرذناها تدلّ بوضوح علىٰ مشاركته في بعض القتال.

فمؤشرات الجهاد في سيرة الإمام السجّاد عليه السلام هي:

أوّلاً: حَمْلُه السلاحَ -وهو مريضٌ- ودخولُه المعركة، إلىٰ أن يُجرح، يحتوي علىٰ مدلول بُطوليّ كبير، أكبر من مجرّد حمل السلاح!

فلو كان حمل السلاح واجباً على الأصِحّاء، فهو في الإسلام موضوعٌ عن المرضىٰ بنصّ القرآن، لكن ليس حراماً عليهم ذلك، إذا وجدوا هِمّة تمكّنهم من أداء دَورٍ فيه.

ثانياً: إنّ وجود علي بن الحسين عليه السلام، مع أبيه الإمام الحسين عليه السلام، في أرض كربلاء، حيث ساحة النضال المستميت، وميدان التضحية والفداء، وحيث كان الإمام

---

(١) الإرشاد للمفيد (ص ٢٣١) شرح الأخبار (٣: ٢٥٠) وسير أعلام النبلاء (٤: ٤٨٦).

(٢) نقله ابن شهرآشوب عن كتاب (المقتل) في مناقب آل أبي طالب (٣ / ٢٨٤) وفي ط دار الاضواء (٤ / ١٥٥) ونقله في العوالم (ص ٣٢).

(٣) مناقب ابن شهرآشوب (دارالاضواء) (٤ / ١٢٢).

الحسين عليه السلام يسمح لكلّ مَنْ حوله ـ وحتّىٰ أولاده وأهل بيته ـ بالانصراف، ويجعلهم في حلّ، لهو الدليل علىٰ قصد الإمام للمشاركة في ما قام به أبوه.

قال الإمام السجّاد عليه السلام: لمّا جمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء، دنوتُ لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذْ ذاك مريض، فسمعتُ أبي يقول:... أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرَّ من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً.. ألا، وإنّي قد أذنتُ لكم، فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذِمامٌ، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً[1].

ففي ذلك الظرف، لا دور ـ إذن ـ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بالمعنى الفقهي، لأنَّ الأخطار المحدقة كانت ملموسةً، ومتيقّنةً ومتفاقمة للغاية، تفوق حدّ التحمّل.

وقد أدرك ذلك كلّ مَنْ اطّلع علىٰ أحداث ذلك العصر، قبل اتّجاه الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق، ممّن احتفظ لنا التاريخ بتصريحاتهم، فكيف بمن رافق الإمام الحسين عليه السلام في مسيره الطويل من المدينة الىٰ مكّة والىٰ كربلاء، ومن أولاده وأهل بيته خاصة؟ الذين لا تخفىٰ عليهم جزئيّات الحركة وأبعادها وأصداؤها وما قارنها من زعزعة الجيش الكوفيّ للإمام، وسمعوا الإمام عليه السلام يصرّح بالنتائج المهولة والأخطار التي تنتظر حركته ومَن معه! حتّىٰ وقت تلك الخطبة مساء يوم التاسع، أو ليلة عاشوراء؟

فلقد عرف مَنْ بقي مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، بأنّ ما يقوم به الإمام ليس إلّا فداءاً وتضحية، لحاجة الإسلام إلىٰ إثارة، والثورة إلىٰ فتيل ووقود، واليقظة إلىٰ جرَس ورنين، والنهضة إلىٰ عماد وسناد، والقيام إلىٰ قائد ورائد، والحياة الحرّة الكريمة إلىٰ روح ودم.

والإمام الحسين عليه السلام قد تهيّأ ليبذل مهجته في سبيل كلّ هذه الأسباب لتكوين

---

(١) الإرشاد للمفيد (ص ٢٣١).

كلّ تلك المسبّبات.

ولم يكن مثل هذه الحقيقة ليخفىٰ علىٰ عليّ بن الحسين السجّاد عليه السلام الذي كان يومذاك في عمر الرجال، وقد بلغ ثلاثاً وعشرين سنة وكان ملازماً لأبيه الشهيد منذ البداية، وحتّى النهاية.

فكان حضوره مع أبيه عليه السلام وحده دليلاً كافياً علىٰ روح النضال مع بطولة فذّة، تمتّع بها أُولئك الشجعان الذين لم ينصرفوا عن الحسين عليه السلام.

ثم هو ـ كما تقول تلك الرواية ـ قد شهر السلاح، وقاتل بالسيف، حتّى أُثخِنَ بالجراح، وأُخرج من المعركة وقد ارْتُثّ.

وإذا كانت هذه الرواية ـ بالذات ـ زيديّةً، فمعنىٰ ذلك تماميّة الحجّة علىٰ مَن ينسب الإمام زين العابدين عليه السلام إلى اعتزال القيام والسيف والنضال.

ثالثاً: مضافاً إلىٰ أنّ حامل هذه الروح، قبل كربلاء، لا يمكن أن يركن إلى الهدوء بعد ما شاهده في كربلاء من تضحيات أبيه وإخوته وأهله وشيعته، وما جرىٰ عليهم من مصائب وآلام، وما أُريق من تلك الدماء الطاهرة.

أو يسكت، ولا يتصدىٰ للثأر لأبيه، وهو ثار الله، مع أنه لم يَـنْسَهم لحظة من حياته.

فكيف يستسلم مثله، ويهدأ، أو يسالم ويترك دم أبيه وأهله يذهب هَدراً؟ إذ لم يبق مَن يطالب بثأر تلك الدماء شخص غيره.

فاذا كان ـ كما يقول البعض: ـ «مصرع الحسين عليه السلام في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدّى الىٰ بلورة جماعة الشيعة، وظهورها كفرقة متميّزة ذات مبادىء سياسية وصبغة دينية (أكثر وضوحاً وتميُّزاً مما كانت عليه في زمان أميرالمؤمنين عليه السلام وقبله).

وكان لمأساة كربلاء أثرها في نموّ روح الشيعة وازدياد أنصارها، وظهرت جماعة الشيعة، بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، كجماعة منظّمة، تربطها روابط

سياسية متينة »[(١)].

فكيف لا تؤثّر هذه المأساة في ابن الحسين، وصاحب ثأره، والوحيد الباقي من ذريته، والوريث لزعامته بين الشيعة، ولا تزيد نموّ الروح السياسية عنده؟

وكيف تَجْمَعُ هذه المنظمة أفراد الشيعة بروابط سياسية، ولكن تُبَعِّدُ علي بن الحسين عليه السلام عن السياسة؟!

وكيف تستبعد هذه المنظمة عن التنظيم، وارث صاحب الثورة وصاحب الحقّ المهدور؟

أليس في الحكم بذلك تعنُّتٌ وجَوْرٌ؟

(١) جهاد الشيعة، لليّثي (ص ٢٧).

ثانياً: في الأسْر

إنَّ البطولة التي أبداها الإمام السجَّاد عليه السلام بعد كربلاء، وهو في أسر الأعداء، وفي الكوفة في مجلس أميرها، وفي الشام في مجلس ملكها. لا تقلُّ هذه البطولة أهميّةً ـ من الناحية السياسية ـ عن بطولة الميدان، وعلى الأقلّ: لا يقف تلك المواقف البطولية مَن هالَتْهُ المصارع الدامية في كربلاء، أو فجعَتْه التضحيات الجسيمة التي قُدّمَت أمامه، ولا يصدر مثل تلك البطولات ممَّن فضَّلَ السلامة!

نعم، لا يمكن أن يصدر مثل ذلك إلّا من صاحب قَلْبٍ جسور، صلب يتحمّل كلّ الآلام، ويتصدىٰ لتحقيق كلّ الآمال، التي من أجلها حضر في ميدان كربلاء مَنْ حضر، وناضل مَنْ ناضل، واستشهد مَنْ استشهد، والآن يقف ـ ليؤدّي دوراً آخر ـ مَنْ بقي حيّاً من أصحاب كربلاء، ولو في الأسر!

إنّ الدور الذي أدّاه الإمام السجاد عليه السلام، بلسانه الذي أفصح عن الحقّ ببلاغة معجزة، فأتمَّ الحجة على الجميع، بكل وضوحٍ، وكشف عن تزوير الحكّام الظالمين، بكل جلاء، وأزاح الستار عن فسادهم وجورهم وانحرافهم عن الإسلام. إن هذا الدور كان أنفذ علىٰ نظام الحكم الفاسد، من أثر سيف واحد، يجرّده الإمام في وجه الظلمة، إذ لم يجد مُعيناً في تلك الظروف الصعبة!.

لكنّه كان الشاهد الوحيد، الذي حضر معركة كربلاء بجميع مشاهدها، من بدايتها، بمقدّماتها وأحداثها وملابساتها وما تعقّبها، وهو المصدَّق الأمين في كل ما يرويه ويحكيه عنها.

فكان وجوده استمراراً عينيّاً لها، وناطقاً رسميّاً عنها.

مع أن وجوده، وهو أفضل مستودع جامع للعلوم الإلهية بكلّ فروع: العقيدة، والشريعة، والأخلاق، والعرفان، بل المثال الكامل للإسلام في تصرفاته وسيرته وسنته، والناطق عن القرآن المفسّر الحيّ لآياته، إن وجوده ـ حيّاً ـ كان أنفع للإسلام وأنجع للمسلمين في ذلك الفراغ الهائل، والجفاف القاتل، في المجتمع الإسلامي.

كان وجودُه أقضَّ لمضاجع أعداء الإسلام من ألف سيفٍ وسيف، لأن الإسلام إنّما

يحافَظُ عليه ببقاء أفكاره وقيمه، والأعداء إنّما يستهدفون تلك الأفكار والقيم في محاولاتهم ضدّه، وإذا كان شخص مثل الإمام موجوداً في الساحة، فإنه ـ لا ريب ـ أعظم سدٍّ أمام محاولات الأعداء.

وكذلك الأعداء إنما يُبادون بضرب أهدافهم، واجتثاب بدعهم وفضح أحابيلهم، والكشف عن دجلهم، ورفع الأغطية عن نيّاتهم الشرّيرة تجاه هذا الدين وأهله، والإفصاح عن مخالفة سيرتهم للحق والعدل.

وعلىٰ يد الإمام السجّاد عليه السلام يمكن أن يتمّ ذلك بأوثق شكل وأتمّ صورة، وأعمق تأثير.

ثمَّ، أليس الجهاد بالكلمة واحداً من أشكال الجهاد، وإن كان أضعفها؟ بل، إذا انحصر الأمر به، فهو الجهاد كلّه، بل أفضله، في مثل مواقف الامام السجّاد عليه السلام، كما ورد في الحديث الشريف، عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أفضل الجهاد كلمة حقٍّ عند سلطان جائر**»(١).

ولنُصْغِ إلى الإمام السجّاد عليه السلام في بعض تلك المواقف:

فمن كلام له عليه السلام كان يُعلنه وهو في أسر بني أمية:

«أيّها الناس!

إنّ كلّ صمتٍ ليس فيه فكر فهو عيّ، وكل كلامٍ ليس فيه ذكر فهو هباء.

ألا، وإنَّ الله تعالىٰ أكرم أقواماً بآبائهم، فحفظ الأبناء بالآباء، لقوله تعالىٰ: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ [سورة الكهف الآية (٨٢)] **فأكرمهما.**

ونحن ـ والله ـ عترة رسول الله صلى الله عليه وآله، فأكرمونا لأجل رسول الله، لأن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول في منبره: «احفظوني في عترتي وأهل بيتي، فمن حفظني حفظه الله، ومن آذاني فعليه لعنة الله، ألا، فلعنة الله علىٰ من آذاني فيهم» حتّىٰ قالها ثلاث مرات.

ونحن ـ والله ـ أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس والفواحش ما ظهر منها وما بطن ...»(٢).

---

(١) الروض النضير (٥ / ١٣) وانظر الكنىٰ للدولابي (١ / ٧٨).

(٢) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (ص ٩٥) عن المنتخب للطريحي.

وبهذه الصراحة، والقوة، والبلاغة، عرّف الإمام السجّاد عليه السلام للمتفرّجين ـ ولمن وراءهم ـ هذا الركب المأسور، الذي نبزوه بأنّه ركب الخوارج!

ففضح الدعايات، وأعلن بذلك أنه رَكْبٌ يتألّف من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله.

وأفصح بتلاوة الآيات والأحاديث، أنه ركبٌ يحمل القرآن والسنّة، ليعرف المخدوعون أن هذا الركب له ارتباط وثيق بالإسلام من خلال مصدريه الكتاب والسنّة.

وهو ـ من لسان هذين المصدرين ـ يصبّ اللعنة والنقمة علىٰ مَنْ آذىٰ هذا الركب، من دون أن يُمَكِّن الأعداء من التعرّض له، لأنه عليه السلام إنّما يروي اللعنة الصادرة من الرسول وعلىٰ لسانه!

كان هذا الموقف، حين أخذ الناسَ الوجومُ، من عظم ما جرىٰ في وقعة كربلاء، وما حلّ بأهل البيت عليهم السلام من التقتيل والأسر، وذُهلوا حينما رأوا الحسينَ سبط الرسول وأهله وأصحابه مجزّرين! ويرون اليوم ابنَه، وعيالاته أسرىٰ، يُساقون في العواصم الإسلامية.

والأسر ـ في قاموس البشر ـ يُوحي معاني الذلّ والهوان، والضعف والانكسار!

هذا، والناس يفتخرون بالانتماء إلىٰ دين الرسول وسنّته.

والأنكىٰ من ذلك أنّ الجرائم وقعتْ ولمّا يمضِ علىٰ وفاة الرسول ـ جدّ هؤلاء الأسرىٰ ـ نصف قرنٍ من الزمن!!

وموقفه الآخر في مجلس يزيد، فقد أوضح فيه عن هويّته الشخصية، فلم يَدَعْ لجاهل عُذراً في الجلوس المريب، وذلك في المجلس الذي أقامه يزيد، للاحتفال بنشوة الانتصار ولابدّ أنه جمع فيه الرؤوس والأعيان، فانبرىٰ الإمام السجّاد عليه السلام، في خطبته البليغة الرائعة، التي لم يزل يقول فيها: «أنا... أنا...» معرّفاً بنفسه، وذاكراً أمجاد أسلافه «حتىٰ ضَجَّ المجلسُ بالبكاء والنحيب» حَسَبَ تعبير النص[1] الذي سنُثبته كاملاً:

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، للخوارزمي (٢ / ٧١).

خطبة الإمام في مجلس يزيد:

قال الخوارزمي: (وروي) أنّ يزيد أمر بمنبر وخطيب، ليذكر للناس مساويء الحسين وأبيه علي عليهما السلام.

فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، وأكثر الوقيعة في عليّ والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد.

فصاحَ به عليّ بن الحسين: ويلكَ أيّها الخاطِبُ! اشتريتَ رضا المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوَّأْ مقعدَك من النار.

ثم قال: يا يزيد، إئذنْ لي حتّىٰ أصعد هذه الأعواد، فأتكلّم بكلماتٍ فيهنّ لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب.

فأبىٰ يزيد، فقال الناس: يا أميرالمؤمنين، ائذنْ له ليصعد، فعلّنا نسمعُ منه شيئاً.

فقال لهم: إنْ صعدَ المنبر هذا لم ينزل إلّا بفضيحتي وفضيحة آل أبي‌سفيان، فقالوا: وما قدر ما يُحسن هذا؟

فقال: إنّه من أهل بيتٍ قد زُقّوا العلم زقّاً.

ولم يزالوا به حتّىٰ أذِنَ له بالصعود.

فصعد المنبر: فحَمِد الله وأثنىٰ عليه، ثمّ خطب خطبة أبكىٰ منها العيون، وأوجل منها القلوب، فقال فيها:

«أيّها الناس، أُعطِينا سِتّاً، وفُضِّلنا بِسبعٍ:

أُعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبةَ في قلوب المؤمنين.

وفُضِّلنا بأنّ منّا النبيَّ المختار محمّداً صلّى الله عليه وآله وسلّم، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسدالله وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأُمّة، وسيّدا شباب أهل الجنّة.

فمن عرفني فقد عرفني، ومَنْ لم يعرفني أنبأتُه بحسَبي ونَسَبي:

أنا ابن مكّة ومنىٰ.

أنا ابن زَمْزَمَ والصفا.

أنا ابن مَنْ حَمَلَ الزكاة[١] بأطراف الردا.

أنا ابن خير مَن ائتزر وارتدىٰ.

أنا ابن خير مَن انتعلَ واحتفىٰ.

أنا ابن خير مَنْ طافَ وسعىٰ.

أنا ابن خير مَنْ حجَّ ولبّىٰ.

أنا ابن مَنْ حُمِلَ على البُراق في الهوا.

أنا ابن من أُسْرِيَ به مِن المسجد الحرام إلى المسجد الأقصىٰ، فسُبحان مَنْ أسرىٰ.

أَنا ابن مَنْ بَلَغَ به جبرائيل إلىٰ سِدْرة المنتهىٰ.

أنا ابن مَنْ دَنىٰ فَتَدَلّىٰ فكانَ من ربّه قاب قوسين أو أدنىٰ.

أنا ابن مَنْ صلّىٰ بملائكة السما.

أنا ابن مَنْ أوْحىٰ إليه الجليل ما أوحىٰ.

أنا ابن محمّدٍ المصطفىٰ.

أنا ابن عليّ المرتضىٰ.

أنا ابن مَنْ ضَرَبَ خراطيم الخلق حتّىٰ قالوا: لا إله إلّا الله.

أنا ابن مَنْ ضَرَبَ بين يَدَيْ رسول‌الله بسيفَيْن، وطَعَنَ برُمحيْنِ، وهاجَرَ الهِجْرَتَيْن، وبايَعَ البيعَتيْنِ، وصلّىٰ القبلتَيْنِ، وقاتلَ ببَدْرٍ وحُنَيْن، ولم يكفُرْ بالله طَرْفَةَ عَيْن.

أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيّين، وقامع الملحدين، ويَعْسُوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين، ورسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيّد بجبرائيل، المنصور بميكائيل.

أنا ابن المحامي عن حَرَم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين

---

(١) في نقل (كامل البهائي): «من حمل الرُكنْ» وفسّر بالحَجَرَ الأسود الذي محلّه الركن، ولذلك ذكر في سيرة الرسول ﷺ قبل البعثة.

والمارقين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر مَنْ مشىٰ من قُريش أجمعين، وأوّل مَنْ أجاب واستجاب لله، من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومُبيْر المشركين، وسهم مِنْ مَرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين الله، ووليّ أمر الله، وبُستان حكمة الله، وعَيْبة علم الله، سَمِحٌ سخيّ، بُهلول زكيّ أبطحي رضي مرضي، مِقْدام هُمام، صابر صوّام، مُهَذّب قوّام شجاع قمقام، قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب، أربطهم جِناناً، وأطلقهم عناناً، وأجرأهم لساناً، وأمضاهم عزيمةً، وأشدّهم شكيمةً، أسَد باسل، وغَيث هاطل، يطحَنُهم في الحروب ـ إذا ازدَلفت الأسنّة، وقربت الأعِنّة ـ طَحْنَ الرحىٰ، ويذرُوهم ذَروَ الريح الهشيم، لَيْث الحجاز، صاحب الإعجاز، وكَبْش العراق، الإمام بالنصّ والاستحقاق مكّيّ مَدَنيّ، أبطحي تِهاميّ، خيفي عَقَبيّ، بَدْريّ أحُديّ، شَجَريّ مُهاجريّ، من العرب سيّدها، ومن الوغىٰ ليثُها، وارثُ المَشْعَريْنِ، وأبوالسبطين، الحسن والحسين، مَظْهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب، أسَد الله الغالب، مطلُوب كلّ طالب غالب كلّ غالب، ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب.

أنا ابن فاطمة الزهرا.

أنا ابن سيّدة النسا.

أنا ابن الطهر البتول.

أنا ابن بَضْعة الرسول.

(أنا ابن الحسين القتيل بكربلا.

أنا ابن المُرَمّل بالدما.

أنا ابن مَنْ بكىٰ عليه الجنّ في الظلما.

أنا ابن مَنْ ناحتْ عليه الطيور في الهوا.)[1]

قال: ولم يزل يقول: «أنا أنا» حتّىٰ ضجّ الناس بالبُكاء والنحيب، وخشيَ يزيد أنْ

(١) ما بين القوسين عن «الكامل للبهائي».

تكون فتنةٌ، فأمر المؤذّن أنْ يؤذّنَ. فقطع عليه الكلام وسكت.

فلمّا قال المؤذّن «الله اكبر!» قال عليّ بن الحسين: كبّرتَ كبيراً لا يُقاس، ولا يُدْرك بالحَواسّ، لا شيء أكبر من الله.

فلمّا قال: «أشهد أنْ لا إلٰه إلّا الله!» قال عليّ: شَهَد بها شعري وبَشَري، ولحمي ودمي، ومُخّي وعظمي.

فلمّا قال: «أشهد أنّ محمّداً رسول‌الله!» التفتَ عليّ مِن أعلى المنبر إلىٰ يزيد وقال: يا يزيد، محمّد هذا جدّي أم جدّك؟ فإنْ زعمتَ أنّه جدّك فقد كذبتَ. وإنْ قلتَ إنّه جدّي، فَلِمَ قتلتَ عترته؟[1]

فأدّىٰ كلام الإمام عليه‌السلام إلىٰ أن تتبخّر كل الدعايات المضلّلة التي روّجتها السياسة الأموية، والتي تركّزت علىٰ: أنّ الأسرىٰ هم من الخوارج! فبدّل نشوة الانتصار إلىٰ حشرجة الموتىٰ في حلوق المحتفلين!

وفي التزام الإمام السجّاد عليه‌السلام بذكر هويّته الشخصية فقط في هذه الخطبة، حكمة وتدبير سياسيّ واعٍ، إذْ لم يكن له في مثل هذا المكان والزمان، أن يتطرّق إلىٰ شيء من القضايا الهامّة، وإلّا كان يمنع من الكلام والنطق، وأمّا الإعلان عن اسمه فهي قضية شخصية، وهو من أبسط الحقوق التي تُمنح للفرد وإنْ كان في حالة الأسر!

لكنّ كلام الإمام لم يكن في الحقيقة إلّا مليئاً بالتذكير والإيماء، بل الكناية التي هي أبلغ من التصريح، بنسبه الشريف، واتصاله بالإسلام، وبرسوله الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقد ذكّر الإمام عليه‌السلام بكل المواقع الجغرافية، والمواقف الحاسمة والذكريات العظيمة في الإسلام، وربط نفسه بكلّ ذلك، فسرد ـ وبِلُغةٍ شخصيّةٍ ـ حوادث تاريخ الإسلام، معبّراً بذلك عن أنّه يحمل هموم ذلك التاريخ كلّه علىٰ عاتقه، وأنّه حامل هذا العِبْء، بكلّ ما فيه من قدسيّة، ومع هذا فهو يقفُ «أسيراً» أمام أهل المجلس!

وقد فهم الناسُ مغزىٰ هذا الكلام العميق، فلذلك ضجّوا بالبكاء! فإنّ الحكّام

---

[1] مقتل الحسين (٢ / ٦٩ ـ ٧١) ونقل عن كتاب (كامل البهائيّ) بنص متقارب نقله الحائري في بلاغة علي بن الحسين عليه‌السلام (ص ١٠٦ ـ ١٠٩) ونقل بعده نصّاً آخر للخطبة عن أبي مخنف فليُلاحظ.

الأمويّين إنّما حصلوا علىٰ مواقع السلطة من خلال ربط أنفسهم بالإسلام، فكسبوا لأنفسهم قدسيّة الخلافة!

وكان لجهل الناس الأثر الكبير في وصول الأمر إلىٰ هذه الحالة، أن يروا ابن الاسلام أسيراً أمامهم!

ثمّ إنّ جهل أهل الشام بأهل البيت، مضافاً إلىٰ حقد الحكّام علىٰ أهل البيت عامّة، وعلى الذين كانوا مع الحسين عليه السلام في كربلاء خاصة، كان يدعو إلى الاحتياط، والحذر من أن ينقضَّ يزيد على الأسرىٰ! في ما لو أحسَّ بخطرهم، فيُبيدهم!

فكان ما قام به الإمام من تأطير خطبته بالإطار الشخصي مانعاً من إثارة غضبه وحقده، لكن لم يَفُتِ الإمام اقتناص الفرصة السانحة لكي يبثّ من خلال التعريف، بشخصه وهويته، التنويه بشخصيته وبقضيته وبهمومه، ولو بالكناية التي كانت ـ حقاً ـ أبلغ من التصريح.

فلذلك لم يتعرّض الإمام عليه السلام لذكر مساويء الأُمويّين، ولم يذكر شيئاً من فضائحهم، بالرغم من «توقّع يزيد» نفسه لذلك.

وبذلك نجا من شرّ يزيد، وبقي ليداوم اتّباع الهدف الذي من أجله قُتِلَ الشهداء بالأمس، وأصبح ـ هو ـ يقود مسيرة الأحياء، اليوم، وغداً...

وموقف آخر: في وسط ذلك الجوّ الخانق، وفي عاصمة الحاكم المنتصر، وفي حالة الأسر، يرفع الإمام صوته، ليُسمع الآذان التي أصمّها الضوضاء والصخب، في ما رواه المنهال بن عمرو، قال: دخلت علىٰ عليّ بن الحسين، فقلتُ: كيف أصبحت، أصلحك الله ؟!

فقال: ما كنتُ أرىٰ شيخاً من أهل المصر ـ مثلك ـ لا يدري: كيف أصبحنا!؟

قال: فأمّا إذا لم تدْرِ ـ أو تعلم ـ فأنا أُخبرك:

أصبحنا ـ في قومنا ـ بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا ﴿يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم﴾.

وأصبحنا: شيخُنا وسيّدنا يُتقرّب إلىٰ عدوّنا بشتمه، وبسبّه، على المنابر.

وأصبحت قريش تعدّ[١]: أنّ لها الفضل على العرب، لأنّ محمّداً منها، لا يُعَدُّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العرب مقرّةً[٢] لهم بذلك.

وأصبحت العرب تعدّ[٣] أن لها الفضل على العجم، لأن محمداً منها، لا يُعدّ لها فضل إلّا به، وأصبحت العجم مقرّةً[٤]

فإنْ كانت العرب صدقت أنّ لها الفضل على العجم، وصدقت قريش أنّ لها الفضل على العرب لأنّ محمّداً منها: إنّ لنا ـ أهل البيت ـ الفضل علىٰ قريش، لأن محمداً منّا.

فأضحوا يأخذون بحقّنا، ولا يعرفون لنا حقّاً.

فهكذا أصبحنا، إن لم يُعلم: كيف أصبحنا؟!

قال المنهال: فظننت أنّه أراد أن يُسمِعَ مَن في البيت![٥]

ويصرّح في موقف مماثل يُسأل فيه عن الركب الذي هو فيه، فيقول:

«إنا من أهل البيت، الذين افترض الله مودّتهم علىٰ كل مسلم، فقال تبارك وتعالىٰ لنبيّه ﷺ: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القُربىٰ ومَن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً ﴾ [سورة الشورىٰ ٤٢ الآية «٢٣»] فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت»[٦].

إلىٰ غير ذلك من المواقف التي كان لها أثر حاسم في تغيير سياسة يزيد تجاه هذا الركب المأسور، حتّىٰ أرجعه إلى المدينة!

إنّ هذه المواقف لم تكن تصدر من قلب مُلىء رُعباً، أو شخصٍ يفضّل السلامة، أو يميل إلى الهدوء والراحة، بَلْه المسالمة مع العدو أو الركون إلى الظالمين!

---

(١) كذا الصواب وكان في المختصر: (بعد).

(٢) كذا الصواب وكان في المختصر: (معيرة).

(٣) كذا الصواب وكان في المختصر: (بعد).

(٤) كذا الصواب وكان في المختصر: (معيرة).

(٥) تاريخ دمشق (الحديث ١٢٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٤٥) ورواه الحافظ محمد بن سليمان في مناقب أميرالمؤمنين عليه السلام (ج ٢ ص ١٠٨) رقم (٥٩٨) ولاحظ طبقات ابن سعد (٥ / ٢١٩). ورواه السيد الموفق بالله في الاعتبار وسلوة العارفين (ص ١٨٦).

(٦) المستدرك على الصحيحين، للحاكم (٣: ١٧٢).

إنّما صاحب هذه المواقف ذو روحٍ متطلّعة وثّابة هادفة، إذا لم يُتَحْ له ـ بعد كربلاء ـ أن يأخذ بقائمة السيف، فسنان المنطق لا يزال في قدرته، يهتك به ظلام التعتيم الإعلامي المضلّل!

وقد اتّبع الإمام السجّاد عليه السلام هذه الخطّة بحكمة وتدبير عن علم بالأمر، وعمد له، وكشف عن أنه انتهجه سياسة مدبرةً مدروسة.

فلمّا سُئل عن: «الكلام، والسكوت» أيُّهما أفضل؟ لم يُدْل بما يعتبره الحكماء من: أن الكلام إذا كان من فضة فالسكوت من ذهب، وإنّما قال:

«**لكل واحدٍ منهما آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت**».

ولمّا سئل عن سبب ذلك مع مخالفته لاعتبار الحكماء المستقر في أذهان الناس من فضل السكوت؟ قال:

«**لأن الله ـ عز وجل ـ ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، وإنّما بعثهم بالكلام.**

ولا استُحقت الجنة بالسكوت.

ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت.

ولا توقِّيت النار بالسكوت.

ولا يُجنّب سخط الله بالسكوت.

إنما كلّه بالكلام! وما كنت لأعدل القمر بالشمس!

إنك تصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت!»[1]

وهكذا طبق الإمام عليه السلام هذه الحكمة البالغة، وأدّىٰ رسالته الإلهية من خلال خطبه وكلماته ومواعظه وأحاديثه، في جميع المواقف العظيمة التي وقفها، وهو في الأسر.

وإذا كان الظالمون يعتدونَ على المصلحين والأحرار بالقتل والسجن، فإنّما ذلك ليخنقوا كل صوت في الحناجر، ولئلا يسمع الناس حديثهم وكلامهم[2].

---

(١) الاحتجاج للطبرسي (ص ٣١٥).

(٢) لاحظ أن الحجّاج ختم علىٰ مجموعة من الصحابة كي لا يسمعهم الناس، في أسد الغابة (٢ : ٤٧١) ترجمة سهل الساعدي.

وإذا ذبح الحسين عليه السلام وقُتِلَ في كربلاء، فإنّ نداءاته ظلّت تدوّي من حنجرة الإمام السجّاد عليه السلام في مسيرة الأسرىٰ، وفي قلب مجالس الحكّام.

وليس من الإنصاف، في القاموس السياسي، أن يوصف مَنْ يؤدّي هذا الدور، بالانعزال عن السياسة، أو الابتعاد عن الحركة والنضال!

بل، إذا كانت حركة الإمام الحسين عليه السلام سياسيةً، كما هي كذلك بلا ريب فكما قال القرشي: إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام من أقوىٰ العوامل في تخليد الثورة الحسينية، وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولات! أمّا خطابه في بلاط يزيد فإنه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام[1].

وبرز الإمام زين العابدين عليه السلام علىٰ مسرح الحياة الإسلامية كألمع سياسي إسلامي عرفه التاريخ، فقد استطاع بمهارةٍ فائقةٍ ـ وهو في قيد المرض والأسر ـ أن ينشر أهداف الثورة العظمىٰ التي فجّرها أبوه الإمام الحسين القائد الملهم للمسيرة الإسلامية الظافرة، فأبرز قيمها الأصلية بأسلوب مشرق كان في منتهىٰ التقنين، والأصالة، والإبداع[2].

(١) حياة الإمام زين العابدين، للقرشي (١ : ٨).

(٢) حياة الإمام زين العابدين، للقرشي (١ : ٧).

ثالثاً: في المدينة

رجع الإمام السجّاد إلى المدينة:

ليرىٰ المدينة واجمةً، موحشةً من أهله وذويه، رجالات أهل البيت عليهم السلام، والناس كذلك واجمون، بعد أن رأوا ركْبَ أهل البيت يرجع ليس فيهم إلّا عليَّ بن الحسين عليه السلام، وليس معه إلّا أطفال ونساء!! أما الرجال فقد ذُبحوا علىٰ يد العصبة الاموية!؟

وإذا لم يتورّع آل أُمية من إراقة دم الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، هكذا، وفي وَضَح النهار، وهو مَن هو! فمن سوف يأمن بغيهم وسطوتهم!؟

إنّ الإمام السجّاد عليه السلام، وهو الوارث الشرعي لدماء كلّ المقتولين، الشهداء الذين ذُبحوا في كربلاء، وهو الشاهد الوحيد علىٰ كلّ ما جرىٰ في تلك الواقعة الرهيبة، لابدّ أنّ عين الرقابة تلاحقه، وتتربّص به، وتنظر إلىٰ تصرفاته بريبةٍ واتّهامٍ.

والناس ـ علىٰ عادتهم في الابتعاد والتخوّف من مواضع التهمة، ومواقع الخطر ـ قد تركوا علي بن الحسين، وابتعدوا عنه، حتّىٰ مَنْ كان يعلن الحبَّ لأهل البيت عليهم السلام قبل كربلاء، لم يكد يفصح عن ودّه بعد كربلاء.

وقد عبّر الإمام السجّاد عليه السلام عن ذلك بقوله: «**ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا**»(١).

وإذا كان عدد الملتزمين بالولاء الصادق لأهل البيت، في عاصمة الإسلام قليلاً إلىٰ هذا الحدّ، فكيف بالبلدان القاصية عن مركز وجود أهل البيت عليهم السلام؟!

وقد رجع الإمام السجّاد عليه السلام حاملاً معه أعباءاً ثقالاً:

فأعباء كربلاء، بمآسيها، وذكرياتها، وأتعابها، وجروحها، والأثقل من كلّ ذلك (أهدافها) ونتائجها، فقد هبط المدينة وهو الوحيد الباقي من رجال تلك المعركة،

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن أبي‌الحديد (٤: ١٤٠). ولاحظ الغارات للثقفي (ص ٥٧٣) وبحار الأنوار (٤٦ / ١٤٣).

فعليه أداء رسالتها العظيمة.

وأعباء العائلة المهضومة، المكثورة، ما بين ثكالىٰ وأرامل وأيتام، ودموع لابدّ أن يكفكفها، وعواطف مخدوشة، وقلوب صغيرة مروَّعة، وعيون موحشة، وجروح وأمراض وآلام، تحتاج إلىٰ مداراة ومداواة والتيام!

ولابدّ أن يسترجع القوىٰ!

وأعباء الإمامة، تلك المسؤولية الإلهيّة، والتاريخية الملقاة علىٰ عاتقه، والتي لابدّ أن ينهض بها، فيلملم كوادرها ويردم الصدمات العنيفة التي هزّ كيانها، ويرأب الصدع الذي أصاب بناء نظام الإمامة الشامخ، الذي يُمثّل الخط الصحيح للإسلام.

ولقد حمل الإمام السجّادعليه‌السلام، في وحدته، كلّ هذه الأعباء، وبفضل حكمته وتدبيره خرج من عهدتها بأفضل الأشكال.

في السنين الأولىٰ:

وقبل كل هذه المهمّات الهائلة الثقال، وبعدها: كانت ملاحقة الدولة، أهمّ ما كان على الإمام السجّادعليه‌السلام أن يوقفها عند حدٍّ، حتّىٰ يتمكّن من أداء واجب تلك الأعباء الصعبة بشكل صحيح ومطلوب.

ولابدّ أن أصابع الاتّهام كانت موجهةً إليه ما دام موجوداً في المدينة، أو أي بلدٍ إسلامي آخر، تلاحق حركاته وسكناته، وتحصي أنفاسه وكلماته.

الإجراء الفريد:

فلذلك اتّخذ إجراءاً فريداً في حياة الأئمة، وبأسلوب غريب جدّاً، لمواجهة الموقف، ولإبعاد نفسه عن وجهة تلك الاتّهامات والملاحقات التي لا يمكن صرفها هي ولا تغيير وجهتها.

فأبعد بذلك الإجراء الأخطار الموجهة إليه من الملاحقات، وبدأ بعيداً عنها بالاستعداد لما يتوجّبه حمل تلك الأعباء، ويتأهب للقيام بدوره، كوارث لكربلاء، وكمعيل كفيل لعوائل الشهداء، وكإمام يقود الأمة ويحافظ علىٰ تعاليم السماء.

كان ذلك الإجراء الفريد أنه اتخذ بيتاً من «شَعْرٍ» في البادية، خارج المدينة!

قال ابن أبي قرّة في (مزاره) بسنده عن أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين عليه‌السلام ، قال : كان أبي علي بن الحسين عليه‌السلام ، قد اتّخذ منزله ـ من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي عليه‌السلام ـ بيتاً من شَعْرٍ ، وأقام بالبادية ، فلبث بها عدّة سنين ، كراهيةً لمخالطة الناس[١] وملاقاتهم .

وكان يصير من البادية بمقامه إلى العراق زائراً لأبيه وجدّه عليهما‌السلام ، ولا يُشْعَرُ بذلك من فعله[٢] .

إنه تصرّف غريب في طول تاريخ الإمامة ، لم نجد له مثيلا ، لكنه ـ كما تكشف عنه الأحداث المتتالية ـ عمل عظيم يَنُمّ عن حنكة سياسية ، وتدبير دقيق للإمام عليه‌السلام .

فإذا كان الإمام عليه‌السلام يعيش خارج المدينة ، وكان ينزل البادية :

فإن الدولة لا تتمكّن من اتهامه بشيء يحدث في المدينة ، ويكون من العبث ملاحقته وملاحظته ، في محل مكشوف مثل البادية !

وأمّا هو عليه‌السلام : فخير له أن يتخذ منتجعاً مؤقتاً بعيداً عن الناس ، حتّىٰ تهدأ الأوضاع وتستقرّ ، وتعود المياه إلىٰ مجاريها .

وبعيداً عن الناس ، للاستجمام ، ولاستجماع قواه ، كي ينتعش مما أبلاه في سفره ذلك من النصب والتعب ، ليتمكّن من مداومة مسيره ـ بعد ذلك ـ بقوة وجدّ .

وهو عليه‌السلام بحاجة بعد ذلك العناء والضنىٰ إلىٰ راحة جسدية ، وهدوء بال وخاطر ، حتّىٰ يبلَّ من مرضه أو يداوي جراحاته .

ثم ، إن المدينة التي دخلها الإمام السجاد عليه‌السلام وهو غلام ابن (٢٣) سنة ـ أو نحو ذلك ـ لم تكن لتعرف للإمام مكانته كإمام ، وهو ـ بعد ـ لم يعاشرهم ، ولم يداخلهم ، وما تداولوا حديثه ، ولم تظهر لهم خصائصه ، كي ينطلقوا معه كقائم بالإمامة !

ولعدم وجود العدد اللازم من الأعوان والأنصار ، بالقدر الكافي لإعداد حركة

---

(١) يلاحظ أن كلمة (الناس) في حديث أهل البيت عليهم‌السلام ـ خاصة ـ يطلق علىٰ غير المعتقدين بالإمامة ، في أغلب الأحيان .

(٢) فرحة الغري ، لابن طاوس (ص ٤٣) الإمام زين العابدين ، للمقرّم (ص ٤٢) ولاحظ الكافي للكليني ، قسم الروضة (ص ٢٥٥) حيث جاء فيها حديث زيارة الإمام السجّاد عليه‌السلام لقبر أمير المؤمنين عليه‌السلام ولقاء أبي حمزة الثمالي له ، فليلاحظ .

مستقلة يعلنها الإمام، وحفاظاً على العدد الضئيل الباقي علىٰ ولائه للإمام.

فقد بنى الإمام زين العابدين عليه السلام سياسته، في ابتداء إمامته علىٰ أساس الابتعاد عن الناس، ودعوتهم إلى الابتعاد عنه عليه السلام.

وقد أعلن الإمام عن هذه السياسة، في أول لقاء له مع مجموعة من شيعته ومواليه في الكوفة، عندما عرضوا عليه ولاءهم، وقالوا له بأجمعهم: نحن كلنا يابن رسول الله، سامعون، مطيعون، حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك، رحمك الله، فإنّا حرب لحربك، وسلم لسلمك، لنأخذنّ تِرَتك وتِرَتنا ممن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام: هيهات ... ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا(١).

إن الإمام عليه السلام أخذ عليهم، سائلا، أن يأخذوا في تلك الفترة جانب الحياد تجاه أهل البيت عليهم السلام، لا لهم، ولا عليهم.

إذ، لو رأت السلطة أدنىٰ تجمّع حول الإمام عليه السلام، لاتّخذت ذلك مبرراً لها أن تستأصل وجوده ومن معه، فإنّ من الهيّن عليها قتل علي بن الحسين وهو ضعيف، بعد أن قتلت الحسين عليه السلام وهو أقوىٰ موقعاً في الأمة!

كان مغزىٰ هذا التدبير السياسي المؤقّت: أن لا يبقىٰ الإمام عليه السلام داخل المدينة، حتّىٰ لا تلاحقه أوهام الدولة وتخمينات رجالها وحتّىٰ يبتعد عن ظنونهم السيئة، بل خرج إلىٰ فضاء البادية المفتوح، وخارج البلد، يسكن في بيت من (شَعْرٍ) ليرفع عن نفسه سهام الريب، ويدفع عن ساحته اهتمام رجال الدولة، كوارث للشهداء.

ولقد طالت هذه الحالة «عدّة سنين» حسب النصّ، ولعلّها بدأت من سنة (٦١) عندما رجع أهل البيت إلى المدينة، وحتّىٰ نهاية سنة (٦٣) عندما انتهت مجزرة الحرّة الرهيبة.

---

(١) الاحتجاج للطبرسي (ص ٣٠٦) وانظر اللهوف لابن طاوس (ص ٦ ـ ٦٧) ويبدو أن هذا الاجتماع كان بعد عودة الإمام عليه السلام من الشام إلى الكوفة أو في بعض أسفاره السرية إلى العراق!. وانظر فضل الكوفة من مزار ابن المشهدي (ص ٧٨).

وأما بعد هذه الفترة، فلم يُعْرَف عن هذا البيت من الشَعْر خبر في تاريخ الإمام عليه السلام، ولا أثر!

وأبرز ما أثمرته هذه الظاهرة الغريبة، أنّ القائد الاموي السفّاك مسلم بن عقبة، في هجومه الوحشي الكاسح على المدينة وأهلها، لم يمسّ الإمام بسوء، وعدّه «خيراً لا شرّ فيه».

وواضح، أن المراد من «الخير والشر» في منطق هذا الأموي السفاح، ماهو؟! مع أنّ الإمام كان مستهدفاً بالذات في ذلك الهجوم، كما سنوضحه في ما بعد!

ولقد استنفد الإمام السجاد عليه السلام جلّ أغراضه وأهدافه من هذا الإجراء الفريد، فرجع إلى المدينة، وقد انقلبت ظنون رجال الحكم السيئة، إلىٰ حالة مألوفة، وأصبح الإمام في نظرهم مواطناً، يمكنه أن يسكن المدينة، من دون أن تُنصب له الدوائر، ولا أن تُجعل عليه العيون.

بل، انقلب البغض الدفين، الذي كان يُكنّه الأمويون تجاه بني هاشم، وركّزه معاوية في أهل بيت الرسول، وصبّه علىٰ أميرالمؤمنين علي وأولاده، وجسّده يزيدُ في الفاجعة المروّعة بقتل شيخ العترة وسيّدها الحسين بن علي عليه السلام، وقتل خيرة رجالات أهل بيته، وأصحابه، في مجزرة كربلاء.

انقلب كل ذلك ـ في نهاية المطاف ـ بفضل سياسة الإمام زين العابدين عليه السلام، إلىٰ أن يكون علي بن الحسين أحبّ الناس إلىٰ حكّام بني أمية (١).

وبهذا يمكن أن نفسّر النصّ الوارد في إعلام إمامة علي بن الحسين عليه السلام المعروف بحديث اللوح الذي رواه جابر بن عبدالله الأنصاري حيث جاء فيه:

«أطْرِق، واصمت، والزم منزلك، واعبد ربّك حتّىٰ يأتيك اليقين» (٢).

فلابد أن تحدّد فترة ذلك بأول عهد إمامة الإمام السجاد عليه السلام حين كان يواجه

(١) كان علي بن الحسين أحبّ الناس إلىٰ مروان وابنه عبدالملك. طبقات ابن سعد (٥ : ١٥٩) تاريخ دمشق (الاحاديث ٣٨ ـ ٤٠) وابن كثير في البداية والنهاية (٩ : ١٠٦) وتذكرة الحفاظ (١ : ٧٥).

(٢) الإمامة والتبصرة من الحيرة، لابن بابويه (ص ١٦٧) الحديث (٢٠)، وانظر مصادر تخريجه. ولاحظ أمالي الطوسي (١ / ٢٩٧).

تلك الأخطار والتهديدات.

و «الإطراق» و «الصمت» معبّران عن التزام السكون، والهدوء، والتخطيط للمستقبل، والابتعاد عن لقاء الناس.

وهذا هو الذي عبّر عنه إسماعيل بن علي أبوسهل النوبختي بقوله:

وقُتِل الحسين عليه السلام وخلّف علي بن الحسين عليه السلام متقارب السنّ - كانت سنّه أقل من عشرين سنة! - ثم انقبض عن الناس، فلم يلق أحداً، ولا كان يلقاه إلّا خواصّ أصحابه، وكان في نهاية العبادة، ولم يخرج عنه من العلم إلّا يسير، لصعوبة الزمان وجور بني أمية[(١)]

فهو شرح عيني لحالة هذه الفترة بالذات.

وإلّا، فإنّ الفترة التالية من حياة الإمام السجاد عليه السلام نراها مليئة بكلّ أغراض الكلام والخطب والأدعية والمواعظ.

فأين الصمت!؟

ونجد في حياته الأسفار المكرّرة إلى الحجّ، والنشاط العملي الجادّ في الإنفاق، والإعتاق، والحضور في المسجد النبوي، والخطبة كلّ جمعة، والمراسلات والمساجلات والاحتجاجات.

فأين الإطراق!؟

ولا يُمكن لأحدٍ أنْ يعبّر عن العلم الذي خرج عن الإمام عليه السلام بأنّه «يسير» وهو يجد أمامه: الصحيفة السجّادية، ورسالة الحقوق، ومناسك الحج، مضافاً إلى الخطب والكلمات والرسائل التي احتوتها «بلاغة علي بن الحسين عليه السلام» وجمعتها كتب تراثيّة عديدة[(٢)].

---

(١) نقله الصدوق في إكمال الدين (ص ٩١) عن كتاب (التنبيه) للنوبختي.

(٢) لاحظ تدوين السنة الشريفة (ص ١٥٠ ـ ١٥٢) وراجع معجم ما كُتب... للرفاعي بالأرقام: ٢٠٣٩٧ باسم (التذكرة) و ٢٠٤١٥ باسم التعقيبات، و ٢٠٤٨٢ باسم الديوان، و ٢٠٦٨٨ باسم المخمّسات، و ٢٠٧٣٣ ـ ٢٠٧٣٦ باسم (الندبة) و ٢٠٧٣٧ و ٢٠٧٣٨ باسم نسخة.

وجمع أسماء مَنْ روىٰ عنه في كتب أُخرىٰ[١] ومجموع من ذكرهم الشيخ الطوسي ـفقط ـ من الرواة عن الإمام عليه‌السلام بلغوا (١٧٠) راوياً[٢].

ولا ريب أنّ مجموع هذا العلم ليس يسيراً، فلابدّ أنْ يكون ذلك قد حصل بعد تلك الفترة القصيرة فقط.

إنّ كلّ تلك الفعاليات الكلامية ـ والعملية ـ لمّا يتيقّن معها بأن الإمام السجاد عليه‌السلام ـ بعد تلك الفترة ـ لم يسكن مطرقاً، ولم يسكت صامتاً، ولم ينعزل عن الناس، بل زاول نشاطاً واسعاً في الحياة العامة، بل ـ كما ذكره النسّابة ـ قد روى الحديثَ، ورُوي عنه، وأفاد علماً جمّاً[٣].

وستتكفل الفصول القادمة في هذا الكتاب ذكر الشواهد علىٰ كل هذا النشاط بعون الله.

ومع وقعة الحرة:

ورجع الإمام السجاد عليه‌السلام إلى المدينة:

ليستقبله أهلها، بالبكاء والتعزية، ويستفيد الإمام من هذه العواطف لينشر أنباء حوادث كربلاء، ويركّزها في الأذهان من طريق القلوب، كي لا يطالها التشويش والإنكار، بمرور الأعصار، كما طال كثيراً من الوقائع والحوادث، فأصبحت مغمورة أو مبتورة!

فأرسل بشر بن حذْيم[٤] إلى المدينة وأهلها ناعياً الحسين عليه‌السلام ومعرفاً إيّاهم بمكان الإمام السجاد عليه‌السلام.

قال بشر: فما بقيتْ في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهن،.... فلم

---

(١) لاحظ معجم ما كُتِبَ بالأرقام: ٢٠٤٨٣ باسم ذكر مَنْ روىٰ عن الإمام عليه‌السلام للصدوق، و ٢٠٧١٤ كتاب مَنْ روىٰ عنه عليه‌السلام لابن عقدة.

(٢) رجال الطوسي (ص ١٠٧ ـ ١٢٠) الارقام (١٠٥٨ ـ ١٢٢٨) وهم مائة وسبعون راوياً، لعلم الإمام عليه‌السلام.

(٣) المجدي في أنساب الطالبيّين (ص ٩٢).

(٤) كذا في بعض نسخ المصدر، ويظهر من هذه الرواية أن أباه كان شاعراً وقد ترحّم عليه الإمام عليه‌السلام، وفي أصحابه: حذيم بن شريك الأسدي، وجاء في نسخ أُخرىٰ: بشير بن حذلم.

أر باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمرَّ على المسلمين منه.

قال: فخرج علي بن الحسين، ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسيّ، فوضعه له وجلس عليه، وهو لا يتمالك عن العَبْرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، وحنين النسوان والجـواري، والناس يعزّونه من كل ناحية، فضجّت تلك البقعة ضجّة واحدة، فأومأ بيده: أن اسكنوا، فسكنت فورتهم، فقال:

«الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، باريء الخلق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العلا، وقرب فشهد النجوىٰ، نحمده علىٰ عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة، الكاظّة، الفادحة الجائحة.

أيّها القوم! إن الله تعالىٰ ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة، قُتِلَ أبوعبدالله، الحسين، وعترته، وسبيت نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.

أيّها الناس! فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟ أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أية عين منكم تحبس دمعها، وتضنّ عن انهمالها؟

فلقد بكت السبع الشداد لقتله! وبكت البحار بأمواجها! والسماوات بأركانها! والأرض بأرجائها! والأشجار بأغصانها! والحيتان في لجج البحار! والملائكة المقرّبون! وأهل السماوات أجمعون!

أيّها الناس! أصبحنا مشرّدين، مطرودين، مذودين، شاسعين عن الأمصار، كأنّنا أولاد ترك وكابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين، إنْ هذا إلّا اختلاق.

والله! لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا، كما تقدّم إليهم في الوصية بنا، لما زادوا علىٰ ما فعلوا بنا.

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأفجعها، وأكظّها، وأفظعها، وأمرّها، وأفدحها!

فعنده نحتسب ما أصابنا، فإنّه عزيز ذو انتقام[(١)]

ولم تذكر المصادر شيئاً عن رجالات المدينة المعروفين، إلّا أن صوحان بن صعصعة بن صوحان قام فاعتذر إليه، فترحّم الإمام علىٰ أبيه!

والظاهر أنّ رجال المدينة اكتفوا في مواجهة الإمام السجاد عليه السلام بالعواطف الحارّة فقط، وأنهم لم يتجاوزوا ذلك، إذ لم يجدوا مبرّراً في التورّط مع الحكومة، ولو بعد قتل الحسين عليه السلام بهذه الصورة التي شرحها لهم الإمام السجاد عليه السلام.

ويظهر من البيان الذي أصدره أهل المدينة عند تحرّكهم ضدّ يزيد وحكومته أنهم قبل ذلك لم يعرفوا من يزيد ما يُنكر من فعل أو ترك، حتّىٰ وفدوا عليه، وحضروا بلاطه، ورأوا بأمّ أعينهم ما رأوا، فرجعوا، وثاروا عليه.

وقد جاء في إعلانهم الأوّل ما نصّه: «إنّا قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر، ويدع الصلاة، ويعزف بالطنابير، وتضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخرّاب، والفتيان، وإنّا نُشهدكم أنا قد خلعناه».

وأتوا عبدالله بن الغسيل، فبايعوه وولّوه عليهم[(٢)].

فليس في بيانهم ذكر الحسين عليه السلام، ولا الظلم الذي جرىٰ علىٰ أهل البيت عليهم السلام وأما الذي ذكروه من يزيد وإلحاده وفسقه وفجوره، فقد أعلنه الإمام الحسين عليه السلام قبل سنين في كتابه إلىٰ معاوية[(٣)].

فأين كان أهل المدينة يومذاك؟!

ولماذا لم يتحرّكوا من أجله حينذاك؟

ثم إن مَنْ يحرّكه شرب الخمر، والفسق، والفجور، لماذا لايتحرّك من أجل قتل الحسين عليه السلام والفجائع التي صُبّت علىٰ أهل البيت عليهم السلام، والتي أدّىٰ علي بن الحسين عليهما السلام حقّ بلاغها في خطبته تلك؟

---

(١) اللهوف لابن طاوس (ص ٤ـ٨٥) وانظر كامل الزيارات (ص ١٠٠).

(٢) أيام العرب في الإسلام (ص ٤٢٠) وانظر تاريخ الطبري (٤: ٣٦٨) ولاحظ طبقات ابن سعد (٥: ٤٧).

(٣) الاحتجاج للطبرسي (٢٩٨ـ٧).

بل، إن المسعودي يذكر: أن حركة اهل المدينة وإخراجهم بني أمية وعامل يزيد، من المدينة، كان عن إذن ابن الزبير [١].

فلم يكن لأهل البيت، ولا للإمام السجاد عليه السلام، دور ولا موقع في أهداف أهل المدينة، وأصحاب الحرّة، لمّا تحرّكوا ضدّ حكم يزيد!

بينما كان دخول الإمام عليه السلام معهم ـ في التحرك ـ توقيعاً علىٰ شرعيّة حركتهم.

والحقّ أن أهل المدينة جفوا الإمام السجاد عليه السلام بعد كربلاء، وهذه الحقيقة كانت واضحة، حتّىٰ أعلنها الإمام في قوله: «ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا» [٢]

ولعلّ علم الإمام عليه السلام بما كان عليه أهل المدينة من ضعف وقلّة، في مواجهة ما كان عليه أهل الشام من كثرة وبطش وقسوة، من دواعي حياده عليه السلام.

مضافاً إلىٰ أن اتّخاذه القرار السابق، بالابتعاد عن المدينة، للأسباب والمبرّرات التي ذكرناها سابقاً، كان كافياً لعدم تورّطه في هذه الحركة.

ويظهر أن الدولة التي واجهت هذه المرّة حركة أهل المدينة، كانت علىٰ علم بجفاء أهل المدينة لأهل البيت عليهم السلام، وبما أنها قد أسرفت من قبل في إراقة دماء أهل البيت عليهم السلام، أرادت أن تستفيد من الوضع، بالتزلّف إلىٰ علي بن الحسين والتودّد إليه، لامتصاص النقمة، فلم تتحرّش به، بل حاولت أن يتمثّل الناس به، حسب نظر رجال الدولة!

ثم إن اختيار أهل الحرّة للمدينة بالذات مركزا للتحرّك، كان من أخطر الأخطاء التي ارتكبوها، كما أخطأ ابن الزبير في اتخاذه مكّة، والمسجد الحرام بالخصوص، مركزاً لتحركه، حتّىٰ عرّضوا هذين المكانين الحرمين المقدّسين لهجمات أهل الشام اللئام وانتهاك الأمويين الحاقدين على الإسلام ومقدّساته.

بينما أهل البيت عامة، بدءاً بالإمام علي أميرالمؤمنين عليه السلام، ومروراً بالإمام

---

(١) مروج الذهب (٣: ٧٨).

(٢) شرح نهج البلاغة (٤: ١٠٤).

الحسين عليه السلام . وكذلك كل العلويين الذين ثاروا على الحكّام، إنما خرجوا في حركاتهم عن الحرمين، حفاظاً على كرامتهما من أن يهدر فيهما دم، وتهتك لهما حرمة، وإبعاداً لأهالي الحرمين من ويلات الحروب ومآسيها، ونقمة الجيوش وبطشها[١].

وهذه مأثرة لأهل البيت عليهم السلام لابد أن يذكرها لهم التاريخ! لكنّ أهل الحرّة، لم يصلوا الى المستوى اللائق كي يدركوا هذه الحقائق، لبعدهم عن الإمام السجاد عليه السلام الذي كان في عمر (٢٦) سنة.

ولقد هيّأ هذا البعد بين أهل المدينة والإمام السجاد عليه السلام أمرين كانا في صالح الإمام عليه السلام . ولهما الأثر في مجاري عمله وتخطيطه للمستقبل:

أحدهما: النجاة من اتّهام السلطات له بالتورّط في الحركة، ولذلك لم تضعه في القائمة السوداء، فإن الحكومة ـ وحسب بعض المصادر ـ كانت تعرف ابتعاده عنها.

الثاني: تمكّن الإمام عليه السلام من تخليص كثير من الرؤوس أن تقطع، وكثير من الحرمات أن تهتك.

ومَنْ يدري؟ فلعلّ اشتراك الإمام السجاد عليه السلام في تلك الحركة كان يؤدّي إلىٰ إبادة أهل البيت النبوي والعلوي، إبادة شاملة، تلك التي كانت من أماني آل أمية؟!

فتمكّن الإمام السجاد عليه السلام بحياده ذلك من الوقوف في وجه هذا العمل.

ولقد كان الإمام عليه السلام ملجأ للكثير من العوائل الأخرىٰ، حتّىٰ من عوائل بني أمية نفسها.

ففي الخبر أنه عليه السلام ضمّ إلىٰ نفسه أربعماءة مُنافيّة يعولهن إلىٰ أن تفرّق الجيش[٢].

وكان في مَنْ آواهنّ عائلة مروان بن الحكم، وزوجته هي عائشة بنت عثمان بن عفّان الأموي، فكان مروان شاكراً لعلي بن الحسين ذلك[٣].

---

(١) علّق سماحة السيد بدرالدين الحوثي دام علاه هنا: «ولعلّ ما صدر من الامام النفس الزكية كان اضطرارياً، لانّ قيامه أيضاً كان اضطرارياً» تمت.

(٢) كشف الغمة للاربلي (٢ / ٧) وانظر ربيع الأبرار للزمخشري (١ : ٤٢٧).

(٣) أيام العرب في الإسلام (ص ٤٢٤) هامش (١).

ويحاول بعض الكتّاب أن يجعل من حياد الإمام عليه السلام، وتصرّفاته مع مروان، وعدم تعرّضه من قبل الجيش بسوء، دليلاً على عدم تحرّكه عليه السلام ضدّ الحكم الأموي ؟!

لكنّها محاولة مخالفة للحقيقة:

فإن الإمام عليه السلام إنّما ينطلق في تصرّفاته، من منطلق الحكمة والتدبير، وما ذكرناه من الشواهد كافٍ لأن نبرّر موقفه الحيادي من حركة الحرّة، فكل من يدرك تلك الحقائق ويقف عليها يتبيّن له أن التحرّز من عمل تكون عواقبه مرئيّة وواضحة ومكشوفة، هو الواجب والمتعيّن، فلو دخل في الحركة، فإما أن ينسحق تحت وطأة الجيش الظالم، أو تنجح الحركة التي لم تبتنِ على الحقّ في دعواها، وإنما تبنّاها مَنْ لا يعرف لأهل البيت حرمة ولا كرامة ولا حقّاً في الإمامة!

مع أن من النصوص ما يدلّ علىٰ أن الإمام كان مستهدفاً:

قال الشيخ المفيد: قدم مسرف[1] بن عقبة المدينة، وكان يقال: «إنه لايريد غير علي بن الحسين عليه السلام»[2].

ولا ريب أن الحكم الأموي الذي استأصل أهل البيت عليهم السلام في كربلاء، لم يكن يخاف الإمام السجاد عليه السلام، لما هو معلوم من وحدته وغربته، ومع ذلك فقد كانت الدولة تراقبه، لأنّه الوارث الوحيد لأهل البيت بماهم من ثارات ودماء، وبما لهم من مكانة مرموقة في أعين مُحبّيهم، الذين يترقّبون فيهم من الإمامة!

فلا ريب أن الإمام السجاد عليه السلام كان مستهدفاً!

وهذا النصّ قبل كل شيء يدلّ علىٰ أن الإمام السجاد عليه السلام كان في نظر الناس عنصراً معارضاً للحكم والدولة، ولم يكن مستسلماً قط، حتّىٰ كان الناس يرون أن

(١) هو المتسمّي باسم (مسلم) معدود من الصحابة، وهذا واحد من المحسوبين على الصحابة من الفسقة والمجرمين، سُمّي لعنه الله بمجرم ومسرف، لما كان من إجرامه بأهل المدينة وإسرافه في قتلهم وإباحتها ثلاثة أيام بأمر يزيد لعنهما الله وقد سمّى المدينة (نتنة) خلافاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي سماها طيّبة، مروج الذهب (٣: ٧٨) وقد انفضّ فيها ألف عذراء، دلائل البيهقي (٦: ٤٧٥).

(٢) الإرشاد للمفيد (ص ٢٩٢).

الجيش الجرّار إنما توجّه بقصده إلىٰ (علي بن الحسين) لا ليحترمه طبعاً!

فعلي بن الحسين، في نظر الناس، لا يزال عدوّاً للدولة، رغم انعزاله، وابتعاده، وعدم تورّطه في الحركة!

كما يدلّ قول البلاذري أن علي بن الحسين عليه السلام استجار بمروان وابنه عبدالملك، فأتيا به ليطلبا له الأمان[١] علىٰ أن الإمام عليه السلام كان يخشىٰ من فتك مسرف بن عقبة.

لكن الدولة، التي لم تغفل عن الإمام السجاد عليه السلام كانت علىٰ علمٍ بتصرفاته، ولم يقع لها ما يبرّر اتهامه وصبّ جام الغضب عليه والفتك به.

ومن أجل امتصاص النقمة، وخاصة بعد تحرّك أهل المدينة، صار رجال الدولة الى النفاق، لتغطية جرائمهم تجاه أهل البيت وتجاه المدينة وأهلها، فأخذوا يعلنون التزلّف الى الإمام عليه السلام بإظهار التودّد إليه، ويكرمونه، ويقرّبونه، ويعبّرون عنه بـ«الخير الذي لا شرّ فيه، مع موضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانه منه»[٢].

وقال المسعودي: ونظر الناس إلىٰ علي بنُ الحسين السجاد، وقد لاذ بالقبر وهو يدعو، فأتي به إلىٰ مسرف، وهو مغتاظ عليه، فتبرّأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه وقد أشرُف عليه ارتعد، وقام له، وأقعده إلىٰ جانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممن قدّم الى السيف إلّا شفّعه فيه، ثم انصرف عنه.

فقيل لعلي: رأيناك تحرّك شفتيك، فما الذي قلت؟

قال: قلت: اللهم رب السماوات السبع وما أظللن، والأرضين وما أقللن، رب العرش العظيم، رب محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأبك في نحره، أسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شرّه.

وقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه، فلمّا أُتي به إليك رفعت منزلته!؟

فقال: ما كان ذلك لرأي منّي، لقد مُليء قلبي منه رعباً[٣].

وهكذا يفرض عنصر (الغيب) نفسه في البحث، ولا يمكن إبعاده لكونه وارداً في المصادر المعتمدة.

---

(١) أنساب الأشراف (٤: ٣٢٣) وانظر الأخبار الطوال للدينوري (ص ٢٦٦).

(٢) الارشاد للمفيد (ص ٢٦٠).

(٣) مروج الذهب (٣: ٨).

ونحن وإن كنّا أبعدنا هذا العنصر عن ما نستشهد به، إلّا أن الذين يريدون أن يُضفوا علىٰ حياة الإمام السجاد عليه السلام أشكال العبادة والزهد والحياة الروحية، عليهم أن لا يستبعدوا هذا العنصر!

مع أن خوف الإمام عليه السلام وفزعه، من الجيش السفّاك، ولجوءه وعوذه بالحرم الشريف، وسبّ القائد الاموي له وتبرّءه منه، أدلة كافية في إثبات أن الإمام عليه السلام كان مستهدفاً، إلّا أن سياسته الحكيمة التي اتخذها منذ دخوله المدينة كانت من أسباب نجاته وخلاصه من المصير الذي سحق كبار أهل المدينة وأشرافها!

ومع أعباء القيادة:

ورجع الإمام عليه السلام الى المدينة:

ليواجه الخطر المحدق بالإسلام، والذي انتشر في نفوس الامة وهو اليأس والقنوط من الدين وأهدافه، بعدما تعرّض الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله لمثل هذا القتل، وما تعرّض له أهله من التشريد والسبي، في بلاد المسلمين.

فهذا الوزير عبيدالله بن سليمان كان يرىٰ: أن قتل الحسين أشدّ ما كان في الإسلام على المسلمين، لأن المسلمين يئسوا بعد قتله من كل فرج يرتجونه، وعدل ينتظرونه[(١)].

هذا بالنسبة إلىٰ أصل الإسلام.

وأما بالنسبة الى الإمامة، وإلىٰ أهل البيت، وإلى الإمام عليه السلام، فقد تفرّق الناس عنهم، وأعرضوا، بحيث عبّر الإمام الصادق عليه السلام عن ذلك: بالارتداد.

قال عليه السلام: **ارتدّ الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ...**[(٢)].

وكان منشأ اليأس والردّة: أنهم وجدوا الآمال قد تبدّدت بقتل القائد، وسبي أهله، وظهور ضعف الحقّ وقلة أنصاره، هذا من جهة.

---

(١) نقله الثعالبي في آخر كتاب (ثمار القلوب) بواسطة: علي جلال في (الحسين عليه السلام) (٢: ١٩٥).
(٢) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) (ص ١٢٣) رقم (١٩٤).

ومن جهة أخرىٰ ملأ الرعب قلوبهم لمّا وجدوا الدولة علىٰ هده القوّة والجرأة والقسوة. فكيف يمكن التصدي لها، والإمام في مثل هذا الموقع من الضعف، فليس التقرّب منه إلّا مؤدّياً إلى الاتهام والمحاسبة، فلذلك ابتعد الناس عن الإمام عليه السلام.

لكن الإمام زين العابدين عليه السلام بخطته الحكيمة استفاد من هذا الابتعاد، وقلبه إلىٰ عنصر مطلوب، ومفيد لنفسه، وللجماعة الباقية من حوله علىٰ ولائه.

حتّىٰ أصبح، بما ذكرنا من التصرفات، في نظر رجال الحكم «خيراً لا شرّ فيه».

وبذلك التخطيط الموفّق حافظ الإمام عليه السلام، لا علىٰ نفسه وأهل بيته من الإبادة الشاملة، فقط، بل تمكّن من استعادة قواه، واسترجاع موقعه الاجتماعي بين الناس، لكونه مواطناً صالحاً لا يُخاف من الاتصال به والارتباط به. لانه أصبح «عليّ الخير»[(١)].

وطبيعي أن يعود الناس، وتعتدل سيرتهم مع الإمام حينئذ، ولذلك قال الإمام الصادق عليه السلام في ذيل كلامه السابق: «...ثم إن الناس لحقوا وكثروا»[(٢)].

إن انفراط أمر الشيعة بعد مقتل الحسين عليه السلام وتشتت قواهم، كان من أعظم الأخطار التي واجهها الإمام السجاد عليه السلام بعد رجوعه الى المدينة، وكان عليه ـ لأنه الإمام، وقائد المسيرة ـ أن يخطط لاستجماع القوىٰ، وتكميل الإعداد من جديد، وهذا كان بحاجة إلىٰ إعداد نفسي وعقيدي وإحياء الأمل في القلوب، وبثّ العزم في النفوس.

وقد تمكّن الإمام السجاد عليه السلام بعمله الهادىء الوادع من الإشراف علىٰ تكميل هذه الاستعادة، وعلىٰ هذا الإعداد، والتمهيد، بكل قوة، وبحكمة وبسلامة وجدّ.

وكما قد يكون تأسيس بناء جديد، أسهل وأمتن من ترميم بناء متهرّىء، فكذلك، إن بناء فكرة في الأذهان الخالية من الشبهات، والمليئة بالأمل بهذه الفكرة، والجادّة في الالتفاف حولها، والعزم علىٰ إحيائها، هو أسهل، وأوفر جهداً من محاولة ترميم فكرة أصاب الناس يأس منها، وتصوّروا إخفاق تجربتها، وهم يُشاهدون إبادة

---

(١) شرح نهج البلاغة، لابن ابي الحديد (١٥ : ٢٧٣).

(٢) اختيار معرفة الرجال (الكشي) (ص ١٢٣) رقم (١٩٤).

كبار حامليها، وضعف أنصارها، واستيلاء المعارضين عليها، فحرّفوا معالمها، وشوّهوا سمعتها، وزيّفوا أهدافها.

فإن عامة الناس يقفون موضع الحيرة والشكّ من كل ما قيل وطرح وعرض، ويحاولون الانسحاب والارتداد، والوقوف على الحواشي، ليروا ما يؤول إليه أمر القيادات المتنازعة!

فقد مُنِيَ المسلمون بإخفاق ويأس ممّا في الإسلام من خطط تحرّرية، ومخلّصة من العبودية والفساد، وذلك لمّا رأوا الأُمويين ـ أعداء هذا الدين قديماً، ومناوئيه حديثاً ـ قد استولوا على الخلافة، وبدأوا يقتلون أصحاب هذا الدين من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، والأنصار القدماء له، ويعيثون فساداً في أرض الإسلام بالقتل والفجور، وكل منكر، حرّمه الإسلام.

وإذا كان صاحب الحقّ، منحصراً في الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام، الذي قام النصّ علىٰ إمامته، وهو وارث العترة، وزعيم أهل البيت في عصره، فهو الإمام الحامل لثقل الرسالة علىٰ عاتقه، فلا بدّ أن يدبّر الخطّة الإصلاحية، ليجمع القوىٰ، ويلملم الكوادر المتفرّقة، ويعيد الأمل إلى النفوس اليائسة، والرجاء إلى العيون الخائبة، والحياة إلى القلوب الميّتة.

إلىٰ جانب مقاومته للأعداء، وتفنيد مزاعمهم واتّهاماتهم، والكشف عن مؤامراتهم ودسائسهم، وتبديد خططهم وأحابيلهم!

إنّ أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ مع ما لهم من مآثر العلم والمجد والإمامة، التي أقرّ بها لهم جميع الأُمّة ـ هم يهتمّون بغرز معاني النضال والجهاد في نفوس أبنائهم منذ نعومة أظفارهم، ليرسَّخوا في نفوسهم أمجاد الإسلام.

والإمام عليه السلام قد استلهم الإسلام بكلّ ما له من معارف ومآثر علمية وعملية، فأخذها من مصادرها الأمينة الموثوقة.

وهم آباؤه الطاهرون.

وكان في طليعة ما أخذ من المعارف هو مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه، كما في الحديث عن عبدالله بن محمّد بن عليّ، عن أبيه. قال: سمعتُ عليّ بن الحسين يقول:

كنّا نُعلَّم مغازي النبي صلى الله عليه وآله وسراياه كما نعلّم السورةَ من القرآن(١).

فتلقّن الإمام السجّاد عليه السلام أمثل صور الجهاد والنضال في سبيل الله ومن أجل الإسلام، فرسمها في قرارة نفسه منذ الطفولة.

وبعد أن رأىٰ بأمّ عينيه ـ في كربلاء ـ بطولات أبيه الإمام الحسين عليه السلام وجهاد أصحابه الأوفياء، في سبيل إعلاء كلمة الله، لم يكن ليرفع اليدَ عن محاولة تطبيق تلك الصور الفريدة، والتخطيط للوصول إلىٰ نتائجها الغالية.

ولقد بدأ الإمامُ السجّاد عليه السلام في الفصول التالية، من جهاده وجهوده، لتحقيق هذه الأهداف السامية.

وحاولنا ـ نحن ـ بقدر وسعنا، لجمع ما انتشر من أنباء ذلك الجهاد، وتلك الجهود، في المجالات العملية والعلمية، بعون الله وتوفيقه.

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب البغدادي (٢ / ٢٨٨) رقم (١٦٤٩).

الفصل الثاني

النضال الفكري والعلمي

أوّلاً: في مجال القرآن والحديث

ثانياً: في مجال الفكر والعقيدة

ثالثاً: في مجال الشريعة والأحكام

وأخيراً: في إعمار الكعبة المعظّمة

يكاد المؤرّخون لحياة الإمام السجاد عليه السلام، لاسيما الدارسون الاجتماعيّون، الذين يريدون إبعاد الإمام عن الحياة السياسية، يتّفقون علىٰ أن الإمام عليه السلام : «انكبّ على **الشؤون الدينية، ورواية الحديث، والتعليم**»[1] وأنّ مهمّته كانت: «**الانصراف إلىٰ بثّ العلوم، وتعليم الناس، وتربية المخلصين، وتخريج العلماء والفقهاء، والإشراف علىٰ بناء الكتلة الشيعية**»[2].

ولا ريب في أن الإمام السجاد عليه السلام قام بدور بليغ في هذه المجالات كلّها، ولكن لم تكن ـ قطّ ـ هذه الأمور خارجة عن العمل السياسي، أو بديلا عن العمل السياسي!

بل، إن هذه الواجبات هي من أهم وظائف الأنبياء والأئمة بل المصلحين السياسيين من البشر، بأن يقوموا بها، ويبلُغوا بالامم والشعوب إلىٰ مستويات راقية فيها، خاصة التعاليم الإلهية التي من أجلها بُعثوا، ولها عُيّنوا، وبتبليغها وبثّها كلّفوا، وهم طريق معرفة الناس بها، والأمناء الوحيدون عليها.

والتعليم الصحيح هو واحد من طرق النضال، فكل مناضل يعلم ـ بوضوح ـ أن من مقوّمات كل حركة سياسية، هو تثقيف الجماهير، وتوعيتها، بالتعليم والتلقين، لتكون علىٰ علم بما يجري حولها وما يجب لها من حقوق وما عليها من واجبات.

وقد سعىٰ الحكّام الفاسدون ـ علىٰ طول التاريخ ـ إلىٰ إبعاد الناس عن الحقّ، والتعاليم الأصيلة، بطرق شتىٰ:

---

(١) معتزلة اليمن (ص ١٧ ـ ١٨).

(٢) الإمام السجاد عليه السلام لحسين باقر (ص ١٣ ـ ١٤).

منها: التصدّي للذين يبلّغون رسالات الله، بالضغط، والأسر، والتشريد، والحبس، وحتّى القتل.

ومنها: تزييف الأديان وتحريفها بالبدع والخرافات، وبثّ التعاليم الباطلة، والعمل من أجل ترويجها.

ومنها: منع تثقيف الناس، حذراً من تنبّههم إلىٰ ما هم عليه من خلل ونقص في الحياة المادّية، وما هم فيه من ذلّ ومهانة في الحياة المعنوية.

ومنها: محاولة استيعاب أجهزة التعليم، بوضع المناهج التعليمية المشبوهة والمحرّفة.

وهكذا تضييع جهود القائمين على التعاليم، بشراء الضمائر، وغسل الأدمغة والعقول، وتفريغها من الرؤى الصائبة، وملئها بالأفكار الفاسدة والمنحرفة.

وقد استعمل معاوية هذا الأسلوب بكل جرأة لما استولىٰ علىٰ أريكة الخلافة، فعمّم كتاباً علىٰ أقطار نفوذه، يأمر فيه الولاة بوضع الأحاديث والروايات واختلاقها، وبثّها بين الناس في المدارس والمساجد والكتاتيب والبيوت، ليربّي جيلا ناشئاً مشبّعاً بتلك التعاليم المزوّرة في صالح الأمويين، والتي تعارض التعاليم الإسلامية الأصيلة[١].

فوجود المعلّمين المناهضين لتلك الخطط الهدّامة، وتلك المناهج التعليمية الفاسدة، يكون صدّاً سياسياً للأنظمة الحاكمة، ويكون عملهم جهاداً ونضالاً سياسياً، بلا ريب.

وإنّ الحكومات الفاسدة، من أجل تنفيذ خططها في تحريف الدين وإغواء الناس وإبعادهم عن العلماء المصلحين، اصطنعت من علماء السوء رجالا مقنّعين بالعلم، ملجمين بلباس الدين، من العملاء بائعي الضمائر، ليكونوا وسائل لإقناع العامة بما تمليه الدولة عليهم من أحكام باطلة، وقضايا منافية للحقّ، وليصحّحوا للدول الظالمة تصرّفاتها الجائرة.

---

(١) لاحظ شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد (١١: ٤٤ـ٤٦) والاحتجاج للطبرسي (ص ٢٩٥) ولاحظ كتابنا «تدوين السنة الشريفة» (ص ٤٧٥).

فكان التصدّي لهؤلاء، وفضح دسائسهم، وإبطال استدلالاتهم، والكشف عن سوء نيّاتهم، من واجب الأئمة والمصلحين الإلهيين.

وقد قام الإمام السجاد عليه السلام في عصره بأداء دور مهمّ في هذا الميدان الشائك بعد أن استلهم العلوم من مصادرها الأمينة الموثوقة وصار الدور إليه في قيادة الأمة ودلالتها إلى الحق والخير.

فكان معلّماً للحقّ، يبثّ الفضيلة، ويدعو إلى الإسلام المحمّديّ الأصيل، الذي توارثه عن آبائه، والموصول بالرسول صلى الله عليه وآله بأوثق السبل، وأقرب الطرق.

وأصبح ـ لكونه حاملاً أميناً للتعاليم الإسلامية الرصينة، وقائماً مخلصاً بالشؤون الدينية الحقّة ـ سدّاً منيعاً في مواجهة كلّ انحراف وتزوير كان يبديه علماء السوء من وعّاظ السلاطين.

ولا ريب في أنّ مواجهة الإمام السجاد عليه السلام للدولة في هذا النضال، لابدّ أنّ تعدّ في قمّة أعماله السياسية، ومن أخطر أوجه النضال السياسي في حياته الكريمة.

وقد اخترنا مجالات ثلاثة عمل فيها الإمام عليه السلام، لنقف علىٰ أوجه نشاطه فيها، وهي:

أوّلاً: مجال القرآن والحديث

عاش الإمام السجاد عليه السلام، فترة نشاطه إماماً للشيعة، من سنة (٦١ـ٩٥) مدّة الثلث الأخير من القرن الأول.

والقرن الأول بالذات هو فترة المنع الحكومي من رواية الحديث ونقله وكتابته وتدوينه، قبل أن يُرفع هذا المنع بقرار من قبل الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز.

وكانت عملية منع الحديث ـ تدويناً وروايةـ بدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله مباشرة، واستمرّ عليها الحكّام الذين تسنّموا أرائك الخلافة بدءاً بأبي بكر، ثم عمر الذي كان أكثر تشديداً ونكيراً علىٰ مَنْ كتب شيئاً من الحديث أو نقله ورواه، بحيث استعمل كل أساليب القمع من أجل الوقوف دون تسرّب شيء منه، فحبس جمعاً من الصحابة من أجل روايتهم الحديث، وهدّد آخرين بالضرب والنفي، وأحرق مجموعة من الكتب التي جمعت حديث رسول الله صلى الله عليه وآله.

والتزم الحكّام من بعد عمر، سنّة عمر وسياسته في منع تدوين الحديث وروايته، وقد أعلن عثمان ومعاوية عن اتّباعهما لعمر في منع الحديث النبوي «إلّا حديثاً كان علىٰ عهد عمر»[(١)].

وقد ظلّت سياسة عمر بمنع الحديث سارية المفعول، حتّىٰ بلغ الأمر إلىٰ أن الحجّاج الثقفي ـ سفّاك العراق ـ قام بالاعتداء علىٰ كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله، فختم على أيديهم وأعناقهم، حذراً من أن يحدّثوا الناسَ، أو يسمع الناسُ حديثهم[(٢)].

فلم يكن القيام بأمر رواية الحديث في مثل هذه الفترة بالذات، وفي مثل هذه الأجواء أمراً سهلا، ولا هيّناً.

ولقد قاوم أئمة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم هذه السياسة المخرّبة ضدّ أهمّ مصادر الفكر الإسلامي، فكانوا إلىٰ جانب كتابتهم للحديث، وإيداعه المؤلّفات يبادرون

---

(١) لقد تحدثنا عن منع الخلفاء من كتابة الحديث وتدوينه، ومن نقله وروايته، بتفصيل في كتابنا (تدوين السنة الشريفة) المطبوع في قم سنة ١٤١٣هـ.

(٢) أُسد الغابة، لابن الأثير (٢: ٤٧٢) ترجمة سهل الساعدي.

بجزم إلىٰ رواية الحديث ونشره وبثّه، علىٰ طول تلك الفترة!

وقد عرفنا أنّ الإمام السجّاد ـ كما قال ابن سعد ـ: كان «ثقة مأموناً كثير الحديث عالياً رفيعاً ورعاً»[١] وقد أكثر من نقل الحديث وروايته حتّىٰ أفاد علماً جمّاً، كما قال النّسّابه العمري[٢].

ولاريب في أن تصدي الإمام السجاد عليه السلام للوقوف في وجه المنع السلطوي، وقيامه بأمر رواية الحديث ونقله، ليس إلّا تحدياً صارخاً لأوامر الدولة وسياستها!

ثم إنه عليه السلام كان يطبّق السنة ويدعو إلىٰ تطبيقها والعمل بها فقد روي عنه أنه قال: **إن أفضل الأعمال ما عمل بالسنّة وإن قلّ**[٣].

وكان يندّد بمن يستهزيء بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويدعو عليه ويقول: ما ندري، كيف نصنع بالناس؟! إن حدّثناهم بما سمعْنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، وإن سكتنا لم يسعنا. ثم ندّد بمن هزأ من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

وقد رُوِيتْ عن الإمام السجّاد عليه السلام مجموعة كبيرة من الأحاديث المسندة المرفوعة، وأُخرىٰ موقوفة علىٰ آبائه عليهم السلام.

وأمّا ما صدر منه من الحديث الذي يعتبر من عيون الحديث الذي يعتزّ به التراث الشيعي فكثير جداً، ولذلك عدّ الحافظ الذهبي، الإمام السجاد عليه السلام من الحفاظ الكبار وترجم له في طبقات الحفّاظ الكبار[٥].

ومع كل هذا، فأين موقع كلمةٍ قالها بعض النواصب أن الإمام عليه السلام كان «قليل الحديث»!؟[٦]

---

(١) تهذيب التهذيب (٧ / ٣٠٥).

(٢) المجدي في الأنساب (ص ٩٢) وتدوين السنة الشريفة (ص ١٤٩ ـ ١٥٢).

(٣) المحاسن، للبرقي (ص ٢٢١) ح (١٣٣).

(٤) الكافي (٣ / ٢٣٤) الحديث ٤، وبحار الانوار (٤٦ / ١٤٢) وعوالم العلوم (ص ٨٥ وص ٢٩٠).

(٥) تذكرة الحفاظ (١ / ٧٤ ـ ٧٥).

(٦) قال ذلك الزُهْريّ، كما في تهذيب التهذيب (٧ / ٣٠٥) وقد كذّبَ الزهريَّ قومُه، كما أنّه متّهم

ثم إن محتوى الأحاديث المرويّة عن طريق الإمام السجاد عليه السلام، وتلك المنقولة عنه تشكّل مجموعة من النصوص الموثوقة، التي يطمئنّ بها المسلم، فقد تمّ نقلها من مصدر أمين، متصل بينابيع الوحي والرسالة، وفيها ما يسترشد به المسلم، ويعرف من خلاله مصالحه، ويحدّد واجباته، ويدفع عنه اليأس [١]، مثل روايته المرفوعة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**انتظار الفرج عبادة**» [٢].

فقد يكون الإنسان في مثل تلك الظروف الحرجة المأساوية معرضاً للقنوط ولكن بانتظار الفرج وتوقّع كشف الغمّ، المستتبع للعمل من أجل ذلك والكون على استعدادٍ له، والإعداد لحصوله، هو أفضل وسيلة للنجاة من مأزق الياس، وموت الخمول.

ومع القرآن:

إن القرآن الكريم، باعتباره الوحي الإلهي المباشر، والمصدر الأساسي المقدّس بنصّه وفصّه، والذي اتفقت كلمة المسلمين علىٰ حجيته وتعظيمه وتقديسه، فهو الحجّة عند الجميع، والفيصل الذي لايردّ حكمه أحد ممن يلتزم بالإسلام ديناً وبمحمّد صلى الله عليه وآله نبيّاً.

ولذلك كانت دعوة أهل البيت عليهم السلام إلى الالتزام به، والاسترشاد به وقراءته والحفاظ عليه، دعوة صريحة مؤكدة.

وفي الظروف التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام، كان الحكّام بصدد اجتثاث الحقّ من جذوره وأُصوله ومنها القرآن، بقتل أعمدته وحفظته ومفسّريه [٣].

→

في ما يقوله في أهل البيت، لما سيأتي من عمالته للأُمويين، لكنّ أمثال هذا المخذول قد حرموا أنفسهم من الاستمتاع بعلم أهل البيت عليهم السلام حيث تركوهم وصاروا إلىٰ أصحاب الرأي والاجتهاد في مقابل النصّ، فخسروا خسراناً مبيناً.

(١) إنّ كتابنا هذا يحتوي علىٰ مجموعة كبيرة من الأحاديث التي رُويت عن الإمام السجّاد عليه السلام، والتي استشهدنا بها، تجدها مجموعة في فهرس الأحاديث في آخر الكتاب.

(٢) كشف الغمة (٢: ١٠١) ولاحظ الجامع الصغير (١: ١٠٨).

(٣) مثل سعيد بن جبير، ويحيىٰ بن ام الطويل، وميثم التمار، وغيرهم من شهداء الفضيلة، فلاحظ كتب التاريخ لتلك الفترة.

فكانت الدعوة إلى القرآن من أوجب الواجبات على الأئمة عليهم السلام مضافاً إلىٰ ما ذكرنا من قدسيّة القرآن عند الجميع، فلم يتمكّن الحكّام من منع تعظيمه وقرائته والدعوة إليه.

فقام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهد وافر في هذا المجال:

ففي الحديث أنه قال: **عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده، لبنة من ذهب ولبنة من فضّة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصاها اللُؤلؤ، وجعل درجاتها علىٰ قدر آيات القرآن، فمن قرأ منها قال له: «إقرأ وارق» ومن دخل الجنة لم يكن في الجنة أعلىٰ درجة منه، ما خلا النبيين والصديقين**[1].

وأُسْنِدَ عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول: **آيات القرآن خزائن العلم، فكلّما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها**[2].

وقال عليه السلام: **من ختم القرآن بمكّة لم يمت حتّىٰ يرىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله ويرىٰ منزله في الجنة**[3].

وكان يعبّر عن كفاية القرآن، بتعاليمه الروحانية القيّمة، بكونه مؤنساً للانسان المسلم، يعني: أنّ الوحشة إنّما هي بالابتعاد عن هذه التعاليم حتّىٰ لو عاش الإنسان بين الناس، فكان يقول: **لو مات مَنْ ما بين المشرق والمغرب ما استوحشتُ بعد أن يكون القرآن معي**[4].

وهكذا يجدّ الإمام عليه السلام في تعظيم القرآن، وتخليده في أعماق نفوس الأمة، كما يسعىٰ في التمجيد له عملياً وبأشكال من التصرفات:

فمّا يؤثر عنه عليه السلام: أنه كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، حتّىٰ: أن السقّائين كانوا يمرّون ببابه، فيقفون لاستماع صوته، يقرأ...[5].

وقال سعيد بن المسيب: إن قرّاء القرآن لم يذهبوا إلى الحج إلّا إذا ذهب علي بن

---

(١) تفسير البرهان (٣: ١٥٦).

(٢) اصول الكافي (٢: ٦٠٩) المحجة البيضاء (٢: ٢١٥).

(٣) المحجة البيضاء (٢: ٢١٥).

(٤) الكافي ـ الاصول ـ (٢: ٦٠٢) وانظر المحجة البيضاء (٢: ٢١٥) وبحار الأنوار (٤٦: ١٠٧).

(٥) الكافي (٢ / ٦١٦) بحار الأنوار (٤٦: ٧٠) ب ٥ ح ٤٥. ولاحظ عوالم العلوم (ص ١٣٥).

الحسين عليه السلام، ولم يخرج الناس من مكّة حتىٰ يخرج علي بن الحسين عليه السلام[(١)].

وفي بعض الأسفار بلغ عدد القراء حسب بعض المصادر: ألف راكب[(٢)].

وقد كان الإمام السجّاد عليه السلام مرجعاً في علوم القرآن ومعارفه، يسأله كبار العلماء عن القرآن:

قال الزهري: سألت علي بن الحسين: عن القرآن؟

فقال: كتاب الله، وكلامه[(٣)].

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يستفيد من تفسير القرآن في إرشاد الأُمة إلىٰ ما يُحييهم، ويطبّق مفاهيمه علىٰ حياتهم، ويحاول تنبيههم الىٰ ما يدور حولهم من قضايا، وإليك بعض النصوص:

روي أنه عليه السلام قال في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾: [سورة البقرة «٢» الآية «١٧٩»] (ولكم) يا أمة محمّد (في القصاص حياة) لأن مَنْ هَمَّ بالقتل، فعرف أنه يقتصّ منه، فكفّ لذلك من القتل، كان حياة للذي همّ بقتله، وحياة لهذا الجاني الذي أراد أن يقتل، وحياة لغيرهما من الناس: إذا علموا أن القصاص واجب، ولا يجسرون على القتل مخافة القصاص (يا أولي الألباب) اولي العقول (لعلكم تتقون).

ثم قال عليه السلام: عباد الله، هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا، وتفنون روحه!

أفلا أُنبئكم بأعظم من هذا القتل؟ وما يوجبه الله على قاتله ممّا هو أعظم من هذا القصاص؟

قالوا: بلىٰ، يابن رسول‌الله.

قال: أعظم من هذا القتل أن يقتله قتلاً لا يُجبر، ولا يحيىٰ بعده أبداً!

قالوا: ماهو؟

قال: أن يضلّه عن نبوّة محمّد صلى الله عليه وآله وعن ولاية علي بن أبي‌طالب عليه السلام، ويسلك به غير سبيل الله، ويغيّر به باتباع طريق أعداء عليّ والقول بإمامتهم، ودفع عليّ عن حقّه، وجحد

---

(١) رجال الكشي (ص ١١٧) رقم ١٨٧.

(٢) عوالم العلوم (ص ٣٠٣).

(٣) تاريخ دمشق، ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٦).

فضله، وأن لا يبالي بإعطائه واجب تعظيمه، فهذا هو القتل الذي هو تخليد المقتول في نار جهنم، مخلداً أبداً، فجزاء هذا القتل مثل ذلك: الخلود في نار جهنم [١].

وكان الإمام زين العابدين عليه السلام كثيراً ما يستشهد بآيات من القرآن ويستدلّ بها، وعندما يجد مناسبة يعرّج علىٰ تطبيق ذلك على الحالة الاجتماعية المتردّية التي كان يعيشها المسلمون.

في الخبر: إنه عليه السلام كان يذكر حال مَنْ مسخهم الله قردة من بني إسرائيل، ويحكي قصتهم (المذكورة في القرآن) فلما بلغ آخرها، قال: إن الله تعالىٰ مسخ أُولئك القوم، لاصطيادهم السمك!

فكيف ترىٰ ـ عند الله عزوجل ـ يكون حال من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله وهتك حريمه؟

إن الله تعالىٰ، وإن لم يمسخهم في الدنيا، فإن المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ [٢].

إن تصدّي الإمام زين العابدين عليه السلام لهذه القضايا، لاشك أنه أكثر من مجرد تعليم وتفسير للقرآن، بل هو تطبيق له على الحياة المعاصرة، وتحريك للأفكار ضدّ الوضع الفاسد الذي تعيشه الأمة، ولا ريب أن ذلك يعتبره الحكام تحدياً سياسياً يحاسبون عليه.

ومن فلتات التاريخ أنه خلّد لنا من التراث صفحة من القرآن الكريم، منسوبة كتابتها إلىٰ خط الإمام زين العابدين عليه السلام.

والعجيب أنّ هذه الصفحة تبدأ بقوله تعالىٰ: ﴿ القربىٰ، واليتامىٰ، والمساكين وابن السبيل ﴾، وتنتهي بآيات الجهاد: قوله تعالىٰ ﴿ يـايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا ﴾ [٣] [سورة الأنفال (٨) الآيات ٤١ ـ ٤٥].

---

(١) الاحتجاج (ص ٣١٩).
(٢) الاحتجاج (ص ٣١٢).
(٣) دائرة المعارف الشيعية (ج ٢ ص ٦٦).

ثانياً: في مجال الفكر والعقيدة

جاء الإسلام ليرسّخ الحقّ بين الناس، ومن أهمّ ما هدف إلىٰ تثبيت قواعده وتشييد أركانه هو «التوحيد الإلهي» فإلىٰ جانب الاستدلال علىٰ ذلك بما يوافق الفطرة والعقل السليمين، سعىٰ لمحو آثار الوثنية، وكسر أصنام الجاهلية، لما استتبعت من تحميق الناس، وتعميق الجهل والذلّ في نفوسهم علىٰ حساب تضخم الثروة عند الطغاة، وتوغّل الفساد في المجتمع الإنساني.

ولمّا كانت الوثنية والصنمية فكرة ناشئة من عقيدة تجسيم الإله وتشبيهه بالخلق، سعى الإسلام لنفي التجسيم والتشبيه، ودعا إلى التوحيد في الذات والصفات، والتنزيه عن كل ما يمتّ إلى المخلوقات، كل ذلك بالدلائل والبراهين والآيات البينات.

لكن الاتجاه الرجعي تسلّط على المسلمين في فترة مظلمة من تاريخ الإسلام، بدأت بتسنّم الحزب الأموي أريكة الخلافة، وسيطرته من خلالها علىٰ ربوع البلاد ورقاب العباد، أولئك الذين كانوا آخر الناس إسلاماً، وهم مسلمة الفتح، ولم تنمح من أذهانهم صور الأصنام، ولم يَزُل من قلوبهم حبّ الجاهلية وعباداتها، فكما كانوا في الجاهلية من أشدّ الناس تمسّكاً بالصنمية ورسوم الجاهلية الجهلاء ودعاة الشرك والفجور، ورعاة الدعارة والعهارة والخمور، فكذلك وبتلك الشدّة أمسوا في الإسلام أعداء التوحيد والتنزيه ومحاربي العفاف والإنصاف.

وعندما بُليَ المسلمون بولاة من هؤلاء، بدأوا تشويه الصِبْغة الإسلامية بانتهاك الأعراض والحرمات، وامتهان الشخصيات والكرامات، وتشويش الأفكار والمعتقدات، وتزييف الوجدان وإثارة الأضغان، وتعميق العداء والبغضاء، وتعميم الجور والعدوان.

عقيدة الجبر:

وكان من أخطر ما روّجوه بين الأمة وأكّدوا علىٰ إشاعته هو فكرة «الجبر الإلهي» بهدف التمكّن من السلطة التامة على مصير الناس، والهيمنة على الأفكار بعد الأجسام.

فإن الأمة إذا اعتقدت بالجبر، فذلك يعني: أن كل ما يجري عليها فهو من الله وبإذنه. فما يقوم به الخليفة من فساد وظلم وجور وقتل ونهب وغصب، فهو من الله ـ تعالىٰ عن ذلك ـ استكانت الأمة للظالم ولتعدياته، ولم تحاول أن تتخلص من سيطرته، ولا دفع عدوانه، بل لم تفكّر في الخلاص منه، لأن ذلك يكون مخالفة لإرادة الله ومشيئته. فالخليفة والأمير والحاكم والوالي إنّما ينفذون إرادة الله، وهم يد الله علىٰ عباده!

فكيف يرجىٰ من أمة كهذه أن تقوم بوجه سلطة الظالم واعتداءاته وتجاوزاته[(١)].

لقد أظهر الأمويون عنادهم للإسلام حتّىٰ في مسائل الدين، ومن عندهم ظهرت الفتاوي في الشام بخلاف ما في العراق، كما ظهر القول بالجبر في أصول الدين.

وأول ما انتحله معاوية من التفرقة ـ بين المسلمين ـ هو القول بالجبر، فقد كان هو أوّل مَنْ أظهره.

قال القاضي عبدالجبار في (المغني في أبواب العدل والتوحيد): أظهر معاوية أن ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه، ليجعله عذراً في ما يأتيه ويوهم أنه مصيب فيه، وأن الله جعله إماماً وولّاه الأمر، وفشا ذلك في ملوك بني أمية[(٢)].

وكان الأُمويّون يقولون بالجبر[(٣)].

ولقد قاوم أئمة أهل البيت عليهم السلام فكرة الجبر بكل قوّة ووضوح منذ زمان أميرالمؤمنين عليه السلام[(٤)].

ولكن لمّا استفحل أمر بني أمية، وملكوا أنفاس الناس، وتمكّنوا من عقولهم وأفكارهم، انفرد معاوية في الساحة، وغسل الأدمغة بفعل علماء الزور ووعّاظ السلاطين.

فكان معاوية يقول في خطبة: «لو لم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإيّاه ولو

---

(١) لاحظ رسائل العدل والتوحيد (ص ٨٥ ـ ٨٦).

(٢) لاحظ رسائل العدل والتوحيد (٢ ـ ٤٦).

(٣) تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، لابي ريّان (ص ١٤٨ ـ ١٥٠).

(٤) لاحظ الاحتجاج (ص ٢٠٨) في احتجاج اميرالمؤمنين عليه السلام.

كره الله تعالىٰ ما نحن فيه لغيّره».

وقال معاوية في بعض خطبه: «أنا عاملٌ من عمّال الله أُعطي مَنْ أعطاه الله وأمنع مَنْ منعه الله ولو كره الله أمراً لغيّره».

فأنكر عليه عُبادة بن الصامت وغيره من الصحابة. نقله ابن المرتضىٰ وقال: هذا صريح الجبر[1].

وهذا هو الذي شدّد قبضة الامويين على البلاد والعباد، ومكّنهم من قتل أبي‌عبدالله الحسين سبط رسول‌الله صلى الله عليه وآله بكل جرأة، ومن دون نكير!

وقد أظهر يزيد، أن الحسين عليه السلام إنما قتله الله! فأعلن ذلك في مجلسه وأمام الناس.

لكن الإمام السجاد عليه السلام لم يترك ذلك يمرّ بلا ردّ، فانبرىٰ له وقال ليزيد: قتل أبي‌الناسُ[2].

وقبل ذلك في الكوفة قال عبيدالله: أليس قد قتل الله علي بن الحسين؟

فقال الإمام عليه السلام ﴿ الله يتوفىٰ الأنفس حين موتها ﴾. [سورة الزمر (٣٩) الآية (٤٢)]

فغضب عبيدالله وقال: وبك جرأة لجوابي، وفيك بقية للردّ علي، اذهبوا به فاضربوا عنقه.

ثم صعد المنبر، وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أميرالمؤمنين وحِزبه[3].

إن الموقف كان خطراً جداً، فالطاغية في عتوّه، ونشوة الانتصار تغمره، فالردّ عليه في مثل هذه الحالة يعني منازعته سلطانه.

ولكن الإمام السجاد عليه السلام وهو أسير، يُعاني آلام الجرح والمرض، لم يتركه يُلحد في دين الله، ويمرّر فكرة الجبر أمامه، على الناس البسطاء، الفارغين من المعارف، التي نصّ عليها القرآن بوضوح.

وليس غرضنا من سرد هذه الأخبار إلّا نقل ردّ الإمام عليه السلام علىٰ مزاعم الحكّام

---

(١) المنية والأمل (ص ٨٦).

(٢) الاحتجاج (٣١١).

(٣) الارشاد للمفيد (ص ٢٤٤) ولاحظ صدره في تاريخ دمشق (الحديث ٢٥).

بنسبة القتل الى الله، بينما هو من فعل الناس، والتذكير بالفرق بين الوفاة للأنفس واسترجاعها الذي نسب في القرآن الى الله حين حلول الأجل والموت حتف الأنف، وبين القتل الذي هو إزهاق الروح من قِبَل القاتل قبل حلول الموت المذكور.

إن تحدّي الحكام وفي مجالسهم، وبهذه الصراحة ينبيء عن شجاعة وبطولة، وهو تحدٍّ للسلطة أكثر من أن يكون رداً على انحراف في العقيدة فقط.

وفي حديث رواه الزهري ـ من كبار علماء البلاط الاموي ـ أجاب الإمام زين العابدين عليه السلام عن هذا السؤال: أبِقَدَرٍ يصيب الناس ما أصابهم، أم بعمل؟

أجاب عليه السلام بقوله: **إنّ القَدَرَ والعمل بمنزلة الروح والجسد...ولله فيه العون لعباده الصالحين.**

ثم قال عليه السلام: **ألا، من أجور الناس مَنْ رأىٰ جوره عدلا، وعدل المهتدي جوراً**[1].

وعقيدة التشبيه والتجسيم:

وقد تجرأ أعداء الأسلام ـ بعد سيطرتهم على الحكم ـ على المساس بأساس العقيدة الإسلامية، وهو التوحيد الإلهي، وذلك بإدخال شُبه التجسيم والتشبيه في أذهان العامة، لإبعادهم عن الحق، وجرّهم إلىٰ صنمية الجاهلية.

ولقد استغلّ الأعداء جهل الناس، وبعدهم عن المعارف، حتّى اللغة العربية! فموّهوا عليهم النصوص المحتوية علىٰ ألفاظ الأعضاء، كاليد والعين، مضافة في ظاهرها الى الله تعالىٰ، وتفسيرها بمعانيها المعروفة عند البشر، بينما هي مجازات مألوفة عند فصحاء العرب في شعرهم ونثرهم، يعبّرون باليد عن القوة والقدرة، وبالعين عن البصيرة والتدبير، وهكذا...

وقد قاوم الإسلام منذ البداية هذه الأفكار المنافية للتوحيد والتنزيه، وقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الأطهار بمقاومتها وإبطال شُبهها، وفضح أغراض ناشريها ودعاتها.

وفي عهد الإمام السجاد عليه السلام، وبعد أن استشرى الوباء الاموي بالسيطرة التامة،

---

(١) التوحيد للصدوق (ص ٣٦٦).

كان أمر هؤلاء الملحدين قد استفحل، وتجاسروا على الإعلان عن هذه الأفكار بكلّ وقاحةٍ، في المجالس العامّة، حتّىٰ في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت مهمة الإمام السجاد عليه السلام حسّاسة جداً، لكونه ممثّلاً لأهل البيت عليهم السلام، بل الرجل الوحيد ذا الارتباط الوثيق بمصادر المعرفة الإسلامية بأقرب الطرق وأوثقها، وبأصحّ الأسانيد، مصحوباً بالإخلاص لهذا الدين وأهله، وعمق التفكير وقوته، وبالشكل الذي ليس لأحد إنكار ذلك أو معارضته.

ومع ما كان عليه الإمام السجاد عليه السلام من قلة الناصر، فقد وقف أمام هذا التيار الإلحادي الهدّام، وأقام بأدلته وبياناته سداً منيعاً في وجه إحياء الوثنية من جديد!

فقام الإمام بعرض النصوص الواضحة التعبير عنّ الحق، والناصعة الدلالة على التوحيد والتنزيه، مدعومة بقوة الاستدلال العقلي، وكشف عن التصوّر الإسلامي الصحيح، وشهر سيف الحق والعلم والعقل علىٰ تلك الشبه الباطلة:

ولنقرأ أمثلة من تلك النصوص:

جاء في الحديث أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم، إذ سمع قوماً يشبّهون الله بخلقه، ففزع لذلك، وارتاع له، ونهض حتّىٰ أتىٰ قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوقف عنده، ورفع صوته يدعو ربّه، فقال في دعائه:

«إلهي بدت قدرتك، ولم تبد هيبة جلالك، فجهلوك، وقدّروك بالتقدير علىٰ غير ما أنت به مشبّهوك.

وأنا بريء ـ يا إلهي ـ من الذين بالتشبيه طلبوك، ليس كمثلك شيء ـ يا إلهي ـ ولن يدركوك.

فظاهر ما بهم من نعمة دليلهم عليك، لو عرفوك. وفي خلقك ـ يا إلهي ـ مندوحة عن أن يتأوّلوك. بل ساووك بخلقك، فمن ثَمَّ لم يعرفوك.

واتخذوا بعض آياتك ربّاً، فبذلك وصفوك. فتعاليت ـ يا إلهي ـ عمّا به المشبّهون نعتوك»[1].

---

(١) كشف الغمة (٢: ٨٩) وانظر بلاغة الإمام علي بن الحسين عليه السلام (ص ١٧) وقد رواه الصدوق في أماليه (ص ٤٨٧) المجلس (٨٩) موقوفاً على الرضا عليه السلام، فلاحظ.

فوجود الإمام عليه السلام في المسجد النبوي، وإظهاره الفزع من ذلك التشبيه، وارتياعه لذلك الكفر المعلن، ونهوضه، والتجاؤه الى القبر الشريف، ورفعه صوته بالدعاء...

كل ذلك، الذي جلب انتباه الراوي، ولابدّ أنه كان واضحاً للجميع، إعلانٌ منه عليه السلام للاستنكار علىٰ ذلك القول، وأولئك القوم الذين تعمّدوا الحضور في المسجد والتجرؤ علىٰ إعلان ذلك الإلحاد والكفر.

وهو تحدّ صارخ من الإمام عليه السلام للسياسة التي انتهجتها الدولة وكانت وراءها بلا ريب، وإلّا، فمن يجرؤ علىٰ إعلان هذه الفكرة المنافية للتوحيد لولا دعم الحكومة، ولو بالسكوت!

إن قيام الإمام السجاد عليه السلام بهذه المعارضة الصريحة وبهذا الوضوح يعطي للمواجهة بعداً آخر، أكثر من مجرد البحث العلمي، والنقاش العقيدي والفكري.

إنّه بُعد التحدّي للدولة التي كانت تروّج لفكرة التجسيم والتشبيه، وتفسح المجال للإعلان بها في مكان مقدّس مثل الحرم النبوي الشريف، في قاعدة الإسلام، وعاصمته العلمية، المدينة المنورة!!

ومهزلة الإرجاء:

الإرجاء، بمعنىٰ عدم الحكم باسم «الكفر» علىٰ مَنْ آمن بالله، في ما لو أذنب ما يوجب ذلك، وأن حكماً مثل هذا موكول الى الله تعالىٰ، ومُرْجَأٌ إلىٰ يوم القيامة، وأن الذنوب ـ مهما كانت ـ والمباديء السياسية مهما كانت، لا تُخرِج المسلم عن اسم الإيمان، ولا تمنع من دخوله الجنة.

وكان الملتزمون بالإرجاء، يتغاضون عمّا يقوم به الحكّام والسلاطين مهما كانت أفعالهم مخالفة لأحكام الإسلام في آيات قرآنه ونصوص كتابه وسنّة رسوله.

بل كان منهم من يقول: إن الإيمان هو مجرد القول باللسان، وإن عُلِمَ من القائل الاعتقاد بقلبه بالكفر، فلا يُسمّىٰ كافراً.

ومنهم مَنْ يقول: إن الإيمان هو عقد القلب، وإن أعلن الكفر بلسانه فلا يُسمّىٰ كافراً[1].

---

(١) لاحظ الفصل لابن حزم (٤: ٢٠٤).

وهذه المبادىء ـ مهما كان منشؤها ـ كانت ولا زالت تخدم الحكّام الجائرين المبتعدين عن الإسلام في كل أعمالهم وتصرّفاتهم، لأن أصحاب هذه المبادىء كانوا ـ ولا يزالون ـ يرون أن مهادنة هؤلاء الحكّام صحيحة وغير منافية للشرع وللتديّن بالإسلام.

فكانت ـ كما يقول أحمد أمين ـ: هذه المبادىء تخدم بني امية ـ ولو بطريق غير مباشر ـ وأصحابها كانوا يرون أن مهادنة بني أُمية صحيحة، وأن خلفاءهم مؤمنون، لا يصحّ الخروج عليهم.

فكان أن الامويين لم يتعرّضوا لهم بسوء، كما تعرّضوا للمعتزلة والخوارج والشيعة[1].

بل أصبح الإرجاء ـ كما نقل الجاحظ عن المأمون: ـ دين الملوك[2].

وهذه المزعومة ـ الإرجاء ـ باطلة أساساً، لدلالة النصوص الواضحة علىٰ أنّ العمل ـ فعلا وتركاً ـ له أثر مباشر في صدق أسماء «الإيمان والكفر» ولذلك أعلن أئمة المسلمين بصراحة: أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

فمن خالف ما ثبت أنه من الدين ضرورة فهو محكوم باسم الكفر، وتجري عليه أحكام هذا الاسم، سواء أنكره بلسانه، أو بقلبه، أو بعمله، كقاتل النفس المحترمة وتارك الصلاة، مثلاً.

وفي قبال مخالفات الحكّام الظالمين، المعلنة والمخفية، قاوم المسلمون بكل شدّة، وحاسبوهم بكل صرامة، حتّىٰ قُتِلَ عثمان ـ وهو خليفة ـ من أجل بعض مخالفاته الواضحة.

لكن، لمّا تربّع بنوأُمية على الحكم، بدأوا يحرّفون عقيدة الناس بترويج كفرهم، وقتل المؤمنين العارفين بالحقائق، وإجراء سياسة التطميع والتجويع، وغسل الأدمغة والتحميق، مُسْتَمِدّين بوعّاظ السلاطين من أمثال الزهري:

فقد ورد في الأثر أن هشام بن عبدالملك سأل الزُهْريَّ قال: حَدّثْنا بحديث

---

(١) ضحىٰ الإسلام (٣: ٣٢٤).

(٢) الاعتبار وسلوة العارفين (ص ١٤١).

النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، وإن زنا وإن سَرَق[(١)].

فهشام حافظ للحديث، لكنه يريد من الزهري تقريراً عليه وتصديقاً به، وكأنّه يقول له: إنّ مثل هذا الحديث يُعجبنا ويفيدنا فاروه لنا.

ولم يكذّب الزهري هذا الحديث المجعول من قبل المرجئة، وإنما قال لهشام: أينَ يُذهَب بك، يا أميرالمؤمنين! كان هذا قبل الأمر والنهي.

لكن إذا كان قبل الأمر والنهي فلماذا يذكر الزنا والسرقة، أو هما كانتا محرّمتين!؟

فعاد أمر الأمة إلىٰ أن لم ير المضحّون والمخلصون، وفي طليعتهم أهل البيت عليهم السلام إلّا أن ينهضوا في طلب الإصلاح.

وقام الإمام الحسين عليه السلام بالتضحية الكبرىٰ في كربلاء، لإنقاذ الإسلام مما ابتلي به من تدابير خطرة، ومؤامرات لئيمة دبّرها بنوامية.

وقد أدّت تلك التضحية العظيمة، إلىٰ فضح حكّام بني اُمية، حيث إن عملهم الظالم ذلك، الذي لم يجدوا في الأمة منكراً له ولا نكيراً عليه، هوّن عليهم الإقدام علىٰ أعمال فظيعة أخرىٰ بعلانية ووقاحة، بشكل لم يبق مبرّر لإطلاق اسم الإسلام والإيمان عليهم، ولذلك نجد أن الذين أعلنوا عن ثورة المدينة قبيل وقعة الحرّة، كانت دعواهم: «أن يزيد لَرَجُلٌ ليس له دين»[(٢)].

والأمويون تأكيداً علىٰ كفرهم وخروجهم علىٰ كل المقدّسات، استباحوا مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحرمه، وقتلوا آلاف الناس، وفيهم جمع من أبناء صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وهتكوا الأعراض وانتهبوا الأموال[(٣)].

وعقّبوا ذلك بالهجوم على الكعبة والمسجد الحرام وحرم الله الآمن، فأحرقوها وهتكوا حرمتها، وسفكوا الدماء فيها، ولم يرقبوا في شيء عملوه أيام حكمهم الدموي كرامة لأحد، ولا حرمة لشيء مقدّس.

---

(١) الاعتبار وسلوة العارفين (ص ١٤١).

(٢) أيام العرب في الإسلام (ص ٤٢٠).

(٣) انظر كتب التاريخ في حوادث سنة (٦٣هـ) وتاريخ المدينة المنورة وترجمة مسلم بن عقبة، وعبدالله بن الغسيل.

والمرجئة ـ مع ذلك ـ يقولون في الامويين إنهم الحكّام الذين تجب طاعتهم، وإنهم مؤمنون لا يجوز الحكم عليهم بالكفر، ولا لعنهم، ولا التعرّض لهم ولا الخروج عليهم!

إن هذا الانحراف الذي عرض لامة الإسلام، كان ردّة خفيّة تمرّر باسم الإسلام وعلىٰ يد الخليفة والمجرمين الممالئين له.

فكانت جهود الإمام السجاد عليه‌السلام هي التي اعقبت إحياء الروح الإسلامية واستتبعت الصحوة للمسلمين، فرصّ الصفوف، فتمكّن ابنه المجاهد العظيم زيد بن علي عليه‌السلام من إطلاق الثورة ضدهم.

وتلك التعاليم السجادية هي التي جعلت أمر كفر الامويّين وبطلان حكمهم، أوضح من الشمس، وألجأت أباحنيفة المتّهم بالإرجاء[1] أن يرىٰ ولاة بني امية مُخالفين لتعاليم الدين وأعلن وأظهر البغض والكراهية لدولتهم، وساهم في حركة زيد الشهيد، وناصر أهل البيت بالمال والعدّة، وكان يُفتي ـ سرّاً ـ بوجوب نصرة زيد وحمل المال إليه والخروج معه على اللصّ المتغلّب المتسمّي بـ«الإمام والخليفة»[2].

وفي الإمامة والولاية:

كانت الإمامة في نظام الدولة الإسلامية، أعلى المناصب الحكومية، ولذا كان الحكّام يسمّون أنفسهم أئمة للناس، وأُمراء للمؤمنين، بلا منازع.

ولا يدّعي أحدٌ غير الحاكم، لنفسه منصب الإمامة إلّا إذا لم يعترف بالحاكم ولا حكومته: ومعنىٰ هذا الادّعاء معارضته للنظام ولمقام الخليفة نفسه.

والإمام السجاد عليه‌السلام قد أعلن عن إمامة نفسه بكل وضوح وصراحة ومن دون أيّة تقيّة وخفاء.

ولعلّ لجوءه عليه‌السلام إلىٰ هذا الأُسلوب المكشوف كان من أجل أنّ بني أُمية بلغ أمر فسادهم وخروجهم عن الإسلام، وعدم صلاحيتهم للحكم على المسلمين وإدارة

---

(١) لاحظ تاريخ بغداد (ج ١٣) وانظر الكنىٰ والألقاب (١ / ٥٢).

(٢) لاحظ ضحىٰ الإسلام، لأحمد أمين (٣ ـ ٢٧٤).

البلاد، فضلاً عن الإمامة، حدّاً من الوضوح لم يمكن ستره علىٰ أحد.

فكان من اللازم الإعلان عن إمامة السجاد عليه‌السلام كي لا يبقىٰ هذا المنصب شاغراً، وإن لم تكن الإمامة الحقّة حاكمةً ظاهراً.

ومهما يكن، فإنّ خطورة إعلان الإمام السجاد عليه‌السلام عن إمامة نفسه وأهل بيته، لا تخفىٰ علىٰ أحد ممن عرف جور بني أُمية وطغيانهم وقسوتهم في مواجهة المعارضين.

وقد تعدّدت الأحاديث الناقلة لهذا الإعلان، حسب تعدّد المناسبات، والظروف:

١ـ في الحديث الذي أورده ابن عساكر: قال أبوالمنهال نصر بن أوس الطائي: رأيت علي بن الحسين، وله شَعرٌ طويل، فقال: إلىٰ مَن يذهب الناسُ؟

قال: قلتُ: يذهبون ههنا وههنا!

قال: قل لهم: يجيئون إليَّ[(١)].

٢ـ قال له أبوخالد الكابلي: يا مولاي! أخبرني كم يكون الأئمة بعدك؟

فقال: ثمانية، لأنّ الأئمة بعد رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم اثنا عشر إماماً، عدد الأسباط، ثلاثة من الماضين، وأنا الرابع، وثمانية من ولدي، أئمة أبرار، مَن أحبَّنا وعمل بأمرنا كان في السنام الأعلىٰ، ومَن أبغضنا أو ردَّ واحداً منّا فهو كافر بالله وبآياته[(٢)].

٣ـ وقال عليه السلام: نحن أئمّة المسلمين، وحُجَجُ الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغرّ المحجّلين، وموالي المؤمنين، ونحنُ أمانُ أهل الأرض، كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء... ولو ما في الأرض منّا لساخَتْ بأهلها، ولم تَخْلُ الأرض ـ منذ خلقَ اللهُ آدمَ ـ من حُجّةٍ لله فيها، ظاهرٍ مشهور أو غائب مستورٍ، ولا تخلو، إلىٰ أنْ تقوم الساعة، من حجّة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله[(٣)].

٤ـ وقال عليه السّلام: نحنُ أفراط الأنبياء، وأبناء الأوصياء، ونحن خلفاء

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٢١) ومختصره لابن منظور (١٧ / ٥٣١).

(٢) كفاية الأثر للخزّاز (ص ٢٣٦ ـ ٢٣٧).

(٣) أمالي الصدوق (ص ١١٢) الاحتجاج (ص ٣١٧).

الأرض، ونحن أولىٰ الناس بالله، ونحن أولىٰ الناس بدين الله[١].

٥ـ وكان يقول في دعائه يوم عرفة:

اللهمّ!

إنّك أيّدت دينك في كلّ أوان بإمام أقته علماً لعبادك ومناراً في بلادك بعد أن وصلتَ حبله بحبلك، وجعلته الذريعة الىٰ رضوانك، وافترضتَ طاعته، وحذّرتَ معصيته، وأمرت بامتثال أوامره، والانتهاء عند نهيه، وألا يتقدمه متقدّم، ولا يتأخّر عنه متأخّر، فهو عصمةُ اللائذين، وكَهْفُ المؤمنين، وعُرْوةُ المتمسّكين، وبهاء العالمين.

اللهمّ

فأوْزِعْ لوليّك شكر ما أنعمتَ به عليه، وأوْزِعنا مثله فيه، وآتهِ من لدنك سلطاناً نصيراً، وافتح له فتحاً يسيراً، وأعِنْهُ بركنك الأعزّ... وأقم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنَنَ رسولك صلواتك ـ اللهمّ ـ عليه وآله.

وأحْيِ به ما أماته الظالمون من معالم دينك، واجْلُ به صَدأ الجور عن طريقتك، وأبِن به الضرّاء من سبيلك، وأزِل به الناكبين عن صراطك، وامحق به بغاة قصدك عِوجاً، وألِن جانبه لأوليائك، وابسط يده علىٰ أعدائك[٢].

في يوم عرفة، وفي موقف عرفات، حيث تتّجه القلوب الى الله بلهفة، وحيث الأنظار شاخصة الى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والآذان صاغية الىٰ بقية العترة، لتسمع دعاءه في ذلك اليوم الشريف، وذلك الموقف المنيف، يدعو بهذه الكلمات ليعرّف المسلمين بما يجب أن يكون عليه الإمام الحقّ من صفات، وما عليه وله من حقوق وواجبات.

ولا يرتاب المتأمّل: أن في عرض مثل هذه الأوصاف والواجبات ـ التي يبتعد عنها الحكّام المدّعون للإمامة أشواطاً ومسافات طويلة ـ يعدّ تعريضاً بهم، وتحدّياً لوجودهم.

وأن الإمام السجاد عليه السلام لمّا كان يعرّف الإمامة بهذا الشكل، فهو ـ بلا ريب ـ

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (ص ٦٠).

(٢) الصحيفة السجادية، الدعاء رقم (٤٧).

يستبعد عنها كلّ أدعياء الإمامة من غير ما لياقةٍ، فضلاً عن الاستحقاق.

فأين أولئك المغمورون في الرذيلة والظلم والجهل بالدين، بل المعارضون له عقائدياً وعملياً، أين هم من هذه الإمامة المقدّسة!؟

٦ـ وكان يقول في دعائه ليوم الجمعة، والأضحىٰ:

اللهمّ:

إنّ هذا المقام لخلفائك، وأصفيائك، ومواضع أمنائك في الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها، قد ابتزّوها، وأنت المقدّرُ لذلك لا يُغالب أمرك.

حتّىٰ عاد صفوتك وخلفاؤك مغلوبين، مقهورين، مبتزّين، يرون حكمك مبدّلاً، وكتابك منبوذاً، وفرائضك محرّفة عن جهة إشراعك، وسنن نبيّك متروكة.

اللهمّ: العن أعداءهم من الأوّلين والآخرين، ومن رَضِيَ بفعالهم وأشياعهم، وأتباعهم[١].

ويوصي الإمام إلىٰ ولده محمّد الباقر فيقول:

بُنيّ:

إنّي جعلتُك خليفتي من بعدي، لا يدّعيها في ما بيني وبينك أحدٌ إلّا قلّده الله يوم القيامة طوقاً من النار[٢].

بل، أعلن خلافة ولده الباقر وإمامته، للزُهْري، وهو من علماء البلاط الأمويّ، في ما روي عنه، قال: دخلتُ علىٰ علي بن الحسين عليه السلام في مرضه الذي تُوفّي فيه: فقلتُ: يابن رسول‌الله، إنْ كان أمرُ الله، ما لابدّ لنا منه، فإلىٰ مَنْ نختلف بعدك؟

فقال عليه السلام: يا أباعبدالله، الى ابني هذا ـ وأشار إلىٰ محمّد الباقر عليه السلام ـ فإنّه وصيّي، ووارثي، وعيبة علمي وهو معدن العلم وباقره.

قال الزُهْري: قلتُ: هلّا أوصيتَ إلىٰ أكبر ولدك؟

قال عليه السلام: يا أباعبدالله، ليست الإمامة بالكِبر والصِغَر، هكذا عهد إلينا رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم وهكذا وجدناه مكتوباً في اللوح والصحيفة.

---

(١) الصحيفة السجادية الدعاء رقم (٤٨).

(٢) كفاية الأثر للخزّاز (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١).

قال الزُهْريّ: قلتُ: يابن رسول‌الله، كم عهد إليكم نبيّكم أنْ يكون الأوصياءُ بعده؟

قال عليه‌السلام: وجدناه في الصحيفة واللوح «اثنا عشر اسماً» مكتوبة إمامتهم.

ثم قال عليه‌السلام: يخرج من صُلب محمّد ابني سبعةٌ من الأوصياء فيهم «المهديّ»[1].

إلىٰ غير ذلك من الآثار الواردة في هذا الباب.

والمهمّ في الأمر أنّ الإمام السجّاد عليه‌السلام بصراحته هذه، وإعلانه عن أهمّ ما يرتبط باستمرار العقيدة ودوامها، تمكّن من تثبيت الإمامة بعد أن تعرّض التشيّع لأوحش الحملات في ذلك التأريخ، فأدّتْ بالعقيدة إلىٰ تضعضع لم يسبق له مثيل! كما أدّتْ إلىٰ يأس في النفوس، وتمزّق بين صفوف الشيعة بما لا يتصوّر!

فكانت مواقف الإمام السجّاد عليه‌السلام هذه، الواضحة، والجريئة، والمكرّرة، سبباً لِلَملَمة الكوادر من جديد، ورصّ الصفوف ثانية، وتكريس الجهود المكثّفة، واستعادة القوى المهدورة، والتركيز علىٰ ترسيخ القواعد الأصلية من أن تحرّف أو يشوبها التشويهُ لتكوين الأرضيّة الصالحة لبذر علوم آل محمّد علىٰ أيدي الأئمّة لاسيما الباقر والصادق عليهما‌السلام.

إثارة خلافة الشيخين:

إنّ بني‌اُمية، الذين أحدثوا مذبحة كربلاء، ومجزرة الحرّة، ومأساة عين الوردة، لم يقنعوا بتصفية التشيُّع جسدياً، بقتل الأعداد الكبيرة من أنصار أهل البيت عليهم‌السلام، ومعهم الأعيان والرؤساء، بمن فيهم الإمام الحسين عليه‌السلام، وإنّما حاولوا ـ أيضاً ـ القضاء على التشيع فكريّاً وحضاريّاً، واتّبعوا سُبُل الدعاية المغرضة، وإثارة الناس الغوغاء علىٰ كلّ ما يمتُّ إلى أهل البيت عليهم‌السلام من فكر وتراث وشعار، حتّىٰ حاربوا أسماءهم، فكان مَن يتسمّىٰ بها مهدّداً.

ومن أخبث أساليبهم بثّ بذور الفرقة والشقاق بين المسلمين، ليتمكّنوا من القضاء على الإسلام كلّه، ومن خلال ضرب المذاهب بعضها ببعض، وممّا ركّزوا عليه في هذه

(١) كفاية الأثر للخزّاز (ص ٢٤٣).

السبيل هو إثارة موضوع «خلافة الشيخين: أبي‌بكر وعمر» اللذين حكما الأمة باسم الخلافة فترةً غير قصيرة، وأصبحت خلافتهما مثاراً للبحث بين كلّ من الشيعة وأهل السنّة.

فالخلافة والإمامة، يراها الشيعة حقّاً لأئمة أهل البيت عليهم‌السلام بالنصّ من النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم الذي لاينطق إلّا عن الوحي الإلهي، وقد التزموا بهذا علىٰ أنه واحد من أُصول مذهبهم ومعتقدهم، وهو المميّز لهم عن أهل السنّة، الملتزمين بخلافة مَن استولىٰ علىٰ أريكة الحكم، كما حدث بعد وفاة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم، إذْ حكم ابوبكر، ثم عمر بدعوىٰ وأنّ ذلك تمَّ برضاً من الناس الحاضرين، وأنّ ذلك كاف في تحقّق الحقّ لهما في الخلافة، وهو الدليل علىٰ فضلهما ومنزلتهما عند المسلمين الذين سكتوا علىٰ ذلك.

ومن الواضح ـ تاريخيّاً ـ أنّ الجميع لم يحضروا مجلس البيعة للشيخين في سقيفة بني‌ساعدة.

ومجرّد السكوت في مثل هذا الموقف لايدلّ على الرضا، لاحتمال الخوف، والمداراة، والغفلة، أو الطمع في الحكم والمنصب.

مع حصول الاعتراض العلنيّ قولاً وفعلاً من بعض كبار الصحابة.

وتعيين بعض الناس ورضاهم وسكوتهم، أُمور إن دلّت على الفضل والمنزلة عندهم، فهي لاتدلُّ على الرضا عندالله ورسوله وجميع المؤمنين!

ومع وجود هذه المفارقات، فإنّ في المسلمين مَنْ لم تثبت عندهم خلافة الشيخين بطريق من الشرع الكريم، فلذا رفضوا هذا الموقف، وإنْ وَقَعَ، والتزموا بما هو الحقّ، وإن لم يقع!

ولقد جُوبه هذا الالتزام بالاستنكار العنيف من قبل أهل السنّة فاعتبروه «كفراً» وأحلّوا دماء «الرافضة» بزعمهم مع اعترافهم بأنّ التأويل يمنع من التكفير، وأنّ الحدود تُدْرَءُ بالشبهات!!

وكان الأمويّون يُثيرون هذا الخلاف لاصطياد أغراضهم من تعكير الماء، بين فئات المسلمين.

فكان موقف الإمام السجاد عليه السلام مقاومة ذلك بحكمة وحنكة، حتّىٰ صيّر أمره الى الاحباط.

فلابدّ أن يُعرف: أنّ قضيّةَ الإمامة وثبوتها لأئمّة أهل البيت عليهم السلام، وخلافة الخلفاء وحقّهم في الحكم، قضيّةٌ أدقّ من أن يُبَتَّ فيها بمجرد الرفض واللعن والتكفير والطرد، والقذف والسبّ، أو إثارة الضجيج والعجيج، وكيل التهم والتقبيح، والتنفير والتهجير، والاستهزاء والتهجين.

بل هي عند العقلاء قضيّة قناعة واعتقاد وأرقام ونصوص وحقوق وصفات وفضائل.

وهي عند أهل البيت عليهم السلام قضيّة هداية وإيمان، محورها «الحقّ» الذي أمرنا الله بالتواصي به، والصبر عليه.

واذا تصدّىٰ لها أئمة أهل البيت عليهم السلام، وتعرّضوا لها، وطالبوا بها فليس لحاجة في أنفسهم إليها أو إلىٰ مآربها، بل إنما من أجل أولئك الناس أنفسهم، وهدايتهم إلىٰ «الحق» المنشود من كلّ الرسالات الإلهيّة.

فقد كان الإمام السجّاد عليه السلام يقول: ما ندري، كيفَ نصنعُ بالناس؟! إنّ حدّثناهم بما سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضحكوا، وإنْ سكتنا، لم يسعنا...[1].

وكان الإمام الباقر عليه السلام يقول: بليّةُ الناس ـ علينا ـ عظيمة، إنْ دعوناهم لم يستجيبوا لنا، وإنْ تركناهم لم يهتدوا بغيرنا[2].

وبهذا المنطق، الواقعيّ، المتين، الحنون، الواضح، دخل أهل البيت عليهم السلام في موضوع الخلافة والإمامة، وحكموا عليها ولها.

وإذا كان هذا هو المنطلَق، فلا بدّ أن يكون المسير علىٰ طريق مصلحة الناس، وهم المسلمون في كلّ عصر ومصر، ومن أجل الحفاظ علىٰ دينهم الحقّ وهو الإسلام المحمّدي الخالص.

وعلىٰ هذا الأساس، لم يسمح الأئمة عليهم السلام للغوغاء، أن يتدخّلوا في هذه القضيّة ـ الخلافة ـ كي لا يغرقوا في غمارها، ولا يُصبحوا اُلعوبةً في أيدي الدُهاة

---

(١) الكافي (٣ / ٢٣٤) وقد مرّ تخريجه.

(٢) الإرشاد للمفيد (ص ٢٦٦).

الماكرين من حكّام الجور والضلالة، بإثارة الشَغَب والفتنة بين طوائف الشّعب، علىٰ حساب قضيّة «الخلافة».

فإن الغوغاء لا يدخلون في أيَّة قضيةٍ علىٰ أساس المنطق السليم، ولا من منطلق قويم، ولا يمشون على الصراط المستقيم، بل علىٰ طبيعتهم في الجدل العقيم، وعلىٰ طريقتهم في القذف واللعن والطرد، وهي بالنسبة إليهم البداية المحسوبة، والنهاية المطلوبة.

وليس الهدف عند الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام إلّا «الحقّ» وأنْ يتبيّنَ الرشدُ من الغيّ.

وقد كان الأمويّون يُثيرون القضيّة علىٰ مستوى العوام الطغام، والغوغاء الهوجاء، ويهدفون من ذلك القضاء علىٰ وحدة المسلمين، باتّهام أهل البيت وأتباعهم، وهم يمثّلون أقوى الخطوط المعارضة لحكمهم.

ولقد كان موقف الإمام السجّاد عليه السلام في إحباط هذه الخطط الأمويّة الجهنميّة، شجاعاً، وصريحاً، ومدروساً:

فهو عليه السلام لمّا سُئِلَ عن منزلة الشيخين عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أشار ـ بيده ـ الى القبر ـ قبر النبي صلى الله عليه وآله ـ ثمّ قال: بمنزلتهما منه الساعة[1] وفي نصّ آخر: كمنزلتهما منه اليوم، وهما ضجيعاه[2].

فمُثير السؤال، إنّما أراد أن يُعلن الإمامُ عن رأيه في الشيخين من حيث الفضل والمقام والرتبة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟

ولكنّ الإمام السجّاد عليه السلام لم يفسح له المجال في إثارته المُريبة، فأجابه عن موضعهما من حيث المكان والمنزل والمدفن، من دون أن يتعدّىٰ في الإجابة الحقيقيةَ الظاهرةَ، أو يتجاوز الحقّ المفروض، فهما ـ الشيخان ـ كانا قريبين ـ جسديّاً ـ كما هما في قبريهما ـ الآن ـ بالنسبة إلىٰ قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن هل هذا كرامة لهما، وقد دُفنا في ما لم يملكا حقّ الدفن فيه؟!

(١) سير أعلام النبلاء (٤: ٤ـ ٣٩٥).

(٢) تاريخ دمشق (حديث ٩٢) ومختصر ابن منظور له (١٤٧: ٢٤٠).

ويقول لمثير آخر: إذهَبْ، فأحِبَّ أبابكر وعُمر، وتولَّهما، فما كان من إثم ففي عُنقي [١].

وبمثل هذه القوّة، يُبعدُ الإمامُ عوامَ الناس عن التوجّه إلىٰ هذه القضيّة الحسّاسة، في ميدان الصراع ذلك اليوم، فقد كانت أصول الدين، وقواعده، وفروعه، وأحكامه الأساسيّة، مهدّدةً، يتهدّدها الطغيانُ الأمويّ، وكبار الصحابة، وعلماء الأمة، يُذَبَّحون كلّ صباح ومساء، فكان الإعراض عن القضايا الأساسيّة العاجلة، والبحث عن قضية الشيخين البائدة، تحريفاً لمسير النضال، وتَشْتِيتاً لقوى المناضلين، مع أنه خداع ومكر يطرحه الحكّام الظالمون للتفريق بين الأمّة، لِصَرْفها عن القضايا المصيرية، المعاصرة، التي هي محلّ ابتلاء المسلمين فعلاً إلىٰ قضايا تاريخيّة غير حيويّة!

فإثارة مشكلة الخلافة ـ آنذاك ـ لم يزد أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم إلّا انزواءاً وانعزالاً عن المجتمع العام، وذلك هو المطلوب لرجال الدولة، لأنّهُ يُيَسِّر لهم اجتثات أصول المعارضة، والقضاء علىٰ جذورها.

بينما التعبير عن تولّي الشيخين، وعامة الناس هم علىٰ ذلك بِمَنْ فيهم المثيرون، لا يُغيِّر الآن شيئاً، وليس له مفعول مثل ما لتولّي بني أُمية اليوم، وهم حكّام مستحوِذون مُستَخلَفون كما استُخْلِفَ أبوبكر وعمر، لكنّ هؤلاء مالكو الساحة اليوم، مع مالَهُم من مخالفات حتّىٰ لسنّة الشيخين، تلك السنّة التي التزموا بها ودعوا إليها، وباسمها استولوا على الأمور.

وليست ولاية الشيخين بمجرّدها هي المشكلة الفعليّة العائقة، بل المشكلة ـ الآن ـ هي ولاية بني أُمية! الذين يستخدمون فكرة ولاية الشيخين، ويُريدون بذلك فقط أن يستمرّوا على الحكم والخلافة، ويضربوا مَن لا يوافقهم علىٰ ولايتهم التي هي استمرار لولاية الشيخين.

والمفروض أنّ ولاية الشيخين، أصبحت وسيلة بأيدي الأمويين ليثبّتوا عرشهم من جهة، ويضربوا أهل البيت عليهم السلام من جهة أُخرىٰ.

فلذا أعلن الإمام زين العابدين عليه السلام للسائل، بأنّ ولاية الشيخين ليست موضعاً

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٩٧) ومختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٤١).

للنقاش، في هذا الوقت، إذ لا يترتّب عليها نفع للإسلام والمسلمين، لمضيّ زمانها، وإنّما المضرّ ـ الآن ـ هو ولاية بني أُمية، التي لابدّ أن تميّز عن ولاية الشيخين! مهما كانت استمراراً لها!

ولقد كشف الإمام السجّاد عليه‌السلام عن أقنعة مثيري هذه الفتنة، وفضحهم، حيث قال لهم: قوموا عنّي، لاقرّب الله دوركم، فإنكم متستّرون بالإسلام، ولستم من أهله[1].

فقد أعلن أن مثيري القضيّة بشكلها الغوغائيّ ليسوا إلّا من المبعوثين من قبل بني أُمية وعيونهم، ممن لا ينتمون الى الإسلام إلّا ظاهريّاً، وبالاسم فقط، وإنّما يريدون بإثارة هذه القضيّة، وحملها علىٰ أهل البيت، هدم الاسلام، المتمثّل ـ يومذاك ـ بشخص الإمام السجّاد عليه‌السلام وشيعته.

والإمام السجّاد عليه‌السلام إنّما يهدف إلىٰ تجديد بناء الإسلام الذي هَزْهَز بنواُمية قواعده وأركانه.

وتربية الكوادر الذين أشرفوا على الانقراض علىٰ يد جلاوزة بني أُمية حكّام الشام.

وإرساء قواعد التشيّع التي أشرفت على الانهيار، بعد فجيعة كربلاء.

وإحياء الأمل في النفوس التي صدمتها الحوادث المتعاقبة وزرعت فيها اليأس والخوف.

فما كان من المصلحة ـ أصلاً ـ الإجابة علىٰ مثل تلك الأسئلة المثارة وقد كان مُثيروها لا يمتّون الى الإسلام بصلة، وإنما هم متقنّعون باسمه ـ لتمرير أهدافهم ـ بتقديم هذه الأسئلة، وإثارة قضايا الخلاف في الخلافة، التي يريد العدوّ أن يستغلّها بأيّة صورة.

فالإجابة الصحيحة، إذا كانت مخالفةً لرأي العامة الغوغاء، فإنّها تُثيرهم، فينثالون على البقيّة الباقية من المؤمنين بخطّ أهل البيت عليهم‌السلام فيبيدونهم عن بَكْرة أبيهم، فلا يبقىٰ منهم نافخ نار، ولا طالب ثار.

وكلّ ذلك من أجل قضيّة لا أثر لإثارتها هذا اليوم، ولا دخل لها في القضايا

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٩٨) ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (١٧ : ٢٤١).

المصيريّة الراهنة، في عهد الإمام عليه السلام، فلا تُسمن، ولا تُغني الأمة من جوع، ولا تكسوهم من عُرْيٍ، أو تُنجدهم من ظلم أو جَور.

والمستفيد من تلك الإثارة، هم الحكّام المسيطرون، وهم ذلك اليوم بنوأُمية، الذين يحاولون وبشتّىٰ الأساليب إبادة الحضارة الإسلاميّة، في فكرها، وتُراثها، ورجالها، ومقدّساتها.

وهم الذين يسعون في إحياء الجاهليَّة، في وثنيّتها وصنميّتها، وعنصريتها، وعصبيّتها، وجهلها، وفسقها، وفجورها، وظلمها، وبذخها، وكفرها، وعتوّها.

فأيّة القضيّتين أولىٰ بالبحث عنها عند الإمام السجّاد عليه السلام، وأحقّ أن يُركّز عليها ويعارضها؟

هل هي ولاية بني أُمية؟

أو ولاية الشيخين؟

لقد كان ـ حقّاً ـ موقف الإمام السجّاد عليه السلام: شجاعاً، وصريحاً، ومدروساً:

كان عليه السلام شجاعاً:

أنْ يواجه، ويجابه الذين كان يعلم نيّاتهم الخبيثة، وأهدافهم الدنيئة، من جواسيس بني أُمية، وعيونهم، البرءآء من الإسلام، وكذلك في الإعلان عن خططهم وتدابيرهم الإجراميَّة.

فالذين لم يؤمنوا بأصل الإسلام، كيف يهتمّون بقضيّة الخلافة والخلفاء السابقين؟

وما هو هدفهم من هذه الإثارة؟

ولو صدقوا في أسئلتهم: فلماذا لا يهتمّون بما يجري على المسلمين في ولاية بني أُمية؟

وما لهم لا يتساءلون عن حقّ بني أُمية في الحكم الظالم؟

وهذا مثل ما تُثيره الأجهزة الاستعمارية، وأذنابهم النهضويّون والرجعيّون ـ في عصرنا الحاضر ـ من النزاعات المذهبيّة بين الطوائف الإسلاميّة الواعية، فإنّ كل مسلم عاقل يفطنُ إلىٰ أنّ إثارتهم هذه ليست لمصلحة الأمة الإسلامية، وإنّما هم يهدفون من وراءها إلىٰ ضرب القدرة الإسلامية العظيمة والصحوة الإسلامية

المتنامية، وتحطيم كيان الدين الإسلامي، المُرَكَّز في قلوب الأمة.

وكان الإمام السجّاد عليه السلام صريحاً:

في إعراضه عن تفصيل القضيّة، حيث يجرّ الىٰ ما يريده الأعداء، بل صَرَف الأنظار إلىٰ ما هم مبتلون به من مشاكل ومآس، بالولاية الباطلة التي تخيّم عليهم بظلمها وجرائمها وحكّامها الجائرين!

وكان موقفه مدروساً:

إذ لم يُدلِ بتصريح يخالف الحقَّ أو ينافي الحقيقةَ، بل حافظ عليهما بقدرِ ما يخلّص الموقف من الحرج، ويخرج الإنسان المسؤول من المأزق.

وموقف مماثل مع أحد العلماء:

لكن الحديثَ يأخذ شكلاً آخر إذا كانت المُواجهة مع أحد الذين ينتمون إلى العلم، لأنّ التنبيه على الحقائق ـ حينئذٍ ـ يكون أوضح وأصرح وألزم! لكن مع الأخذ بنظر الاعتبار كلّ الملاحظات الحسّاسة التي يتحرّج الموقف بها، فاقرأ معي هذا الحديث:

عن حكيم بن جبير، قال: قلت لعليّ بن الحسين: أنتم تذكرون ـ أو تقولون ـ: إنّ علياً قال: «خير هذه الأمّة بعد نبيّها: أبوبكر، والثاني عمر، وإن شئت أنْ أُسمّي الثالث سمّيتُه»

فقال عليّ بن الحسين: فكيف أصنعُ بحديثٍ حدّثنيه سعيد بن المسيّب عن سعد بن مالك [ابن أبي وقّاص] أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج في غزوة تبوك فخلّف عليّاً، فقال له: أتخلّفني؟

فقال: «أما ترضىٰ أنْ تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ؟ إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»

قال: ثم ضرب علي بن الحسين علىٰ فخذي ضربةً أوجعنيها، ثم قال: فَمَنْ هذا هو من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسىٰ؟[1].

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ج ١ ص ٥٢١ ح ٤٥١ وح ٤٦١ ص ٥٢٨.

وفي نصّ آخر: **فهل كان في بني إسرائيل بعد موسىٰ مثل هارون؟ فأين يُذْهَبُ بك يا حُكيم؟**(١)

في الوقت الذي لا يواجه الإمام حكيم بن جبير بتكذيب ما نسب إلى الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام من إعلانه أمام الأمّة من أنّ خيرهم أبوبكر ثم عمر ثم الثالث؟

فإن هذا المنسوب إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام -وإنْ لم يصّح- فهو مشهور بين الناس، بقطع النظر عن أن الإمام إنّما أعلن عمّا عند الناس من التفضيل للشيوخ، بعد أن صار أمراً مفروضاً لايمكن مخالفته، فما فائدة إنكاره.

فإن أعاد أهل البيت عليهم السلام نفس الصيغة وتناقلوها فلا يدل على التزامٍ، لأنه تعبير عن مظلومية علي عليه السلام حيث لم يستطع أن يصرّحَ بخلاف ما عند العامّة الغوغاء. بل كان من أهدافه في الحفاظ علىٰ وحدة كلمة المجتمع الإسلامي وسلامته في حدوده الداخلية، بينما معاوية يهدّد أمن الدولة ويُثير الخلاف والشقاق.

لكن الإمام السجّاد عليه السلام في حديثه مع حكيم بن جبير اتّخذ أُسلوباً علميّاً فذكّره بمناقضة هذا المنقول -رغم شهرته- مع الحديث المتواتر المعلوم المتيقّن بصدوره، ومعناه، وأهدافه ومرماه، وهو حديث المنزلة أي قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: **«أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ، إلّا أنّه لا نبيّ بعدي»**(٢).

الذي لايمكن إنكار صدوره، ولا الاختلاف في معناه.

فإذا كان عليّ بهذه المنزلة من رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصره وبحضور كبار الصحابة، فهل يبقىٰ للحديث المنقول عن علي في تفضيل الشيوخ معنىً، غير الذي نقلناه؟

وإذا كان الفضل بعد رسول‌الله صلى الله عليه وآله وسلم بالترتيب المذكور عند الناس، فهل يكون لحديث المنزلة معنىً؟

مع أن التاريخ والقرآن لم يذكر في بني‌إسرائيل شخصاً أفضل من هارون بعد موسىٰ؟

---

(١) مناقب الكوفي (ج ١ ص ٥٢٢) ح (٤٥٣).

(٢) نقلنا أقوال العلماء بتواتر هذا الحديث الشريف، وذكرنا بعض مصادره في البحث الأوّل من التمهيد، فراجع (ص ١٨).

ثم ينبّه الإمام السجّاد عليه السلام حكيماً بِضربةٍ علىٰ فخذه، وينبّهه بالعتاب فيقول: فأين يُذهَب بك يا حكيم؟

وهكذا كان السجّاد ـ رغم حصافة المواقف التي يتّخذها، والالتزام بالأهداف السامية في حفظ وحدة الكلمة ـ لا يترك الحقيقة مهملةً عندما كان يخاطب مَنْ يَفْهمُ، ويُدركُ، وينتبهُ!

وإنْ كان له مع الغوغاء غير المتفهّمين، لأهداف الأئمة والإمامة، تعاملاً آخر يناسب حالهم، ويخاطبهم علىٰ قدر عقولهم.

والصلاة مع المخالفين:

وللإمام السجّاد عليه السلام موقف حازمٌ مماثل من الدعايات المغرضة، التي كان يبثّها دعاة الضلال ضدّ شيعة أهل البيت عليهم السلام، وهو ما جاء في الحديث التالي:

قال محمّد بن الفُرات: صلّيتُ إلىٰ جنب عليّ بن الحسين يوم الجمعة، فسمعتُ ناساً يتكلّمون في الصلاة!

فقال عليه السلام: ما هذا؟

فقلتُ: شيعتكم! لا يرون الصلاة خَلفَ بني أُمية!

قال عليه السلام: هذا ـ والذي لا إله إلاّ هو ـ بِدعٌ، فمن قرأ القرآن، واستقبل القبلة فصلّوا خلفه، فإن يكن محسناً فله حسنته، وإن يكن مُسيئاً فعليه[1].

فالمسلم الشيعيّ يقتدي بإمامه، فإذا كان أولئك شيعةً لأهل البيت عليهم السلام حقيقةً، وكانوا يرون الإمام السجّاد عليه السلام وهو زعيم أهل البيت عليهم السلام في عصره، ها هو واقف في الصفّ يؤدّي الصلاة مع جماعة الناس، فما بالُهم يَلغَطون، ليعرّفوا أنفسهم أنّهم لا يصلّون مع الجماعة!؟

ولماذا يعرّفون أنفسهم بأنّهم شيعة لأهل البيت، وهم يقومون بمثل هذا التحدّي السافر!؟

وإلّا، كيف عرفهم الناسُ بأنّهم شيعة؟!

(١) تاريخ دمشق (الحديث ١١٠) ومختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (١٧ : ٢٤٣).

إنّ القرائن واضحة، تعطي أنّ أولئك لم يكونوا من الشيعة، بل من المندسّين لتشويه سمعة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، لاتّهام أئمة أهل البيت والشيعة المؤمنين، بمخالفة الجماعة.

ولذلك، تدارك الإمام عليه السلام الموقف، وأفتاهم أوّلاً بما يلتزم به العامّة من الصلاة خَلف كلّ بَرّ وفاجر.

ولم يُدلِ بتفصيل حكم المسألة الفقهيّة في مذهب أهل البيت عليهم السلام، وهو أنّ المؤمن إذا حضر صلاة الجماعة، ولابدّ أن يحضر، لأنّه لايمكنه الانعزال بل هو أولىٰ بالمسجد من غيره[1]، فعليه أن يقتدي بإمام الصلاة، ويصلّي بصلاته، وفي بعض النصوص: إنها أفضل الركعات[2] بل في بعضها: «أن الصلاة معهم كالصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[3] حيثُ تعطي روعة الوحدة التي كان عليها المسلمون في عهده الأزهر.

وإذا لم يحضر المؤمنُ صلاة الجماعة، فليصلّ منفرداً في بيته[4].

وأمّا أن يحضر الصلاة، ولا يصلّي مع الجماعة، أو يلغَط ويتكلّم فيشوّش على الآخرين أيضاً، فهذا حرامٌ قطعاً، فكيفَ يقوم بذلك مَن يدّعي الانتماء الى التشيّع، ويلتزم بإمامة الإمام زين العابدين عليه السلام ؟! وهو يقوم بهذا العمل المخالف لفقه الأئمة.

فهذا في نفس الوقت تشهير بهم، وتحريض للعامة ضدّهم، بجرحِ عواطفهم!

إنّ مثل هذا العمل الاستفزازيّ لا يصدر من عاقل يُريد مصلحة نفسه، أو مصلحة إمامه، أو مصلحة مذهبه.

مع مخالفته للإمام عليه السلام الذي هو واقف في صفّ الجماعة، ويصرّح بذلك التصريح، ومخالفته لفقه أهل البيت وتعليماتهم ومواقفهم العملية في الحضور في الجماعات وأداء الصلوات معها!!

---

(١) كما في نصّ الحديث لاحظ وسائل الشيعة (٨ / ٣٠٠) الباب (٥) من أبواب صلاة الجماعة كتاب الصلاة تسلسل (١٠٧٢٢).

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصلاة، أبواب الجماعة، الباب (٣٤) تسلسل (١٠٩٢٥).

(٣) المصدر السابق (٨ / ٢٩٩) تسلسل (١٠٧١٧) و(١٠٧٢٠) و(١٠٧٢٣).

(٤) المصدر نفسه، تسلسل (١٠٧٣٣).

ثالثاً: في الشريعة والأحكام

يتميَّز الإمام في نظر الشيعة، بأنَّه ليس وليّاً للأمر، وحاكماً على البلاد والعباد فحسب، بل هو مَصدرٌ لتشريع الأحكام أيضاً، باعتبار معرفته التامَّة بالشريعة وارتباطه الوثيق بمصادرها.

والانحراف الذي حصل عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام لم يكن في جانب حكمهم وولايتهم فقط، بل الأضرّ من ذلك هو الانحراف عن أحكام الشريعة التي كانوا يحملونها!

والحكّام الذين استولوا علىٰ أريكة الخلافة بأشكال من التدابير السياسيّة حتّىٰ بلغ أمرها أن صارت «ملكاً عضوضاً» كانوا يُدركون أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام هم أولىٰ منهم في كلا جانبي الحكم والولاية، وكذلك في جانب الفقه والعِلم بالشريعة.

وكما أزْوَوا أئمّة أهل البيت عن الحُكم والولاية على الناس، حاولوا أيضاً ـ إزواءهم عن الفقه وإبعاد الناس عنهم، وذلك باختلاق مذاهب فقهيّة روّجوها بينَ الناس، وعارضوا الأحكام التي صدرت من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، وحاربوا فقهاءهم بشتّى الأساليب، فكان من أعظم اهتمامات الأئمّة وأتباعهم هو إرشاد الناس إلىٰ هذا المعين الصافي للشريعة الإسلاميّة كي ينتهلوا منه.

وقد كان اهتمام الإمام السجّاد عليه السلام بليغاً بهذا الأمر، حيث كان يعيش بدايات الانحراف!

ولقد دعا الإمام عليه السلام إلىٰ فقه أهل البيت عليهم السلام لكونه أصفىٰ المناهل وأعذبها، وأقربها من معين القرآن الكريم، وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم «فأهل البيت أدرىٰ بما في البيت».

فني كلام له يشرح اختلاف الأُمَّة، يقول:

وكيف بهم؟

وقد خالفوا الآمرين، وسبقهم زمان الهادين، ووُكّلوا إلىٰ أنفسهم، يتنسّكون في الضلالات في دياجير الظلمات

رقد انتحلت طوائف من هذه الأمة مفارقة أئمّة الدين والشجرة النبويّة أخلاص الديانة ، وأخذوا أنفسهم في مخاتل الرهبانيّة ، وتغالوا في العلوم ، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاته ، وتحلّوا بأحسن السنّة ، حتىٰ إذا طال عليهم الأمد ، وبَعُدَتْ عليهم الشُقّةُ ، وامتُحِنوا بمحن الصادقين : رجعوا علىٰ أعقابهم ناكصين عن سبيل الهُدىٰ ، وعلم النجاة .

وذهب آخرون الى التقصير في أمرنا ، واحتجّوا بمتشابه القرآن ، فتأوّلوه بآرائهم ، واتّهموا مأثور الخبر ممّا استحسنوا ، يقتحمون أغمار الشبهات ، ودياجير الظلمات ، بغير قَبَسٍ نور من الكتاب ، ولا أثرةِ علم من مظانّ العلم ، زعموا أنهم على الرشد من غيّهم .

وإلىٰ مَن يفزعُ خَلَفُ هذه الأمة ؟!

وقد درست أعلام الملّة والدين بالفُرقة والاختلاف ، يكفّر بعضهم بعضاً ، والله تعالىٰ يقول : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البيّنات ﴾ [(سورة البقرة (٢) الآية (٢١٣)] .

فَمن الموثوق به علىٰ إبلاغ الحجّة ؟ وتأويل الحكمة ؟ إلّا إلىٰ أهل الكتاب ، وأبناء أئمة الهدىٰ ، ومصابيح الدجىٰ ، الذين احتجَ الله بهم علىٰ عباده ، ولم يدع الخلقَ سُدىٰ من غير حجّة .

هل تعرفونهم ؟

أو تجدونهم إلّا من فروع الشجرة المباركة ، وبقايا صفوة الذين أذهب الله عنهم الرجَس ، وطهّرهم تطهيراً ، وبرّأهم من الآفات ، وافترض مودّتهم في الكتاب [١] .

وقال عليه السلام لرجل شاجره في مسألة شرعيّة فقهيّة :

يا هذا !

لو صرت إلىٰ منازلنا ، لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا ، أيكونُ أحدٌ أعلم بالسنّة منّا ؟ [٢] .

وقال لرجل من أهل العراق :

---

(١) كشف الغمة للاربلي (٢ : ٩٨ ـ ٩٩) وانظر جامع أحاديث الشيعة للبروجردي (١ : ٤٠) الإمام زين العابدين للمقرّم (ص ٢٤٢) .

(٢) نزهة الناظر ، للحلواني (ص ٤٥) .

أما لو كنت عندنا بالمدينة لأريناك مواطن جبرئيل من دورنا، استقانا الناسُ العلمَ، فتراهم علموا وجهلنا؟(١).

ولنفس الهدف السامي، قاوم الإمام السجّاد عليه‌السلام الانحراف الفقهي الذي مُنِيَتْ به الأُمّة، بالتزام الشريعة وأخذها من أناس تعلّموا الفقه من طرق لا تتصل بمنابع الوحي الثرّة الصافية المأمونة.

فيقول عليه‌السلام: **إنّ دين الله لايُصاب بالعقول الناقصة، والآراء الباطلة، والمقاييس الفاسدة، لا يُصابُ إلّا بالتسليم.**

فمن سلَّمَ لنا سَلِمَ، ومَن اقتدىٰ بنا هُدِيَ، ومَن كان يعملُ بالقياس والرأي هَلَكَ، ومَن وَجَدَ في نفسه ـ مما نقوله، أو نقضي به ـ حرجاً، كَفَرَ بالذي أنزل السبع المثاني والقرآن العظيم، وهو لا يعلم(٢).

وهكذا كان شديد النكير علىٰ تلك البوادر المضلّلة، وحارب بدعة تقليد غير أهل البيت عليهم‌السلام من المذاهب المنسوبة إلى البعداء عن ينابيعه نسبيّاً وحتّىٰ سببيّاً، أولئك الذين روّجت الحكومات والدول الظالمة فقههم، لأنهم كانوا مسالمين لهم، ومنضوين تحت ضلالهم، من المتّكئين علىٰ آرائك الخلافة المزعومة.

وهذا الذي حذّر الرسول الأكرم منه في أحاديث مستفيضة، أوردنا نصوصها في كتاب «تدوين السنة الشريفة» وتحدّثنا عن دلالتها(٣).

وقد تمكّن الإمام زين العابدين عليه‌السلام من توضيح معالم فقه أهل البيت عليهم‌السلام وإرساء قواعده، وإغناء معارفه، وتزويد طلّابه وتربيتهم، حتّىٰ أقرّ كبارُ العلماء بأنّه «الأفقه» من الجميع، وفيهم عدّة من فقهاء البلاط ووعّاظ السلاطين:

قال أبوحازم: ما رأيت هاشميّاً أفضل من علي بن الحسين، وما رأيتُ أحداً كان أفقهَ منه(٤).

---

(١) بصائر الدرجات، للصفار (ص ٣٢).

(٢) إكمال الدين (ص ٣٢٤ ب ٣١ ح ٩).

(٣) لاحظ الصفحات (٣٥٢ ـ ٣٥٩) و (٤٢٥) من: تدوين السنة الشريفة.

(٤) تاريخ دمشق الحديث (٤٥) مختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٤٠) وسير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٤)

ومثله قال الزهري محمد بن مسلم بن شهاب[١].

وقال الشافعي ـ إمام المذهب ـ : إن علي بن الحسين أفقه أهل البيت[٢].

وإذا لم يكن للحكّام المسيطرين، باسم الخلافة الإسلامية، نصيب من علم الشريعة وفقه الدين، بل كانت أعمالهم مخالفة لأحكام الله وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله!

وإذا كان فقهاء البلاط، وأصحاب المذاهب، يفخرون بالتلمُّذ عند علماء أهل البيت عليهم السلام[٣].

فإن إعلان الإمام السجاد عليه السلام عن حقيقة مذهب أهل البيت الفقهي وتبيين موقعيّته المتقدّمة علىٰ جميع المذاهب الفقهيّة، والدعوة إلى الالتزام به، هو نسفٌ عمليٌّ لقواعد الخلافة المزعومة التي كان المتّكيء علىٰ أريكتها من أجهل الناس بالفقه، وكل الناس أفقه منه حتّى المخدّرات في الحجال!

وكذلك هو تقويضٌ لأعمدة التزوير التي رفعت فساطيط المذاهب الرسميّة المدعومة من قبل دار الخلافة، والتي تبعها الهمج الرعاع من العوام أتباع كلّ ناعق!

وكشف الغمة (٢ : ٨٠).

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٣٧) وسير أعلام النبلاء (٤ : ٣٨٩) وصفوة الصفوة (٢ : ٩٩).

(٢) رسائل الجاحظ (ص ١٠٦) وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٥ : ٢٧٤) عن الرسالة للشافعي ـ في خبر الواحد ـ.

(٣) كان أبوحنيفة ـ إمام المذهب ـ يقول: «لولا العامان لهلك النعمان» يشير إلى العامين اللذين حضر فيهما عند الإمام الصادق عليه السلام، وكان قبل ذلك قد أخذ من الإمام الباقر عليه السلام وأخيه زيد الشهيد. انظر الإمام جعفر الصادق، للجندي (ص ١٦٢) والنظم الإسلامية، لصبحي الصالح (ص ٢٠٩) وموقف الخلفاء العباسيين لعبد الحسين علي أحمد (ص ٣٧) ـ ولاحظ شرح نهج البلاغة، لابن أبي‌الحديد (١٥ : ٢٧٤) وموقف الخلفاء (ص ٣١) عن الشكعة في الأئمة الأربعة (ص ٥٢) وعن أبي‌زهرة في: أبوحنيفة (٧٢).

وأخيراً: في إعمار الكعبة المعظّمة

وللإمام موقف عظيم يدلّ على المراقبة التامّة لما يجري، مع التصدّي لاعتداءات الحكّام الظلمة على الرموز الأساسية للدين، وهو: موقفه من إعادة تعمير الكعبة، في ما رواه الكليني والصدوق، بسندهما عن أبان بن تغلب، قال: لما هَدم الحجّاج الكعبة، فرّق الناسُ ترابها، فلمّا جاءوا إلىٰ بنائها وأرادوا أن يبنوها، خرجتْ عليهم حيّةٌ، فمنعتْ الناسَ البناء حتّى انهزموا. فأتوا الحجّاج، فأخبروه، فخاف أن يكون قد مُنع بناءَها، فصعد المنبر، وقال: أُنشد الله عَبْداً عنده خبرُ ما ابتُلينا به، لما أخبرنا به.

قال: فقام شيخ فقال: إن يكن عندَ أحَدٍ علم، فعند رجُلٍ رأيته جاء الى الكعبة، وأخذ مقدارها، ثم مضىٰ.

فقال الحجّاج: مَنْ هو؟

قال: عليّ بن الحسين.

قال: مَعْدِنُ ذلك، فبعثَ إلىٰ علي بن الحسين، فأخبره بما كان من منع الله إيّاه البناء.

فقال له علي بن الحسين:

يا حجّاج! عمدتَ الىٰ بناء إبراهيم، وإسماعيل عليهما السلام وألْقيتَه في الطريق وانتهبه الناسُ، كأنك ترىٰ أنه تُراثٌ لك.

إصعد المنبر، فأنشد الناسَ أنْ لا يبقىٰ أحدٌ منهم أخذ منه شيئاً إلّا ردّه.

قال: ففعل، فردّوه، فلمّا رأىٰ جميع التراب، أتىٰ علي بن الحسين فوضع الأساس، وأمرهم أن يحفروا.

قال: فتغيّبت عنهم الحيّة، وحفروا حتّى انتهىٰ إلىٰ موضع القواعد.

فقال لهم علي بن الحسين: تنحَّوْا، فتنَحَّوْا، فدنا منها فغطّاها بثوبه، ثم بكىٰ، ثم غطّاها بالتراب، ثم دعا الفعلة، فقال: ضَعُوا بناءكم.

فوضعوا البناء، فلمّا ارتفعت حيطانه، أمر بالتراب فأُلقي في جوفه.

فلذلك صار البيت مرتفعاً يُصْعَدُ إليه بالدرج[١].

فالمراقبة واضحة في أخذ الإمام «مقادير الكعبة» لئلاّ تضيع المعالم الأثريّة لأكبر محورٍ لرحى الدين، وهي الكعبة الشريفة.

وإذا كانت تلك المراقبة تتمّ في ظرف ولاية مثل الحجّاج الملحد السفّاح الناصب لآل محمد العداء المعْلَن، فلن تخفىٰ أهميّتها، ودلالتها القاطعة على التحدّي.

ومواجهة الحجّاج بمثل ذلك الكلام «كأنّك ترىٰ أنه تراث لك!» تصّدٍ لانتهاك لحرمة الكَعْبة المعظّمة، والتلاعب بها حسب رغباته الخاصة.

وأهم ما في الأمر جرّ الحجّاج الى التصريح بأن الإمام «هوَ مَعْدِن ذلك» وهي شهادة لها وقعها في الإلزام والإبكات للخصم اللدود.

وأخيراً: نزول الإمام عليه السلام الى القواعد ـ وَحْدَه ـ وربطه لنفسه بها بذلك الشكل أمام أعين الناظرين، إثبات لحقّه في إقامتها دون غيره.

وهل كلّ ذلك يتهيّأ إلّا من التدبير العميق، والتخطيط الدقيق، ممّن يحمل هدفاً سامياً في قلب شُجاع، لا يملكه في تلك الظروف الحرجة، شخص غير الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام.

---

(١) نقله ابن شهرآشوب في المناقب (٤ / ١٥٢) ط الأضواء، عن الكافي وعلل الشرائع للصدوق.

الفَصْلُ الثالِث

النِضَالُ الاجتماعيّ والعَمَلِيّ

أولاً : في مجال الأخلاق والتربية

ثانياً : في مجال الإصلاح وشؤون الدولة

ثالثاً : في مجال مقاومة الفساد

وأخيراً : مع كتاب « رسالة الحقوق »

إنّ من أهمّ أهداف الرجال الإلهيين إصلاح المجتمع البشريّ، بتربيته على التعاليم الإلهية. ولابدّ للمصلح أن يمرّ بمراحل من العمل الجادّ والمضني في هذا الطريق الشائك:

١ـ أنْ يربّي جيلا من المؤمنين على التعاليم الحقّة التي جاء بها، والأخلاق القيّمة التي تخلّق بها، لكي يكونوا له أعواناً على الخير.

٢ـ أن يدخل المجتمع بكلّ ثقله، ويحضر بين الناس، ويواجه الظالمين والطغاة بتعاليمه، ويبلّغهم رسالات الله.

٣ـ أن يقاوم الفساد، الذي يبثّه الظالمون في المجتمع، بهدف تفكيكه وشلّ قواه، وتفريغه من المعنويات، وإبعاده عن فطرته السليمة المعتمدة على الحقّ والخير والجمال، لئلّا يصنعوا منه آلةً طيّعةً تُستخدم حسب رغباتهم وطوع إرادتهم.

وقد كان للإمام زين العابدين نشاط واسع في كلّ هذه المجالات، حتّىٰ عُدَّ ـ بحقّ وجدارة ـ في صدر المصلحين الإلهيّين، بالرغم من تميّز عصره بتحكّم طغاة بني أُميَّة على الأمّة، وعلىٰ مقدّراتها وباسم الخلافة الإسلامية، التي تقتل مَنْ يعارضها وتهدر دمه بعنوان الخروج على الإسلام.

إنّ مقاومة الإمام زين العابدين عليه السلام في مثل هذا الظرف، بل وتمرير خططه، وإنجاح مهمّاته وأهدافه، مع قلّة الأعوان والأنصار، يعدُّ معجزةً سياسية تحقّقت علىٰ يد هذا الإمام العظيم، الذي سار علىٰ خطىٰ جدّه الرسول الأعظم، في خلقه العظيم.

وقد عقدنا هذا الفصل الثالث للوقوف علىٰ أوجه نشاطه العملي في تلك المجالات الاجتماعية:

أوّلاً: في مجال الأخلاق والتربية

ضرب الإمام زين العابدين أروع الأمثلة في تجسيد الخلق المحمّدي العظيم في التزاماته الخاصة، وفي سيرته مع الناس، بل مع كلّ ما حوله من الموجودات.

فكانت تتبلور فيه شخصيّة القائد الإسلامي المحنّك الذي جمع بين القابليّة العلميّة الراقية، والفضل والشرف السامق، والقدرة علىٰ جذب القلوب وامتلاكها، ومواجهة المشاكل والوقوف لصدّها بكلّ صبر وتوءدّةٍ وهدوء.

فالصبر الذي تحلّىٰ به، بتحمّله ما جرىٰ عليه في كربلاء، وفي الأسر، ممّا لا يحتاج إلىٰ برهان وذكر.

ومثابرته ومداومته على العمل الإسلامي، بارزة للعيان، وهذا الفصل يُمثّل جزءاً من نشاطه السياسيّ والاجتماعيّ الجادّ.

وحديث مواساته للإخوان، والفقراء والمساكين والأرامل والأيتام، بالبذل والعطاء والإنفاق، مما اشتهر عند الخاص والعام، وسيأتي الكلام حول ذلك كله.

وحُنُوّه وحنانه على الرقيق، وعلى الأقارب والأباعد، بل علىٰ أعدائه وخصومه، مما سارت به الركبان.

وأخبار عبادته وخوفه من الله وإعلانه ذلك في كلّ مناسبة، ملأت الصحف، حتّىٰ خصّ بلقب «زين العابدين، وسيّد الساجدين».

ومن أمثلة خلقه الرائع: العفو:

وقد تناقل المؤلّفون حديث هشام بن إسماعيل الذي كان أميراً علىٰ مدينة الرسول صلّى الله عليه وآله، للامويّين، فعزلوه، وقد كان منه أو بعض أهله شيء يُكره، تجاه الإمام زين العابدين عليه السلام، أيام كان أميراً، فلمّا عُزل أُوقف للناس، فكان لا يخاف إلّا من الإمام أن يؤاخذه علىٰ ما كان منه.

فمرّ به الإمام، وأرسل إليه: **«استعن بنا علىٰ ما شئتَ»**.

فقال هشام: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [سورة الأنعام (٦) الآية (١٢٤)][١].

وبهذا، تمكّن الإمام من جذب قلوب الناس، حتّىٰ ألدّ الأعداء، فكان سبباً لانفتاح الجميع علىٰ أهل البيت عليهم السلام ومذهبهم، بعد أنْ انغلقوا عنهم، واعتزلوهم بعد وقعة كربلاء.

ولقد ظهرت ثمرة تلك الأخلاق والجهود، في يوم وفاة الإمام عليه السلام، فقد خرج الناس كلّهم، فلم يبق رجل ولا امرأة إلّا خرج لجنازته بالبكاء والعويل، وكان كيوم مات فيه رسول الله[٢].

وكان من أطيب ثمرات هذه الجهود أن مهّدت الأرضيّة للإمام محمد بن علي، الباقر عليه السلام كي يتسنّم مقام الإمامة بعد أبيه زين العابدين، ويقوم بتعليم الناس معالم دينهم، وتتكوّن المدرسة الفقهيّة الشيعيّة علىٰ أوسع مدىٰ وأكمل شكل وأتقنه.

ومن أبرز الجهود التي بذلها الإمام زين العابدين عليه السلام في تحرّكه القياديّ هو ما قام به من جمع صفوف المؤمنين، والتركيز علىٰ تربيتهم روحيّاً، وتعليمهم الإسلام، وإطْلاعهم علىٰ أنقىٰ المصادر الموثوقة للفكر الإسلامي، ومن خلال روافده الثرّة الغنيّة، بهدف وصل الحلقات، كي لا تنقطع سلسلة عقد الإيمان، ولا تنفرط أُسس العقيدة.

وبهدف تحصين العقول والنفوس من الانحرافات التي يثيرها علماء السوء الذين كانوا يبعدون الناس عن الإسلام الحقّ، ويكدّرون ينابيعه وروافده بالشبه والأباطيل.

وتعدّ هذه البادرة من أهم معالم الحركة عند الإمام زين العابدين، وأعمقها أثراً وخلوداً في مقاومة الدولة الحاكمة، التي استهدفت كل معالم الإسلام، بغرض القضاء عليه، وإبادته، والعودة بالأمة الى الجاهلية الأولىٰ بوثنيّتها، وفسادها، وجهلها.

---

(١) تاريخ دمشق الحديث (١١١) ومختصره لابن منظور (١٧ : ٢٤٣) وانظر صوراً أخرىٰ للقصة في بحار الأنوار (٤٦ : ٩٤ و ١٦٧) وشرح الأخبار، للقاضي (٣ : ٢٦٠) وكشف الغمة (٢ : ١٠٠) وتاريخ الطبري (٥ : ٢١٦) وتاريخ اليعقوبي (٢ : ٢٨٠ و ٢٨٣).

(٢) الإمام زين العابدين، للمقرم (ص ٤١٢).

فراح الإمام يدعو الأمة الى التفكير والتدّبر:

فمن أقواله عليه السلام: الفكرة مرآةٌ تري المؤمن حسناته وسيئاته (١).

ويدعو الى العلم والفضل والحكمة:

فقال عليه السلام: سادة الناس في الدنيا: الأسخياء، وفي الآخرة: أهل الدين، وأهل الفضل، والعلم، لأنّ العلماء ورثة الأنبياء (٢).

وقال عليه السلام: لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوهُ ولو بسفك المُهَج وخوض اللُجَج.

إن الله أوحىٰ إلىٰ دانيال: إنّ أمقت عبيدي إليّ الجاهل، المستخفّ بحقّ أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وإنّ أحبَّ عبيدي إليّ التقيُّ، الطالب للثواب الجزيل، الملازم للعلماء، التابع للحكماء (٣).

وكان عليه السلام يحثّ الأمة ـ والشباب منهم خاصة ـ علىٰ طلب العلم، فكان إذا نظر إلى الشباب الذين يطلبون العلم أدناهم اليه، فقال: مرحباً بكم، أنتم ودائع العلم، أنتم صغار قوم يوشك أن تكونوا كبار آخرين (٤).

وكان إذا جاءه طالب علم قال: مرحباً بوصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (٥).

ويدعو الأمة إلى المراقبة الذاتيّة لنفسها، لتتحصّن من اجتياح وسائل التزوير والخداع، ونفوذ نفثات الشياطين.

فيقول عليه السلام: ليس لك أن تقعد مع مَنْ شئت، لأنّ الله تعالىٰ يقول في الأنعام [الآية: ٦٨]: ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتّىٰ يخوضوا في حديثٍ غيره، وإمّا يُنْسِيَنّكَ الشيطان فلا تقعد بعد الذكرىٰ مع القوم الظالمين ﴾.

وليس لك أن تتكلّم بما شئت، لأنّ الله يقول في الإسراء [الآية: ٣٦]: ﴿ ولا تقفُ ما

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ١٣٨) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٥٤).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٨٥) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٣٩).

(٣) الوافي، للفيض الكاشاني (١: ٤٢).

(٤) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (ص ١٧١). عن الأنوار البهية، للقمي.

(٥) الخصال، للصدوق (ص ٥١٧).

ليس لك به علمٌ﴾ وقال رسول‌الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله عبداً قال خيراً فغنمَ، أو صمَتَ فسلِمَ».

وليس لك أن تسمع ما شئت، لأنَّ الله يقول: [الإسراء: ٣٦]: ﴿إنّ السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أُولئكَ كان عنه مسؤولاً﴾ (١).

وبهذا يحذّر الإمام عليه السلام الأمة من الجلوس مع المزوّرين والظالمين، ومن التحدّث والكلام معهم، أو صرف العمر معهم في حديث الجهالات والخرافات، وما لا يزيد الإنسان معرفةً بحياته أو قوّةً وتركيزاً في عقيدته وإيمانه، أو تعديلاً في سلوكه وأخلاقه. بل لا تعدو لغو السَمر، والشِعر الساقط، وأحاديث الفكاهة والمجون، التي كان يروّجها السلاطين وأمراء السوء.

وهو عليه السلام في الوقت نفسه يُحيي بهذا الاسلوب سنن الاستدلال بآيات القرآن الكريم، والاعتماد عليه وعلىٰ سنة رسول‌الله صلى الله عليه وآله اللذين دأب الظالمون علىٰ إبعاد الأمة عنهما، وإماتتهما، وإبادتهما بالإحراق بالنار، والإماثة في الماء، والدفن تحت الأرض، ومنع التدوين.

كما حذّر الأمة من الارتباط بمن لا يدعو إلى الله والحقّ، ومن الاستماع إليهم، وهم دعاة السوء، وأدعياء العلم، من علماء البلاط، الذين ركنوا إلى الظالمين وآزروهم.

وقد كان عليه السلام يدأبُ علىٰ تربية الأمة وتهذيبها، وتقديم الإرشادات إليها، وتجلّىٰ ذلك في وصاياه المأثورة التي جمعت بين معالم الهداية والحكمة، ووسائل الحذر والوقاية، وبثّ الأمل والقوة، وبعث النشاط والهمّة في نفوس أصحابه:

ففي رسالته إليهم يقول عليه السلام:

بِسْمِ اللهِ الرَحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين، وبغي الحاسدين، وبطَش الجبّارين.

أيّها المؤمنون، لا يفتنكم الطواغيتُ وأتباعهم من أهل الرغبة في هذه الدنيا، المائلون إليها، المفتنون بها، المقبلون عليها، وعلىٰ حطامها الهامد، وهشيمها البائد غداً.

---

(١) علل الشرائع، للصدوق (ص ٥ ـ ٦٠٦) الحديث (٨٠) وانظر بحار الأنوار (١: ١٠١) طبع الحجر.

فاحذروا ما حذّركم الله منها، وازهدوا في ما زهّدكم الله فيه منها.

ولا تركنوا إلىٰ ما في هذه الأمور رُكون من اتخذها دار قرارٍ ومنزل استيطان.

والله! إنّ لكم مما فيها لدليلاً، وتنبيهاً، من تصرّف أيّامها، وتغيّر انقلابها ومَـثُلاتها، وتلاعبها بأهلها، إنّها لترفع الخميل، وتضع الشريف، وتورد أقواماً إلى النار غداً، ففي هذا معتبر ومختبر وزاجر لمنتبهٍ.

إنّ الأمور الواردة عليكم في كل يومٍ وليلة من مضلاّت الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسوسة الشيطان، لتثبّط القلوب عن تنبّهها، وتذهلها عن موجود الهدىٰ، ومعرفة أهل الحقّ إلّا قليلاً ممن عـصم الله، فـليس يـعرف تصرّف أيّامها وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها إلّا من عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان علىٰ ذلك بالزهد، فكرّر الفكر، واتّعظ بالعبر فـازدجر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافىٰ عن لذّاتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعىٰ لهـا سعيها، وراقب الموت، وشنأ الحياة مع القوم الظالمين، ونظر إلىٰ ما في الدنيا بعين نـيّرة حديدة النظر، وأبصر حوادث الفتن، وضلال البدع، وجور الملوك الظلمة.

فقد ـ لعمري ـ استدبرتم الأمور الماضية في الأيام الخـالية مـن الفـتن المـتراكـمة، والانهماك فيها، ما تستدلّون به علىٰ تجنّب الغواة وأهل البـدع، والبـغي، والفسـاد في الأرض، بغير الحقّ.

فاستعينوا بالله، وارجعوا إلىٰ طاعة الله، وطاعة مَنْ هو أولىٰ بالطاعة ممّن اتّبع فأطيع.

فالحذرَ، الحذرَ، من قبل الندامة والحسرة والقدوم على الله، والوقوف بين يديه.

وتالله! ما صدر قوم قطّ عن معصية الله إلّا إلىٰ عذابه، وما آثر قوم ـ قطّ ـ الدنيا على الآخرة، إلّا ساء منقلبهم، وساء مصيرهم.

وما العلم بالله والعمل بطاعته إلّا إلْفان مؤتلفان، فمن عرف الله خافه، وحثّه الخوف على العمل بطاعة الله.

وإنّ أرباب العلم وأتباعهم الذين عرفوا الله فعملوا له، ورغبوا إليه، فقد قال الله: ﴿ إنّما يخشىٰ اللهَ من عباده العلماءُ ﴾ [فاطر «٣٥» الآية: ٤].

فلا تلتمسوا شيئاً مما في هذه الدنيا بمعصية الله، واشتغلوا في هذه الدنيا بـطاعة الله،

واغتنموا أيّامها، واسعوا لما فيه نجاتكم من عذاب الله، فإن ذلك أقلّ للتبعة، وأدنىٰ من العذر، وأرجىٰ للنجاة.

فقدّموا أمر الله، وطاعة مَنْ أوجب الله طاعته، بين يدي الأمور كلها، ولا تقدّموا الأمور الواردة عليكم من الطواغيت، من زهرة الدنيا، بين يدي أمر الله وطاعته وطاعة أُولي الأمر منكم.

واعلموا انكم عبيد الله، ونحن معكم، يحكم علينا وعليكم سيّدٌ غداً، وهو مُوقفكم، ومسائلكم، فأعدّوا الجواب قبل الوقوف والمسألة والعرض علىٰ ربّ العالمين.

واعلموا أنّ الله لا يصدّق كاذباً، ولا يكذّب صادقاً، ولا يردّ عذر مستحقّ، ولا يعذر غير معذور، له الحجّة علىٰ خلقه بالرسل والأوصياء.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واستقبلوا في إصلاح أنفسكم طاعة الله، وطاعة مَنْ تولّونه فيها، لعلّ نادماً قد ندم في ما فرّط بالأمس في جنب الله، وضيّع من حقوق الله.

فاستغفروا الله، وتوبوا إليه، فإنه يقبل التوبة، ويعفو عن السيّئة، ويعلم ما تفعلون.

وإيّاكم، وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم.

واعلموا أنّه من خالف أولياء الله، ودان بغير دين الله، واستبدّ بأمره دون وليّ الله كان في نار تلهب، تأكل أبداناً قد غاب عنها أرواحها، وغلبت عليها شقوتها، فهم موتىٰ لايجدون حرَّ النار، ولو كانوا أحياءاً لوجدوا مضض حرِّ النار.

فاعتبروا يا أولي الأبصار واحمدوا الله علىٰ ما هداكم، واعلموا أنكم لا تخرجون من قدرة الله إلىٰ غير قدرته، وسيرى الله عملكم ورسوله، ثمّ إليه تحشرون.

وانتفعوا بالعظة.

وتأدّبوا بآداب الصالحين [١].

---

(١) الكافي (٨: ١٤ ـ ١٧) الأمالي للمفيد (ص ٢٠٠ ـ ٢٠٤) وفيه: قال أبوحمزة الثمالي ـ راوي هذا الكتاب: «قرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين عليه السلام، فكتبت ما فيها، وأتيته به، فعرضته عليه فعرفه وصحّحه» وأمالي الطوسي (١: ٤ ـ ١٢٧) ورواه في تحف العقول (٢٥٢ ـ ٢٥٥).

بهذا يحصّن الإمام عليه السلام أصحابه خاصّة والمسلمين عامة بالطاعة، والزهد، والورع عن المعاصي، والبعد عن بهجة الدنيا وعن مفاتن الحياة المادّية، التي يستخدمها الطواغيت، كمغرياتٍ لتحريف الأمة عن سنن الهدىٰ.

ويحاول الإمام عليه السلام أن يهوّن عليهم المصائب والأتعاب التي تواجههم علىٰ هذا الطريق الوعر.

ويؤكّد عليه السلام على التزامهم بالحقّ، واعتقادهم بولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام الذين فرض الله ولايتهم وأوجب طاعتهم.

ويبثُّ في نفوسهم روح المقاومة والصبر والصمود والمثابرة والجدّ، ويثير فيهم روح العمل والتحرّك والنشاط!

ويملؤهم بالأمل، والبُشرىٰ بالنجاح والفلاح، ويصلّي عليهم لتكون صلاته سكناً لهم.

فيقول في دعائه ليوم عرفة بعد الصلاة على الأئمة:

أللهمّ!

وصلّ علىٰ أوليائهم، المعترفين بمقامهم، المتّبعين منهجهم، المقتفين آثارهم، المستمسكين بعروتهم، المتمسكين بولايتهم، المؤتمّين بإمامتهم، المسلّمين لأمرهم، المجتهدين في طاعتهم، المنتظرين أيّامهم، المادّين إليهم أعينهم[١].

وبهذه القوة، ليصنع منهم جيلاً، متكتّلاً، متوثّباً، طموحاً، ثابت الجأش، قويّ العزيمة، متماسك الصفّ، متّحد الهدف.

وفي نصّ آخر، يحثّهم الإمام عليه السلام على المواساة والإحسان، والمنافسة فيقول:

شيعتنا!

أما الجنّة فلن تفوتكم، سريعاً كان أو بطيئاً، ولكن تنافسوا في الدرجات!

واعلموا أنّ أرفعكم درجات، وأحسنكم قصوراً، ودوراً، وأبنيةً: أحسنكم إيجاباً بإيجاب المؤمنين، وأكثركم مواساة لفقرائهم.

---

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء (٤٧) ليوم عرفة.

إنّ الله ليقرّب الواحد منكم إلى الجنّة بكلمة طيّبة يكلّم أخاه المؤمن الفقير، بأكثر من مسيرة ماءة عام بقدمه، وإن كان من المعذّبين بالنار.

فلا تحتقروا الإحسان إلىٰ إخوانكم، فسوف ينفعكم حيث لا يقوم مقام غيره [(١)].

وهو عليه‌السلام في الوقت الذي يجد من أنصار الحقّ تذمّراً، أو وهناً، او تألُّماً من مجاري الأحداث حولهم، يهبُّ لنجدتهم، وتقويتهم روحياً ومعنوياً، فيقول:

فما تمدّون أعينكم ؟

لقد كان مَنْ قبلكم، ممّن هو علىٰ ما أنتم عليه، يؤخذ فتقطع يده ورجله ويصلب !

ثم يتلو عليه‌السلام : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنّة ولمّا يأتكم مثل الذين خَلوا من قبلكم مسّتهم البأساء والضرّاء ... ﴾ [البقرة (٢): ٢١٤] [(٢)].

وبكل هذه الجهود والتحصينات والتعاليم المركّزة، تربّىٰ جيل صامد من المؤمنين، المتسلّحين بالإسلام، بعلومه وعقيدته وتقواه وإخلاصه، فأصبحوا أمثلة للشيعة، وقدوة صالحة للتعريف لمن يستحق هذا الاسم من المنتمين إلى التشيّع، من أمثال:

يحيىٰ بن اُمّ الطويل:

الذي عُدَّ من القلائل الذين بقوا ـ بعد كربلاء ـ علىٰ ولائهم واتصالهم بالإمام زين العابدين عليه‌السلام [(٣)]، بل هو من حوارييه [(٤)]، ومن أبوابه [(٥)].

وكان من المجاهرين بالحقّ، كان يقف بالكناسة في الكوفة، وينادي بأعلىٰ صوته:

معاشر أولياء الله !

إنا بُرءآءُ مما تسمعون.

مَنْ سبّ علياً عليه‌السلام فعليه لعنة الله.

ونحن برءآءُ من آل مروان وما يعبدون من دون الله.

ثم يخفض صوته فيقول: مَنْ سبّ أولياء الله فلا تقاعدوه، ومَنْ شكّ في ما نحن

---

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه‌السلام (ص ٥٠).

(٢) بحار الأنوار (٦٧ ـ ١٩٧).

(٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) (ص ١٢٣) رقم (١٩٤).

(٤) معجم رجال الحديث (٢٠ : ٤٢).

(٥) تاريخ أهل البيت عليهم‌السلام (ص ٤٨).

عليه فلا تفاتحوه، ومن احتاج إلىٰ مسألتكم من إخوانكم... فقد خنتموه [١].

وكان يدخل مسجد الرسول صلى الله عليه وآله -حيث يجتمع المشبّهة الملحدون- ويقول: كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء [٢].

وقد طلبه الحجّاج، وأمر بقطع يديه ورجليه، وقَتَله [٣].

وسعيد بن جُبَيْر: الذي مثّل به الحجّاج وقتله [٤] وكان قد خرج مع عبدالرحمن بن الأشعث، يحارب دولة بني اُميّة وكان يومئذٍ يقول: قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم، بنيّةٍ ويقين، علىٰ آثامهم قاتلوهم، وعلىٰ جورهم في الحكم، وتجبّرهم في الدين، واستذلالهم الضعفاء، وإماتتهم الصلاة [٥].

والذين اختفوا من جور بني اُميّة مثل سالم بن أبي‌حفصة، وسُليم بن قيس الهلالي، وعامر بن واثِلة الكناني، ومحمد بن جبير بن مطعم.

والذين هربوا فنجّاهم الله مثل أبي‌خالد الكابلي، وأبي حمزة الثمالي، وشعيب مولىٰ الإمام [٦].

وآل أعين الذين قال الحجّاج فيهم: «لايستقيم لنا الملك ومن آل أعين رجلٌ تحت حجر»، فاختفوا وتواروا [٧].

وفي طليعة من ربّاهم الإمام زين العابدين أبناؤه:

الإمام أبوجعفر محمد الباقر عليه السلام، الذي تحمّل الإمامة من بعده، وقاد الأُمّة إلى

---

(١) الكافي، الأصول (٢: ٢٨١) باب مجالسة أهل المعاصي (ح ١٦).

(٢) الاختصاص (ص ٦٤) ورواه الخصيبي في (الأبواب) بزيادة قوله: «حتّىٰ تؤمنوا بالله وحده» فلاحظ الباب (٥) ص (١٢٤: ألف).

(٣) رجال الكشي (ص ١٢٣) رقم (١٩٤).

(٤) انظر رجال الكشي (ص ١١٩) رقم (١٩٠) بحار الأنوار (٤٦: ١٣٦) ومروج الذهب (٣: ١٧٣) والامامة والسياسة (٢: ٥١) والاختصاص (ص ٢٠٥).

(٥) أيام العرب في الإسلام (ص ٤٧٨).

(٦) لاحظ تراجم هؤلاء في كتب رجال الحديث عند الشيعة الإمامية وغيرهم وانظر عوالم العلوم (ص ٢٧٩).

(٧) رسالة أبي‌غالب الزراري (ص ١٩٠) الفقرة (٤).

الهدىٰ والرشاد، وأسّس المدرسة الفقهيّة علىٰ قواعد الإسلام المتينة، ومصادره وأُصوله الرصينة، عندما بدأ الحكّام بترويج فقه وعّاظ السلاطين، فحفظ بذلك الشريعة المقدّسة من الزوال.

وابنه الحسين الأصغر، الذي روىٰ عن أبيه العلم، وكان مشاراً إليه في العبادة والصلاح[١].

وأخذ الحديث عن عمّته فاطمة بنت الحسين، وأخيه الإمام الباقر عليه السلام[٢].

وقال فيه الإمام الباقر عليه السلام: أمّا الحسين فحليم، يمشي على الأرض هوناً[٣].

وابنه العظيم المجاهد في سبيل الله زيد الشهيد عليه السلام الذي ضرب أروع الأمثلة في الإباء والحميّة، والفداء والتضحية.

وكان عين آخوته ـ بعد أبي جعفر عليه السلام ـ وأفضلهم، وكان عابداً ورعاً، فقيهاً، سخيّاً، شجاعاً، وظهر بالسيف، يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر، ويطلب بثارات الحسين عليه السلام[٤].

إن ثورة زيد بن علي عليه السلام كانت عظيمة من حيث توقيتها، وآثارها التي خلّفتها، لخدمة حقّ أهل البيت عليهم السلام، ونستعرض في ما يلي بعض ذلك:

١ـ إنّ هذه الحركة الشجاعة دلّت علىٰ أنّ البيت الذي يلد مثل زيد من الرجال، في البطولة والشهامة، والجرأة والإقدام، فضلاً عن العلم والعبادة والتقىٰ، لايُبنىٰ على التخاذل والمهادنة مع الظالمين، أو الابتعاد عن السياسة والتوجّس من العذاب، والهول من المصائب.

ولو كان لأحد أثر في تربية زيد الشهيد علىٰ كلّ تلك الصفات، فليس إلّا لأبيه الإمام الطاهر زين العابدين، وإلّا لأخيه الإمام الباقر عليهما السلام، اللّذين علّماه الإسلام بما فيه من تعاليم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرّساه التاريخ بما فيه

---

(١) الإرشاد للمفيد (ص ٢٦٩).

(٢) الإرشاد للمفيد (ص ٢٦٩).

(٣) حياة الإمام محمد الباقر (١:   ).

(٤) الإرشاد للمفيد (٢٦٨)

بطولات جدّه عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام وذكّراه بثارات جدّه الحسين عليه السلام، وزقّاه المجد والكرامة، ولقّناه الإباء والحريّة (١).

واستلهم -هو- من حياة أبيه وأخيه، وسيرتهم الحميدة والأصيلة، ونضالهم الصامت والناطق سنن التضحية والفداء، حتىٰ جعل في مقدمة أهداف ثورته العظيمة: الطلب بثارات الحسين عليه السلام في كربلاء (٢).

٢- إنّ ثورة زيد بن علي عليه السلام هي الثمرة اليانعة للجهود السياسية التي بذلها الإمام زين العابدين، طول فترة إمامته، فهو الذي تمكّن بتخطيطه الدقيق من استعادة القوىٰ، وتهيئة النفوس، لمثل حركة ابنه الشهيد، وإن صحّ التعبير فهو الذي جيّش لابنه زيد ذلك الجيش المسلّح، الذي فاجأ الظالمين، وزعزع ثقتهم بالحكم الظالم.

فلم يكن الجيش الذي كان مع زيد وليد ساعته، أو يومه، أو شهره، أو سنته، مع تلك المقاومة الباسلة التي أبداها أصحابه وأنصاره (٣).

٣- ويكفي زيد بن علي عليه السلام عظمةً أنه ضحّىٰ بنفسه في سبيل تعزيز مواقع الأئمة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام، فقد كشف للأمويين الطغاة، في فترة حساسة من تاريخ حكمهم، أنّ أهل البيت عليهم السلام لا يزالون موجودين في الساحة، ولديهم القدرة الكافية على التحرّك في أيّ موقع زمني، وأي موضع من البلاد، وهذا ما جعل الأمويين يهابون الأئمة عليهم السلام ويعدّونهم المعارضين الأقوياء، المدافعين عن هذا الدين، برغم جسامة التضحيات التي كانوا يقدّمونها، وأبان الشهيد زيد لكلّ الظالمين أنّ أهل البيت عليهم السلام لا يسكتون عمّن يعتدي علىٰ كرامة الإسلام، مهما كلّف الثمن.

وبهذا يفسّر قوله لابن أخيه الصادق جعفر بن محمد- لما أراد الخروج إلى الكوفة-: أو ما علمتَ يابن أخي أن قائمنا لقاعدنا، وقاعدنا لقائمنا، فإذا خرجتُ أنا وأنت، فمن يخلفنا في حرمنا؟ (٤)

---

(١) تعلم زيد على ابيه وعلىٰ أخيه الباقر عليهما السلام انظر: طبقات ابن سعد (٥: ٢٤٠) وتاريخ ابن عساكر (تهذيب بدران) (٦: ١٩) وانظر: ثورة زيد لناجي حسن (ص ٢٨ و ٣٢).

(٢) الإرشاد للمفيد (٢٦٨) وانظر الفرق بين الفرق، للبغدادي (ص ٣٥).

(٣) لاحظ ثورة زيد لناجي حسن (ص ٩٨).

(٤) نقله الإمام الهادي في المجموعة الفاخرة (ص ٢٢٠)

٤ـ إن قيام الشهيد زيد بن علي عليه السلام ، بحركته خارج حدود المدينة صرف أنظار الحكّام عن قطب رحىٰ الدين ، ومحور فلك الإمامة والقيادة ، وهم الأئمة القائمون في المدينة المنوّرة ، بحيث تمكّن الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام من أداء دوره القياديّ . مستفيداً من كلّ الأجواء الإيجابيّة التي خلقتها ثورة عمّه الشهيد زيد بن علي عليه السلام ، لينشر علوم آل محمد الحقّة ، ويربّي الجيل الإسلامي المؤمن .

وكفىٰ ذلك عظمة ومجداً وهدفاً سامياً .

٥ـ وكان من ثمرات ثورة زيد بن علي عليه السلام أنه أثبت للأمة صدق الدعوى التي يرفع رايتها أئمّة أهل البيت ، في الدفاع عن هذا الدين والنضال من أجله ، فهذه التضحيات الكبرىٰ أوضح شاهد علىٰ ذلك .

وكان ذلك تعزيزاً عملياً لمواقع أهل البيت عليهم السلام في أوساط الأمّة الإسلامية[1] .

(١) إقرأ مفصلاً عن زيد الشهيد وأخباره في عوالم العلوم (ص ٢١٩) وما بعدها من الجزء الخاص بترجمة الإمام السجاد عليه السلام .

ثانياً: في مجال الإصلاح وشؤون الدولة

إنْ كان الإصلاح من أبرز ما يقصده الأنبياء والأئمة عليهم السلام، لأنّ مهمتهم إنّما جعلت في الأرض لدفع الفساد عنها بهداية الخلق إلىٰ ما هو صالح لهم، وقطع دابر المفسدين.

فإن كان هذا هو الحق: فإن الإمام زين العابدين عليه السلام لم يتخلّ عن موقعه الإلهي، كقائد للأمة الإسلامية، ومصلح للمجتمع الإسلاميّ، وقد تبلور في ساحة العمل الاجتماعي، في كل زواياها وأطرافها، وأبرزها المطالبة بإصلاح جهاز الحكم.

إنّ أقصىٰ ما يريد أن يبعده المؤرخون المُحدْثَون عن حياة الإمام زين العابدين هو العمل السياسي، والتعرّض للجهاز الحاكم، والتطلّع إلىٰ إصلاح الدولة، فيحاولون الإيحاء ـ بعبارات شتّىٰ ـ أنّ الإمام عليه السلام لم يكن سياسيّاً، وكان بعيداً عن التورّط في ما يمسّ قضايا السياسة من قريب أو بعيد، وأنه انزوىٰ متعبّداً بالصلاة والدعاء والاعتكاف!

ومع اعتقادنا أنّ مزاولات الإمام الدينيّة ـ كلّها من صميم العمل السياسي، خصوصاً في عصره، إذ لم يُسمع نَغمُ الفصل بين السياسة والدين، بعدُ!

فمع ذلك: نجد في طيّات حياة الإمام زين العابدين عليه السلام عيّناتٍ واضحة، من التدخّلات السياسيّة الصريحة.

فهو في ما يلي من النصوص المنقولة عنه، يبدو رجلاً مشرفاً على الساحة السياسية، فهو يدخل في محاورات حادّة، ويتابع مجريات الأحداث، ويدلي بتصريحات خطرة بشأن الأوضاع الفاسدة التي تعيشها الأمّة، وهو ينميها ـ بكل صراحة ـ إلىٰ فساد الدولة.

١ ـ قال عبدالله بن حسن بن حسين:

كان علي بن الحسين بن علي بن أبي‌طالب يجلس كلّ ليلة، هو، وعروة بن الزبير، في مؤخّر مسجد النبي صلى الله عليه وآله! بعد العشاء الآخرة، فكنتُ أجلس معهما، فتحدّثا ليلة، فذكرا جور من جار من بني‌أُميّة، والمقام معهم، وهما لا يستطيعان تغيير ذلك!

ثمَّ ذكرا ما يخافان من عقوبة الله لهم!

فقال عروة لعلي: يا عليُّ، إنّ مَنْ اعتزل أهل الجور، والله يعلم منه سخطه لأعمالهم، فكان منهم علىٰ ميل ثم أصابتهم عقوبة الله رُجي له أن يسلم مما أصابهم.

قال: فخرج عروة، فسكن العقيق.

قال عبدالله بن حسن: وخرجتُ أنا فنزلتُ سويقة[١].

أمّا الإمام زين العابدين فلم يخرج، بل: آثر البقاء في المدينة طوال حياته[٢] لأنه يعدّ مثل هذا الخروج فراراً من الزحف السياسي، وإخلاءاً للساحة الاجتماعيّة للظالمين، يجولون فيها ويصولون.

وما أعجب ما في النصّ من قوله: «يجلسون كلّ ليلة ... في مسجد الرسول» وكأنّه اجتماع منظّم، ولا ريب أن فيه تحدّياً صارخاً للنظام يقوم به الإمام زين العابدين عليه السلام.

ولعلّ اقتراح عروة بن الزبير ـ وهو من أعداء أهل البيت عليهم السلام ـ[٣] كان تدبيراً سياسيّاً منه، أو من قبل الحكّام، ومحاولة لإبعاد الإمام عليه السلام عن الحضور في الساحة الاجتماعية، لكنه عليه السلام لم يخرج، وظل يداوم مسيرته النضاليّة.

٢ـ وفي حديث آخر: قال الإمام زين العابدين عليه السلام: إنّ للحُمق دولةً على العقل، وللمنكر دولةً على المعروف، وللشرّ دولةً على الخير، وللجهل دولةً على الحلم، وللجزع دولةً على الصبر، وللخُرْق دولةً على الرِفق، وللبؤس دولةً على الخصب، وللشدّة دولةً على الرخاء، وللرغبة دولةً على الزهد، وللبيوت الخبيثة دولةً علىٰ بيوتات الشرف، وللأرض السبخة دولةً على الأرض العذبة.

فنعوذ بالله من تلك الدول، ومن الحياة في النقمات[٤].

وإذا كانت «الدَوْلة» ـ في اللسان العربيّ ـ هي: الغلبة والاستيلاء، وهي من أبرز مقوّمات «السلطة الحاكمة» فإنّ الإمام عليه السلام يكون قد أدرج قضيّة السلطة السياسيّة

---

(١) تاريخ دمشق ومختصره لابن منظور (١٧: ٢١).

(٢) جهاد الشيعة، لليثي (ص ٢٩).

(٣) لاحظ تنقيح المقال (٢: ٢٥١).

(٤) تاريخ دمشق (الحديث ١٤٢) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٥٥).

في سائر القضايا الحيويّة، والطبيعيّة، التي يهتمّ بها، ويفكّر في إصلاحها، ويحاول رفع مشكلاتها التي تستولي على الإنسان، من اقتصاديّة، وثقافيّة، ونفسيّة، ودينيّة.

فمَنْ ـ يا تُرىٰ ـ يعني الإمام عليه السلام بالبيوتات الخبيثة التي لها السلطان على الأشراف، في عصر الإمام عليه السلام ؟!

ومَنْ هي البيوتات الشريفة المغلوبة في عصره عليه السلام ؟!

وهل التعوّذ بالله من دولة السلطان، يعني أمراً غير رفض وجوده، واستنكار سلطته ؟!

وهل لسياسيّ آخر حضور أقوىٰ من هذا، في مثل ظروف الإمام عليه السلام وموقعه، وضمن تخطيطه الشامل لحلّ المشاكل ؟!

وأخيراً هل يصدر مثل هذا من رجل ادُّعيَ: أنّه ابتعد عن السياسة، أو اعتزلها ؟!

ثالثاً: في مجال مقاومة الفساد

وإذا كان من أهم واجبات المصلح، وخاصّة الإلهي، مقاومة الفساد، ومحاربة المفسدين في الأرض، فإنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قام بدور بارز في أداء هذا المهمّ.

وقد تميّز عصر الإمام عليه السلام ، بمشاكل اجتماعيّة من نوع خاصّ، وقد تكون موجودة في كثير من الأوقات، إلّا أنّ بروزها في عصره كان واضحاً، ومكثّفاً، كما أنَّ الإمام زين العابدين قام بمعالجتها بأسلوبه الخاصّ، مما أعطاها صبغة فريدة، تميّزت في نضال الإمام عليه السلام ، أهمها:

١ـ مشكلة العصبيّة، والعنصريّة.

٢ـ مشكلة الفقر العام.

٣ـ مشكلة الرقّ والعبيد.

ولنبحث عن كل واحدة، وموقف الإمام عليه السلام في معالجتها:

١ـ مقاومة العصبيّة والعنصريّة:

إن الأمويين ـ بعد إحكام قبضتهم على الحكم ـ اعتمدوا سياسة التفرقة العنصرية بين طوائف الأمة، والعصبية القبليّة بين مختلف طبقاتها، محاولين بذلك تفتيت المجتمع الإسلامي، وتقطيع أواصر الوحدة بين أفراد الأمة الإسلامية، تلك الوحدة التي شرّعها الله بقوله تعالىٰ: ﴿ إنّ هذه أمتّكم أمّة واحدة ۞ وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [سورة الأنبياء: «٢١» الآية: ٩٢].

ودفعاً لها على التفرّق الذي نهىٰ عنه الله بقوله تعالىٰ: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا ﴾ [سورة آل عمران: «٣» الآية: ١٠٣].

حتّىٰ وصل الأمر إلىٰ: أنـّه تتابع فخر النزاريَّة على اليمنيّة، وفخر اليمنيَّة على النزاريَّة، حتّىٰ تخرّبت البلاد، وثارت العصبيّة في البدو والحضر ـ كما يقول المسعودي ـ [(١)].

---

(١) مروج الذهب (٢: ١٩٧).

وقال ابن خلدون: إن عصبيّة الجاهلية نُسِيَتْ في أول الإسلام، ثم عادت كما كانت، في زمن خروج الحسين عليه السلام عصبية مضر لبني أُميّة كما كانت لهم قبل الإسلام [(١)].

فقاموا بأعمال تسير علىٰ هذه السياسة الخارجة عن حدود الدين والشرع، مثل تأمير العرب، وتقديم العربي ولو كان خاملاً على الكفوئين من غير العرب، والسعي في تعريب كل شرائح وأجهزة الدولة، بتنصيب العرب في مناصب الديوان، والقضاء، وحتّىٰ الفقه.

وتجاوزوا كلّ الأحكام الشرعية في التزامهم بأساليب الحياة العربية الجاهلية، فتوغّلوا في اللهو والاستهتار بالمحرَّمات، والظلم، والقتل، حتّىٰ تجاوزوا أعرافاً عربية سائدة بين العرب قبل الإسلام، فخانوا العهد، وأخفروا الذمّة، وهتكوا العرض [(٢)].

ولقد بلغت تعدّياتهم أن كان معاوية: يعتبر الناس العرب، ويعتبر الموالي شبه الناس [(٣)]!

وقد استغلّ الجاهلون هذا الوضع، فكان العرب لا يزوِّجون الموالي [(٤)].

وجاء في بعض المصادر أن حاكم البصرة ـ بلال بن أبي بُردة ـ ضرب شخصاً من الموالي، لأنه تزوج امرأةً عربيّة [(٥)].

ووصلت عدوىٰ هذا المرض إلىٰ علماء البلاط أيضاً فاتبعوا سياسة الأسياد، فقد وجّهت إلى الزُهْريّ تهمة أنه لا يروي الحديث عن الموالي، فسئل عن ذلك؟ فاعترف به [(٦)].

---

(١) نقله على جلال في كتاب: الحسين عليه السلام (٢: ١٨٨).

(٢) لاحظ: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن الندوي. واقرأ ثورة زيد (ص ٧٧ وما بعدها).

(٣) تاريخ دمشق، مختصر ابن منظور (١٧: ٢٨٤).

(٤) وسائل الشيعة، كتاب النكاح، الباب (٢٦) الحديث (٤) تسلسل (٢٥٠٦٠) ولاحظ العقد الفريد، للأندلسي (٣: ٣٦٠ ـ ٣٦٤).

(٥) لاحظ: طبقات ابن سعد (٧: ٢٦ ق ٢). وانظر تهذيب الكمال، للمزي (٤ / ٢٧٢).

(٦) المحدث الفاصل، للرامهرمزي (ص ٤٠٩) رقم (٤٣١) والجامع لأخلاق الراوي،

قال أحمد أمين المصريّ: لم يكن الحكم الأموي حكماً إسلامياً يُسوّىٰ فيه بين الناس، ويكافأ فيه المحسن عربياً كان أو مولىً، ويعاقب من أجرم عربياً كان أم مولىٰ. ولم تكن الخدمة للرعيّة على السواء، وإنّما كان الحكم عربيّاً، والحكّام فيه خدمة للعرب علىٰ حساب غيرهم، وكانت تسود العرب فيه النزعة الجاهلية، لا النزعة الإسلاميّة[١].

ولقد قاوم الإمام زين العابدين عليه السلام هذه الردّة الاجتماعية عن الإسلام بكل قوّة، وتمكّن ـ بحكم موقعه الاجتماعي، وأصالته النسبيّة ـ أن يقتحم علىٰ بني أُميّة، بلا رادع أو حرج.

قال الدكتور صبحي: في ما كان الأمويون يقيمون ملكهم على العصبيّة العربيّة عامة، كان زين العابدين عليه السلام يشيع نوعاً من الديمقراطيّة الاجتماعية[٢] بالرغم مما يجري في عروقة من دمٍ أصيلٍ، أباً وأُمّاً، وقد أقدم علىٰ ما زعزع التركيب الاجتماعيّ للمجتمع الإسلاميّ الذي أراد له الأمويّون أن يقوم على العصبيّة[٣].

وقد قاوم الإمام زين العابدين عليه السلام ذلك، نظرياً بما قدّمه من تصريحات، وعمليّاً بما أقدم عليه من مواقف:

فكان يقول: **لا يفخر أحدٌ علىٰ أحدٍ، فإنّكم عبيدٌ، والمولىٰ واحدٌ**[٤].

وكان يجالس مولىً لآل عمر بن الخطاب، فقال له رجل من قريش ـ هو نافع بن جبير ـ: أنت سيّد الناس، وأفضلهم، تذهب إلىٰ هذا العبد وتجلس معه؟!

←

للخطيب (١ / ١٩٢).

(١) ضحىٰ الإسلام (١: ١٨٧).

(٢) يلاحظ أن هذا الكاتب نفسه يقول عن الإمام: «لكن الإقبال على الله، واعتزال شؤون العالم... كان منهجه في حياته الخاصة» وقد سبق كلامه في المقدمة (ص ١٠ ـ ١١).

(٣) نظرية الإمامة، للدكتور صبحي (ص ٦ ـ ٢٥٧).

(٤) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (ص ٢١٧).

فقال عليه السلام: **أءتي من أنتفع بمجالسته في ديني**[١] أو قال: **إنما يجلس الرجل حيث ينتفع**[٢].

ومن المعلوم أن ما ينتفع به الإمام عليه السلام من هذا المولىٰ ليس إلّا بنفس المجالسة، فإنّ هذه المجالسة تحقّق للإمام غرضه السياسي من إعلان معارضته لسياسة بني أُميّة المبتنية علىٰ طرد الموالي وعدم احترامهم، فإذا جالسه الإمام زين العابدين عليه السلام ـوهو مَنْ لا يُنكر شرفه نسبا وحسباًـ فإنّ ذلك نسفٌ لتلك السياسة التي تبنّتها الدولة ورجالها!

وقال له طاوس اليماني ـوقد رآه يجزع ويناجي ربّه بلهفةـ: يابن رسول‌الله، ما هذا الجزع والفزع، ....، وأبوك الحسين بن علي، وأُمّك فاطمة الزهراء، وجدّك رسول‌الله صلى الله عليه وآله ؟!

فالتفت الإمام عليه السلام إليه وقال: هيهات، هيهات، ياطاوس، دَعْ عنّيْ حديث أبي، وأُمّي، وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشياً، وخلق النار لمن عصاه، ولو كان ولداً قرشيّاً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ **فإذا نفخ في الصور فلا أنسابَ بينهم يومئذٍ ولا يتساءلون** ﴾ [سورة المؤمنون (٢٣) الآية: ١٠١].

والله، لاينفعك ـغداًـ إلّا تقدمة تُقَدِّمُها من عمل صالح[٣]

وأعتق الإمام زين العابدين عليه السلام مولاةً له، ثم تزوَّجها، فبلغ ذلك عبدالملك بن مروان الخليفة الاموي، فعدّها تحدِّياً لعرف السلطة الحاكمة، فكتب إلى الإمام يحاسبه ويعاتبه علىٰ ذلك، ومما جاء في كتابه: «**إنّك علمتَ أنّ في أكفائك من قريش مَن تتمجَّد به في الصهر، وتستنجبه في الولد، فلا لنفسك نظرت، ولا علىٰ ولدك أبقيت ...**».

وهذا كلام ـمع أنه يَنُمُّ عن التعزّي بعزاء الجاهلية في عنصريتها وغرورهاـ فهو تعريض بالإمام عليه السلام أنه ليس بحكيم، وأنه بحاجة إلىٰ أن يتمجّد بمصاهرة واحد من

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤: ٣٨٨) وانظر حلية الأولياء (٣: ١٣٧) وصفوة الصفوة (٢: ٩٨).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٣٠) ومختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٣) وطبقات ابن سعد (٥: ٢١٦).

(٣) مناقب ابن شهرآشوب (٣: ٢٩١) كشف الغمة (٤: ١٥١) بحار الأنوار (٤٦: ٨٢) ونقل عن مجالس ثعلب (٢: ٤٦٢).

قريش، وأن ولده لا ينجب إلّا بمثل ذلك، متغافلاً عن أن الإمام عليه السلام بنفسه هو مصدر الحكمة والمجد والنجابة.

فأجابه الإمام زين العابدين عليه السلام بكتاب، جاء فيه:

«أمّا بعد: فقد بلغني كتابك، تعنّفني فيه بتزويجي مولاتي، وتزعم: «أنه كان في قريش من أتمجّد به في الصهر، وأستنجبه في الولد».

وإنه ليس فوق رسول الله مرتقىً في مجدٍ، ولا مستزاد في كرمٍ.

وكانت هذه الجارية ملك يميني، خرجتْ منّي إرادةً لله عزوجل بأمر ألتمس فيه ثوابه، ثم ارتجعتها على سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن كان زكيّاً في دين الله تعالىٰ فليس يُخلّ به شيء من أمره.

وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة، وتمّم به النقيصة، وأذهب به اللؤم، فلا لؤم على امرىءٍ مسلم، وإنّما اللؤم لؤم الجاهلية.

والسلام»[(١)].

وقد عرّض الإمام عليه السلام في هذا الكتاب بأن ما يقوم به حكّام بني أُميّة من تبنّي العصبية هو مخالف للإسلام ولسنّة الرسول، بل قَلَبَ عليه كلّ الموازين التي اعتمدها في كتابه إلى الإمام، وجعل العتاب مردوداً عليه، والنقص والعار وارداً على الجاهلية التي يتبجّح بها من خلال العصبية.

وقال عليه السلام: لا حَسَبَ لقرشي، ولا عربي إلّا بالتواضع، ولا كرم إلّا بالتقوىٰ، ولا عمل إلّا بالنيّة، ولا عبادة إلّا بالتفقّه، ألا وإن أبغض الناس إلى الله مَن يقتدي بسنّة إمام، ولا يقتدي بأعماله[(٢)].

وقال عليه السلام: العصبية التي يأثم صاحبُها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبيّة أن يحبّ الرجل قومه، ولكن من العصبيّة أنْ يُعينَ قومه

---

(١) الكافي، الفروع (٥: ٣٤٤).

(٢) تحف العقول (ص ٢٨).

على الظلم[١].

وهذا حسمٌ قيّم في هذا المجال، حيث أن الميل إلى العُصبة والقبيلة أمر طبيعيّ، جرت عليه العادة، فإذا كان علىٰ أساس الحب والولاء فهو أمر جيّد، لكن إذا كان علىٰ أساس المحاباة، وظلم الآخرين وعلىٰ حساب حقوق الأباعد، أو كان من باب اعانة الظالم، فهذا هو المردود في الإسلام.

والذي يدّعيه أصحاب النعرات العُنصريّة، وأهل الغرور والجهل، الفارغين من القيم، كبني أُميّة، هو النوع الثاني.

إنّ هذه التصريحات، وتلك المواقف، بقدر ما كانت مثيرةً للسلطة المتبنِّية لسياسة العصبية والعنصرية، حتّىٰ أثارت أحاسيس الملك نفسه، فهي في الوقت ذاته كانت منيرةَ للدرب أمام الأُمّة الإسلامية بكلّ طوائفها وأجناسها وألوانها وشعوبها وقبائلها، تلك المغلوبة علىٰ أمرها، تفتح أمامها أبواب الأمل بالإسلام ورجاله المخلصين، الذين يقود مسيرتهم في ذلك العصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

٢ـ ضدّ الفقر:

من المشاكل الاجتماعية الخطيرة، التي يستغلّها الحكام لإحكام سيطرتهم على الأمة هي مشكلة الفقر والعوز والحاجة إلى المال، فإن السلطات تحاول اتّباع سياسة التجويع من جهة، لإخضاع الناس وترغيبهم في العمل مع السلطات، وثم سياسة التطميع والتمويل من جهة أخرىٰ، لتعويد الناس على الترف وزجّهم في الجرائم والآثام.

وهم بهذه السياسة يسيطرون علىٰ عصب الحياة في البلاد، وهو المال، يستفيدون منه في القضاء علىٰ مَنْ لا يرضىٰ بهم، وفي جذب مَنْ يرضون به من ضعفاء النفوس أمام هذه المادّة المغرية.

وقد ركن معاوية إلىٰ هذه السياسة في بداية سيطرته على البلاد، فأوعز إلىٰ ولاته في جميع الأمصار: انظروا مَنْ قامت عليه البيّنة أنه يحبُّ علياً وأهل بيته فامحوه من

---

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (ص ٢٠٣).

الديوان، وأسقطوا عطاءه ورزقه [١].

ولا ريب في أن رفع المستوى المعيشي لدىٰ أفراد الأمة هو واحد من أهمّ الأهداف المرسومة لأيَّة محاولة ثورية، أو عمل إصلاحي، حتّىٰ لو لم تكن دينية، فكيف بها إذا كانت إلاهيّة، يقودها شخص الإمام العادل ؟!

إنّ التحرّك للإصلاح، والناس في بؤس وتخلّف اقتصادي، سوف يكلِّفهم الكثير الذي قد يعجزون عنه، ولو تمكّن قائد ما أن يرفع من المستوى الاقتصادي للأمة، فهم يكونون في حالة أفضل لتقبّل أُطروحة الإصلاح، ويكون أوكد علىٰ صمودهم أمام الضغوط التي تفرض عليهم من قبل الظالمين والمعتدين.

ثم إنّ السعي في هذا المجال، والمال حاجة يوميّة لكل أحد، أوكد في تعميق الصلة بين القيادة والقاعدة، من حيث تحسّس القيادة لأمسّ الحاجات، وأكثرها ضرورة وأسرعها نفعاً، فتكون دليلاً علىٰ حقَّانيَّة سائر الأهداف التي تعلن للخطة الإصلاحية.

ولقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يزاول عمليّة تموين الناس بدقة فائقة، خاصّةً عوائل الشهداء والمنكوبين في معارك ضد الدولة، يقوم بذلك في سرِّية تامَّة، حتّىٰ خفيت ـ في بعض الحالات ـ علىٰ أقرب الناس إليه عليه السلام.

والأهم من ذلك: أن الفقراء أنفسهم لم يطّلعوا علىٰ أن الشخص المموّن لهم هو الإمام زين العابدين عليه السلام إلّا بعد وفاته، وانقطاع أُعطياته!

فعن أبي حمزة الثمالي: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يحمل الخبز بالليل، علىٰ ظهره، يتبع به المساكين في ظلمة الليل، ويقول: «إنّ الصدقة في سواد الليل تطفىء غضب الرَّبّ» [٢].

وعن محمد بن إسحاق، قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كان يؤتَوْن به بالليل [٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١١ : ٤٥).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٧٦) مختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٨).

(٣) تاريخ دمشق (الحديث ٧٧) مختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٨).

وعن عمرو بن ثابت، قال: لمّا مات علي بن الحسين عليه السلام وجدوا بظهره أثراً، فسألوا عنه؟ فقالوا: هذا ممّا كان ينقل الجراب علىٰ ظهره إلىٰ منازل الأرامل [١].

وهذه الدقة في السِّرِّية كانت من أجل إلهاء عيون الدولة عن مواقفه.

مع أن الهدف الأساسي من هذا العمل ـ وهو تمويل الناس وتموينهم ـ كان يتحقّق بتلك الطريقة الهادئة.

ومع أن معرفة الناس للأمر ـ ولو بعد حين ـ كان أوقع في النفوس وأكثر تأثيراً في حبّ الناس لأهل البيت عليهم السلام.

ومع ما في ذلك من البعد عن الرياء، والسمعة، والمباهاة.

وقد وصلت سرية عمله عليه السلام إلىٰ حدّ أنه كان يتّهم بالبخل:

قال شيبة بن نعامة: كان علي بن الحسين يُبَخَّل، فلمّا مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة [٢].

وقال ابن عائشة، عن أبيه، عن عمّه: قال أهل المدينة: ما فقدنا صدقة السرّ حتّىٰ مات علي بن الحسين [٣].

وهذا واحد من أساليب عمله في رفع هذه المشكلة، وقد اتّبع أساليب أُخرىٰ، نقرأ عنها الأحاديث التالية:

إنه عليه السلام كان يعتبر المشكلة الاقتصادية محنةً كبيرة أن يجد الفقر متفشياً في الدولة الإسلامية، وهي السعة بحيث لا يمكن معالجتها بسهولة:

ففي الحديث: شكا إليه عليه السلام بعض أصحابه ديناً، فبكىٰ الإمام عليه السلام فلمّا سئل عن سبب بكائه؟ قال عليه السلام: **وهل البُكاء إلّا للمحن الكبار!؟ وأي محنة أكبر من أن يرى الإنسان أخاه المؤمن في حاجة لا يتمكّن من قضائها، وفي فاقةٍ لا يطيق دفعها** [٤].

وأسلوب آخر في التركيز علىٰ مقاومة المشكلة:

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٧٩) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٨).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٨٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٩).

(٣) حلية الأولياء (٣: ١٣٦)، تاريخ دمشق (الحديث ٨١) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٩)، وسير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٣).

(٤) أمالي الصدوق (ص ٣٦٧) ونقله في عوالم العلوم (ص ٢٩) في حديث طويل.

عن الرضا عن أبيه، عن جده عليهم السلام، قال: قال علي بن الحسين: إنّي لأستحيي من الله عزوجل أن أرى الأخ من إخواني، فاسأل الله له الجنة، وأبخل عليه بالدنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل لي: «لو كانت الجنة بيدك لكنتَ بها أبخل وأبخل وأبخل»[١].

إنه رفع لمستوىٰ مقاومة المشكلة إلىٰ مستوىٰ مثاليّ رائع، وخطاب موجّه إلىٰ كل من يعمل في الدنيا علىٰ حساب نعيم الآخرة، لا علىٰ معطياتها الدنيوية فقط، إنّه معنىً عرفاني دقيق، ورفيع، وبديع.

وأسلوب آخر، يدلّ علىٰ إصرار الإمام عليه السلام لتجاوز المشكلة:

قال عمرو بن دينار: دخل علي بن الحسين علىٰ محمّد بن أُسامة بن زيد، في مرضه، فجعل محمّد يبكي، فقال: ما شأنك؟

قال محمّد: عليَّ دين.

قال: كم هو؟ قال: خمسة عشر ألف دينار ـ أو بضعة عشر ألف دينار ـ.

قال الإمام: فهي عليَّ[٢].

وقد جاء في الحديث أن الإمام عليه السلام قاسم الله تعالىٰ ماله مرتين[٣].

هذا من جهة.

ومن جهة أُخرىٰ: نجد الإمام عليه السلام يؤكّد علىٰ تداول الثروة ويحثّ علىٰ تنميتها، واستثمار الأموال، وعدم تجميدها، لأن تجميدها هو التكنيز المذموم، للخسارة الواضحة فيها، ولاحتمال سقوط القيمة الشرائية لها، وتسبيبها لعدم ازدهار السوق الإسلامية، بينما تداولها يؤدّي إلىٰ نقيض كلّ ذلك.

فقد قال الإمام عليه السلام: استنماء المال تمام المروءة[٤] وفي نصّ آخر: استثمار المال[٥].

واذا قارنّا هذه المواقف من الإمام عليه السلام بما كان يجري علىٰ أيدي بني أميّة من

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٨٤) ومختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٩) وتهذيب التهذيب (٧ : ٣٠٦).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث : ٨٣) مختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٩).

(٣) تاريخ دمشق (الحديث ٧٥).

(٤) تحف العقول (ص ٢٨٣).

(٥) في هامش المصدر السابق.

البذخ والترف والإسراف والإهدار لأموال بيت المال، ومن منع الموالين لعلي عليه السلام من الرزق والعطاء، ومن حاجة الشخصيات مثل محمد بن أسامة بن زيد، فضلاً عن عوائل الشهداء المغضوب عليهم من قبل الدولة.

لو قارنّا بين الأمرين: لعلمنا ـ بكل وضوح ـ أن لأعمال الإمام عليه السلام بُعْداً سياسيّاً، وهو الوقوف أمام استغلال السلطة للأزمة الأقتصادية عند الناس، ومنع استدراج الظالمين لذوي الحاجة والمحنة وخاصة المنكوبين إلىٰ مهاوي الانتماء إليها أو حتّى الفساد والجريمة، بالمال الذي استحوذت الدولة عليه، وأن لا تطبّق به سياسة التطميع بعد التجويع.

٣ـ ضدّ الرقّ:

إن تحرير الرقيق يُشكل ظاهرة بارزةً في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام بشكل ليس له مثيل في تاريخ الإمامة، فهو أمر يسترعي الانتباه والملاحظة.

وإذا دقّقنا في الظروف والملابسات التي عايشها الإمام، وقمنا ببعض المقارنات بين أعمال الإمام، والأحداث التي كانت تجري من حوله، والظروف التي تكتنف عملية الإعتاق الواسعة التي تبنّاها الإمام زين العابدين عليه السلام، تتضح الصورة الحقيقيّة لأهداف الإمام عليه السلام من ذلك.

فيلاحظ أولاً:

١ـ أنّ أعداد الرقيق، والعبيد، كانت تتواتر على البلاد الإسلامية، فكان الموالي في ازدياد بالغ مذهل، علىٰ أثر توالي الفتوحات [1].

٢ـ أن الأمويين كانوا ينتهجون سياسة التفرقة العنصرية، فيعتبرون الموالي شبه الناس [2].

٣ـ أن الجهاز الحاكم على الدولة الإسلامية، أخذاً من نفس الخليفة، إلىٰ جميع الأمراء وموظفي الدولة، لا يمثّل الإسلام، بل كان كل واحد يعارض معنوياته

(١) لاحظ فجر الإسلام لأحمد أمين (ص ٩٠).

(٢) تاريخ دمشق ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٨٤)

وأخلاقه، وإن تنادىٰ بشهاداته واسمه.

٤ـ إن انتشار العبيد والموالي، وبالكثرة الكثيرة، ومن دون أي تحصين أخلاقي، أو تربية إسلامية، لأمر يؤدّي ـ لا محالة ـ إلىٰ شيوع البطالة، والفساد، وهو ما تركز عليه الدولة الظالمة التي تعمل في هذا الاتجاه بالذات.

ويلاحظ ثانياً:

١ـ أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يشتري العبيد والإماء، ولكن لا يُبقي أحدَهم عنده أكثر من مدّة سنة واحدة فقط، وأنه كان مستغنياً عن خدمتهم [١].

فكان يعتقهم بحجج متعدّدة، وبالمناسبات المختلفة.

إذن، فلماذا كان يشتريهم؟ ولماذا كان يعتقهم؟

٢ـ إنه عليه السلام كان يعامل الموالي، لا كعبيد أو إماء، بل يعاملهم معاملة إنسانية مثالية، ممّا يغرزُ في نفوسهم الأخلاق الكريمة، ويحبّب إليهم الإسلام، وأهل البيت الذين ينتمي إليهم الإمام عليه السلام.

٣ـ إنّه عليه السلام كان يُعلّم الرقيق أحكام الدين ويملؤهم بالمعارف الإسلاميّة، بحيث يخرج الواحد من عنده محصّناً بالعلوم التي يفيد منها في حياته، ويدفع بها الشبهات، ولا ينحرف عن الإسلام الصحيح.

٤ـ إنه عليه السلام كان يزوِّد كلّ مَنْ يُعتقه بما يُغنيه. فيدخل المجتمع الجديد ليزاول الأعمال الحُرَّة، كأي فرد من الأُمَّة، ولا يكون عالة علىٰ أحدٍ.

إن المقارنة بين هذه الملاحظات، وتلك، تعطينا بوضوح القناعة بأنّ الإمام كان بصدد إسقاط السياسة التي كان يُزاولها الأمويون في معاملتهم مع الرقيق.

إنّ عمل الإمام زين العابدين عليه السلام أنتج نتائج عظيمة، هي:

١ـ حرّر مجموعة كبيرة من عباد الله، وإمائِهِ الذين وقعوا في الأسر، وتلك حالة استثنائية غير طبيعيّة، ومع أن الإسلام كان قد أقرَّها لأمور يعرف بعضها من خلال قراءة التاريخ، إلّا أن الشريعة قد وضعت طرقاً عديدة لتخليص الرقيق وإعطائهم

---

(١) لاحظ الإقبال للسيد ابن طاوس (ص ٤٧٧).

الحرية، وقد استغل الإمام عليه السلام كلّ الظروف والمناسبات لتطبيق تلك الطُرق، وتحرير العبيد والإماء.

وفي عمله تطبيق للشريعة وسننها، كما يدلّ عليه الحديث التالي:

فعن سعيد بن مرجانة، قال: سمعت أباهريرة يقول: كان رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن أعتق رقبةً مؤمنةً أعتق الله بكل إربٍ منها إرباً منه من النار، حتّىٰ أنه يعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج».

فقال علي بن الحسين: أنت سمعت هذا من أبي‌هريرة!

قال سعيد: نعم.

فقال الإمام: ادع لي مطرفاً ـ لغلام له أفره غلمانه ـ فلمّا قام بين يديه، قال: إذهب، فأنت حرٌّ لوجه الله [(١)].

إن الإمام زين العابدين عليه السلام لا يخفىٰ عليه ثواب عتق الرقبة، وإنما أراد أن يؤكّد علىٰ سنّة العتق من خلال تقرير الراوي علىٰ سماع الحديث! وليكون عمله قُدوةً للآخرين كي يقوموا بعتق ما يملكون من الرقاب.

٢ـ إن الرقيق المعتقين يشكّلون جيلاً من التلامذة الذين تربّوا في بيت الإمام عليه السلام وعلىٰ يده، بأفضل شكل، وعاشوا معه حياة مفعمة بالحقّ والمعرفة، والصدق والإخلاص، وبتعاليم الإسلام من عقائد وشرائع وأخلاق كريمة.

فقد كانت جماعة الرقيق تحتفظ بكل ذلك في قرارات النفوس، في شعورهم أو لا شعورهم، وينقلونه إلى الأجيال المتعاقبة، وفي ذلك حفظ الإسلام.

ولا ريب أن الإمام زين العابدين عليه السلام لو أراد أن يفتح مدرسة لتعليم مجموعة من الناس، فلا بدّ أنه كان يواجه منعاً من الجهاز الحاكم، أو عرقلةً لعمله، أو رقابةً شديدة علىٰ أقلّ تقدير.

٣ـ إن الإمام عليه السلام استقطب ولاء الأعداد الكبيرة من هؤلاء الموالي المحرَّرين، إذ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣: ١٨٨) كتاب العتق والكفارات. ومسلم في صحيحه (١٠: ١٥٢) في العتق، والترمذي في صحيحه (٤: ١١٤) في النذور رقم (١٥٤١) وانظر حلية الأولياء (٣: ١٣٦).

لايزال ولاء العتق يربطهم بالإمام عليه السلام ، ولا ريب أنهم أصبحوا جيشاً، فإن عددهم بلغ ـ في ما قيل ـ خمسين ألفاً، وقيل: مائة ألف ![١].

فعن عبدالغفّار بن القاسم أبي مريم الأنصاريّ، قال: كان عليّ بن الحسين خارجاً من المسجد فلقيه رجل فسبّه! فثارت إليه العبيد والموالي، فقال عليّ بن الحسين: مَهلاً عن الرجل، ثمَّ أقبل على الرجل، فقال له: ما سُتر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ ـ فاستحيى الرجل ـ فألقىٰ عليه خميصةً كانت عليه، وأمر له بألف درهم.

فكان الرجل بعد ذلك يقول: أشهد أنّك من أولاد الرسول[٢].

وقد كان لهؤلاء العبيد موقف دفاعيّ آخر، عن أهل البيت، لمّا سمعوا أنباء ضغط ابن الزبير علىٰ آل أبي‌طالب في مكّة، وشيخهم محمد بن الحنفيّة عمّ الإمام زين العابدين عليه السلام ، في ما رواه البلاذري بسنده عن المشايخ يتحدّثون: أنّه لما كان من أمر ابن الحنفيّة ما كان، تجمّع بالمدينة (!) قوم من السودان، غضباً له، ومراغمة لابن الزبير.

فرأى ابن عمر غلاماً له فيهم، وهو شاهر سيفه! فقال له: رباح!

قال رباح: والله، إنّا خرجنا لنردّكم عن باطلكم إلىٰ حقّنا.

فبكىٰ ابن عمر، وقال: اللهم إن هذا لذنوبنا[٣].

وقال عبدالعزيز سيد الأهل: وجعل الدولاب يسير، والزمن يمرّ وزين العابدين يَهَبُ الحرية في كلِّ عامٍ، وكلِّ شهر، وكلِّ يوم، وعند كلِّ هفوةٍ، وكلِّ خطأٍ، حتّىٰ صار في المدينة جيش من الموالي الأحرار، والجواري الحرائر، وكلّهم في ولاء زين العابدين[٤].

---

(١) لاحظ بحار الأنوار (٤٦: ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزي (٢: ١٠٠)، تاريخ دمشق (الحديث ١١٢) وكشف الغمة (٢ / ٨١) وبحار الأنوار (٤٦ / ٩٩) وعوالم العلوم (ص ١١٥).

(٣) أنساب الأشراف (الجزء الثالث) (ص ٢٩٥).

(٤) زين العابدين، لسيد الأهل (ص ٤٧).

حقاً لقد تحيّن الإمام عليه السلام الفرص، واهتبل حتّى الزلّة الصغيرة تصدر من أحد الموالي ليهب له الحريّة، فكان يكافيء الإساءة بالإحسان ليكون أعذب عند الذي يُعْتق، وأركز في خَلَده، فلا ينساه.

إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام استنفد كلّ وسيلة للتحرير.

وإليك بعض الأحاديث عن ذلك:

١ـ نادىٰ علي بن الحسين عليه السلام مملوكه مرتين، فلم يجبه، ثم أجابه في الثالثة، فقال له الإمام: يا بُنيَّ! أما سمعت صوتي؟

قال المملوك: بلىٰ!

قال الإمام: فما بالك لم تُجبني؟

قال المملوك: أمِنْتُكَ.

قال الإمام: الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني (١).

٢ـ عن عبدالرزاق، قال: جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء يتهيّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية علىٰ وجهه، فشقّه، فرفع علي بن الحسين رأسه إليها، فقالت الجارية: إن الله عزوجل يقول: ﴿ والكاظمين الغيظ ﴾.

فقال لها: قد كظمت غيظي.

قالت: ﴿ والعافين عن الناس ﴾.

فقال لها: قد عفا الله عنك.

قالت: ﴿ والله يحبّ المحسنين ﴾ [آل عمران «٢» الآية ١٢٤].

قال: اذهبي، فأنت حرّة (٢).

فكأنَّ هذا الحوار كان امتحاناً واختباراً، نجحت فيه هذه الجارية، بحفظها هذه الآية، واستشهادها بها، فكانت جائزتها من الإمام عليه السلام أن تُعتقَ!

٣ـ قال عبدالله بن عطاء: أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنباً استحقَّ منه العقوبة، فأخذ له السوط، فقال: ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيّام الله ﴾

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٩٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٤٠) وشرح الأخبار (٣: ٢٦٠).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٩٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٤٠).

[الجاثية (٤٥) الآية (١٤)].

فقال الغلام: وأما أنا كذلك، إني لأرجو رحمة الله وأخاف عقابه.

فألقىٰ السوط، وقال: أنت عتيق [١].

فلقد لقّنه الإمام عليه السلام بقراءة الآية، وهو يختبر معرفته بمعناها وذكاءه، فأعتقه مكافأةً لذلك.

٤ـ وكان عند الإمام عليه السلام قومٌ، فاستعجل خادم له شواءاً كان في التنّور، فأقبل به الخادم مسرعاً، وسقط السفود من يده علىٰ بُنَيّ للإمام عليه السلام أسفل الدرجة، فأصاب رأسه، فقتله، فوثب الإمام عليه السلام، فلمّا رآه، قال للغلام: إنك حرّ، إنك لم تتعمّده، وأخذ في جهاز ابنه [٢].

ولعملية الإعتاق علىٰ يد الإمام عليه السلام صور مثيرة أحياناً، تتجاوز الحسابات المتداولة:

ففي الحديث المتقدّم عن سعيد بن مرجانة، وجدنا أن الإمام عليه السلام قد أعتق غلاماً اسمه «مطرف» وجاء في ذيل الحديث، أن عبدالله بن جعفر الطيّار كان قد أعطىٰ الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الغلام «ألف دينار» أو «عشرة آلاف درهم» [٣].

ففي إمكان الإمام عليه السلام أن يبيع الغلام بهذا الثمن الغالي، ويعتق بالثمن مجموعة من الرقيق أكثر من واحد، ولكن الإصرار علىٰ إعتاق هذا الغلام بالخصوص ـ مع غلاء ثمنه ـ يحتوي علىٰ معنىً أكبر من العتق:

فهو تطبيق لقوله تعالىٰ: ﴿لن تَنَالُوا البرّ حتّىٰ تُنفِقوا ممّا تُحِبُّون﴾ [سورة آل عمران (٣) الآية: ٩٢].

وهو إيماء إلىٰ أن الإنسان لا يعادَل بالأثمان، مهما غلت وعلت أرقامها!

ولعلّ السبب الأساسي هو: أن غلاء ثمن الغلام لا يكون إلّا من أجل أدبه، وذكائه، وحنكته، وقوّته، وغير ذلك مما يجعله فرداً نافعاً، فإذا صار حرّاً، وهو

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ١١٣) مختصر ابن منظور (١٧ : ٢٤٤).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١١٨) مختصر ابن منظور (١٧ ـ ٢٤٤).

(٣) تاريخ دمشق (الحديث ٨٢) مختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٩).

متّصف بهذه الصفات، يفيد المجتمع ككلّ، فهو أفضل ـ عند الإمام عليه السلام ـ من أن يكون عبداً يستخدمه شخص واحد لأغراضه الخاصَّة، مهما كانت شريفة!

وبهذا واجه الإمام زين العابدين عليه السلام مشكلة الرقّ، واستفاد منها، في صالح المجتمع والدين[1].

وبما أنه عليه السلام كان يحتلّ موقعاً رفيعاً بين الأُمَّة الإسلامية جمعاء:

إمّا لأنّه إمام مفترض الطاعة، عند المعتقدين بإمامته عليه السلام.

أو لأنه من أفضل فقهاء عصره، والمعترف بورعه وتقواه وعلمه، عند الكافّة.

أو لأنه من سادات أهل البيت الذين يمتازون بين الناس بالطهارة والكرامة والشرف والمجد.

فقد كان عمله حجّةً معتبرةً، وقدوةً صالحة، للمسلمين كافّةً، يقتدون به في تحرير الرقيق، ومحو العنصريّة المقيتة.

وبعد هذه الصور الرائعة:

فهل يصح أن يقال: «إن زين العابدين عليه السلام كان منعزلاً عن السياسة، أو مبتعداً عنها» وهو يقوم بهذا النشاط الاجتماعي الواسع.

---

(١) واقرأ صوراً مثيرة من تعامله مع عبيده وإمائه في عوالم العلوم (ص ١٥١ ـ ١٥٥).

وأخيراً: مع كتاب «رسالة الحقوق»

إن رسالة الحقوق التي نظَّمها الإمام زين العابدين عليه السلام تدل على اهتمام الإمام بكل ما يدور حوله في المجتمع الإسلامي، وعنايته الفائقة بسلامته النفسية والصحيّة، ورعايته لأمنه واستقراره، وحفاظه علىٰ تكوينته الإسلامية.

وإذا نظرنا إلىٰ ظروف الإمام عليه السلام من جهة، وإلىٰ ما يقتضيه تأليف هذه الحقوق، من سعة الأفق وشموليته من جهة أخرىٰ، وقفنا علىٰ عظمة هذا العمل الجبّار الذي صنعه الإمام قبل أربعة عشر قرناً.

إن صنع مثل هذا القانون في جامعيته ودقّته وواقعيته، لا يصدر إلّا من شخص جامع للعلم والعمل، مهتمّ بشؤون الأُمة، ومتصدٍّ لإصلاحها فكرياً وثقافياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وإدارياً، وصحيّاً، ونفسياً، ولا يصدر ـ قطعاً ـ من شخص منعزلٍ عن العالم، وعن الحياة الاجتماعية، ولا مبتعدٍ عن السياسة وأُمور الحكم والدولة!

ولذلك فإنا نجد الرسالة تحتوي علىٰ حقوقٍ مثل: حقّ السلطان، وحق الرعِيّة، وحقّ أهل الملّة عامّة، وحقّ أهل الذمّة، وغيرها ممّا يرتبط بأُمور الدولة والحكم وتنظيم الحياة الاجتماعية، إلىٰ جانب الشؤون الخاصة العقيديّة والعباديه والماليّة، وكل ما يرتبط بحياةٍ حرّةٍ كريمة للفرد، وللمجتمع الذي يعيش معه، ومثل هذا لا يصدر ممّنْ يعتزل الحياة الاجتماعية.

ورسالة الحقوق عمل علمي عظيم يستدعي دراسة موضوعية عميقة شاملة، نقف من خلالها علىٰ أبعاد دلالتها علىٰ حركة الإمام زين العابدين عليه السلام الاجتماعية، وخاصَّة من المنظار السياسي، وما استهدفه من بيانها ونشرها.

ونقدّم هنا مقطعين هامّينِ، يرتبطان مُباشرةً بأُمور الإدارة والحياة الاجتماعية، وهما **حقّ السُلطان على الرعيّة، وحقّ الرعيّة على السُلطان:**

قال عليه السلام ـ في حقوق الأئمّة ـ: وأما حقّ سائسك بالسُلطان:

فانْ تعلم أنّك جُعِلتَ له فتنةً، وأنّـه مبتلىً فيك بما جعله الله له عليك من السُلطان.

وأنْ تخلصَ له في النصيحة، وأن لاتُماحكه، وقد بُسِطَتْ يدُه عليك، فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه.

وتذلّل وتلطّف لإعطائه من الرضا ما يكفّه عنك، ولايضرّ بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله.

ولا تعازّه ولا تعانده، فإنّك إنْ فعلتَ ذلك عَقَقْتَهُ وعَقَقتَ نفسك، فعرَّضْتَها لمكروهه، وعرَّضتَهُ للهلكة فيك، وكنتَ خليقاً أن تكون مُعيناً له علىٰ نفسك، وشريكاً له في ما أتىٰ إليك من سوء.

ولاقوّة إلّا بالله (١).

وقال عليه السلام ـ في حقوق الرعيّة ـ: وأمّا حقّ رعيتك بالسُلطان:

فأنْ تعلم أنّك إنّما استرعيتَهم بفضل قوّتك عليهم، فإنّه إنّما أحـلّهم محـلَّ الرعـيَّة لك ضعفهم وذلّهم.

فما أولىٰ مَنْ كفاكَهُ ضعفُه وذلّه ـ حتّىٰ صيَّره لك رعيّةً وصيَّر حكمك عليه نافِذاً، لايمتنع عنك بعِزّةٍ ولاقُوةٍ، ولا يستنصر في ما تعاظمه منك إلّا بالله ـ بالرحمة والحياطة والأناة.

وما أولاكَ ـ إذا عرفتَ ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقُوّة التي قهرتَ بها ـ أنْ تكون لله شاكراً، ومَنْ شكر الله أعطاهُ في ما أنعم عليه.

ولاقُوّة إلّا بالله (٢).

إنّ الإمام عليه السلام في هاتين الفقرتين إنّما يخاطب مَنْ هم من عامّة النـاس ـ سُلطاناً ورعيّةً ـ ممّنْ لابُدَّ أنْ تربط بينهم السياسة، إذ لابُدّ للناس من أَمير، علىٰ ما هو سُنّة الحياة وطبيعة التكوينة الاجتماعية، فلابدّ أن تكـون لهـم حُـقوق، وتـثبت عـليهم واجبات، تُرتّب بذلك حياتهم ترتيباً طيّباً كي يعيشوا في صفاء ووُدّ وخير وسعادة.

والإمام عليه السلام هنا ـ يقطع النظر عن الولاية الإلهية التكـوينية، ومـنصب الإمـامة المفروضة تشريعياً على الناس.

---

(١) رسالة الحقوق، الحق رقم [١٥].

(٢) رسالة الحقوق، الحقّ رقم [١٨].

ولذلك عبّر بـ«السلطان» و«الرعيّة» ولم يفرض في السُلطان ولاية إلهيّة، وإنّما فرضها سُلطةً حاصلةً بالقوّة والقهر، وهذا ما يتمكّن من تحصيله حتّىٰ غير الأئمّة الإلهيين، وإن كان السلاطين يحاولون الإيحاءَ بأنّهم ينوبون عن الله في الولاية والسلطة، وأنّهم ظلّ الله على الأرض، ولذلك يُلقّنون الناسَ فكرة «الجبر» حتّىٰ يربطوا وجودهم بإرادة الله (١).

لكنّ الإمام السجّاد عليه السلام فَرَّغَ الحديثَ عن السُلطان من كلّ هذه المعاني، وإنّما تحدَّث عن حقّه كمتسلِّطٍ بالقوّة على الرعيّة، فهو في هذه الحالة لابدّ أنْ يعرف واجباتِه ويؤدّيها ويعرفَ حقوقه فلا يطلب أكثر منها.

كما أنّ الرعيّة المواجهة لمثل هذا السُلطان لابدّ أنْ تعرف حدود المعاملة الواجبة عليها تجاهه، وما يحرم عليها فلا تقتحمه، رعاية للمصالح الاجتماعيّة العامّة بشرياً.

وبما أنّ السلاطين في هذا المقام لم تفرض لهم العصمة، اللازمة في الولاة الإلهيّين، فلابدّ أنْ يحذروا من المخالفات الشرعيّة، كما لابدّ للرعيّة أنْ يحذروا من التعرّض لبَطْشهم وسطوتهم، فهُناك حقوق مرسومةٌ لكلّ منهما ـ السُلطان والرعيّة ـ لابدّ من مراعاتها، حدَّدها الإمام عليه السلام.

فعلىٰ السلطان أنْ لا يغترّ بقدرته الموقوتة المحدودة:

١ـ أنْ يكون رؤوفاً رحيماً بالبشر الذين استولىٰ عليهم.

٢ـ أنْ يعرف قدر نعمة السلطة، حتّىٰ يوفّق للمزيد، حَسَبَ الموعود بالمزيد لمَنْ شكر.

ويتنعّم بما هو فيه من فضل وسلطة.

وأما الرعيّة، فَعليها:

١ـ أن تخلص في النصيحة للسُلطان، وتبذل الولاء في سبيل إنجاح المهمّة الاجتماعيّة والحكمة والتدبير من «لابدّية الأمير» في سبيل الخير.

٢ـ وأنْ لاتلجأ إلى العداء والبغضاء حتّىٰ لا يلجأ السُلطان إلى العدوان والفتك، فيحصل العقوق بين الراعي والرعيّة فيشتركان في إثم الفَساد في الأرض.

---

(١) كما شرحنا جانباً من ذلك في بحث سابق، لاحظ (ص ٨٨ـ ٩١) في الفصل الثاني.

ومن المعلوم ـ في المقامين ـ أنّ مخاطب الإمام عليه‌السلام إنّما هم المؤمنون بالله تعالىٰ، ولذا جعل كلاً منهما «فتنةَ إلهيّة» للآخر، ليعتبر بهذا الموقع الخطر الذي يتبوّأه كلّ منهما.

فالحديث مع الذين لايُخالِفون أمر الله ولا يعادونه، وإنّما يَسيرون موافِقين للإسلام، ويعتمدون علىٰ ما سَنَّهُ من أحكام، ولايضرّون بالدين، وإلّا فالأمر يختلف. والحديث يتفاوتُ، والحقوق تكون غيرها، والواجبات سواها.

والحاصل: أنّ ما حدّده الإمام عليه‌السلام إنّما هو عن السُلطان والرعية، إذا لم يتهدّد كيان الإسلام وأحكامه وشعائره خطر من قبل السلطة، بدليل التذكير فيه بنعم الله وحوله وقوّته وأنّه لاحول ولا قوّة إلّا به.

وإلّا، لم يكن الخطاب بمثل هذا الكلام المعتمد على الإيمان بالله والاعتقاد بالواجب والإحساس بالخدمة للناس والإصلاح في المجتمع، والاعتماد علىٰ قوة الله وحوله. كما هو الحال في كلّ الحقوق الأخرى التي ذكرها في (رسالة الحقوق) فانه وجّه الخطاب إلى الأمة الإسلامية في داخل الوطن الإسلامي، وفي الحدود التي يلتزم رعاياها بشريعة الإسلام وقواعده.

وسنثبت نصّاً موثوقاً لرسالة الحقوق في الملحق الأوّل من ملاحِق الكتاب بعون الله[1].

---

(١) لاحظ الصفحات (٢٥٤ ـ ٢٩٦) من كتابنا هذا.

الفَصلُ الرابِع

التزامات فَذَّة فِي حَيَاةِ الإمَامِ عَلَيهِ السَّلامُ

أوّلاً: التزام الزهد والعبادة

ثانياً: التزام البكاء علىٰ سيّد الشهداء عليه السلام

ثالثاً: التزام الدُعاء

وأخيراً: مع الصحيفة السجّاديّة هدفا ومضموناً

تميزّت سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام بمظاهر فذّة، وهي وإن كانت متوفرّة في حياة آبائه وأبنائه الأئمة عليهم السلام، إلّا أنها برزت في سيرة الإمام عليه السلام بشكلٍ آخر، أكثر وضوحاً، وأوسع دوراً، مما تسترعي الانتباه، وهي:

١ـ ظاهرة الزهد والعبادة.

٢ـ ظاهرة البكاء.

٣ـ ظاهرة الدعاء.

فإذا سبرنا حياة الائمة عليهم السلام، وجدناهم ـ كلّهم ـ يتميّزون في هذه المظاهر علىٰ أهل زمانهم، إلّا أنّها في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام تجاوزت الحدّ المألوف، حتّىٰ كان عليه السلام فريداً في الالتزام بكلٍ منها:

العبادة والزهد، فقد عدّ فيهما: زينَ العابدين وسيدَ الزاهدين، حتّىٰ ضُرِب به المثل فيهما.

والبكاء، فقد عدّ فيه: من البكّائين الخمسة.

وأما الدعاء: فالصحيفة التي خلّفها تكفي شاهداً علىٰ ما نقول.

وسنحاول في هذا الفصل أن نشاهد أثر الالتزام بهذه المظاهر في ملامح سيرة الإمام عليه السلام، ونقرأ ما خلّده لنا التاريخ من آثارها في الحياة الاجتماعية للإمام عليه السلام، وما استهدفه الإمام عليه السلام من اللجوء إليها بهذا الشكل المركّز.

أوّلاً: التزام الزهد والعبادة

لقد أخذت هذه الظاهرة ساعات طويلة من وقت الإمام عليه‌السلام، وملأت مساحات واسعة من صفحات سيرته الشريفة، حتّىٰ أصبح من أشهر ألقابه «زين العابدين»[١] و«سيّد الساجدين»[٢].

والزهد، من الفضائل الشريفة التي يتزيّىٰ بها الرجال الطيّبون، المخلصون لله، الراغبون في جزيل ثوابه، العارفون بحقيقة الدنيا وأنها فانية زائلة، فلا يميلون إلى الاستمتاع بلذّاتها ومغرياتها، بل يقتصرون علىٰ الضروريّ الأقلّ، من المشرب والملبس والمسكن والمأكل.

وقد التزم أئمّة أهل البيت بهذه الفضيلة بأقوىٰ شكل، وفي التزامهم بها معنىٰ أكبر من مجرّد الفضل والخلق الجيّد، فكونهم أئمّةً يُقتدىٰ بهم وأُمثولة لمن يعتقد بهم، وأُسوة لمن سواهم، وقدوة للمؤمنين، يتبعون خطاهم، فهم لو تخلّقوا بهذا الخلق الكريم، قام جمع من الناس بذلك معهم، سائرين علىٰ طرق مأمونة من الانحراف.

فللإمام السجاد عليه‌السلام في العبادة مشاهد عظيمة، وأعمال جليلة، وسجدات طويلة، وصلوات متتالية، حتّىٰ أنه كان يصلّي في اليوم والليلة «ألف ركعة»[٣] وهذا يشبه ما نقل عن جدّه الإمام علي أميرالمؤمنين عليه‌السلام.

وإذا نظرنا إلىٰ عصر الإمام زين العابدين عليه‌السلام، وإلىٰ ما حوله من حوادث واقعة وأُمور جارية: أمكننا أنْ نقول: إنَّ التزام الإمام بهذه العبادة، وبهذا الشكل من السعة، والإصْرار، والإعْلان، لم يكن عفويّاً، ولا عن غير قصدٍ وهدف، ولا لمجرد

---

(١) تاريخ أهل البيت عليهم‌السلام (ص ١٣٠ ـ ١٣١) مختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٣٧) عن مالك بن أنس و(ص ٢٣٥) عن الزهري.

(٢) قد مضىٰ أن هذه الألقاب وردت في الحديث المرفوع، فلاحظ (ص ٣٥ ـ ٣٧) من كتابنا هذا.

(٣) سير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٢) وشرح الأخبار (٣: ٢٥٤ و ٢٧٢) والخصال للصدوق ٥١٧ وعلل الشرائع له (ص ٢٣٢) والإرشاد للمفيد (٢٥٦) وكشف الغمة (١: ٣٣) نقلا عن رسالة الجاحظ في فضل بني‌هاشم و(٢: ٨٦) وفلاح السائل (ص ٢٤٤) وتذكرة الحفاظ (١: ٧٥) وبحار الأنوار (٤٦ / ٦٧).

حاجة شخصيّة، وتقرّب خاص، بل كان وراءها تدبير اجتماعي مهمّ جدّاً، إذ أنّ الامويين ـ في تلك الفترة بالخصوص، وبعد سيطرتهم علىٰ مقدّرات العباد والبلاد ـ جدّوا في إشاعة الفساد، وتمييع المجتمع، وترويج الترف واللهو، بين الناس، بهدف تبرير أعمالهم المخالفة للشرع المقدس، المنافية للعرف الذي يبتنى على العفة والشرف، وسعياً لتخدير الناس، وإبعاد الأمة عن الروح الإسلامية الواثبة المقتدرة التي تمكّن المسلمون بها من السيطرة علىٰ مساحات شاسعة من العالم وحضارات لامبراطوريات مجاورة لها بعد أن كانوا من الشعوب المتخلّفة تتخطفهم الأمم من حولهم، لا يملكون لعدوّهم دفعاً، ولا عن ذمارهم منعاً.

وقد خاطبتهم الزهراء فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله واصفةً حالتهم بقولها: **...وكنتم علىٰ شفا حفرةٍ من النار، مَذَقةَ الشارب ونُهزَةَ الطامع، وقبسة العجلان، وموطأ الأقدام، تشربون الطرق وتقتاتون الورق، أذلة خاسئين تخافون أن يتخطفكم الناسُ من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالىٰ بأبي**[1].

فأرشدهم الرسول إلى المجد والعلا والكرامة والعلم.

لكنّ الأمويين ـ ولأجل إخماد ثورة الإسلام في نفوس الناس ـ أخذوا في ترويج الفحشاء والمنكر، والفجور والخمور، والظلم والخيانة، حتّىٰ ضُرب بهم المثل في خرق العهود والمواثيق، وتجاوز الأعراف والموازين المقبولة بين الناس، وتلاعبوا بكلّ المقدّرات والمقرّرات، وانغمسوا ـ وجرّوا الناس معهم ـ في الرذيلة واللعب، ومعهم الجيل الناشيء من الأمة، الذي نما علىٰ هذه الروح الطاغية اللاهية.

حتّىٰ جعلوا من مدينة الرسول الطيّبة، مركزاً للفساد.

قال أبوالفرج الأصبهاني: إن الغناء في المدينة لا ينكره عالمهم، ولا يدفعه عابدهم[2] وحتّىٰ: كانت يثرب تعجّ بالمغنّيات،....

---

(١) بلاغات النساء (ص ١٣) وانظر: فدك للقزويني (ص ١٥٣) وخطبتها عليها السلام في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله لما منعها أبوبكر فدكاً مروية في الاحتجاج للطبرسي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد (٤ / ٧٨)، وطرقها عديدة متضافرة.

(٢) الاغاني ـ طبع دار الكتب ـ (٨: ٢٢٤) ولاحظ (٤: ٢٢٢) ففيه موقف مالك فقيه المدينة، وانظر العقد الفريد (٣: ٢٣٣ و ٢٤٥).

ومن المؤسف ـ حقاً ـ أن مدينة النبي صلى الله عليه وآله صارت ـ في العصر الأموي ـ مركزاً للحياة العابثة، وكان من المؤمَّل أن تصبح معهداً للثقافة الدينية، ومصدراً للإشعاع الفكري والحضاري في العالم الإسلامي، إلّا أن الأمويين سلبوها هذه القابلية، وأفقدوها مركزيّتها الدينية والسياسية[(١)].

ولمّا خرج عُروة بن الزبير من المدينة واتخذ قصراً بالعقيق، وقال له الناس: قد أجْفَوْتَ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله! قال: إنّي رأيتُ مساجدهم لاهيةً، وأسواقهم لاغيةً، والفاحشة في فجاجهم عالية[(٢)].

وأضاف القرطبي: وكان في ما هناك عمّا أنتم فيه عافية[(٣)].

إنه ـ في مثل هذه الأجواء والظروف ـ ليس عفوياً، ولا عن غير هدف:

أن يظلّ الإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة، يعظ الناس ويرشدهم، ويدعوهم إلىٰ نبذ المُتَع، ويحذّرهم من اللغو واللهو ومن الزينة والتفاخر.

فكان عليه السلام يقول: لا قُدِّست أُمَّة فيها البَرْبَط[(٤)].

لقد كان له مجلس في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله يعظ الناس فيه:

قال سعيد بن المسيب: كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهّدهم في الدنيا، ويرغّبهم في أعمال الآخرة، بهذا الكلام، في كل جمعة، في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحفظ عنه، وكتب، كان يقول:

أيّها الناس! اتقوا الله واعلموا أنكم إليه ترجعون، فتجدُ كلّ نفس ما عملت ـ في هذه الدنيا ـ من خير مُحْضَراً وما عملت من سُوء، تَوَدُّ لو أنّ بينَها وبينه أمداً بعيداً، ويحذّركم الله نفسه [مقتبس من القرآن الكريم. سورة آل عمران «٣» الآية «٣٠»].

ويحك! يابن آدم الغافل، وليس بمغفول عنه!

---

(١) لاحظ حياة الإمام زين العابدين للقرشي (ص ٦٧٠) واقرأ في الصفحات (٦٦٥ ـ ٦٧١) أخباراً من ترف الأمويين، وحياة اللهو والغناء وحفلات الرقص في المدن المقدسة ـ المدينة ومكة ـ.

(٢) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (١٧ : ٢٣).

(٣) جامع بيان العلم (٢ /).

(٤) لسان العرب مادّة (بربط).

يابن آدم! إنَّ أجلك أسرع شيء إليك قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك، ويوشك أن يدركك، وكأنْ قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك وصرت إلىٰ قبرك وحيداً، فردَّ إليك فيه روحك. واقتحم عليك فيه ملكان: ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك.

ألا، وإن أوّل ما يسألانك: عن ربك الذي كنت تعبده؟ وعن نبيك الذي أُرسل إليك؟ وعن دينك الذي كنت تدين به؟ وعن كتابك الذي كنت تتلوه؟ وعن إمامك الذي كنت تتولّاه؟

ثمّ، عن عمرك في ما كنت أفنيته؟ ومالك من أين اكتسبته؟ وفي ما أنت أنفقته؟

فخذ حذرك، وانظر لنفسك، وأعدّ الجواب قبل الامتحان والمسألة والاختبار.

فإن تَكُ مؤمناً عارفاً بدينك، متّبعاً للصادقين، موالياً لأولياء الله، لقَّاك الله حجّتك وانطلق لسانك بالصواب وأحسنت الجواب، وبُشِّرت بالرضوان والجنة من الله عزوجل، واستقبلتك الملائكة بالروح والريحان.

وإن لم تكن كذلك تلجلج لسانك ودُحضت حجّتك وَعييْتَ عن الجواب، وبُشّرت بالنار، واستقبلتك ملائكة العذاب بنزل من حميم وتصلية جحيم.

واعلم يابن آدم: أن من وراء هذا أعظم، وأفظع، وأوجع للقلوب يوم القيامة، وذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، يجمع الله عزوجل فيه الأوّلين والآخرين.

ذلك يوم ينفخ في الصور، وتبعثر فيه القبور.

وذلك يوم الأزفة، إذ القلوب لدى الحناجر، كاظمين.

وذلك يوم لا تقال فيه عثرة، ولا يؤخذ من أحد فدية، ولا تُقبل عن أحد معذرة، ولا لأحد فيه مستقبل توبة، ليس إلّا الجزاء بالحسنات والجزاء بالسيئات.

فمن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّةٍ من خيرٍ وجده، ومن كان من المؤمنين عمل في هذه الدنيا مثقال ذرّةٍ من شرٍّ وجده.

فاحذروا، أيها الناس من الذنوب والمعاصي ما قد نهاكم الله عنها، وحذّركموها في كتابه الصادق، والبيان الناطق.

ولا تأمنوا مكر الله وتحذيره وتهديده، عندما يدعوكم الشيطان اللّعين إليه من عاجل الشهوات واللذات في هذه الدنيا، فإن الله عزوجل يقول: ﴿ إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم

طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ [الأعراف « ٧ » الآية : ٢٠١] .

وأشْعِروا قلوبكم خوف الله ، وتذكّروا ما قد وعدكم الله في مرجعكم إليه من حسن ثوابه ، كما قد خوَّفكم من شديد العقاب ، فإنه من خاف شيئاً حذره ، ومن حذر شيئاً تركه .

ولا تكونوا من الغافلين ، المائلين إلىٰ زهرة الدنيا ، الذين مكروا السيئات ، فإن الله يقول في محكم كتابه : ﴿ أفأمِنَ الذين مكروا السيّئات أن يخسف الله بهم الأرض أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون أو يأخذهم في تقلّبهم فما هم بمعجزين أو يأخذهم علىٰ تخوّف ﴾ [النحل (١٦) الآيات ٤٥ـ٤٧] .

فاحذروا ما حذّركم الله ، بما فعل بالظلمة ، في كتابه ، ولا تأمنوا أن ينزل بكم بعض ما تواعد به القوم الظالمين في الكتاب .

والله ، لقد وعظكم الله في كتابه بغيركم ، فإن السعيد من وُعِظَ بغيره .

ولقد أسمعكم الله في كتابه ما قد فعل بالقوم الظالمين من أهل القرىٰ قبلكم ، حيث يقول : ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ﴾ وإنّما عنىٰ بالقرية أهلها ، حيث يقول : ﴿ وأنشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾ فقال عزوجل : ﴿ فلما أحسّوا بأسنا إذا هم منها يركضون ﴾ يعني يهربون ، قال : ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلىٰ ما أُترفتم فيه ومساكنكم لعلّكم تسألون ﴾ فلما أتاهم العذاب ﴿ قالوا يا ويلنا إنا كنّا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتّىٰ جعلناهم حصيداً خامدين ﴾ [الانبياء « ٢١ » الآيات « ١١ـ١٥ »] .

وايْمُ الله ، إنّ هذه عظة لكم وتخويف ، إن اتّعظتم وخفتم .

ثم رجع القول من الله في الكتاب علىٰ أهل المعاصي والذنوب ، فقال الله عزوجل : ﴿ ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك ليقولنّ يا ويلنا إنّا كنّا ظالمين ﴾ [الأنبياء « ٢١ » الآية « ٤٦ »] .

فإن قلتم ـ أيها الناس ـ : إن الله عزوجل إنّما عنىٰ بهذا أهل الشرك ؟

فكيف ذاك ؟ وهو يقول : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبّةٍ من خردل أتينا بها وكفىٰ بنا حاسبين ﴾ [الأنبياء « ٢١ » الآية « ٤٧ »] ؟!

إعلموا ـ عباد الله ـ إن أهل الشرك لا تُنصب لهم الموازين ولا تنشر لهم الدواوين ،

وإنما يحشرون إلىٰ جهنم زمراً، وإنما نصب الموازين ونشر الدواوين لأهل الإسلام.

فاتقوا الله عباد الله.

واعلموا أن الله عزوجل لم يحبّ زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه، ولم يرغّبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها: أيّهم أحسن عملاً لآخرته؟.

وايمُ الله، لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرّف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوّة إلّا بالله.

فازهدوا في ما زهّدكم الله عزوجل فيه من عاجل الحياة الدنيا.

فإن الله عزوجل يقول ـ وقوله الحقّ ـ: ﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتّىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنت وظنّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأنْ لم تَغْنَ بالأمسِ كذلك نفصّل الآيات لقوم يتفكّرون ﴾ [يونس «١٠» الآية «٢٤»].

فكونوا عبادالله ـ من القوم الذين يتفكّرون، ولا تركنوا إلى الدنيا فإن الله عزوجل قال لمحمّد صلى الله عليه وآله: ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار ﴾ [هود «١١» الآية «١١٣»].

ولا تركنوا إلىٰ زهرة الدنيا وما فيها ركون من اتّخذها دار قرار ومنزل استيطان، فإنها دار بُلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزوّدوا الأعمال الصالحة فيها قبل تفرُّق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، فكان قد أخر بها الذي عمرّها أول مرة وابتدأها وهو وليُّ ميراثها فأسأل الله العون لنا ولكم علىٰ تزوّد التقوىٰ، والزهد فيها.

جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لآجل ثواب الآخرة، فإنما نحن به وله.

وصلّى الله علىٰ محمّد وآله وسلّم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته [١].

---

(١) الكافي، للكليني (٨: ٧٢ـ٧٦) وتحف العقول (ص ٢٤٩ـ٢٥٢) وأمالي الصدوق (المجلس (٧٦) ص (٤٠٧ـ٤٠٩).

وكان عليه السلام يعظ أصحابه [١] ويعظ الخليفة وأعوانه [٢].

ويجسّد في نفسه كل المواعظ والنصائح، حتّىٰ يكون أُمثولة للسامعين والمشاهدين.

وقد نقلت آثار في هذا الباب عنه عليه السلام، نذكر منها:

١ـ كان علي بن الحسين عليه السلام إذا مشىٰ لا يجاوز يديه فخذيه، ولا يخطر بيده [٣].

٢ـ وكان إذا قام إلى الصلاة أخذته رعدة، فقيل له: ما لَكَ؟

فقال: ما تدرون بين يدي مَن أقوم؟ ومن أناجي؟ [٤].

٣ـ وقيل: إنه كان إذا توضّأ أصفرَّ لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟

فيقول: تدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقوم؟ [٥].

٤ـ قال سفيان بن عُيَيْنَة: حجّ علي بن الحسين عليه السلام فلمّا أحرم واستوت به راحلته اصفرَّ لونه، وانتفض... ولم يستطع أن يلبّي، فقيل له: ما لَكَ؟

فقال: أخشى أن أقول: «لبَّيْك» فيقول لي: «لا لبيك» [٦].

٥ـ وقال مالك بن أنس: أحرم علي بن الحسين عليه السلام، فلمّا أراد أن يقول: «لَبَّيْك اللّهمَّ لبَّيكَ» قالها فأغميَ عليه، حتّىٰ سقط من راحلته [٧].

---

(١) كما رأينا صحيفته في الزهد إلىٰ أصحابه (راجع ص ١٢٣ ـ ١٢٥) من الفصل الثالث.

(٢) سيأتي ذكر مواعظ لهم في الفصل الخامس (ص ٢٢١ ـ ٢٣٠).

(٣) تاريخ دمشق الاحاديث (٦ ـ ٦٣) مختصر تاريخ دمشق (١٧ : ٢٣٦) وانظر سير اعلام النبلاء (٤ : ٣٩٢).

(٤) تاريخ دمشق الاحاديث (٦ ـ ٦٣) مختصر تاريخ دمشق (١٧ : ٢٣٦) وانظر سير اعلام النبلاء (٤ : ٣٩٢).

(٥) تاريخ دمشق الاحاديث (٦ ـ ٦٣) مختصر تاريخ دمشق (١٧ : ٢٣٦) وانظر سير اعلام النبلاء (٤ : ٣٩٢) وروي الحديث الثالث في العقد الفريد (٣ : ١٦٩).

(٦) تاريخ دمشق الاحاديث (٦ ـ ٦٣) مختصر تاريخ دمشق (١٧ : ٢٣٦) وانظر سير اعلام النبلاء (٤ : ٣٩٢).

(٧) تاريخ دمشق (الحديث ٦٤) ومختصر ابن منظور (١٧ : ٢٣٧) وسير أعلام النبلاء (٤ : ٣٩٢).

قال: وبلغني أنه كان يصلّي في كل يوم وليلة ألف ركعة إلىٰ أن مات[(١)].

٦ـ وقع حريق في بيت فيه الإمام زين العابدين عليه السلام فجعلوا يقولون له: يابن رسول‌الله! النار! يابن رسول‌الله! النار!

فما رفع راسه حتّىٰ أطفئت، فقيل له: ما الذي ألهاك عنها؟

قال: ألهتني النار الأخرىٰ![(٢)].

٧ـ قالوا: وكان علي بن الحسين عليه السلام يخرج علىٰ راحلته إلىٰ مكة ويرجع، لا يقرعها[(٣)].

٨ـ وروى ابن طاوس عن الصادق عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الصلاة اقشعرّ جلده، واصفرّ لونه، وارتعد كالسعفة[(٤)].

ولنقرأ معاً كلاماً له عليه السلام في الزهد، لنقف علىٰ معالم رفيعة وآفاق وسيعة مما عند الإمام في هذا المقام:

إنَّ علامةَ الزَّاهِدينَ في الدُّنيا الرَّاغبينَ في الآخِرَةِ تركُهُمْ كلَّ خليطٍ وخليلٍ ورَفْضُهمْ كُلَّ صاحِبٍ لا يريدُ ما يُريدوُنَ.

ألا وَإنَّ العامِلَ لِثَوابِ الآخِرَةِ هو الزَّاهدُ في عاجِلِ زَهرةِ الدُّنيا، الآخذُ لِلمَوتِ أُهْبَتَهُ، الحاثُّ علَى العَمَلِ قَبْلَ فَناءِ الأَجَلِ ونُزولِ ما لابدَّ مِن لِقائِهِ. وتَقديمِ الحَذَرِ قَبْلَ الحَيْنِ. فإنَّ اللهَ عزَّوجلَّ يقولُ: ﴿ حَتّىٰ إذا جاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعلّي أعْمَلُ صالِحاً في ما تَرَكْتُ[(٥)] ﴾ فَلْيُنْزِلَنَّ أَحدُكُم اليَوْمَ نَفْسَهُ في هذِه الدُّنيا كمَنْزِلَةِ المكْرُورِ إلى الدُّنيا، النّادِمِ علىٰ ما فَرَّطَ فيها مِنَ العمَلِ الصّالِح لِيَوْمِ فاقَتِهِ.

وَاعْلَمُوا عِبادَ اللهِ: أنّه مَنْ خافَ البَياتَ تَجافىٰ عَنِ الوِسَادِ. وَامْتَنَعَ مِنَ الرُّقادِ.

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ٦٤) ومختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٧) وسير أعلام النبلاء (٤: ٣٩٢) وانظر ص ١٥٨).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٦) سير أعلام النبلاء (٤: ١ـ٣٩٢).

(٣) تاريخ دمشق (الحديث ١٠٠) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٣) سير أعلام النبلاء (٤: ٣٨٨).

(٤) فلاح السائل (ص ٩٦) عن كتاب (زهرة المهج وتواريخ الحجج).

(٥) المؤمنون آية ١٠٠.

وأَمْسَكَ عَنْ بَعْضِ الطّعام والشَّرابِ مِنْ خَوْفِ سُلْطانِ أهلِ الدُّنيا. فكيفَ، وَيْحَكَ يا ابنَ آدمَ، مِن خَوفِ بَياتِ سُلطانِ رَبِّ العِزَّةِ وأَخْذِهِ الأَليمِ وبَياتِهِ لأَهلِ المَعاصِي والذُّنوبِ مَعَ طوارِقِ المَنايا باللّيل والنَّهارِ؟ فَذلِكَ البَياتُ الّذي لَيسَ مِنْهُ مُنْجَى، ولا دُونَه مُلْتَجأ، ولا مِنْهُ مَهْرَبٌ.

فَخافُوا اللهَ أيُّها المُؤمِنونَ مِنَ البَياتِ خَوفَ أَهْلِ التَّقوىٰ، فَإِنَّ اللهَ يقولُ: ﴿ ذٰلِكَ لِمَنْ خافَ مَقامي وَخافَ وَعيدِ[١] ﴾.

فَاحْذَرُوا زَهْرَةَ الحَياةِ الدُّنيا وغُرُورَها وشُرُورَها وتذكَّروا ضَرَرَ عاقبةِ المَيْلِ إِلَيْها، فَإِنَّ زِينَتَها فِتْنَةٌ وحُبَّها خَطيئَةٌ.

واعلَمْ وَيْحَكَ يَا ابنَ آدمَ أَنَّ قَسْوَةَ البِطْنَةِ وكِظَّةَ المِلأَةِ وسُكْرَ الشَّبَعِ وغِرَّةَ المُلْكِ مِمّا يُثَبِّطُ ويُبَطِّىءُ عَنِ العَمَلِ ويُنْسِي الذِّكْرَ ويُلْهِي عَنِ اقْتِرابِ الأَجَلِ، حَتّىٰ كَأَنَّ المُبْتَلىٰ بِحُبِّ الدُّنيا به خَبَلٌ مِنْ سُكْرِ الشَّرابِ.

وأَنَّ العاقلَ عَنِ اللهِ، الخائِفَ مِنْهُ، العامِلَ له لَيمرِّنُ نَفْسَهُ ويُعَوِّدُها الجُوعَ حتّىٰ ما تَشْتاقَ إلى الشَّبَعِ، وكَذلِكَ تُضَمَّرُ الخَيْلُ لِسَبْقِ الرِّهانِ.

فَاتّقوا اللهَ عِبادَ اللهِ تَقوىٰ مُؤَمِّلٍ ثَوابَهُ وخائِفٍ عِقابَهُ فَقَدْ ـللهِ أَنْتُمْ ـ أَعْذَرَ وأَنْذَرَ وشَوَّقَ وخَوَّفَ، فَلا أَنْتُمْ إِلىٰ ما شَوَّقكُمْ إِلَيْهِ مِنْ كَريمِ ثَوابِهِ تَشْتاقُونَ فَتَعْمَلونَ، ولا أَنْتُمْ مِمّا خَوَّفكُمْ بِهِ مِنْ شَديدِ عقابِهِ وأليمِ عَذابِهِ تَرْهَبُونَ فَتَنْكُلُونَ.

وقد نَبّأكُمُ اللهُ في كتابِه أنّه: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحٰاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفرانَ لِسَعْيِهِ وَإِنّا لَهُ كاتِبُونَ[٢] ﴾.

ثُمَّ ضَرَبَ لكمُ الأَمثالَ في كِتابِهِ وَصَرَّفَ الآياتِ لِتَحْذَرُوا عاجِلَ زَهْرَةِ الحَياةِ الدُّنْيا فقال: ﴿ إِنّما أَموالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ[٣] ﴾.

فاتّقوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعوا وأطِيعوا، فَاتّقوا اللهَ وَاتَّعِظوا بِمَوَاعِظِ اللهِ. وما أَعلَمُ إلّا كَثيراً مِنكُمْ قَدْ نَهَكَتْهُ عَواقِبُ المَعاصِي فَما حَذَرَها وَأَضَرَّتْ بِدينِهِ فَما مَقَتَها. أما

---

(١) سورة ابراهيم آية ١٤.

(٢) سورة الأنبياء آية ٩٤.

(٣) سورة التغابن آية ١٥.

تَسمَعُونَ النِّداءَ مِنَ اللهِ بعَيْبِها وَتَصغِيرِها حَيثُ قال: ﴿ إعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيوٰةُ الدُّنيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وزِينَةٌ وَتَفاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكاثُرٌ في الأَمْوالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفّارَ نَباتُه ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطاماً وَفي الآخِرَةِ عَذابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ ورِضْوانٌ وَمَا الحَيوٰةُ الدُّنْيا إلّا مَتاعُ الغُرُورِ ۞ سابِقُوا إلىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وجَنَّةٍ عَرْضُها كَعَرْضِ السَّماءِ وَالأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ ذٰلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾(١).

وقالَ: ﴿ يا أَيُّهَا الّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعْمَلُونَ ۞ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللهَ فَأَنْساهُمْ أَنْفُسَهُمْ أولٰئكَ هُمُ الفاسِقُونَ ﴾(٢).

فَاتَّقوا اللهَ عِبادَ اللهِ، وَتَفَكَّرُوا وَاعْمَلُوا لِما خُلِقْتُمْ لَهُ، فَإنَّ اللهَ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ولَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى، قَدْ عَرَّفكُمْ نَفْسَهُ وَبَعَثَ إلَيْكُمْ رَسُولَهُ وأَنْزَلَ عليكم كِتابَهُ، فيه حَلالُهُ وحرامُهُ وحُجَجُهُ وأمثالُهُ.

فاتَّقُوا اللهَ فَقد احْتَجَّ عليكم رَبُّكم فَقال: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۞ ولِساناً وَشَفَتَيْنِ ۞ وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ ﴾(٣) فهذِه حُجَّةٌ عَلَيكم فَاتَّقوا اللهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ فإنَّه لا قوّة إلّا باللهِ ولا تكْلانَ إلّا عَلَيه، وصلّى اللهُ علىٰ محمّدٍ [نبيِّهِ] وآله(٤).

إن الأبعاد الأخرى التي أنتجتها سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام في الزهد والعبادة، هي:

١ـ اعتراف علماء البلاط بفضل أهل البيت عليهم السلام.

على الرغم من أن الحكّام يحاولون التغطية علىٰ فضائل المعارضين لهم ولا سيما آل أُمية الذين ضربوا الأرقام القياسية في هذه الخصلة الذميمة، بإعلان السبّ لأهل البيت على المنابر، وإيعازهم إلىٰ وعّاظ السلاطين بوضع الحديث في قدحهم وذمّهم،

---

(١) سورة الحديد آية ٢٠ ـ ٢١.

(٢) سورة الحشر آية ١٨ ـ ١٩.

(٣) سورة البلد آية ٨ ـ ١٠.

(٤) تحف العقول (ص ٢٧٢ ـ ٢٧٤).

فإن علماء البلاط الاموي في عصر الإمام زين العابدين عليه السلام، لم يمكنهم إخفاء فضل الإمام السجّاد عليه السلام فضلاً عن الغضّ منه، لأن سيرته لم تكن تخفىٰ علىٰ أحد من الناس، فقد اضطروا إلىٰ إظهار تصريحات واضحة تعلن فضل الإمام عليه السلام، بالرغم من ارتباطهم بالحكم الاموي الجائر، أو موالاتهم له، وكذلك مَنْ تلاهم من فقهاء العامة ورجالهم:

قال يحيىٰ بن سعيد: **سمعت علي بن الحسين، وكان أفضل هاشمي أدركته** (١).

وقال الزهري: **ما رأيت قرشيّاً ـ أو هاشمياً ـ أفضل من علي بن الحسين** (٢).

وقال سعيد بن المسيب: **ما رأيت أورع منه** (٣).

وقال حماد بن زيد: كان علي بن الحسين افضل هاشمي أدركته (٤).

لقد فرض الإمام زين العابدين عليه السلام نفسه علىٰ كل المناوئين لأهل البيت عليهم السلام حتّىٰ لم يشذّ أحدٌ منهم عن تعظيمه وتجليله.

٢ـ إبراز فضل أهل البيت عليهم السلام.

ولقد كان الموقع الذي احتلّه الإمام زين العابدين عليه السلام بفضله وعبادته وزهده، بين الأمة، أحسن فرصة كي يعلن فضل أهل البيت عليهم السلام، الذي جهد الأعداء الظالمون في إخفائه:

ففي الحديث أن جابراً قال له: ما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك؟... يابن رسول‌الله! البُقيا علىٰ نفسك، فإنك من أُسرةٍ بهم يُستدفع البلاء، وبهم تُستكشف اللأواء، وبهم تستمسك السماء؟

---

(١) طبقات ابن سعد (١: ٢١٤) وتاريخ دمشق (الحديث ٤٧) ومختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤: ٣٨٧) ولاحظ تاريخ دمشق (الاحاديث ٣٧و ٤١و ٥٠) ومختصر ابن منظور (١٧: ٢٣١ و ٢٣٥).

(٣) سير اعلام النبلاء (٤: ٣٩١) ومختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٣٦) وحلية الأولياء (٣: ١٤١).

(٤) تهذيب الأسماء واللغات (١: ٣٤٣).

فقال الإمام: يا جابر، لا أزال علىٰ منهاج أبويَّ مؤتسياً بهما حتّىٰ ألقاهما.

فاقبل جابر علىٰ مَن حضر فقال: ما رؤي في أولاد الأنبياء مثل علي بن الحسين، إلّا يوسف بن يعقوب، والله لذريّة علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف (١).

فإن قوله: «منهاج أبويّ ـ يعني: علياً والحسين عليهما السلام ـ مؤتسياً بهما» يعني: أن ما يتمتّع به الإمام زين العابدين عليه السلام هو ما كان يتمتّع به أبوه الحسين وجدّه علي عليهما السلام، وأن ما قام به أبواه من الجهاد يقوم به الإمام السجاد، لأنه مثلهما في الامامة، ووارثهما في الكرامة.

وفي حديث عن الصادق عليه السلام في ذكر أميرالمؤمنين عليه السلام وإطرائه ومدحه بما هو أهله، وزهده في المأكل، قال: وما أطاق عمل رسول‌الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيره، ثم قال: وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد أقربَ شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام.

قال: ولقد دخل أبوجعفر ـ ابنه ـ عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد، فرآه، وقد اصفرّ لونه من السهر، ورمصت عيناه من البكاء...

قال أبوجعفر عليه السلام: فلم أملك ـ حين رأيته بتلك الحال ـ البكاء، فبكيت رحمةً له، فإذا هو يفكّر، فالتفت إليَّ ـ بعد هنيئةٍ من دخولي ـ فقال: يا بنيَّ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي بن ابي‌طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً، ثم تركها من يده تضجّراً، وقال: مَن يقوىٰ علىٰ عبادة علي بن أبي‌طالب عليه السلام؟ (٢).

وعن الصادق عليه السلام قال: كان علي بن الحسين عليه السلام إذا أخذ كتاب علي عليه السلام فنظر فيه قال: مَنْ يطيق هذا؟ مَنْ يطيق هذا؟ (٣).

وهكذا يُعلن الإمام زين العابدين عليه السلام ـ وهو في أعلىٰ قمم العبادة والاجتهاد في الطاعة ـ أنه لا يقوىٰ علىٰ عبادة جدّه علي عليه السلام!

فإلىٰ أيّ سماء ترتفع فضيلة أميرالمؤمنين علي عليه السلام في العبادة، بعد هذه الشهادة!؟

---

(١) مناقب آل أبي‌طالب (٣: ٢٨٩) وبحار الأنوار (٤٦: ٧٩) ولاحظ: أمالي الطوسي (٢: ٢٥٠).

(٢) شرح الأخبار للقاضي (٣: ٢٧٢) والإرشاد للمفيد (ص ٢٥٦) والمناقب لابن شهرآشوب (٤: ١٤٩) وكشف الغمة (٢: ٨٥) وبحار الأنوار (٤٦: ٧٥).

(٣) الكافي للكليني، الروضة (٨: ١٦٣).

إن الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الجهاد الظريف يحرق ما كدّسه بنواُمية طوال السنين المظلمة لحكمهم من أطنان الكذب والافتراء ضدّ علي عليه السلام، وينسف كل الأُسس التي بنوا عليها ظلمهم وجورهم لسيد العترة وزعيم أهل البيت الطاهر أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

٣ـ إنارة السبيل للعُبّاد والصالحين:

إن الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يمثّل الإسلام في تصرفاته وأقواله، كان المثل الأفضل للعبّاد والصالحين، ومن أراد أن يدخل هذا المسلك الشريف فله من الإمام عليه السلام خير دليل ومرشد، ومن أقواله خير منهج وطريقة.

ولقد رسم خطوطاً عريضةً للسير والسلوك، تمثّل أفضل ما قرّره علماء هذا الفنّ، وإليك أمثلة من تلك:

فقال عليه السلام: **إنّ قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجّار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار** (١).

فربط بين الحرية، وبين عبادة الله، وبين الروح غير الخانعة ولا الطامعة بل المتطلّعة إلى الله، والمتقرّبة إلىٰ رضوانه، بالتزام العبادة له، والطالبة للمزيد بالشكر، حيث وعد وقال: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم ﴾ [سورة إبراهيم (١٤) الآية ٧].

وسئل عليه السلام: **عن صفة الزاهد في الدنيا؟**

فقال: يتبلّغ بدون قوته، ويستعد ليوم موته، ويتبرّم في حياته (٢).

وقال له رجل: ما الزهد؟

فقال عليه السلام: **الزهد عشرة أجزاء:**

فأعلىٰ درجات الزهد، أدنىٰ درجات الورع، وأعلىٰ درجات الورع أدنىٰ درجات اليقين، وأعلىٰ درجات اليقين أدنىٰ درجات الرضا، وإن الزهد في آية من كتاب الله ﴿ لكي لا

---

(١) تاريخ دمشق (الحديث ١٤١) وهذا من كلام الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام رواه الرضي في نهج البلاغة بالارقام (٦٥ و ٢٣٧ و ٢٧٦) من الباب الثالث: قصار الحكم.

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١٣٤).

تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم ﴾ [الحديد «٥٧» الآية: ٢٣] [١].

ومن أظرف أمثلة مواعظه، ما روي عنه من الخطاب الموجّه إلىٰ «النفس» يقول: «يانفس، حتّامَ إلى الدنيا سكونكِ، وإلىٰ عمارتها ركونك، أما اعتبرتِ بمن مضىٰ من أسلافكِ؟ ومن وارته الأرض من أُلّافكِ؟ ومن فجعت به من إخوانكِ؟ ونقل إلى الثرىٰ من أقرانكِ؟

فهم في بُطون الأرض بعد ظهورها ... محاسنُهم فيها بَوالٍ دواثِرُ
خلتْ دورهم منهم وأقوت عِراصُهم ... وساقتْهم نحو المنايا المقادرُ
وخلّوا عن الدنيا وما جمعوا لها ... وضمَّهم تحتَ التراب الحفائرُ [٢]

وهكذا يسترسل الإمام عليه السلام مع النفس في خطاب رقيق، وحساب دقيق، ويُناجيها، يعرض عليها العبَر، ويذكّرها بما فيه مزدَجَر، ويُبعِّدها عن الدنيا وزينتها والغرور بها، ويُقرِّبها إلى الآخرة ونعيمها وما فيها من جوار الله ورحمته، في مقاطع نثريّة رائعة، تتلوها معانٍ منظومة، في ثلاثة أبيات بعد كل مقطع، بلغت (١٨) مقطعاً [٣].

وهكذا، لم يترك الإمام عليه السلام طريقاً إلّا سلكه ولا جهداً إلا استنفده، ليدرك الامة كيلا تقع في هُوّة الانحراف، وحياة الترف التي صنعتها لها آل أُمية!

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (الحديث ١٣٥) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٤٩ ـ ٢٥٤) ونقله ابن كثير في تاريخ البداية والنهاية (٩: ١٠٩ ـ ١١٣).
وانظر عوالم العلوم (ص ١٢٤) عن المناقب لابن شهرآشوب (٣ / ٢٩٢) وبحار الأنوار (٤٦ / ٨٣).

(٣) وقد نُسِبَ كتاب منظوم إلى الإمام السجاد عليه السلام باسم «المخمسات» في نسخة محفوظة في خزانة مخطوطات مكتبة آية الله المرعشي قدس سره، ذكرها السيد أحمد الحسيني في التراث العربي في تلك الخزانة (٥ / ٢٨) أوله:

تبارك ذو العلىٰ والكبرياء ... تفرد بالجلال وبالبقاء
وسوّى الموت بين الخلق طُرّاً ... وكلهم رهائن للفناء

رقم النسخة (٥٥٥٧) وتاريخها (٩٠٣).

١ـ تزييف دعاوي المُبْطلين من دعاة التصوّف والرَهْبَنة:

ومع أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان المثل الأعلىٰ للزهد والعبادة في عصره، حتّىٰ غلبت عليه هذه الصفة أكثر من غيرها، إلّا أنّه عليه السلام وقف من المُتظاهرين ـ كذباً ـ بالزهد، والمائلين إلى الانعزال عن المشاكل، والتاركين للحكّام وللناس، يظلم أُولئك هؤلاء، ويتبع هؤلاء أُولئك، والذين قبعوا ـ حسب نظرتهم ـ علىٰ إصْلاح أنفسهم وأعمالهم، تلك الحالة التي سُمّيتْ من بعدُ بالتصوّف، وسُمّي أهلها بالصوفيّة.

وقف الإمام عليه السلام من هذه الحالة ومن دعاتها ورعاتها، موقف الردّ والإنكار وإعلان الخطأ في طرقهم، وحاول إرشادهم إلىٰ طرق السلوك الصائبة، بما قدّمه إليهم وإلى الأمة من مواعظ وأدعية وخطب ورسائل وأجوبة تحدّد لهم معالم الطرق القويمة والسبل المستقيمة، والموصلة إلى الهدىٰ والرشاد.

وبما كان الإمام يتمتّع به من مكانة مرموقة ُمعترف بها، في الإيمان والشرف، حسباً ونسباً، وخاصة في الزهد والعبادة، فإن كلامه في هذا المجال كان هو المقبول، ومواقفه التي كان يتخذها من المتظاهرين بالزهد، كانت هي الناجحة والغالبة.

وقد تركّز انحرافهم في نقطتين هامّتين:

١ـ محاولتهم الانعزال عن الحياة الاجتماعية، بعدم تدخلهم في ما يمسّ وجودهم بسوء أو ضرر، مثل التعرّض للظلم والفساد الذي يجري حواليهم، وخاصة من قبل الخلفاء والولاة وكل مَنْ يمتّ إلى السلطان والحكومة بِصِلة! خوفاً علىٰ أنفسهم من الموت والهلكة.

وقد كان يجرّهم هذا التفكير إلىٰ مداراة الظلمة، والخضوع لهم، والحضور في مجالسهم، بل الانخراط في مظالمهم، وتصويب أعمالهم، بالرغم من معرفة ظلمهم وعدم استحقاقهم للمقامات التي احتلّوها.

٢ـ وعلىٰ أثر النقطة الاولىٰ، فإنهم ابتعدوا عن أهل البيت عليهم السلام، لأنهم كانوا هم المعارضين السياسيّين، فكان الاتصال بهم يعني المحسوبيّة عليهم وعلىٰ خطّهم،

فابتعدوا عنهم، وأقلّ آثار ذلك هو الحرمان من تعاليمهم القيّمة، والتردّي في ظلمات الجهل والانحراف.

وبما أن أُولئك المتظاهرين كانوا يمثّلون في أنظار الناس بمنزلة علماء زهّاد، فإنّ استمرارهم علىٰ تلك الحالة الانحرافية كان يُغري الناس البسطاء بصحّة سلوكهم المنحرف، وتفكيرهم الخاطىء فكان على الإمام زين العابدين عليه السلام أن يصدّهم، إرشاداً لهم، وإيقافاً للأُمّة علىٰ حقيقة أمرهم، وكشفاً لانحرافهم وخطئهم في السلوك والمنهج:

فموقفه من عبّاد البصرة، الذين دخلوا مكّة للحجّ، وقد اشتدّ بالناس العطش لقلّة الغيث، قال أحدهم: «ففزع إلينا أهلُ مكة والحُجّاجُ يسألوننا أن نستسقيَ لهم»؟!

والكلام إلىٰ هنا يدل علىٰ مدى اهتمام الناس بهؤلاء العُبّاد!

قال: فأتينا الكعبة وطفنا بها، ثم سألنا اللهَ خاضعين متضرّعين بها، فمُنعنا الإجابة، فبينما نحن كذلك إذا نحن بفتىً قد أقبل، وقد أكربته أحزانُه، وأقلقته أشجانه، فطاف بالكعبة أشواطاً، ثم أقبل علينا، فقال:

يا مالك بن دينار، ويا...ويا...

وذكر الإمام عليه السلام أسماءهم كلّهم، بحيث يبدو أنه يريد أن يعرّفهم للناس بأعيانهم!

قال الراوي: فقلنا: لبيك وسعديك، يا فتىٰ!

فقال: أما فيكم أحدٌ يحبُّه الرحمن؟

فقلنا: يا فتىٰ، علينا الدعاء وعليه الإجابة!

فقال: أبعدوا عن الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبّه الرحمن لأجابه!

ثم أتىٰ الكعبة، فخرّ ساجداً، فسمعته يقول في سجوده: «سيّدي بحبّك لي إلّا سقيتهم الغيث».

قال: فما استتمَّ الكلام حتّىٰ أتاهم الغيث كأفواه القِرب!

قال الراوي: فقلتُ: يا أهل مكة، مَن هذا الفتىٰ؟

قالوا: علي بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام [1].

---

(١) الاحتجاج (٣١٦ـ٣١٧) وبحار الأنوار (٤٦: ٥٠ـ٥١).

إنّ ابتعاد أهل البصرة عن أهل البيت عليهم السلام إلىٰ حدّ الجهل بهم ليس بتلك الغرابة، لأنّ انحرافهم عن أهل البيت قد تجذّر فيهم منذ حرب الجَمَل ووقعته الرهيبة، وقد بقيت آثارها فيهم حتّىٰ دهر سحيق، فلما خرج حفص بن غياث القاضي إلىٰ عبادان ـ وهو موضع رباط ـ فاجتمع إليه البصريّون فقالوا له: لا تحدّثنا عن ثلاثة: أشعث بن عبدالملك، وعمرو بن عبيد، وجعفر بن محمد...[1].

فتلك شنشنة أعرفها من أخْزَمِ!

لكنّ كلّ الغرابة من أهل مكّة المجاورين للمدينة؟ والذين يعرفون الإمام كاملاً، كيف اغترّوا بأولئك الزهّاد، القادمين من بعيد، ولجأوا إليهم يطلبون الغَيْث منهم، وهذا الامام زين العابدين، وحجّة الزاهدين بينهم يتركونه، بل لا يُعْرَفُ إلّا بالسؤال عنه!؟

لم يُتصوَّر ظلم علىٰ أهل البيت عليهم السلام أكثر من هذا! في مركز الدين والإسلام، مكّة، وعند أشرف البقاع وأعظمها «الكعبة الشريفة» !!

وما الذي جعل أهل مكّة يتركون الإمام علي بن الحسين عليه السلام وهم يعرفونه حسباً ونسباً، فيلجأون إلىٰ أناس جاءوا من البصرة؟

إنّه ليس إلّا الانحراف عن أهل البيت عليهم السلام والجهل بحقّهم وفضلهم، إن لم يكن العداء لهم!!

وهكذا تصدّى الإمام لهذا الانحراف وأسقط ما في أيدي أولئك العُبّاد المتظاهرين بالزهد، الذين لا يعرف واحدهم زين العابدين، إمام زمانه، وسيّد أهل البيت.

فكشف عن زيف دعاواهم، وسوء نيّاتهم، وضلال سُبُلهم حيث عَنَدوا عن حقّ أهل البيت، ولم يعترفوا لهم بالفضل.

وللإمام عليه السلام مواقف أُخرىٰ مع آحاد من هؤلاء العُباد، مثل موقفه من الحسن البصري، ومن طاوس، وغيرهما[2].

إن الزهد الذي قام الإمام زين العابدين عليه السلام بإحيائه كان مثل زهد النبي صلى الله عليه وآله

---

(١) تهذيب الكمال للمزّي (٥ / ٧ ـ ٧٨).

(٢) لاحظها في حلية الأولياء، وصفوة الصفوة، وكشف الغمة.

وعليّ والأئمة عليهم السلام ، الذي يُطابق ما قرّره الإسلام، وينبذ كل أشكال الانحراف والزيف والتزوير، والرهبانيّة المبتدعة.

ولقد أُثِرَتْ عن الإمام زين العابدين عليه السلام نصوص جاء فيها شرح العبادات من وجهات نظرٍ روحيّة بما عجز عن إدراكه كبار المتصدّين لمثل هذه المعارف، فمن ذلك ما روي عنه في تفسير معاني أفعال الحج[١] وأقسام الصوم[٢].

أضف إلىٰ أن عمل الإمام كان تعديلاً لسلوك الامّة في اغترارها بمناهج أولئك المتظاهرين المزيّفين، المنحرفين عن ولاء أهل البيت عليهم السلام وأئمة الحق والصدق، الذين مثّلهم الإمام زين العابدين عليه السلام يومذاك.

إن الإمام عليه السلام حذّر الأمة من الاغترار بالذين يتظاهرون بالزهد، ممن يحبّ الترؤّس على الناس، يجتمعون حوله، ويلتذّ بالفخفخة والتمجيد، ولو علىٰ حساب المعرفة بالدين والفقه!

ففي الحديث أنه قال عليه السلام : **إذا رأيتم الرجل قد حسّن سمته وهديه، وتماوت في منطقه، وتخاضع في حركاته، فرويداً لا يغرّنكم!**

فما أكثر من يعجزه تناول الدنيا وركوب الحرام منها، لضعف نيّته، ومهانته، وجبن قلبه، فنصب الدين فخّاً لها، فهو لا يزال يختل الناس بظاهره، فإن تمكّن من حرام اقتحمه.

وإذا وجدتموه، يعفّ عن المال الحرام، فرويداً، لا يغرّنكم!

فإن شهوات الخلق مختلفة! فما أكثر من ينبو عن المال الحرام، وإن كثر! ويحمل نفسه علىٰ شوهاء قبيحة فيأتي منها محرّماً.

فإذا وجدتموه يعفّ عن ذلك، فرويداً لا يغرّنكم!

---

(١) مستدرك الوسائل (٢ : ١٨٦) ابواب العود إلىٰ منىٰ، الباب (١٧) الحديث (٥) وطبعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام (١٠ / ١٦٦) رقم (١١٧٧٠). ويلاحظ أن الراوي عن الإمام مسمّىٰ بـ« شبلي » وليس في الرواة عنه، ولا من عاصره من هو بهذا الاسم، ولعله مصحّف « شيبة » وهو ابن نعامة، المذكور في أصحابه عليه السلام.

(٢) حلية الأولياء (٣ : ١٤١) وفرائد السمطين للحمويني (٢ : ٢٣٣) وكشف الغمة (٢ : ١٠٣ ـ ١٠٥) ولاحظ : المقنعة للشيخ المفيد (ص ٣٦٣) الباب (٣٢) ووسائل الشيعة، كتاب الصوم، أبواب بقية الصوم الواجب، الباب (١٠) الحديث (١).

حتّىٰ تنظروا ما عُقدة عقله ؟ فما أكثر من ترك ذلك أجمع ، ثم لا يرجع إلىٰ عقل متين ، فيكون ما يفسد بجهله أكثر مما يصلحه بعقله .

فإذا وجدتم عقله متيناً ، فرويداً لا يغرّنكم !

حتّىٰ تنظروا ، أمع هواه يكون علىٰ عقله ، أم يكون مع عقله علىٰ هواه ؟ وكيف محبّته للرئاسات الباطلة ؟ وزهده فيها ؟

فإن في الناس من خسر الدنيا والآخرة ، بترك الدنيا للدنيا ، ويرىٰ أن لذة الرئاسة الباطلة أفضل من لذة الأموال والنعم المباحة المحللة ، فيترك ذلك أجمع طلباً للرئاسة ، حتّىٰ إذا قيل له : « اتّق الله » أخذته العزّة بالإثم ، فحسبه جهنم ولبئس المهاد [١] .

فهو يخبط خبط عشواء ، يوفده أول باطل إلىٰ أبعد غايات الخسارة ، ويمدّ به ـ بعد طلبه لما لا يقدر عليه ـ في طغيانه ، فهو يُحلّ ما حرّم الله ، ويحرّم ما أحلّ الله ، لا يُبالي ما فات من دينه إذا سلمت له الرئاسة التي قد شقي من أجلها .

فأولئك الذين غضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم عذاباً مهيناً [٢] .

ولكنّ الرجل ، كلّ الرجل ، نعم الرجل :

هو الذي جعل هواه تبعاً لأمر الله ، وقواه مبذولة في رضا الله ، يرى الذلّ مع الحقّ أقرب إلىٰ عزّ الأبد ، من العزّ في الباطل ، ويعلم أن قليل ما يحتمله من ضرّائها يؤدّيه إلىٰ دوام النعيم في دار لا تبيد ولا تنفد ، وأن كثير ما يلحقه من سرّائها ـ إن اتّبع هواه ـ يؤدّيه إلىٰ عذاب لا انقطاع له ولا يزول .

فذلكم الرجل ، نعم الرجل :

فبه فتمسّكوا ، وبسُنّته فاقتدوا ، وإلىٰ ربكم فتوسّلوا ، فإنه لا تردّ له دعوة ، ولا يخيب له طلبة [٣] .

ولحن هذا الكلام ، يعطي أنّه خطاب عام وجّهه الإمام إلىٰ مستمعيه ، أو مَنْ طلب منه الإجابة عن سؤال حول مَنْ يجب الالتفاف حوله والأخذ منه ؟

---

(١) اقتباس من القرآن الكريم ، سورة البقرة (٢) الآية : ٢٠٦ .

(٢) اقتباس من القرآن الكريم ، سورة الاحزاب (٣٣) الآية (٥٧) .

(٣) الاحتجاج (ص ٣٢٠ ـ ٣٢١) .

ومهما يكن، فإنّ كلام الإمام عليه السلام يبدو واضحاً قاطعاً للعذر، وهو غير متّهم في موقفه من الزهد والتواضع، وما إلىٰ ذلك مما يُراد استغلاله من قبل المشعوذين، لإغراء العوام، وإغواء الجهّال.

إنّ فيه تحذيراً من علماء السوء، المتزيّين بزيّ أهل الصلاح، والمتظاهرين بالورع والتقىٰ، ولكنّهم يُبطنون الخبث والمكر، والدليل علىٰ ذلك ارتباطهم الوثيق بأهل الدنيا والرئاسات الباطلة، من الحكّام والولاة وأصحاب الأموال.

وسيأتي الحديث عن موقفه من أعوان الظلمة في الفصل الخامس.

٥ـ إرعاب الظالمين:

إن الواقعيّة التي التزمها الإمام زين العابدين عليه السلام في حياة الزهد والعبادة، كما انفتحت له بها قلوب الناس الطيّبين، فكذلك اقتحم بها على الظالمين أبراجهم، وقصورهم، فملأ أثوابهم خيفةً ورهبةً، كما غشّىٰ عيونهم وأفكارهم بما رأوه عليه من المظهر الزاهد، والاشتغال بالعبادة.

ولقد قرأنا في حديث مسلم بن عقبة ـ سفّاح الحرّة ـ لمّا طلب الإمامَ، فأكرمه، وقد كان مغتاظاً عليه، يبرأ منه ومن آبائه، فلمّا رآه ـ وقد أشرف عليه ـ أُرعب مسلم بن عقبة، وقام له، وأقعده إلىٰ جانبه!

فقيل لمسلم: رأيناك تسبُّ هذا الغلام وسلفه، فلما أُتي به إليك رفعت منزلته؟
فقال: ما كان ذلك لرأي منّي، لقد مُليء قلبي منه رُعباً[1].

وسنقرأ في حديث عبدالملك بن مروان، لمّا جَلَبَ الإمام مقيّداً مغلولا من المدينة إلى الشام، فلمّا دخل عليه الإمام عليه السلام بصورة مفاجئة قال لعبد الملك: ما أنا وأنت؟

قال عبدالملك: قلتُ: أقمْ عندي.
فقال الإمام: لا أُحبُّ، ثم خرج.
قال عبدالملك: فوالله، لقد امتلأ ثوبي منه خيفةً[2].

---

(١) مروج الذهب (٣: ٨٠) وانظر ما مضىٰ ص (٧١) الفصل الأول.
(٢) تاريخ دمشق (الحديث ٤٢) ومختصره لابن منظور (١٧: ٤ـ ٢٣٥).

ومهما يكن من تدخّل أمر «الغيب» في هذه القضايا، وفرضه لنفسه على البحث، الّا أن من المعلوم كون تصرف الإمام عليه السلام نفسه، وحياته العملية وتوجّهاته المعنوية، وتصرّفاته المعلنة في الأدعية، والمواعظ، والخطب والمواقف، وما تميّزت به من واقعية، كل هذا ـ المجهول لأُولئك العُمي البصائر ـ قد أصبح أمراً يهزّ كيانهم، ويُزعزع هدوءهم، ويملؤهم بالرعب والخيفة.

ولقد استغلّ الإمام ذلك لصالح أهدافه الدينيّة وأغراضه الاجتماعية.

ومع كلّ هذا التعرّض والتحديّ، وكلّ هذه الأبعاد المدركة والآثار المحسوسة، مع دقّتها وعمقها، فإنّ التحفظ علىٰ ما في ظواهرها، وجعلها «روحيّة» فقط وعدم الاعتقاد بكونها نتائج طبيعيّة من صنع الإمام وإرادته، يدلّ علىٰ سذاجة في قراءة التاريخ، وظاهريّة في التعامل مع الكلمات والأحداث، وقصور في النظر والحكم.

وكذلك الاستناد إلىٰ كلّ تلك المظاهر، ومحاولة إدراج الإمام مع كبار الصوفيّة، وجعله واحداً منهم [١]، فهو بخلاف الإنصاف والعدل ؟!

ولماذا يقع اختيار عبدالملك الخليفة على الإمام عليه السلام، من بين مجموعة الزهّاد والعبّاد، ليوجّه اليه الإهانة، ويلقي القبض عليه، ويكبّله بالقيود والأغلال، ويرفعه إلىٰ دمشق ؟! دون جميع المتزهدين والعباد الآخرين ؟!

بينما كل أُولئك المتظاهرين بالزهد، متروكون، بل محترمون من قبل السلطان، وأجهزة النظام !؟

لو لم يكن في عمل الإمام ما يثير الخليفة إلىٰ ذلك الحدّ !

(١) لاحظ الفكر الشيعي (ص ٣١ و ٦٨) والصلة بين التصوف والتشيع (ص ١٤٨) و (ص ١٥١ و ١٥٧) وانظر خاصة (ص ١٦١).

ثانياً: التزام البكاء علىٰ سيد الشهداء عليه السلام

لقد صاحبتْ هذه الظاهرة الإمام زين العابدين عليه السلام مدّة إمامته ونضاله، بحيث لا يمكن المرور علىٰ أيّ مرفق من مرافق عمره الشريف، أو أيّ موقف من مواقفه الكريمة، إلّا بالعبور من مجرىٰ دموعه وفيض عيونه.

ولا ريب أنّ البكاء، كما أنه لا يتهيّأ للإنسان إلّا عند التأثّر بالأمور الأكثر حساسيّة، وإثارةً وحرقةً، ليكون سبباً للهدوء والترويح عن النفس.

فكذلك هو وسيلة لإثارة القضيّة، أمام الآخرين، وتهييج مَنْ يرىٰ دموع الباكي تنهمر، ليتعاطف معه طبيعيّاً، وعلى الأقل يخطر علىٰ باله التساؤل عن سبب البكاء؟

وإذا كان الباكي شخصيةً مرموقةً، وذا خطر اجتماعي كبير، مثل الإمام زين العابدين عليه السلام، فإن ظاهرة البكاء منه، مدعاةٌ للإثارة الأكثر، وجلب الاهتمام الأكبر، بلا ريب.

والحكّام الظالمون، فهم دائماً يهابون الثوّار في ظلّ حياتهم، فيحاولون إسكاتهم بالقتل والخنق، مهما أمكن، ويتصوّرون ذلك أفضل السبل للتخلّص منهم، أو تطويقهم بالسجن والحبس.

وكذلك هم يحاولون بكل جدّية، في إبادة آثار الثورة ومحوها عن الأنظار، والأفكار حتّىٰ لا يبقىٰ منها ولا بصيص جذوة.

ولكنهم ـ رغم كل قدراتهم ـ لم يتمكّنوا من اقتلاع العواطف التي تستنزف الدموع من عيون الباكين علىٰ أهليهم وقضيَّتهم، فالبكاء من أبسط الحقوق الطبيعية للباكين.

والإمام زين العابدين عليه السلام قد استغلّ هذا الحقّ الطبيعي في صالح القضية التي من أجلها راح الشهداء صرعىٰ علىٰ أرض معركة كربلاء.

وإذا أمعنّا النظر في تحليل التاريخ وتابعنا مجريات الأحداث، التي قارنت كربلاء، وجدنا أن المعركة لم تنتهِ بعدُ، وإنما الدماء الحمر، أصبحت تجري اليوم دموعاً حارّة بيضاً، تحرق جذور العدوان، وتجرف معها مخلّفات الانحراف وتروّي بالتالي أُصول الحقّ والعدالة.

وبينما يعدّ الطغاة ظاهرة البكاء دليلاً على العجز والضعف والانكسار والمغلوبيّة، فهم يكفّون اليد عن الباكي، لكون بكائه علامةً لانـدحاره أمـام القـوّة، وعـلامة الاستسلام للواقع، نجد عامة الناس، يُبدون اهتماماً بـليغاً لهـذه الظـاهرة، تسـتتبع عطفهم، وتسـتدرّ تجـاوبهم إلىٰ حـدّ مـا، وأقـلّ مـا يُـبدونه هـو نشـدانهـم عـن أسباب البكاء؟

وتزداد كلّ هذه الامور شدّةً إذا كان الباكي رجلاً شريفاً معروفاً! وبالأخص إذا كان يُفيض الدمعة بغزارة فائقة، وباستمرار لا ينقطع! كـما كـان مـن الإمـام زيـن العابدين عليه السلام، حتّىٰ عدّ في البكّائين، وكان خامسهم بعد آدم، ويعقوب، ويوسف، وجدّته فاطمة الزهراء[1].

إنّ البكاء علىٰ شُهداء كربلاء، وثورتها، لم يكن في وقت من الأوقات أمر حزن ناتج من إحساس بالضعف والانكسار، ولا عَبرة يأس وقنوط، لأن تلك الأحداث، بظروفها ومآسيها قد مضت، وتغيّرت، وذهب أهلوها، وعُرف حقّها من بـاطلها، وأصبحت للمقتولين كرامة وخلوداً، وللقاتلين لعنةً ونقمةً، لكنّ البكاء عليهم وعلىٰ قضيّتهم، كان أمر عِبرة وإثارة واستمداد من مفجّرها، وصانع معجزتها، وحزناً علىٰ عرقلة أهدافها المستلهمة من ثورة الإسلام التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله.

والدليل علىٰ كل ذلك أنّ لكلّ حزن أمداً، يبدأ من حين المصيبة إلىٰ فترة طالت او قصرت، وينتهي ولو بعد جيل من الناس.

أما قبل حدوث المصيبة، فلم يُؤْثَر في المعتاد، أو المعقول للناس، أن يبكوا لشيء.

لكن قضيّة الحسين أبي عبدالله عليه السلام، قد أقيمت الأحزان عليها قبل وقوعها بأكثر من نصف قرن، واستمرّ الحزن عليها إلى الأبد، فهي الى القيامة باقية.

والذين أثاروا هذا الحزن، قبل كربلاء، وأقاموا المآتم بعد كربلاء: هم الأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

فمنذ وُلد الحسين عليه السلام أقام النبي صلى الله عليه وآله مآتم علىٰ سبطه الوليد ذلك اليوم، الشهيد بعد غدٍ.

---

(١) الخصال للصدوق (ص ٢٧٢) وأمالي الصدوق (المجلس ٢٩) ص (١٢١).

فكيف يقيم النبي صلى الله عليه وآله مجلس الحزن علىٰ قرّة عينه، يوم ولادته، أهكذا يَستقبل العظماء مواليدهم؟ أولا يجب أن يستبشروا بالولادات الجديدة، ويتهادوا التهاني والأفراح والمسرّات؟!

وتتكرّر المجالس التي يعقدها الرسول العظيم، ليبكي فيها علىٰ وليده، ويبكي لأجله كلُّ مَنْ حوله، وفيهم فاطمة الزهراء عليها السلام أم الوليد، وبعض أمّهات المؤمنين، وأشراف الصحابة (١).

وحقاً عُدّ ذلك من دلائل النبوّة ومعجزاتها (٢).

وهكذا أقام الإمام علي عليه السلام، مجلس العزاء علىٰ ولده الحسين عليه السلام، لمّا مرّ علىٰ أرض كربلاء، وهو في طريقه إلىٰ صفّين، فوقف بها، فقيل: هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أومأ بيده إلىٰ مكان، فقال: **هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم**، وأومأ بعده إلىٰ موضع آخر، فقال: **هاهنا مهراق دمائهم** (٣).

ونزل إلىٰ شجرة، فصلّىٰ إليها، فأخذ تربةً من الأرض فشمّها، ثم قال: **واهاً لكِ من تربة، ليقتلنّ بكِ قوم يدخلون الجنة بغير حساب** (٤).

ورثاه أخوه الحسن عليه السلام وقال له: **لا يوم كيومك يا أباعبدالله ... ويبكي عليك كلّ شيء ...** (٥).

وحتّى الحسين عليه السلام نفسُه، نعىٰ نفسَه ودعا إلى البكاء علىٰ مصيبته، وحثّ المؤمنين عليه، حيث قال: **أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكىٰ** (٦).

وهكذا الأئمة عليهم السلام بعد الحسين، أكّدوا على البكاء على الحسين بشتّىٰ الأشكال.

---

(١) إقرأ عن المجالس التي أقامها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كتاب: سيرتنا وسنتنا للاميني، ولاحظ تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الامام الحسين عليه السلام (ص ١٦٥ ـ ١٨٥).

(٢) دلائل النبوة للبيهقي (٦: ٤٦٨) ومسند أحمد (٣: ٢٤٢ و ٢٦٥) وانظر أمالي الصدوق (ص ١٢٦) ودلائل النبوة، لابي نعيم (ص ٧٠٩) رقم (٤٩٢).

(٣) وقعة صفين (ص ١٤١) والمصنف لابن أبي شيبة (١٥: ٩٨) رقم (١٩١٢١٤) وكنز العمال (٧: ١٠٥ و ١١٠) وأمالي الصدوق المجلس (٧٨) (ص ٤٧٨ و ٤٧٩).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (ترجمة الامام الحسين عليه السلام) (ص ٢٣٥) رقم ٢٨٠ وانظر الارقام (٢٣٦ ـ ٢٣٩).

(٥) أمالي الصدوق (المجلس (٢٤) ص ١٠١).

(٦) فضل زيارة الحسين للعلوي (ص ٤١) الحديث (١٣).

لكنّ الإمام زين العابدين عليه السلام:

قد تحمّل أكبر الأعباء، في هذه المحنة، إذ عايش أسبابها، وعاصر أحداثها، بل باشر جراحها وآلامها، فكان عليه أن يؤدّي رسالتها، لأنّه شاهدُ صدق من أهلها، بل الوحيد الذي ملك أزمّة أسرارها، ولابدّ أن يُمثّل أفضل الأدوار التي لم يبق لها ممثّل غيره، ولم تبق لها صورة في أي منظار، غير ما عنده!

وإذا عرفنا بأن الإمام زين العابدين عليه السلام هو أوثق مَنْ يروي حديث كربلاء، فهو أصدق الناقلين له، وخير المعبّرين عنه بصدق.

وأما أهداف شهداء كربلاء التي من أجلها صُنِعَت، فلا بدَّ لها أن تستمرّ، ولا تنقطع عن الحيويّة، في ضمير الناس ووجدانهم، حتّىٰ تستنفد أغراضها.

وبينما الحكّام التائهون لا يعبأون ببكاء الناس، فإنّ الإمامَ زين العابدين عليه السلام اتّخذ من البكاء عادةَ، بل اعتمدها عبادة، فقد كانت ـ وفي تلك الفترة بالذات ـ وسيلة هامّةَ لأداء المهمّة الإلهية التي حمل الإمام عليه السلام أعباءها.

والناس، لمّا رأوا الإمام زين العابدين عليه السلام يذرف الدموع ليلَ نهار، لايفتأ يذكر الحسين الشهيد ومصائبه، فهم:

بين مَن يُدرك: لماذا ذلك البكاء والحزن، والدمع الذارف المنهمر، والحزن الدائب المستمر؟ وعلىٰ مَن يبكي الإمام عليه السلام؟

فكان ذلك سبباً لاستمرار الذكرىٰ في الأذهان، وحياتها على الخواطر، وبقاء الأهداف حيّة نابضة، في الضمائر ووجدان التاريخ، وتكدّس النقمة والنفرة من القتلة الظلمة.

وبين مَنْ يعرف الإمام زين العابدين بأنه الرجل الفقيه، الزاهد في الدنيا، الصبور علىٰ مكارهها، فإنه لم يبك بهذا الشكل، من أجل أذىً يلحقه، أو قتل أحد، أو موت آخر، فإن هذه الامور هي مما تعوّد عليها البشر ـ علىٰ طول تاريخ البشرية ـ بل هي سُنّة الحياة.

كما قال القائل:

له مَلَكٌ يُنادي كلَّ يومٍ ... لِدُوا للموتِ وابنوا للخرابِ

وخصوصاً النبلاء والنابهين، والأبطال الذين يقتحمون الأهوال ويستصغرونها من أجل أهداف عظام ومقاصد عالية رفيعة.

فبكاء مثله، ليس إلّا لأجل قضيّة أكبر وأعظم، خاصةً البكاء بهذا الشكل الذي لا مثيل له في عصره(١).

لقد ركزّ الإمام زين العابدين عليه السلام علىٰ قدسيّة بكائه لمّا سُئل عن سببه؟

فقال: لا تلوموني.

فإنّ يعقوب عليه السلام فَقَدَ سبطاً من ولده، فبكىٰ، حتّىٰ ابيضّت عيناه من الحزن، ولم يعلم أنه مات..

وقد نظرتُ إلىٰ أربعة عشر(٢) رجلا من أهل بيتي يذبحون في غداةٍ واحدة!

فترونَ حزنهم يذهب من قلبي أبداً؟!(٣).

إنّه عليه السلام في الحين الذي يربط عمله بما في القرآن من قصة يعقوب وبكائه، وهو نبي متّصل بالوحي والغيب، إذ لا ينبع فعله عن العواطف الخالية من أهداف الرسالات الإلهية.

وفي الحين الذي يمثّل لفاجعة الطفّ في أشجىٰ مناظرها الدامية، وبأقصر عبارة وافية.

فهو يؤكّد علىٰ تبرير بكائه، بحيث يعذره كل سامع.

وفي حديث آخر: جعل الإمام عليه السلام من قضيّة كربلاء مدعاةً لكل الناس إلىٰ إحيائها، وتزويدها بوقود الدموع، وإروائها بمياه العيون، ولا يعتبرونها قضية خاصةً بعائلة النبي صلى الله عليه وآله وحسب، بل هي مصاب كل الناس، وكل الرجالات الذين هم

---

(١) أمالي الصدوق (ص ١٢١) ولاحظ بحار الأنوار (٤٦: ١٠٨) الباب (٦) الحديث (١).

(٢) يلاحظ أن المعروف في عدد المقتولين من أولاد علي وفاطمة عليهما السلام في كربلاء هم «ستة عشر» رجلا، ـ الوسائل ـ المزار ـ الباب (٦٥) تسلسل (١٩٦٩٤) عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام) (١: ٢٩٩) ولاحظ نزهة الناظر (ص ٤٥).

(٣) كامل الزيارات (ص ١٠٧) أمالي الصدوق (المجلس ٩ و ٩١) تيسير المطالب لابي طالب (ص ١١٨) وتاريخ دمشق الحديث (٧٨) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٣٩) وحلية الأولياء (٣: ١٣٨).

كرامة في الحياة، أو يحسّون بشيء اسمه الكرامة، أو شخص يحسّ بالعاطفة، فهو يقول:

وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة.

أيّها الناس، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله؟

أم أيّ فؤاد لا يحزن من أجله؟

أم أيّ عين منكم تحبس دمعها؟[١].

وكان عليه السلام يحثّ المؤمنين على البكاء ويقول:

أيّما مؤمنٍ دمعتْ عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتّىٰ تسيل علىٰ خدّه، بوّأه الله تعالىٰ بها في الجنّة غُرفاً يسكنها أحقاباً.

وأيّما مؤمن دمعت عيناه حتّىٰ تسيل علىٰ خدّيه مما مسّنا من الأذىٰ من عدوّنا في الدنيا، بوّأه الله منزل صدق[٢].

وكان البكاء واحداً من الأساليب التي جعلها وسيلةً لإحياء ذكرىٰ كربلاء، وقد استعمل أساليب أخرىٰ.

منها: **زيارة الحسين عليه السلام**:

قال ابوحمزة الثُمالي: سألتُ عليّ بن الحسين، عن زيارة الحسين عليه السلام؟

فقال: زرْهُ كلّ يومٍ، فإنْ لم تقدر فكلّ جمعةٍ، فإنْ لم تقدر فكلّ شهر، فمن لم يزره فقد استخفّ بحق رسول‌الله صلى الله عليه وآله[٣].

ومنها: **الاحتفاظ بتراب قبر الحسين عليه السلام**:

فكانت له خريطة ديباج صفراء، فيها تربة قبر أبي‌عبدالله عليه السلام، فإذا حضرت الصلاة سجد عليها[٤].

---

(١) كامل الزيارات (ص ١٠٠) مقتل الحسين عليه السلام للأمين (ص ٢١٣) ولاحظ كتابنا هذا (ص ٦٦).

(٢) ثواب الاعمال (ص ٨٣).

(٣) فضل زيارة الحسين عليه السلام للعلويّ (ص ٤٣) ح ١٧.

(٤) بحار الأنوار (٤٦: ٧٩) باب ٥، الحديث ٧٥ وعوالم العلوم (ص ١٢٩) وباختصار في مناقب ابن

ومنها: **خاتم الحسين** عليه السلام:

فقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يتختّم بخاتم أبيه الحسين عليه السلام [(١)].

كما كان ينقش علىٰ خاتمه: «**خزيَ وشقي قاتل الحسين بن علي** عليه السلام» [(٢)].

ومن المؤكد أن الإمام عليه السلام لم يتبع هذه الأساليب لمجرد الانعطاف مع العواطف والسير وراءها، ولا لضعف في نفسه، أو لاستيلاء هول الفجيعة علىٰ روحه، ولم يتّخذ مواقفه من بني أمية نتيجةً للحقد أو الانتقام الشخصي، ممن له يد في مذبحة كربلاء.

وإنما كان عليه السلام يلتزم بتلك الخطط ويتبع تلك الأساليب لإحياء الفكرة التي من أجلها قتل الحسين عليه السلام واستشهد هو وأصحابه علىٰ أرض كربلاء فضرّجوا تربتها بدمائهم الزكية.

ولقد أثبت ذلك بصراحة في حياته العملية:

فقد كانت له علاقات طبيعية مع عوائل بعض الأمويين مثل مروان بن الحكم، الذي التجأ بأهله وزوجته وهي عائشة ابنة عثمان بن عفان إلىٰ بيت الإمام زين العابدين عليه السلام، فأصبحوا تحت حمايته، مع أربعمائة عائلة من بني عبدمناف، مدّة وجود الجيش الأموي في المدينة، فأمنوا من استباحتهم لها وهتكهم الأعراض فيها، في واقعة الحرّة الرهيبة [(٣)].

وبالاضافة إلىٰ أن الائمة عليهم السلام بعيدون عن روح الانتقام الشخصي وإنما يغضبون لله لا لأنفسهم، فإنهم يشملون باللطف والرحمة النساء والأطفال في مثل تلك الظروف، وبذلك يكسبون ودّ الجميع حتّى الأعداء، ويثبتون جدارتهم، ولياقتهم

←

شهرآشوب (٤ / ١٦٢) عن مصباح المتهجد للشيخ الطوسي.

(١) نقش الخواتيم، للسيد جعفر مرتضىٰ (ص ١١).

(٢) نقش الخواتيم، للسيد جعفر مرتضىٰ (ص ٢٥) عن الكافي (٦: ٤٧٣) ومسند الرضا عليه السلام (٢: ٣٦٥) وبحار الأنوار (٤٦: ٥).

(٣) أنساب الأشراف (٤: ٣٢٣) تاريخ الطبري (٥: ٤٩٣) ومروج الذهب (٢: ١٤) وكشف الغمة (٢: ١٠٧).

لمنصب الإمامة والزعامة.

فكسب الإمام زين العابدين عليه السلام بمواقفه اعتقاد الجهاز الحاكم فيه أنه «خيرٌ لا شرّ فيه»[١] وأنه «مشغول بنفسه»[٢].

ذلك الاعتقاد الذي أفاد الإمام عليه السلام نوعاً من الحرّية في العمل في مستقبل تخطيطه ضدّ الحكم الأموي الغاشم، وعزّز موقعه الاجتماعي حتّىٰ تمكّن من اتخاذ المواقف الحاسمة من الظالمين وأعوانهم.

كما رُسمت في سيرته الشريفة صور من صبره على المصائب والبلايا، ممّا يدل علىٰ صلابته تجاه حوادث الدنيا ومكارهها، وهي أمثلة رائعة للمقاومة والجَلَد.

فعن إبراهيم بن سعد، قال: سمع علي بن الحسين واعيةً في بيته، وعنده جماعة، فنهض إلىٰ منزله، ثم رجع إلىٰ مجلسه، فقيل له: أمن حدثٍ كانت الواعية؟

قال: نعم.

فعزّوه، وتعجّبوا من صبره.

فقال: إنّا أهل بيت نطيع الله في ما نحبُّ، ونحمده في ما نكره[٣].

ونتمكّن من استخلاص الهدف الأساسي من كلّ هذه الإثارات لقضيّة كربلاء وشهدائها خصوصاً ذكر أبيه الإمام الشهيد عليه السلام من خلال الحديث التالي:

قال عليه السلام لشيعته: **عليكم بأداء الأمانة، فوالذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، لو أن قاتل أبي الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ائتمنني على السيف الذي قتله به، لأديته إليه**[٤].

في الوقت الذي يُشير فيه إلىٰ مأساة قتل الحسين عليه السلام، ويذكّر بقتله، ليُحيي معالمها في الأذهان، فهو يؤكّد بأغلظ الأيمان علىٰ أنّ أمراً «مثل أداء الأمانة» يوجِبُه الإسلام، هو فوق العواطف والأحاسيس الشخصيّة.

وهو يُوحي بأنّ الإمام الحسين عليه السلام إنما قتل من أجل تطبيق كلّ المبادىء التي

---

(١) قاله مسرف بن عقبة لما استباح المدينة، انظر في ما مضي من كتابنا هذا (ص ٧١).

(٢) قاله الزهري لعبدالملك، انظر (ص ٢١٢) في ما يأتي.

(٣) تاريخ دمشق ومختصره لابن منظور (١ : ٢٤٠).

(٤) أمالي الصدوق (ص ١٢٨) المجلس (٤٣).

جاء بها الإسلام، والتي بعث بها جدّه النبيّ محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وأن الإمام زين العابدين يريد الاستمرار علىٰ تلك المبادىء والخطط التي أنار الحسين الشهيد عليه السلام معالمها بوقود من دمه الطاهر.

وهو في الوقت ذاته، يرفع من قيمة البكاء أن يكون من أجل أمور مادّية ولو كانت الدنيا كلها:

في الخبر أنّه عليه السلام نظر إلىٰ سائل يبكي!

فقال عليه السلام : لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا ثمّ سقطت منه ما كان ينبغي له أن يبكي [١]

(١) كشف الغمة (٢ : ١٠٦) عن كتاب نثر الدرر للآبي.

ثالثاً: التزام الدعاء

ومن أبرز المظاهر الفذّة في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام الأدعية المأثورة عنه، فقد تميّز ما نقل عنه بالكثرة، والنفس الطويل، والشهرة والتداول، لما تحتويه من أساليب جذّابة ومستهوية للقلوب، تتجاوب معها الأرواح والنفوس، وما تضمنته من معان راقية تتفاعل مع العقول والأفكار.

وقد كان للأدعية التي أصدرها أبعاد فكرية واسعة المدىٰ. بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البتّ فيها بنصّ قاطع، بعد أن عصفت بالعقيدة، تيّارات الإلحاد، كالتشبيه والجبر والإرجاء، وغيرها مما كان الأمويون وراء بعثها وإثارتها وترويجها، بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردّة عن الإسلام، والرجوع إلى الجاهلية الاولىٰ.

وفي حالة القمع والإبادة، ومطاردة كلّ المناضلين الأحرار، وتتبُّع آثارهم وخنق أصواتهم، كان قرار الإمام زين العابدين عليه السلام باتّباع سياسة الدعاء، أنجح وسيلة لبثّ الحقائق وتخليدها، وأءمن طريقة، وأبعدها من إثارة السلطة الغاشمة، وأقوىٰ أداة اتصال سريّة مكتومة، هادئة، موثوقة.

كما كانت لنصوص الأدعية أصداء قويّة في ميادين الأدب، الذي له وقع كبير في نفوس الشعوب، وخاصة الشعب العربي، وله تركيز كثير في قرارات أذهان الناس وذاكرتهم.

ولقد استخدم الائمة عليهم السلام تأثير الأدب في الناس، فكانوا يهتمّون بذلك، سواء في تطعيم ما يصدرونه، بألوان زاهية من الأدب العربي الراقي، نثراً وشعراً، كما كانوا يبعثون الشعراء علىٰ نظم القضايا الفكرية، والحقّة، في أشعارهم، ويروّجونها بين الناس.

ولقد استثار الأئمة عليهم السلام ـ علىٰ طول خط الإمامة ـ شعراء فطاحل من المتشيّعين، للنظم في قضايا عقيدية تؤدي إلىٰ تثبيت الحق والدعوة إلى الإسلام من خلال مذهب أهل البيت عليهم السلام، حتّى اشتهر عنهم الحديث «من قال فينا بيتاً من

الشعر، بنى الله له بيتاً في الجنّة».

ولقد كان لهذا التوجيه أثر آخر، وهو انتشال الأدب ـ وخاصة الشعر ـ من مهاوي الرذيلة والمجون والاستهتار الذي سقط فيه الأُدباء وخاصة الشعراء في تلك العصور المظلمة، التي كادت تؤدّي إلىٰ ضياع جهود جبّارة من ذوق الشعراء وفنّهم في متاهات الأغراض الفاسدة، وكذلك جهود الأمّة في سماع ذلك الأدب الماجن، ونقله وضبطه وتداوله!

وقد أثّرت جهود الأئمة عليهم‌السلام بتعديل ذلك المجرىٰ، للسير في السُبل الآمنة، والأغراض الشرعيّة، والتزام الأدب الهادف المؤدّي إلىٰ رفع المستوى الخلقيّ والفكريّ والثقافيّ.

ولقد أثرى الإمام زين العابدين عليه‌السلام الأدب العربي: بمادّة غزيرة من النصوص الموثوقة، بشكل الأدعية التي تعدّ من أروع أمثلة الأدب العربي في النثر[1].

وامتازت بين مجموع ما رُوي عن الإمام زين العابدين من الأدعية، تلك التي ضمّنها «الصحيفة السجادية» التي تتلألأ بين أدعيته، لأنّها من تأليف الإمام نفسه، وإملائه، فلذلك فتح العلماء لها مجالاً خاصاً في التراث الإسلامي، وأغدق عليها المبدعون بأجمل ما عندهم من مهارات في الخطّ والزخرفة، وأولاها الداعون عناية فائقة في الالتزام والأداء، والعلماء في الشرح والرواية، فلنتحدث عنها في الصفحات الأخيرة من هذا الفصل.

(١) لاحظ مقال: من أدب الدعاء في الإسلام، مجلة تراثنا، العدد (١٤) السنة الرابعة (١٤٠٩) (ص ٣٠).

وأخيراً : مع الصحيفة السجّادية هدفاً ومضموناً

أوّلاً : مع الصحيفة هدفاً

إنّ التشيّع، وفي عصر الإمام زين العابدين عليه السلام خاصةً ـ كان يواجه صعوبات بالغة الشدّة، حيث كان الظلم مستولياً علىٰ كلّ المرافق والمقدّرات، ولم يكن بالإمكان القيام بأيّة مقاومة إيجابية، أو محاولة.

فآخر ثورة تلك التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام في صدّ التعدّي الغاشم، كان قد قضي عليها، وعلىٰ جميع عناصرها بشكل دمويّ، وبقي منهم «غلام» فقط، وهو «الإمام زين العابدين عليه السلام».

وكانت الأوضاع الاجتماعية تسير باتجاهِ خطر، خطورة الإجهاز علىٰ أساس النهضة، وإخماد روح الوثبة الإسلامية، بل القضاء علىٰ كلّ تفكير من هذا القبيل، وتناسيه إلى الأبد.

وأبرز نموذج لهذه المشكلة، أنّ الإمامة ـ وهي الجهاز الوحيد الباقي من كل مرافق الحكومة الإسلامية العادلة ـ أصبحت علىٰ شُرُف التناسي عن الأذهان، لأنّ نظام الحكم الأموي استولىٰ علىٰ كلّ أجهزة الإعلام من المنبر، والمحراب، والمسجد، واشترىٰ ذمم كلّ ذوي النفوذ في الرأي العام من قاض وحاكم ووالٍ، وأصبحت كلّ الإمكانات في قبضة «الخلافة!» وفي خدمة «الخليفة»!

أما الإمام زين العابدين، فقد بقي وحيداً في مواجهة المشكلات، مع أنّ الإرهاب والذعر كان يتحكّم في الرقاب، ويستولي على النفوس.

في مثل هذه الظروف أصبح «الدعاء» ملجأً للإمام وللإمامة، لا، بل موقعاً اتّخذه الإمام زين العابدين عليه السلام للصمود والهجوم:

صمود ماذا؟

ـ صمود ذلك الفكر، وذلك الهتاف، وذلك الإيمان، الذي جنّدت الدولة الأمويّة كلّ الإمكانات في العالم الإسلامي ضدّه.

والهجوم علىٰ مَن؟

ـللهجوم علىٰ سلطة تمكنّت من كلّ قواعد القدرة، وسلبت من الأمة كلّ إمكانات المقاومة!

فكان الدعاء هو سلاح النضال.

ومعنىٰ ذلك: أنّه إذا طوّقت مقاومة، أو فكرة، أو نضال، وأدّت بها الظروف إلىٰ مثل ما حصل في «كربلاء» إذ تعرّض كلّ رجالها للإبادة الدامية، ولم يبق سوىٰ رجل «واحد» ووقع كلّ النساء والصغار في الأسر، وتحت القيود، وإذا لم تبق أيّة إمكانيّة للعمل المسلّح، والدفاع عن الحق بالقوّة، فإنّ هذا الرجل الوحيد لا تسقط عنه المسؤوليّة.

إنّه مسؤول أن يدرّب الأمة على القناعة بأن علىٰ عاتقه إحياء الفكرة، وتحريك الأحاسيس، والدفاع عن ذلك الحق، ولو بلسان الدعاء، وجعل الرسالة مستمرّة ولو بالأمل والرجاء، ونقلها كذلك إلى الأجيال.

إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام:

وإن كان قد فقد إمكانات التضحية والنضال المستميت إلى حدّ الشهادة، كما فعل أبوه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وفقد إمكانات العمل الاجتماعي الحرّ، كما قام به ابنه الامام الباقر وحفيده الإمام الصادق عليهما السلام.

لكنّه لم يفقد فرصة المقاومة من طريق هذه الحربة النافذة في أعماق أشلاء النظام الحاكم، والقابلة للتغلغُل في أوساط المجتمع الفاسد، والسارية مع كلّ نسيم، والممكنة في كلّ الظروف، والتي اسمها «الدعاء».

وإن قيل: إنّ هذا هو من أضعف فروض النضال والجهاد؟

قلنا: نعم، لكنّ الدعاء أمر ضروري حتّىٰ لو كان الإنسان في غير هذه الحال، فلو كان بإمكانه النضال والمقاومة، بأشكال أخر، أقوىٰ وأقدر، فإنّ من المستحيل استغناؤه عن الدعاء، وليس بالإمكان أن يمنع من هذا النضال، ولو كان أضعف، فلابّد له أن يكون قادراً علىٰ عملية الدعاء، وأن يُضمر في نفسه الارتباط بربّه، وأن يُعلن عن أفكاره وعقائده بأسلوب المناجاة والدعاء، ويعبّر عن آماله وآلامه، ومكنون نفسه، وأن يُبرز هتافاته، وأن يطالب برغباته المهضومة، والمغصوبة.

علىٰ أن من الضروريّ لكل مناضل أن يركّز معتقداته، ويحدّد مواقعه الفكرية ويحصّن أصول دينه، حتّىٰ يكون علىٰ بصيرةٍ من أمره، فيوحي إلىٰ ذاته بالحقّ، ويوصي نفسه بالصبر عليه، بالدعاء.

وليس في المقدور لأيّة سلطة حاكمة أن تسلبه هذه القدرة، أو أن تحاسبه علىٰ هذه الإرادة.

وفي مثل هذا التركيز والتحديد يكمن سرّ خلود الإنسان، عندما يكون مهدّداً بالإبادة.

والنطق بالدعاء. وسيلة للإعلان عن المعتقدات وتبليغ الرسالات وتنمية الشعور بالمسؤليات، في أحلك الظروف وأحرجها، وبثّ روح النضال والمقاومة، وتوثيق الرابطة الفكرية، وتأكيد التعهّدات الاجتماعية، وتثبيت العواطف الصالحة. حبّاً بالتولي والإعلان عنه، وبغضاً بالتبري وإبدائه، وتعميق الوعي العقائدي بين الأمّة، وتهيئة الأجواء ـ روحياً وفكرياً وجسميّاً ـ للإعداد للمسؤوليّات الكبرىٰ. كلّ ذلك في ظروف جُنِّدت فيه القوى المضادّةُ، للقضاء على الأهداف كلّها.

إنّ الإمام في مثل ذلك عليه أن يخطّط للعمل، عندما لا يستطيع المؤمن من القيام بأي عمل، حتّى الموت الشريف، بعزّة وكرامة، حيث لا طريق إلى اختيار الشهادة كسلاح أخير، لأنّ الشهادة ـ أيضاً ـ تحتاج إلىٰ أرضيّة وظروف مؤاتية، ومعركة، كي يتسنّىٰ للشهيد أن يفجّر بدمه الوضع، ويكسر الصمت، وإلّا فهو الموت الصامت غير المؤثّر، المهمل الذي لا يستفيد منه إلّا العدوّ.

والإمام زين العابدين عليه السلام أصبح قدوة للنضال في مثل هذه الظروف بكل سيرته، ووجوده، ومصيره، وسكوته، ونطقه، وخلقه، ورسم بذلك منهاجاً للعمل في مثل هذه الأزمات.

إنّه رسم الإجابة عن كلّ الأسئلة التي تطرح:

عن العمل ضدّ امبراطورية ضارية، مستحوذة علىٰ كل المرافق والقدرات ؟!

وعن الصمت الثقيل القاتل، المطبق، الذي يستحيل فيه التفوّهُ بكلمة الحقّ، كيف يمكنُ أنْ يُكْسَرَ ؟

وعن أُسلوب شخصي لعرض جميع الطلبات والقيم والعواطف ؟

إن الصحيفة السجادية هي:
كتاب الجهاد عند الوحدة!
وكتاب التعبير عند الصمت!
وكتاب التعبئة عند النكسة!
وكتاب الهتاف عند الوجوم!
وكتاب التعليم بالشفاه المختومة!
وكتاب التسلّح عند نزع كلّ سلاح!
وهو قبل هذا وبعده، كتاب «الدعاء».

إنّ الدعاء ـ كما يقول الدكتور الفرنسي الكسيس كارل ـ: «تجلٍّ للعشق والفاقة» وقد أضاف الإسلام إلىٰ هذين: «التوعية».

وفي مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام يأخذ الدعاء بُعداً رائعاً هو تأثيره الاجتماعي الخاص.

وبكلمة جامعة: إن الدعاء في مدرسة الإمام زين العابدين ـ في الوقت الذي يعدّ كنزاً لأعمق التوجُّهات، وأحرّ الأشواق، وأرفع الطلبات ـ منهاج يتعلّم فيه المؤمن تخطيطاً متكاملاً للوجود والتفكير والعمل، علىٰ منهج الإمامة وبقيادة حكيمة تستلهم التعاليم من مصادر الوحي.

ثانياً: مع الصحيفة السجّادية مضموناً:

إن الحديث عن هذا الكتاب العظيم وأثره العلميّ والدينيّ عقيدياً وحضارياً وأثره الاجتماعي يحتاج إلىٰ تفرّغ وتخصّص، وإلىٰ وقت ومجال أوسع من هذا الفصل، ولا ريب أن النظر فيه سيوقف القارىء علىٰ مقاطع رائعة تدلّ علىٰ مفردات ما نقول بوضوح وصراحة.

وإذا أخذ الإنسان بنظر الاعتبار ظروف الإمام زين العابدين عليه السلام وموقعه الاجتماعي وقرأ عن طغيان الحكام وعبثهم، وقارن بين مدلول الصحيفة ومؤشّرات التصرّفات التي قام بها أولئك الحكام، اتضح له أنّ الإمام قد قام من خلالها بتحدّ صارخ للدولة ومخططاتها التي استهدفَتْ كيان المجتمع الإسلامي لتزعزعه.

وإذ لا يسعنا الدخول في غمار هذا البحر الزخّار لاقتناص درره فإنّا نقتصر علىٰ إيراد مقطعين من أدعية الصحيفة، يمثّلان صورة عمّا جاء فيها، ممّا تبرز فيه معالم التصدّي السياسيّ الذي التزمه الإمام عليه السلام بمنطق الدعاء.

المقطع الأول: دعاؤه لأهل الثغور:

إنّ الإمام، لكونه الراعي الإلهي، المسؤول عن رعيتّه وهي الأمّة، يكون الحفاظ علىٰ وجود الإسلام، من أهمّ واجباته التي يلتزمها، فلا بدّ من رعاية شعائره، واستمرار مظاهره، ومتابعة مصالحه العامة، وتقديمها علىٰ غيرها من المصالح الخاصّة بالأفراد، أو الأعمال الجزئيّة الفرعيّة، فالحفاظ علىٰ سمعة الإسلام وحدوده، أهمّ من الالتزام بفروع الدين وواجباته ومحرّماته، إذا دار الأمر بينه وبينها.

ففي سبيل ذلك الهدف العام السامي، لابدّ من تجاوز الاهتمامات الصغيرة، والمحدودة، بالرغم من كونها في أنفسها ضرورات، لابدّ من القيام بها في الظروف العاديّة، لكنها لا تعرقل طريق الأهداف العامة الكبرىٰ.

فالاسلام: كدين، ليس قائماً بالأشخاص، ولا يتأثّر بتصرفاتهم الخاصّة، في مقابل ما يهدّده من الأخطار الكبيرة، فكريّة أو اجتماعية أو عسكرية، فإذا واجه الإسلام خطرٌ يهدّد التوحيد المثل بكلمة «لا إله إلا الله» أو الرسالة المتجليّة في «محمّد رسول‌الله» فإن الإمام يتجاوز كل الاعتبارات ويهبّ للدفاع عن هذين الركنين الأهمّ، وحتّىٰ لو كان علىٰ حساب وجود الإمام نفسه، أو عنوان إمامته، فضلاً عن مصالحه الخاصة، وشؤونه وصلاحياته.

ومن هذا المنطلق، يمكن تحديد المواقف الهامّة للأئمة من أهل البيت عليهم السلام:

فسكوت الإمام أميرالمؤمنين علي عليه السلام عن مطالبته بحقّه، ولجوء الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام إلىٰ توقيع كتاب الصلح مع معاوية، وتضحية الإمام الحسين الشهيد عليه السلام بنفسه في كربلاء.

كلّ ذلك نحدّده علىٰ أساس متّحد، وهو رعاية المصلحة الاسلاميّة العامة، والحفاظ علىٰ كيان الإسلام لئلاّ يمسّه سوء.

وبهذا ـ أيضاً ـ نميّز وقوف الإمام زين العابدين عليه السلام للدعاء لأهل الثغور.

ومَنْ هم أهل الثغور في عصره؟

ليس للدعاء تاريخ محدّد، حتّىٰ نعرف الفترة التي أُنشىء فيها الدعاء بعينها، إلّا أنها لا تخرج من مجمل الفترة التي عايشها الإمام زين العابدين عليه‌السلام من سنة (٦١) إلىٰ سنة (٩٤) ولم تخرج عن حكم واحد من الخلفاء الأمويين.

وحتّىٰ لو فرضنا إنشاءه في فترة حكم «معاوية بن يزيد بن معاوية» الذي عرف بولائه لأهل البيت عليهم‌السلام، علىٰ قصرها، فلا ريب أنّ نظام الحكم وأجهزة الدولة كافّة، وعناصر الإدارة ورموز السلطة لم تتغير، وخاصة أهل الثغور الذين هم حرس الحدود، لم يطرأ عليهم التغيير المبدئي، في تلك الفترة القصيرة بتبدّل الخليفة.

ومن المعلوم: أن الذين يتجهون إلىٰ حدود الدولة الإسلاميّة، وهي أبعد النقاط عن أماكن الرفاه والراحة، ليسوا إلّا من سواد الناس، ويمكن أن يكون اختيارهم لتلك الجهات البعيدة دليلاً على ابتعادهم عن التورّطات التي انغمس فيها أهل المدن في داخل البلاد.

ومع ذلك، يبقىٰ التساؤل: عن دعاء الإمام عليه‌السلام بتلك القوّة، وذلك الشمول، وبهذه اللهجة، وهذا الحنان، لحرس الحدود، وهم جزء من جيش الحكومة الفاسدة، ووحدة من وحدات كيان الدولة الظالمة؟

إنّ الحقيقة التي عرضناها سابقاً، هي الجواب عن هذا التساؤل، لأنّ مصلحة الإسلام، ككلّ، مقدّمة علىٰ كلّ ما سواه من أُمور الاسلام سواءٌ فروع الدين، أو عناوين الأشخاص، أو مصالح الآخرين حتّى الجماعات المعيّنة.

ثمّ إنّ هذا الدعاء بنفسه دليل مُقنع على انّ الإمام زين العابدين عليه‌السلام لم يكن ـ كما شاء أن يصوّره الكتّاب الجدد ـ متخلّياً عن مركزه القيادي والسياسي، كإمام يرعىٰ مصلحة الاسلام، والأمة الإسلامية.

فمن خلال أوسع جبهاتها، وهي الحدود الاسلاميّة، المهدّدة دائماً، بلا شكّ، من قبل الدول المجاورة الحاقدة على الإسلام الذي قهرها، واستولىٰ علىٰ مساحات من أراضيها، فرض الإمام عليه‌السلام رعايته واهتمامه، وبشكل الدعاء الذي لا يثير الحكّام.

وحرس الحدود أنفسهم، مهما كانت هويّاتهم، لايُعَدّون أنصاراً للحكومة، بقدر ما هم محافظون على الأرض الاسلاميه، وكرامة الإسلام، فإنّهم مدافعون عن ثغوره، ومراقبون لحماية خطوط المواجهة الأمامية: وهو أمر واجب علىٰ كل مسلم ان يبذل

جهداً في إسناده ودعمه وتسديد القائمين به، بكل شكل ممكن.

وهذا هو الذي استهدفه الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه لأهل الثغور، فهو ينبّه الناس إلىٰ خطورة هذا الواجب ويهيّج الأحاسيس تجاه الثغور وحمايتها.

ومهما كان الحكّام في الداخل، يعيثون فساداً، فإنّهم لا محالة زائلون، ومهما جدّوا في التقتيل والظلم والاجرام، والتخريب فإنّهم لن يتمكّنوا من القضاء علىٰ كل معالم هذا الدين، الذي يعدّ المسلمون الحفاظ عليه من واجباتهم.

والإمام عليه السلام وإن كان معارضاً للنظام الأموي، ويجدّ في فضحه وتزييف عمله والكشف عن سوء إدارته، ويحكم على القائمين به بالخروج عن الحق والعدل، وهو لا يزال ينظر إلىٰ مصارع شهداء كربلاء بعيون تملؤها العَبْرة، لكنه يدعو بصوت تخنقه العَبْرة كذلك لأهل الثغور الإسلامية، وباللهجة القوية القاطعة لكلّ عذر.

وبالنبرة الحادة ذاتها التي يدعو بها لزوال حِكم الظالمين، يدعو لأستتباب الأمن والعدل والصلاح علىٰ أرض الاسلام.

فلنقرأ معاً هذا الدعاء العظيم :

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد وآله، وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك، وأيّد حماتها بقوّتك، وأسبغ عطاياهم من جِدَتك.

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد وآله، وكثّر عدّتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبّر أمرهم، وواتر بين مِيَرهم، وتوحّد بكفاية مؤنهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر.

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد وآله، وعرّفهم ما يجهلون، وعلّمهم ما لايعلمون، وبصّرهم ما لايبصرون.

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد وآله، وأنسهم عند لقائهم العدوّ ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور، وامحُ عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنّة نصب أعينهم، ولوّح منها لأبصارهم ما أعددتَ

فيها من مساكن الخلد، ومنازل الكرامة، والحور الحسان، والأنهار المطّردة بأنواع الأشربة، والأشجار المتدلية بصنوف الثمر، حتىٰ لا يهمّ أحدٌ منهم بالإدبار، ولا يحدّث نفسه عن قرنه بفرار.

اللهمّ:

افلل بذلك عدوّهم، واقلم عنهم أظفارهم، وفرّق بينهم وبين أسلحتهم، واخلع وثائق أفئدتهم، وباعد بينهم وبين أزودتهم، وحيّرهم في سبلهم، وضلّلهم عن وجههم، واقطع عنهم المدد، وانقص منهم العدد، واملأ أفئدتهم الرعب، واقبض أيديهم عن البسط، واخزم ألسنتهم عن النطق، وشرّد بهم مَن خلفهم، ونكّل بهم مَن ورائهم، واقطع بخزيهم أطماع من بعدهم.

اللهمّ:

عقّم أرحام نسائهم، ويبّس أصلاب رجالهم، واقطع نسل دوابّهم وأنعامهم، لا تأذن لسمائهم في قطر، ولا لأرضهم في نبات.

اللهمّ:

وقّ بذلك محالّ أهل الإسلام، وحصّن به ديارهم، وثمّر به أموالهم، وفرغّهم عن محاربتهم لعبادتك، وعن منابذتهم للخلوة بك، حتىٰ لايُعبد في بقاع الأرض غيرك، ولا تعفّر لأحد منهم جبهة دونك.

اللهمّ:

اغز بكل ناحية من المسلمين علىٰ مَن بإزائهم من المشركين، وأمددهم بملائكة من عندك مردفين، حتىٰ يكشفوهم إلىٰ منقطع التراب قتلاً في أرضك وأسراً، أو يقرّوا بأنك أنت الله الذي لا إله إلّا أنت، وحدك لا شريك لك.

اللهمّ:

واعمُم بذلك أعداءك في أقطار البلاد، من الهند، والروم، والترك، والخزر، والحبش، والنوبة، والزنج، والسقالبة، والديالمة، وسائر أمم الشرك الذين تخفىٰ أسماؤهم وصفاتهم، وقد أحصيتهم، بمعرفتك، وأشرفت عليهم بقدرتك.

اللهمّ:

أشغل المشركين بالمشركين عن تناول أطراف المسلمين، وخُذهم بالنقص عن

تنقيصهم ، وثبّطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم .

اللهمّ :

أخْلِ قلوبهم من الأمنة ، وأبدانهم من القوّة ، وأذهل قلوبهم عن الاحتيال ، وأوهن أركانهم عن منازلة الرجال ، وجنّبهم عن مقارعة الأبطال ، وابعث عليهم جنداً من ملائكتك ببأس من بأسك ، كفعلك يوم بدر ، تقطع به دابرهم ، وتحصد به شوكتهم ، وتفرّق به عددهم .

اللّهمّ :

وامزج مياههم بالوباء ، وأطعمتهم بالأدواء ، وارم بلادهم بالخسوف ، وألحَّ عليها بالقذف ، وأفرعها بالمحول ، واجعل مِيَرهم في أحصّ أرضك ، وأبعدها عنهم ، وامنع حصونها منهم ، أصبهم بالجوع المقيم والسقيم الأليم .

اللّهمّ :

وأيّما غازٍ غزاهم من أهل ملّتك ، أو مجاهد جاهدهم من أتباع سنتك ، ليكون دينك الأعلىٰ ، وحزبك الأقوىٰ ، وحظّك الأوفىٰ ، فلقِّه اليُسْر ، وهيىء له الأمر ، وتولّه بالنُجح ، وتخيّر له الأصحاب ، واستقْوِ له الظهر ، وأسْبِغْ عليه في النفقة ، ومتّعه بالنشاط ، وأطفىء عنه حرارة الشوق ، وأجِرْهُ من غمّ الوحشة ، وأنْسِهِ ذكر الأهل والولد ، وأثر له حسن النيّة ، وتولّه بالعافية ، وأصحبه السلامة ، وأعفه من الجبن ، وألْهمه الجرأة ، وارزقه الشدّة ، وأيّده بالنصرة ، وعلّمه السير والسنن ، وسدّده في الحكم ، واعزل عنه الرياء ، وخلّصه من السمعة ، واجعل فكره وذكره وظعنه وإقامته فيك ولك ، فإذا صافّ عدوك وعدّوه فقلّلهم في عينه ، وصغّر شأنهم في قلبه ، وأدل له منهم ، ولا تدلهم منه .

فإن ختمت له بالسعادة ، وقضيت له بالشهادة ، فبعد أن يجتاح عدوّك بالقتل ، وبعد أن يجهد بهم الأسر ، وبعد أن تأمن أطراف المسلمين ، وبعد أن يولّي عدوّك مدبرين .

اللهمّ :

وأيّما مسلم خَلَفَ غازياً ، أو مرابطاً ، في داره ، أو تعهّد خالفيه في غيبته ، أو أعانه بطائفة من ماله أو أمدّه بعتاد ، أو شحذه علىٰ جهاد ، أو أتبعه في وجهه دعوةً ، أو رعىٰ له من ورائه حرمةً ، فأجْرِ له مثل أجره ، وزناً بوزن ، ومثلاً بمثل ، وعوّضه من فعله عوضاً حاضراً يتعجّل به نفع ما قدّم ، وسرور ما أتىٰ به ، إلىٰ أن ينتهي به الوقت إلىٰ ما أجريت له من

فضلك، وأعددت له من كرامتك.

اللهمّ:

وأيّما مسلم أهمَّه أمرُ الإسلام، وأحزنه تحزّب أهل الشرك عليهم، فنوىٰ غزوة، أو همّ بجهاد، فقعد به ضعف، أو أبطأت به فاقة، أو أخّره عنه حادث، أو عرض له دون إرادته مانع، فاكتب اسمه في العابدين، وأوجب له ثواب المجاهدين، واجعله في نظام الشهداء والصالحين.

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد عبدك ورسولك، وآل محمّد، صلاةً عالية على الصلوات، مشرفة فوق التحيّات، صلاة لا ينتهي أمدها، ولا ينقطع عددها، كأتمّ ما مضىٰ من صلواتك علىٰ أحد من أوليائك.

إنّك المنّان، الحميد، المبديء، المعيدُ، الفعّال لما تريد (١).

هذا علىٰ مستوىٰ كيان عسكريّ مرتبط بالدولة، وأمّا علىٰ مستوى الشعب فلنقرأ معا:

المقطع الثاني: دعاء الاستسقاء بعد الجدب:

حيث تتجلّىٰ فيه رعاية الإمام عليه السلام لحالة الأمّة، ومراقبته لأحوالها، وبخصوص اقتصادها الذي هو عصب حياتها، فإذا رآه يتعرّض للانهيار علىٰ أثر الجفاف، ينبري عليه السلام لإنجاده بطريقته الخاصّة، التي لاتثير أحقاد الحكام ضدّه، ولا تمكّنهم من أخذ نقاط سياسيّة عليه، ومع ذلك فهو يجلب أنظار الشعب المسلم المقهور، المغلوب علىٰ أمره، إلىٰ أنّ هناك مَنْ يعطف عليه إلىٰ هذا الحدّ، ومَنْ يراقب أوضاعه، ويهتّم بشؤونه ومشاكله.

والإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الشكل، يفرض نفسه على الساحة السياسيّة، وهو تدخّل صريح في شؤون الأمّة، وظهور واضح علىٰ أرض العمل، فإنّ الملجأ في مثل هذه المشاكل هُم كبار القوم، ومَنْ هم قدسيّة، وفضل، وتقدّم على الآخرين، ولا

(١) الصحيفة السجادية، الدعاء السابع والعشرون.

تشخص الأبصار في مثل ذلك إلّا إلى الخليفة! إنْ كانت له قابليّة ما يدّعي من مقام رسول‌الله صلى الله عليه وآله وهو يتسنّم أريكة الحكم!

والإمام زين العابدين عليه السلام بهذا الدعاء، يُثبت أنّه الأحقّ بالتصديّ لذلك المقام، وأنّه الملجأ الذي لابدّ أن يوسّط بين الأرض والسماء.

هذا كله، مع أنّ الأمّة لم تقف إلىٰ جانب الإمام عليه السلام، ولم تراعِ حُرمته في النسب، ولاحقّه في الإمامة، بل خذلته، حتّىٰ راح يقول: «ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يُحبّنا».

وليس المراد بذلك الحبّ مجرّد العواطف والدموع والمجاملات، فهؤلاء أهل الكوفة كانوا من أحذق الناس في ذرف دموع التماسيح علىٰ أهل البيت عليهم السلام بعنوان «الحبّ» حتّىٰ كان الإمام عليه السلام يستغيث من حبّهم له. ذلك الحبّ المعلن، المبطّن بالنفاق، والذي انقلب علىٰ أبيه الإمام الحسين عليه السلام سيفاً أودىٰ به!

فليس الحبّ المطلوب لآل الرسول، والذي دلّت علىٰ لزومه آية المودّة في القربىٰ وأحاديث الرسول المصطفىٰ، هو الفارغ عن كلّ حقّ لهم في الحكم والإدارة، أو الفقه والتشريع وعن كلّ معاني الولاء العمليّ، والاقتداء والاتّباع وإن ادّعاه المحرّفون، أو حرفوه إلىٰ مثل ذلك، مكتفين لأهل البيت باسم «الحبّ»[١].

لكن قضيّة الأمّة الإسلامية، واقتصاد البلاد الإسلامية، من القضايا المصيريّة الكبرىٰ، التي لا توازيها الأضرار الصغيرة ولا الأخطاء الخاصّة، بل لابدّ من تجاوز كل الاعتبارات في سبيل إحياء تلك القضايا الكبار.

وبعد، فلنعش في رحاب دعاء الاستسقاء:

اللهمّ:

اسقنا الغيث، وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق، من السحاب المنساق لنبات أرضك، المونق في جميع الآفاق، وامنن علىٰ عبادك بإيناع الثمرة، وأحيِ بلادك ببلوغ الزهرة، وأشهد ملائكتك الكرام السفرة بسقي منك نافعٍ، دائم غزره، واسع درره، وابلٍ، سريع، عاجلٍ،

---

(١) لقد تحدّثنا عن هذا التحريف لمؤدّى الحبّ لأهل البيت عليهم السلام والذي تعمّده الأعداء ظلماً، والتزمه العامة جهلاً، في كتابنا الحسين عليه السلام سماته وسيرته، الفقرة (١٣).

تُحيي به ما قد مَات، وتردّ به ما قد فات، وتخرج به ما هو آت، وتوسّع به في الأقوات، سحاباً متراكماً، هنيئاً مريئاً، طبقاً مجلجلاً، غير ملثٍّ ودقه، ولا خلّب برقه.

اللهمّ:

اسقنا غيثاً مغيثاً، مريعاً ممرعاً، عريضاً واسعاً، غزيراً، تردّ به النهيض، وتجبر به المهيض.

اللهمّ:

اسقنا سقياً تُسيل منه الظراب، وتملأ منه الجباب، وتفجّر به الأنهار، وتُنبت به الأشجار، وترخّص به الأسعار في جميع الأمصار، وتنعش به البهائم، والخلق، وتكمل لنا به طيّبات الرزق، وتُنبت لنا به الزرع، وتدرّ به الضرع، وتزيدنا به قوّةً إلىٰ قوّتنا.

اللهمّ:

لا تجعل ظلّه علينا سموماً، ولا تجعل برده علينا حسوماً، ولا تجعل صوبه علينا رجوماً، ولا تجعل ماءه علينا أجاجاً.

اللهمّ:

صلّ علىٰ محمّد وآل محمّد، وارزقنا من بركات السماوات والأرض إنّك علىٰ كلّ شيء قدير[١].

وهكذا فإن الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الاستسقاء، لا يحصر اهتمامه بما حوله من الأفراد والشؤون الخاصة، بل يعمّم اهتمامه علىٰ كل العباد وكل البلاد، وينظر برقّةٍ ولطف إلىٰ كل قضاياها الطبيعيّة والنفسية والمعاشيّة. وحتّى الجويّة والزراعية وحتّىٰ طلب «القوّة».

إن التأمّل في مضامين هذا الدعاء يفتح آفاقاً من سياسة الإمام السجاد عليه السلام.

وهكذا ننتهي من هذا الفصل، وقد وقفنا فيه علىٰ أبرز ما امتاز به الإمام زين العابدين عليه السلام من التزام العبادة، والبكاء، والدعاء، ووجدنا كيف أنّ الإمام عليه السلام قد استخدم كلّ ذلك في تمرير خطّته الحكيمة التي اتخذها لتثبيت قاعدة الإمامة الحقّة. وما في عمله من تعرّض للحاكمين، وتعريض بهم وبفساد تصرّفاتهم ومخالفتهم

---

(١) الصحيفة السجادية (الدعاء التاسع عشر).

للشريعة والدين.

ومع أنّ الامام كان يقوم بما يخصّه، ويعدّ من حقّه الشخصي أن يتعبّد، ويبكي، ويدعو، فإننا نرىٰ في أعماله نضالاً سياسيّاً، وتدبيراً حكيماً ضدّ الحكومات.

وسنقرأ في الفصل الآتي، مواقف في مواجهة الحكّام وأعوانهم الظلمة، من دون غطاء أو تقيّة، وهي المواقف الحاسمة التي وقفها الإمام زين العابدين عليه السلام منهم.

الفَصلُ الخامِس

مَوَاقِف حَاسِمَة للإمَامِ عَلَيهِ السَّلامُ

أوّلاً ـ موقفه من الظالمين

ثانياً ـ موقفه من أعوان الظلمة

ثالثاً ـ موقفه من الحَركات المسلّحة

وبعد سنين من النضال المرير، الذى قام به الإمام زين العابدين عليه السلام، بالأساليب التي شرحنا صوراً منها في الفصول السابقة، والتي كان تطبيقها والاستفادة منها في تلك الظروف الحرجة لا يقلّ صعوبة عن إشهار السيف، وفائدتها لا تقلّ عن دخول المعارك الضارية.

فلقد انتجت نتائجها الهائلة:

فعزّزت موقع الإمام عليه السلام لكونه القائد الإلهي المسؤول عن هذا الدين، وهذه الأمّة، والهادي لها.

وتمكّن - بالتزامه بالخطط الدقيقة المذكورة - من أداء وظائف الإمامة، وتجميع القوى المتبدّدة حول مركز الحقّ، وتأسيس القاعدة لانطلاق الأئمّة من بعده على أسس رصينة محكمة.

وعزّزت تلك المواقف الاجتماعية العظيمة، مكانة الإمام عليه السلام في أنظار الأمة، باعتباره سيّداً من أهل البيت عليهم السلام يتمتّع بمكارم الاخلاق وفضائلها، وعالماً بالإسلام من أصفى ينابيعه وروافده، ومحامياً عن الأمّة.

وكانت لهذه المواقع، وهذه المكانة، آثارها في تغيير أسلوب العمل السياسي. عند الإمام زين العابدين عليه السلام في الفترة التالية، حيث نجد أن تعامله مع الحكّام والأحداث يختلف عمّا سبق، ويكاد الإمام عليه السلام يُعلن عن المعارضة، ويُبدي التعرّض للحكام.

وكان من أبرز مظاهر هذا التعامل هو ما اتّخذه من مواقف حاسمة تجاه الحكّام الظالمين، وتجاه أعوانهم، وتجاه الحركات السياسية التي عاصرته.

أوّلاً: موقفه من الظالمين

موقفه من يزيد:

فقد اتّخذ الإمام عليه السلام موقفاً حكيماً من يزيد ـ وهو من أعتىٰ طغاة بني اُميّة وأخبثهم، وأبعدهم عن كلّ معاني الدين والإنسانية والمروءة وحتّى السياسة ـ فكان موقف الإمام عليه السلام منه فذّاً، فلم يدع له مبرّراً للقضاء عليه، مع انّه واجهه بكل الحقيقة التي لا يتحمّلها الطغاة، بل أجبره علىٰ إطلاق سراح الأسرىٰ من آل محمّد، وذلك بما صنعه الإمام عليه السلام من أجواء لمثل هذا الإجراء.

فرجع الإمام عليه السلام إلى المدينة ليبدأ عمله طبق التخطيط الرائع الذي شرحنا صوراً منه في هذه البحوث.

وبعد أن قضىٰ الإمام السجّاد عليه السلام عمراً في تطبيق خططه القويمة في معارضة الدسائس التي كان يضعها الحكّام من بني أميّة ضدّ الدين وأهله، وفضحها، وحاول ان يبني ما كانوا يهدمونه، ويهدم ما كانوا يبنونه، وصدّ ما يحاولونه.

وبعد تعزيز المواقع والمكانة لوجوده الشريف بين الأمة، سواء مَن كان من أتباعه أو من عامّة الناس، لم يكن للحكام أن يتعرَّضوا للإمام عليه السلام من دون أن يكشفوا عن وجوههم أغطية التزوير، وأقنعة الدجل والكفر والنفاق.

فالإمام الذي ذاع صيته في الآفاق بالكرامة، والإمامة، والسيادة والشرف، والتقىٰ والعلم والحلم والعبادة والزهد، أضف إلىٰ ذلك حنانه وعطفه على الأمّة ورعايته لشؤونها، قد دخل أعماق القلوب، وأصبح له من الاحترام والتقدير ما لا يكون من مصلحة الحكّام التعرّض له بأذىٰ.

كما يبدو أنّ الإمام عليه السلام بعد أن استنفذَ أغراضه من خططه، وعلم بأنّ الدولة الأمويّة وحكّامها الحاقدين على الإسلام ورجاله وخاصة من أهل البيت عليهم السلام، سوف يقضون علىٰ حياته إن عاجلاً أو آجلاً، إن خفيةً أو علناً، بدأ العمل الهجومي عليهم.

فكان يُفرغ ما بقي في كنانته من السهام علىٰ هيكل الحكم الامويّ الفاسد، والذي

بدأ التنازل من كثير من المواقع الاستراتيجية التي كـان يحتلّها، فقام الإمام عليه السلام بالإشهار بهم، من خلال أعمال أصدق ما يُقال فيها أنها الاستفزاز والتحرّش السياسيّ.

ومواقفه من عبدالملك بن مروان:

قد رأينا أنّ الأمويين بكلّ مرافق أجهزتهم، كانوا يرون من الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام خيراً لا شرّ فيه.

وقد كانت علاقة مروان بن الحكم الأمويّ، بالخصوص، طيّبة مع الإمام عليه السلام لما أبداه الإمام تجاهه من رعايةٍ، أيام وقعة الحرّة، وكان مروان شاكراً للإمام عليه السلام هذه المكرمة.

وطبيعيّ أن يعرف عبدالملك بن مروان، للإمام زين العابدين عليه السلام هذه اليد والمكرمة.

ولذلك نراه، لمّا ولي الخلافة، يكتب إلىٰ واليه على المدينة الحجّاج الثقفي السفّاك يقول: أما بعد:

فانظر دماء بني عبدالمطلب فاحتقنها واجتنبها، فإني رأيتُ آل أبي سفيان بن حرب (لما قتلوا الحسين) لمّا ولغوا فيها (نزع الله ملكهم) لم يلبثوا إلّا قليلاً. والسلام[1].

لكن الإمام عليه السلام لم يمرّ بهذه الرسالة بشكل طبيعيّ، بل بادر إلىٰ إرسال كتاب إلىٰ عبدالملك، يقول فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

...أما بعد:

فإنّك كتبتَ يوم كذا وكذا، من ساعة كذا وكذا، من شهر كذا وكذا، بكذا وكذا.

وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنبأني وأخبرني، وأن الله قد شكر لك ذلك وثبّت ملكك، وزاد فيه بُرهة».

---

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي (ص ٧٨) وفي طبعة (٥٥) كشف الغمة للاربلي (٢: ١١٢) مروج الذهب (٣: ١٧٩) والاختصاص (ص ٣١٤) وبحار الأنوار (٤٦: ٢٨ و ١١٩).

وطوى الكتاب، وختمه، وأرسل به مع غلام له علىٰ بعيره، وأمره أن يوصله إلىٰ عبدالملك ساعة يُقدم عليه![1].

إن أُسلوب هذا الكتاب، ومحتواه، كلاهما مثار للاستفزاز:

فأولاً: يحاول الإمام عليه السلام أن يعرّف الحاكم باطّلاعه الكامل علىٰ تاريخ كتابته للرسالة، بدقة، حتّى اليوم والساعة.

فهو يوحي إليه علم الإمام بما يجري داخل القصر الملكي.

وهذا أمر لا يمرُّ به الطواغيت بسهولة.

وثانياً: يصرِّح الإمام عليه السلام باتصاله المباشر بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنّه الذي أخبره وأنبأه بالرسالة ومحتواها.

وهذا أيضاً يوحي أنّ الإمام عليه السلام مع أنّه مرتبط بالرسول نسبيّاً، فهو مرتبط به روحياً، ويأخذ علمه ومعارفه منه مباشرةً!

ومثل هذا الإدّعاء لا يتحملهُ الخليفة، بل يثقل عليه، لأنّ ادّعاء ذلك يعني كون الإمام عليه السلام أوثق صلة بالرسول صلّى الله عليه وآله، من هذا الذي يدّعي خلافته!

والمقطع الأخير من الكتاب، حيث يخبر الإمام عليه السلام عن أن فعل عبدالملك وتوصيته بآل عبدالمطلب «مشكور عند الله» وأنّه ثبّت بذلك ملكه، وزيد فيه بُرهة، ليس قطعاً أسلوب دعاء وثناء وتملّق، وإنّما هو تعبير عن قبول الصنيع، وردّ الجميل، والعطف عليه بزيادة بُرهة ـ فقط ـ في الملك! لا الخلافة.

مع أنّ صدور مثل هذا الخبر من الإمام عليه السلام إلىٰ عبدالملك الخليفة! فيه نوع من التعالي والفوقيّة الملموسة، التي لا يصبر عليها مَنْ هو في موقع القدرة، فضلاً عن الطغاة أمثال عبدالملك.

والحاصل أنّ هذا الكتاب الصادر من الإمام عليه السلام لم يكن يصدر، إذا أراد الإمام عليه السلام أن يجتنب التعرُّض بالحاكم، وخاصة بهذا الأسلوب المثير، ومع أنّ الرسالة التي كتبها عبدالملك لم تكن مرسلة إلى الإمام عليه السلام.

---

١) كشف الغمة (٢: ١١٢) وبحار الأنوار (٤٦: ٢٩) ورواه في عوالم العلوم (ص ٤٢) عن الخرائج للقطب الراوندي.

وكان عبدالملك واقفاً علىٰ بعض ما للإمام عليه السلام من موقعيّة ومكانة، لوجوده فترة كبيرة في المدينة إلىٰ جوار الامام عليه السلام وعلمه بأوضاعه.

مضافاً إلىٰ أنّ الإمام عليه السلام قد تحدّث معه بلغة الأرقام مما لا يمكنه دفعه أو إنكاره، فلذلك كلّه تظاهر عبدالملك بفرحه بهذا الكتاب.

فقد جاء في ذيل ذلك الحديث أنّ عبدالملك لما نظر في تاريخ الكتاب وجده موافقاً لتلك الساعة التي كتب فيها الرسالة إلى الحَجّاج، فلم يشكّ في صدق عليّ بن الحسين، وفرح فرحاً شديداً! وبعث إلىٰ عليّ بن الحسين وَقْر راحلته دراهم وثياباً، لِما سرّه من الكتاب(١).

ثمّ الذي يُشير إليه الحديث التالي أنّ الإمام عليه السلام قاطعَ النظام، مقاطعة سلبيّة، توحي بعدم الاعتراف والاعتناء برأس الحكومة، وهو شخص الخليفة:

فقد روي أنّ عبدالملك بن مروان كان يطوف بالبيت، وعليّ بن الحسين عليه السلام يطوف أمامه، ولا يلتفت إليه.

فقال عبدالملك: مَنْ الذي يطوف بين أيدينا؟ ولا يلتفت إلينا؟

فقيل له: هذا عليّ بن الحسين!

فجلس مكانه، وقال: ردّوه إليّ، فردّوه، فقال له: يا عليّ بن الحسين إنّي لستُ قاتل أبيك، فما يمنعك من المسير إليّ.

فقال عليه السلام: إنّ قاتل أبي أفسد ـ بما فعله ـ دنياه عليه، وأفسد أبي عليه آخرته، فإنْ أحببت أن تكون هو، فكنْ(٢).

إن تحدّي الإمام عليه السلام الاستفزازي، يتبلور في نقاط:

فأولاً، يمشي بين يدي الخليفة متنكراً لوجوده، لا يأبَهُ به، وفي مرأىً ومسمع من الحجيج الطائفين، ولابدّ أنّه كان في الموسم، بحيث أثار الخليفة، وبعثه على السؤال عنه: مَنْ هذا الذي يجرؤ علىٰ تحدّي احترام الخليفة هكذا!

---

(١) كشف الغمة (٢: ١١٢).

(٢) بحار الأنوار (٤٦: ١٢٠) وإثبات الهداة، للحر العاملي (٣: ١٥).

ولمّا سمع أنّه الإمام «عليّ بن الحسين» أجلسه «الاسمُ» في مكانه. وهذا يعني أنّه قطع طوافه، لعظم وقع النبأ عليه، وقطع الطواف على الإمام بردّه إليه.

وثانياً، عتاب عبدالملك للإمام عليه السلام لعدم السير إليه، يكشف عن أنّ مقاطعة الإمام للخليفة والمسير إليه ولقائه، اتخذ شكلاً أكبر من مجرّد العزلة، بل دلّ علىٰ عدم الرغبة، أو الإعراض، حتّىٰ أصبح الخليفة يحاسب عليه!

وثالثاً، إنّ قول عبدالملك: «إنّي لست قاتل أبيك» كما يحتوي على التبرُّؤ من الدماء المراقة علىٰ أرض المعركة المحتدمة بين أهل البيت عليهم السلام والأمويين، فإنّه في نفس الوقت تهديد، بهزّ العصا في وجه الإمام زين العابدين عليه السلام، وتلويح له بإمكانيّة كلّ شيء: حتّى القتل!

ورابعاً، ولذلك كان جواب الإمام حاسماً، وقوياً، وشجاعاً، إذ حدّد النتيجة في تلك المعارك السابقة، وأثبت فيها انتصار أهل البيت الذين ربحوا النتيجة، وخسران قتلتهم الأمويين!

ومع ذلك أبدى استعداده، لأن يقف نفس الموقف المشرّف الذي وقفه أبوه، إذا كان عبدالملك بصدد الوقوف علىٰ نفس الموقع الظالم الذي وقف عليه قاتل أبيه.

إنّه استعداد، وطلب المبارزة والقتال، وتحدٍّ سافر لسلطة خليفة لايمنعه شيء من الإقدام على الفتك والقتل والظلم والإبادة.

وهذا الموقف، وحده، كافٍ للدلالة علىٰ أن الإمام عليه السلام لم يكن ـ طول عمره ـ ذلك المسالم، الموادع، المنعزل عن الدنيا وسلطانها، والمشغول بالعبادة، والصلاة والدعاء والبكاء، فقط!

ويبدو أنّ عبدالملك رأىٰ أنّ الإمام عليه السلام بمواقفه الاستفزازية تلك، يبرز في مقام أبيه وجدّه، ويتزعّم الحركة الشيعية، وقد ركّز موقعيته كإمام، بعد تلك الجهود المضنية، واستعاد جمع القوى المؤمنة حوله، فأصبح له من القوّة والقدرة، أن يقف في وجه الخليفة، فلذلك تصدّىٰ للإمام عليه السلام وحاول أن يفرّغ يد الإمام عليه السلام من بعض

إثباتات الإمامة، كوجود مخلّفات النبوّة عند الإمام[1]، ومنها سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

فلمّا بلغ عبدالملك أنّ ذلك السيف موجود عند الإمام زين العابدين عليه السلام بعث إليه يستوهبه منه.

فأبىٰ الإمام عليه السلام.

فكتب اليه عبدالملك، يهدّده أن يقطع رزقه من بيت المال.

فأجابه الإمام عليه السلام:

أما بعد:

فإنّ الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وقال جلّ ذكره: ﴿ إنّ الله لا يحبّ كل خوّان كفور ﴾ [سورة الحج «٢٢» الآية «٣٨»].

فانظر أيّنا أولىٰ بهذه الآية[2].

إنّ طلب عبدالملك، للسيف من الإمام عليه السلام بهذه الشدّة إلىٰ حدّ التهديد، ليس ناشئاً من مجرّد الرغبة، وإلّا فعبدالملك هوذا مُعرض عن الاحتفاء بأقدس الأشياء المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأعزّ من سيف الرسول، وهاهم أهله يعرّضون من قبله بالتهديد بقطع الرزق.

فإنّ موقف الإمام عليه السلام بإباء إعطائه السيف، إذا كانت الأمور في حالتها الطبيعيّة، لا يبرره شيء.

إلّا أن الوضع ليس طبيعياً قطعاً.

وتشير بعض الأحاديث إلىٰ بلوغ حدّة التوتّر بين الإمام وبين النظام إلىٰ حدّ أنّ الحجّاج الثقفيّ، وهو من أعتىٰ ولاة الأمويين، يكتب إلىٰ عبدالملك بما نصه: «إن

---

(١) إقرأ عن سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الموجود عند الإمام عليه السلام حديث ابي خالد الكابلي في المناقب لابن شهرآشوب (٤ / ١٤٨) ط الاضواء.

(٢) عوالم العلوم (ص ١١٧) عن المحاسن للبرقي، والمناقب لابن شهرآشوب (٤ : ٣٠٢) وانظر بحار الانوار (٤٦ : ٩٥).

أردتَ أن يثبت ملكك فاقتل عليّ بن الحسين»[١].

فلو كان الإمام زين العابدين عليه‌السلام كما هو المعروف زاهداً في السياسة، فما معنىٰ ربط الحجّاج ـ الذي لا يرتاب في دهائه ـ بين الإمام وبين الملك.

فكلام الحجّاج واضح الدلالة علىٰ أنّ وجود الإمام عليه‌السلام أصبح يشكّل خطراً عظيماً على الملك، يزعزعه ويزيله، فهو لا يثبت إلّا بقتل الإمام.

وأما عبدالملك، فقد حاول أن يحدّد الإمام عليه‌السلام، كما يقوله الحديث التالي:

قال الزهري: شهدتُ عليّ بن الحسين، يوم حمله عبدالملك بن مروان من المدينة إلى الشام، فأثقله حديداً، ووكّل به حفاظاً عدّة.

فاستأذنتُهم في التسليم عليه، والتوديع له، فأذنوا لي، فدخلتُ عليه، وهو في قبّة، والأقياد في رجليه، والغلّ في يديه، فبكيتُ، وقلتُ: وددتُ أني مكانك، وأنت سالم.

فقال: يا زهريّ، أوَ تظنّ هذا ـ مما ترىٰ عليَّ وفي عنقي ـ يكرثني، أما لو شئتُ ما كانَ، فإنّه ـ وإن بلغ فيك وفي أمثالك ـ ليذكّرني عذاب الله.

ثمّ أخرج يديه من الغلّ ورجليه من القيد، وقال: لاجزتُ معهم علىٰ ذا منزلتين من المدينة.

قال الزهريّ: فما لبثتُ إلّا أربع ليالٍ، حتّىٰ قدم الموكّلون به، يظنّون أنّه بالمدينة، فما وجدوه.

فكنتُ فيمن سألهم عنه؟

فقال لي بعضهم: إنّا نراه متبوعاً، إنّه لنازل، ونحن حوله لا ننام، نرصده، إذ أصبحنا فما وجدنا بين محمله إلّا حديده.

قال الزهريّ: فقدمتُ ـ بعد ذلك ـ علىٰ عبدالملك بن مروان، فسألني عن علي بن الحسين؟ فأخبرته، فقال لي: إنّه قد جاءني في يوم فقدوه الأعوان، فدخلَ عليَّ فقال: ما أنا وأنت؟

فقلت: أقم عندي.

فقال: لا أحبّ.

(١) بحار الأنوار (ج ٤٦ ص ٢٨ ح ١٩)

ثم خرج، فوالله، لقد امتلأ ثوبي منه خيفةً.

قال الزهري: فقلت: يا أميرالمؤمنين! ليس عليّ بن الحسين حيث تظنّ، إنّه مشغول بنفسه.

فقال: حبّذا شغل مثله، فنعم ما شغل به [١].

إنّ هذا الحديث ـ على طوله ـ فيه من الدلالات على أن وضع الإمام عليه السلام السياسيّ أصبح بمستوى يُلجىء الدولة إلى اعتقال الإمام وتقييده وتكبيله الغلّ، وتطويقه بالحرس.

فهل يعامل المنعزل عن السياسة والزاهد فيها، بهذا الشكل حتّى لو فرضنا أنّ الضرورة اقتضت جلبه إلى العاصمة ؟!

إنّ أسلوب الجلب هذا فيه الدلالة القويّة على أن تحرّك الإمام عليه السلام كان على مستوى بالغ الخطورة على الدولة.

ثم ماذا كان يظنّ الخليفة في الإمام حتّى التجأ إلى فعل كلّ هذا ضدّه، لو لم يتوجّس منه خيفة التحرّك السياسي.

ويبدو الإمام عليه السلام مصمّماً على التزامه، فقد أجاب الخليفة بما أحبّ هو، لا ما أراد الخليفة.

وفي التجاء الإمام عليه السلام إلى إعمال قدراته الملهمة من الله كإمام للأمة، ووليّ من أولياء الله المخلصين، فأظهر للملك وللزهري إعجازه الخارق، تأكيد على ما نريد إثباته وهو أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام صرّح بأنّه يقوم بمهمّة الإمامة الإلهيّة، ويثبتُ للملك وأعوانه ولكل من اطّلع على مجاري الأحداث، أنّه الإمام الحقّ، والأولى بمقام الحكم الذي يدّعيه عبدالملك.

وهذا هو أظهر أشكال النضال السياسيّ.

---

(١) حلية الأولياء (٣: ١٣٥) تاريخ دمشق (الحديث ٤٢) مختصر ابن منظور (١٧: ٢٣٤) ورواه ابن شهرآشوب في المناقب (٤ / ١٤٥) ط الأضواء.

وموقفه من هشام بن عبدالملك:

وموقف الإمام زين العابدين عليه السلام من هشام، من أشهر المواقف بين المسلمين، وقد تناقله الأعلام في صُحفهم وكتبهم، وأرسلوه إرسال المسلمات، وفيه من الدلالات الواضحة علىٰ قيام الإمام عليه السلام بالاستفزاز السياسيّ، مالا يخفىٰ علىٰ أحد.

والحديثُ: أنّ هشام بن عبدالملك حجّ في خلافة أبيه، فطاف بالبيت، وأراد أن يستلم الحَجَر الأسود، فلم يقدر عليه من الزحام، فنُصِبَ له مِنْبَر فجلس عليه.

فبينا هو كذلك إذ أقبل عليّ بن حسين عليه السلام، عليه إزار ورداء، أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم رائحةً، وبين عينيه سجّادةٌ، كأنّها ركبة بعير.

فجعل يطوف بالبيت، فإذا هو بلغ إلىٰ موضع الحَجَر تنحّىٰ الناس له عنه، حتّىٰ يستلمه، هيبةً له وإجلالاً.

فقال رجل من أهل الشام لهشامٍ: مَنْ هذا الذي قد هابه الناسُ هذه الهيبة، فأفرجوا له عن الحَجَر؟!

فقال هشام: لا أعرفه! ـ لئلّا يرغبَ فيه أهل الشام ـ!

فقال الفرزدقُ ـ وكان حاضراً ـ: أنا أعرفه:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وَطْأتَهُ ... والبيتُ يعْرِفُهُ والحلُّ والحَرَمُ
هذا ابنُ خَيْرِ عبادِ الله كُلِّهِمُ ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهِرُ العَلَمُ
هذا ابن فاطمةٍ إن كُنْتَ جاهِلَهُ ... بِجَدِّهِ أنبياءُ الله قد خُتِمُوْا
يكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ راحَتِهِ ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستلمُ
من معشرٍ حُبُّهم دِيْنٌ وبُغْضُهُمُ ... كُفْرٌ وقُرْبُهُمُ منجىٰ ومُعْتَصَمُ
إن عُدَّ أَهْلُ التُقىٰ كانوا أئمّتَهُمْ ... أو قيل مَنْ خَيْرُ أهل الأرض قيل هُمُ
هُمُ الغُيُوثُ إذا ما أزمةٌ أزمَتْ ... والأُسْدُ أُسْدُ الشَرىٰ واليأس محتدِمُ[(١)]

---

(١) هذه الأبيات هي التي اختارها الاستاذ الفاضل المحقق الدكتور السيد جعفر الشهيدي، من مجموع ما نسب إلىٰ الفرزدق في مدح الإمام السجاد عليه السلام بعنوان «الميميّة» بعد أنْ أشبعها بحثاً وتحقيقاً في كتابه القيّم «زندگاني عليّ بن الحسين عليه السلام» (الصفحات ١١٢ ـ ١٣٣) وقد فصّل فيه ←

إنّ الموقف لم يكن بحيث يخفىٰ شيء من أبعاده على الإمام عليه السلام ، ولم يكن هو عليه السلام بحيث يقوم بما قام متجاهلاً عواقبه وآثاره، فلابدّ لمن يحضر المطاف أن ينتبه لحضور مثل هشام ـ وليّ العهد ـ على المِنْبَر، وحوله الجلاوزة من أهل الشام.

لكنّ الإمام زين العابدين عليه السلام تجاهل وجود هشام، قاصداً إلىٰ عواقب إقدامه الجريء ذلك:

فهو يسير في إكمال أشواط الطواف، متزيّياً بزيّ الأنبياء، والناس يتنسّمون منه ريح النبّوة وعبق الرسالة، وهذا واحد من آثار نضال السنوات الطويلة العجاف الشداد، التي كابد فيها الإمام أنواع الصعاب، ليفتح أمام الناس طريق معرفة الإمام والوصول إلى الإمامة، بينما كانت الخلافة في غفلة عن هذا كلّه، ومنهمكة في عتوّها

←

الحديث عمّا وقع من الاختلاف في ما ورد من أبيات علىٰ وزن الميميّة في التراث العربي، من حيث قائلها، والممدوح الذي قيلتْ في حقّه، وفي عدد أبيات ما قيل في كلّ مناسبة، وفي خصوص ما نُسِبَ إلىٰ الفرزدق في مدح الإمام عليه السلام في مقام الحجر الأسود، من حيث عدد الأبيات، ودقّق في مضمون الأبيات المنسوبة، فتوصّل إلىٰ أنّ الأنسب بالمقام ـ زماناً ومكاناً ووضعاً ـ هو هذه الأبيات السبعة التي اختارها، وأنّها الأنسب بالشاعر وبالمناسبة لفظاً وبلاغة، ومعنىٰ ودلالةً.

وأبان الوجوه التي استبعد بها الأبيات الأُخر، بتفصيل وافٍ، ومما يحسن ترجمته من كلامه، بعد إيراده البحث المذكور، قوله:

إن كان الفرزدق قد أنشأ هذه الأبيات في حقّ الإمام علي بن الحسين، فقد أدّىٰ جُزءاً ضئيلاً من دَيْنه، وخَفَّفَ شيئاً من أثقال جرائمه التي يحملها علىٰ عاتقه، حيث يعجّ ديوان هذا الشاعر بمدائح معاوية، وعبدالملك بن مروان، وابنه الوليد، ويزيد بن عبدالملك، وعمّالهم مثل: الحجاج بن يوسف، ويُعثر في ديوانه علىٰ أكثر من عشرة قصائد في مديح هشام وابنه، بالخصوص.

إنّ ما كتبه اليافعي ـ في حقّ الفرزدق ـ يبدو وافياً جدّاً، حيث قال: «ويُنْسَبُ إلىٰ الفرزدق مكرمة يُرتجىٰ له بها الرحمةُ في دار الآخرة» وأورد حديث الميميّة، في مرآة الجنان (ج ١ ص ٢٣٩) طبع مؤسسة الاعلمي ببيروت ـ عن طبعة حيدآباد الهند ١٣٣٧.

وإليك بعض مصادر هذه القصيدة:

تاريخ دمشق (الحديث ١٣٣) مختصره (١٧: ٦ ـ ٢٤٧) ديوان الفرزدق (٢: ١٧٨) الأغاني (١٥: ٣٢٧) و (١٥: ٢٦١ ثقافة) وصفوة الصفوة (٢: ٨ ـ ٩٩) طبقات الشافعية الكبرىٰ للسبكي (١: ١٥٣) وأمالي المرتضىٰ (١ / ٦٢) وانظر الإمام زين العابدين عليه السلام ،

وظلمها ولهوها وبذخها وترفها وطغيانها، بعيداً عن الناس.

والناسُ، أولئك الذين تجاهلوا ابن الخليفة، ولم يأبهوا به، ولم يفتحوا له طريقاً إلىٰ لمس الحجر الأسود، هاهم يقفون سماطين، هيبةً للإمام زين العابدين عليه السلام، يُفرِجون له عن الحَجَر، ليستلمه!

ومثل هذا العمل يخدش غرور هشام الذي يمثّل الخلافة، ويغيض المنتمين إلى الدولة، ولذلك تجاهل هشام شخص الإمام عليه السلام.

ومما يدلّ علىٰ حدّة تأثير الموقف فيهم رواية المدائني عن كيسان عن الهيثم أن عبدالملك قال للفرزدق: أوَ رافضيٌّ أنت يا فرزدق؟

فقال: إن كان حبّ أهل البيت رفضاً، فنعم[١].

والشاعر الشعبيّ ـ الفرزدق ـ الذي يعيش بين العامة، استصعَبَ ذلك التجاهل، وانبرىٰ بإنشاد الميمية العصماء، التي طار صيتها مع الحُجّاج عندما عادوا إلىٰ مختلف البقاع.

إنّ أيّ حكم سياسيّ لا يتحمّل مثل هذه المواقف التي تحطّ من كرامة رجال الدولة، وخاصّةً رجال البلاط، وبهذه الصورة.

ولذلك، فإنّ الأمويين سجنوا الفرزدق علىٰ هذا الشعر الذي اعتبروه إهانةً للنظام.

فكيف لا يكون عمل الإمام زين العابدين عليه السلام استفزازاً سياسيّاً؟!

وممّا يؤكّد على استهداف الإمام عليه السلام للنظام في هذا التصرّف هو أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام سارع إلى الاتصال بالفرزدق في السجن، ووصله بشيء رمزيّ من المال، مكافأة لموقفه السياسي ذلك.

ولاريب أنّ في هذا ـ أيضاً ـ إعلاناً لدعم المعارضة المعلنة من قبل الفرزدق، لايمكن إغفاله عن سجلّ الأعمال السياسيّة التي قام بها الإمام عليه السلام.

وموقفه من عمر بن عبدالعزيز:

كان عمر بن عبدالعزيز، قبل تولّيه الخلافة، يسكن المدينة، يَرْفُلُ أثوابَ التَرَف،

---

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي (ص ٢١٢ ـ ٢١٣).

باعتباره من العائلة المالكة.

وكان من ترفه انّه يلبس الثوب بأربعمائة دينار، ويقول: «ما أخْشَنَهُ!»[(١)].

وقال بعضهم: كنّا نعطي الغسّال الدراهم الكثيرة حتّىٰ يغسل ثيابنا في إثر ثياب عمر بن عبدالعزيز، من كثرة الطيب الذي فيها[(٢)].

قال عبدالله بن عطاء التميمي: كنت مع علي بن الحسين في المسجد فمرّ عمر بن العزيز، وعليه نعلان شراكهما فضّة، وكان من أمجن الناس، وهو شاب...[(٣)].

ولما كان يتمتع به من ذكاء وتدبير، كان يُراقب أعمال الإمام زين العابدين عليه السلام عن كَثَب، فيجد أنّه عليه السلام قد هيّأ بجهاده وصبره الأرضيّة الصالحة لانقلابٍ اجتماعي جذري على الحكم الأمويّ المروانيّ.

وكان الإمام يتوسّم في عُمَرَ التطلّع إلى الخلافة، فقد قال عليه السلام لعبد الله بن عطاء ـ ذيل حديثه السابق ـ: أترىٰ هذا المترَف ـ مُشيراً إلىٰ عمر ـ إنّه لن يموت حتّىٰ يلي الناس، فلا يلبث إلّا يسيراً حتّىٰ يموت، فإذا مات لعنه أهلُ السماء، واستغفر له أهلُ الأرض[(٤)].

في هذا الحديث:

١ـ يشاهد توسّم الإمام عليه السلام في عُمَرَ أنّه يتطلّع إلى الحكم والولاية، رغم بعده عنها، واشتغاله في المدينة بما لا يمتّ إلىٰ ذلك.

وإعلانه عن هذا التوسّم يدل بوضوح علىٰ أنّ الإمام كان يفكّر في شؤون الحكومة لا حاضرها بل ومستقبلها، وأنّه كان مفتوحاً أمامه بوضوح.

٢ـ إنّ الإمام عليه السلام كان يعرف من ذكاء عمر ودهائه أنّه سوف يُنافق في ولايته،

---

(١) طبقات ابن سعد (٥ : ٢٤٦).

(٢) الأغاني (٩ ـ ٢٦٢).

(٣) مناقب ابن شهرآشوب (٤ / ١٥٥) ط الأضواء.

(٤) بصائر الدرجات (ص ٤٥) ودلائل الإمامة للطبري (ص ٨٨) وبحار الأنوار (٤٦ : ٢٣ و ٣٢٧) وإثبات الهداة (٣ : ١٢) وقد روىٰ عاصم بن حُميد الحنّاط في أصله (ص ٢٣) قريباً من هذا النصّ عن عبدالله بن عطاء قال: كنت آخذاً بيد أبي جعفر عليه السلام وعمر بن عبدالعزيز عليه ثوبان معصفران، قال: فقال أبوجعفر: أما انّه سيلي ثم يموت، فيبكي عليه أهل الأرض ويلعنه أهل السماء، ودلالته على المعاني التي ذكرناها أوضح.

بما ينطلي على الناس أنّه صالح و«عادل» في الحكم، بينما هو، قد احتال في ضرب الحقّ وتثبيت الباطل مدّةً أطول، وقد كان من شأن الدولة الأموية أن تزول قبل ذلك، لولا تصرّفاته المريبة!

حيث أن آثار جهود الإمام زين العابدين عليه‌السلام ونضاله ضدّ الطاغوت الأمويّ، كانت قد بدت ظاهرةً، فكان الجوّ السياسيّ ـ علىٰ أثر انتشار الوعي ـ مشرفاً على الانفتاح، بحيث لم يطق التعنّت الأمويّ على الاستمرار في عتوّه، وإعلان فساده، وانتهاكه للحرمات كسَبّ الإمام عليّ أميرالمؤمنين عليه‌السلام على المنابر، علىٰ رؤوس الأشهاد، وصَدّ الأمّة عن المعارف والثقافة الإسلامية الصحيحة بمنع الحديث والسنّة، والأدهىٰ من كلّ ذلك استمرار الضغط علىٰ كبار المسلمين وسادتهم كعلماء أهل البيت عليهم‌السلام بالتقتيل والتشريد والسجن، وكعلماء الصحابة ومؤمنيهم بالإهانة والمطاردة والقتل.

فكان عمر بن عبدالعزيز، وهو الذي راقب الأوضاع عن كَثَبٍ يعرف كلّ هذه المفارقات في حكم آبائه وسلفه، فلمّا استولىٰ علىٰ كرسيّ الخلافة بدأ بتبديل تلك السياسة الخاطئة.

فعمد إلىٰ رفع ذلك السبّ عن الإمام أميرالمؤمنين عليه‌السلام، الذي كان وصمة عار علىٰ جبين الحكم الأمويّ، ولطخة سوداء في صفحات تاريخ المسلمين لا تُمحىٰ مدى الدهر، إذ يُسبّ أحد الخلفاء، ابن عمّ رسول‌الله وصهره، وأحد كبار الصحابة، علىٰ منابرهم مدّة مديدة، بكلّ صلافةٍ وجُرْأةٍ!![١].

وقد كان عمر نفسه ممن يلعن عليّاً قبل تولّيه السلطة، حينما كان يتعلّم في المدينة[٢].

ثم إنّ سبّ الإمام أميرالمؤمنين عليه‌السلام لم يؤدّ إلّا إلى النتائج المضادّة لأهداف بني أُميّة، مهما تطاول، وقد تنبّه العقلاء إلىٰ ذلك، وجاء نموذج من هذا في ما روي عن عامر بن عبدالله بن الزبير ـ وكان من عقلاء قريش ـ سمع ابناً له ينتقص علي بن

---

(١) لاحظ الكشكول في ما جرىٰ علىٰ آل الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم (ص ١٥٦).
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٥ / ٤٢).

أبي طالب عليه السلام ، فقال له : لا تنتقص عليّاً ، فإنّ الدينَ لم يَبْنِ شيئاً فاستطاعت الدنيا أنْ تهدمَه ، وإنّ الدنيا لم تبْنِ شيئاً إلّا هدمه الدين !

يابنيّ ، إنّ بني أُميّة لهجوا بسبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مجالسهم ولعنوه على منابرهم ، فإنّما يأخذون ـ والله ـ بضَبْعَيْه إلى السماء مدّاً ، وإنّهم لهجوا بتقريظ ذويهم وأوائلهم من قومهم فكأنّما يكشفون منهم عن أنتن من بطون الجيَف ، فأنهاك عن سبّه (١) .

ثم رفع عُمَر بن عبدالعزيز المنع عن نشر الحديث والسنّة ، فعمّم أمراً بكتابة الحديث وتدوين العلم ، وسجّل باسمه هذه المأثرة التي لا يزال كثير من المصنفين يمدحونه بها !

إنّ عمر بادر إلىٰ هذه الأعمال وأمثالها ، لتلافي أمر أنهدام الدولة الأموية ، وقبل أن ينسحب البساط من تحته وتحت قبيلته .

وأخطر ما في عمله أنّه أخّر نتائج الجهود الجبّارة التي قام بها الإمام زين العابدين عليه السلام إلىٰ فترة أبعد ، لما فتحه أمام الناس من نوافذ للأمل بالإصلاح ، فتقاعسوا عن متابعة الأهداف التي خطّط لها الإمام عليه السلام ، لأنهم علّقوا آمالاً طوالاً عراضاً علىٰ عمر ، وتظاهره بالصلاح ، بل عدّوه مجدّداً للإسلام ! في بداية القرن الثاني ، وكالوا له المدح والثناء ، وكَسَبَ وُدَّ كثير من الناس ، حتّىٰ أتبعوه بالاستغفار بعد هلاكه .

بينما هو ، لو كان يريد الخير للأمّة لردّ الأمر إلىٰ أهله ، والحقّ إلىٰ نصابه ، ولأصلح أهمّ ما أفسده بنوأمية والخلفاء من قبله ، وهو إرجاع الأمر إلىٰ أهل البيت عليهم السلام الذين هم أولىٰ بالأمر منه .

قال السيّد المقرّم : ولو كان ابن عبدالعزيز صادقاً... لردّ الخلافةَ إلىٰ أهلها ، وهل ظُلامة أحدٍ أكبرُ من ظلامة أهل البيت عليهم السلام في عدم إرجاع الحقّ إليهم ؟ وتعريف الأمّة أنهم الأولىٰ ممّن تسنّم منبر النبوّة بغير رضاً من الله ولا من رسوله ؟ (٢)

---

(١) الأمالي للطوسي ـ ط ـ البعثة ـ ص ٥٨٨ رقم ١٢١٧ المجلس (٢٥) .
(٢) الامام زين العابدين عليه السلام (ص ٦٥) .

ولكنّه لم يفعل ايّ شيّ في هذا المجال.

ولو كان محبّاً للعلم، وحفظه من الدروس، لما اكتفىٰ برفع المنع من تدوينه، بل لتصدّىٰ لتلك المجموعة التي دأبَ الخلفاء ـ وخاصة معاوية ـ على اختلاقها ووضعها ونشرها وتشويه الحقّ بها، وكان من السهل وقوف عُمَرَ عليها! فجمعها وأبادها، أو كشفها وأعلن عن زيفها!

ولأمكنه ـ كذلك ـ السعي لفسح المجال أمام تلك المجموعة الممنوع نقلها وتداولها من الحديث والعلم، والتي كانت تحتوي علىٰ فضائل علي وآله عليهم السلام، فنشرها وأفصح عنها وأذاعها.

ولكن تلك الاحاديث لو نشرت لما بقي لدولة بني أمية ذكر.

فهو لم يفعل شيئاً من هذا، وإنّما اكتفىٰ بتصرّفاتٍ تغرّ الناس وتقنعهم بأنّه عادل، يحبّ العلم، ويحافظ على الإسلام، كي لا تتعمّق نقمة الناس عليه وعلى الخلافة الأموية، فتنقلب عليه الأمة.

ومهما يكن، فإنّ تعرّض الإمام زين العابدين عليه السلام لعمر بن عبدالعزيز، في ذلك الوقت، وهو من العائلة المالكة، ويتطلّع إلى الخلافة، وهو علىٰ ما كان عليه من الترف والبذخ اللذين يدلان علىٰ روح الطاغوت في وجوده.

إنّ تعرّض الإمام له يدل علىٰ نوع من الاقتحام السياسي، وهو موقف خطر يقفه الإمام، بلا ريب، يستتبع المؤاخذة من الحكّام الظلمة.

ولكن الإمام عليه السلام كان يقتطف ثمار خطّته السياسيّة، فلا يبالي بما سيقع عليه من جراء هذا الإعلان.

ولقد أعلن، فعلاً تصدّيه لمثل ذلك في ما رواه حفيده جعفر الصادق عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً ﴾ [سورة مريم: ٩٨] قال: **هم بنو أُمية، ويوشك أن لا يحسّ منهم أحد ولا يُخشىٰ ... ما أسرعه! سمعتُ علي بن الحسين عليه السلام يقول: إنه قد رأىٰ أسبابه** [(١)].

نعم، رأى الإمام السجّاد عليه السلام تلك الأسباب التي كانت من صنع سياسته الحكيمة.

---

(١) مناقب شهرآشوب (٣ / ٢٧٦).

ثانياً: موقفه من أعوان الظلمة

لقد شدّد الإسلام النكير علىٰ إعانة الظالمين، واعتبره ظلماً وتعديّاً وتجاوزاً للحدود، حتّىٰ عُدّ في بعض النصوص من الكبائر التي تُوعِّدَ عليها بالنار.

ففي رواية معايش العباد التي ذكر فيها وجوه الاكتساب وأحكامها، قال الصادق عليه السلام:

وأما وجه الحرام من الولاية: فولاية الوالي الجائر، وولاية ولاته، الرئيس منهم، وأتباع الوالي، فمن دونه من ولاة الولاة إلىٰ أدناهم،...

لأنّ كلّ شيء من جهة المعونة لهم معصية، كبيرة من الكبائر، وذلك: أنّ في ولاية الوالي الجائر درس الحقّ كلّه، وإحياء الباطل كلّه، وإظهار الظلم والجور والفساد، وإبطال الكتب، وقتل الأنبياء والمؤمنين، وهدم المساجد، وتبديل سنّة الله وشرائعه.

فلذلك حرم العمل معهم، ومعونتهم، والكسب معهم [١].

ومما لا يخفىٰ علىٰ أحد: أنّ الجائرين لم يصلوا إلىٰ مآربهم، لو لم يجدوا أعوانا علىٰ ما يقومون به من مظالم ومآثم.

وقد عبّر الإمام عليه السلام عن ذلك لمن راح يذرف الدموع علىٰ ما يجري علىٰ أهل البيت من المصائب والظلم، ما معناه: أنّ المسؤول عن ذلك ليسوا هم الظالمين فقط، بل مَنْ توسّط في إيصال الظلم وتمكين الظلمة، وتمهيد الأمر لهم، كلهم مشاركون في الجريمة.

ولذلك ـ أيضاً ـ ورد اللعن علىٰ «مَنْ لاقَ لهم دواة، أو قطّ لهم قلماً، أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصاً».

مع أن هذه الأدوات لا تباشر الظلم، وإنّما هي جوامد لا تعقل، إلّا بوسائط وبعد مراحل، وقد يستفاد منها للخير والصلاح، ولكنّ القيام بخدمة الظالم، ولو بهذه الأمور، يكون من المعونة له.

---

(١) تحف العقول (ص ٣٣٢).

وقد اعتمد الإمام زين العابدين عليه السلام علىٰ هذه القاعدة الإسلامية، وجعلها ركيزة في مقاومة النظام الفاسد، وحاول تجريده من سلاح الوعّاظ المحيطين به، المتزلّفين، الذين تمرّر السلطة علىٰ وجودهم ما تقوم به من إجراء،يحسّنون بذلك أفعالها أمام العوامّ، ويوقّع علماء الزور علىٰ آثامها.

ففي الحديث أنّ الإمام السجّاد عليه السلام كان يقول: **العامل بالظلم، والمعين له، والراضي به: شركاء ثلاثة**[1].

وكان يُحذِّر الناس من التورّط في أعمال الظلمة، ولو بتكثير سوادهم والحضور في مجالسهم، والانخراط في صحبتهم، لانّ الظالم لا يريد الصالح لكي يستفيد من صلاحه، وإنّما يريده: إمّا لتوريطه في مظالمه وآثامه، او أن يجعله جسراً يعبر عليه للوصول إلىٰ مآربه وأهدافه الفاسدة.

فكان الإمام عليه السلام يقول:

لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم، إلّا أوشك أن يقول فيه من الشرّ ما لا يعلم، ولا اصطحب اثنان علىٰ غير طاعة الله، إلّا أوشك أن يتفرّقا علىٰ غير طاعة الله[2].

فبعض ظاهري الصلاح يتصوّر أنّ اصطحاب الظالمين لا يضرّه شيئاً، وإنّما يفيد من خلاله خدمةً، أو على الأقلّ يكفيه شرّاً ويدفع عنه ضرراً!

ولكّنه تصوّر خاطىء، مرتكز على الغفلة عن الذي قلناه من استغلال الظالم لصحبة الصالحين لتوريطهم، أو تمرير أغراضه عبر سمعتهم، وهو لا يصحبهم علىٰ أساس الطاعة قطعاً، فلابدّ أن يتفرّقا علىٰ غير طاعة الله أيضاً، وهذا أقلّ الأضرار الحاصلة من هذه المصاحبة الخطرة.

كما أنّ الذي يعيش مع الظالم، ولو لفترة قصيرة، فإنّ اصطحابه لا يخلو من كلمات التزلّف والمجاملة، والملاطفة بما لا واقع لكثير منه، ولو بعمل مثل الاحترام والتبجيل، وهذا كلّه ممّا يزيد من غرور الظالم وهو تصديق لما يقول، وتوقيع علىٰ ما يفعل.

كما أنّ فيه تغريراً للناس البسطاء الذين يرون الصالحين في صحبة الظالم،

---

(١) بلاغة علي بن الحسين عليه السلام (٢٢٤) عن الاثني عشرية، للعاملي.

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١٢٨) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٤).

فيعتبرون ذلك تصويباً لتصرّفاته، وإسباغاً للشرعيّة عليها.

بل، إنّ مجرّد سكوت مَنْ يصحب الظالم، علىٰ ما يرىٰ من فعله، هو جريمة يحاسب عليها.

وقد كان الإمام زين العابدين عليه السلام يسعىٰ بكلّ الوسائل من النصح والموعظة والإرشاد، إلى التخويف والتهديد، إلى الفضح والتشهير، في سبيل إقناع المتصلين بالأمويين من علماء السوء، ليرتدعوا، ويتركوا الارتباط بالبلاط، هادفاً من وراء ذلك فضح الحكّام، وتجريدهم عن كلّ أشكال الشرعية.

ومن أعلام البلاط الذين ركّز الإمام عليه السلام جهوده في سبيل قطع ارتباطه بالحكّام هو: الزُهْريّ.

الذي أكسبه الأمويّون ـ زوراً وبهتاناً ـ شهرةً عظيمةً، وروّجوا له، ونفخوا في جلده، حتّىٰ جعلوه من أوثق الرواة في نظر الناس.

بينما كان من المنحرفين عن الإمام علي عليه السلام [١].

وقال محمّد بن شيبة: شهدتُ مسجد المدينة، فإذا الزهريّ، وعروة بن الزبير جالسان يذكران علياً عليه السلام فنالا منه! [٢].

واشتهر أنه كان يعمل لبني أُمية [٣] و كان صاحب شرطتهم [٤] ولا يختلف الناس أنه كان يأخذ جوائزهم [٥].

ولم يزل مع عبدالملك وأولاده هشام وسليمان ويزيد، وقد استقضاه الأخير [٦].

وجميع أهل البيت عليهم السلام يجرحونه، وتكلّم أُناس فيه من غيرهم:

قال عبدالحق الدهلوي: إنّه قد ابتلي بصحبة الأمراء، وبقلّة الديانة، وكان أقرانه من العلماء والزهّاد يأخذون عليه و ينكرون ذلك منه.

---

(١) شرح نهج البلاغة (٤ـ١٠٢).

(٢) شرح نهج البلاغة (٤: ١٠٢) والاعتصام بحبل الله المتين (٢: ٢٥٨).

(٣) تهذيب التهذيب (٤: ٢٢٥).

(٤) الجامع لأخلاق الراوي (٢ / ٢٠٣).

(٥) الاعتصام (١: ٢٨٥).

(٦) لاحظ وفيات الأعيان، لابن خلكان (٣: ٣٧١).

وكان يقول: أنا شريك في خيرهم دون شرّهم!

فيقولون له: ألا ترىٰ ما هم فيه، وتسكت؟![١]

ولذلك ـ أيضاً ـ كانوا يعلنون: «مَنْ كان يأتي السلطان، فلا يحضر مجلسنا»[٢].

وفي علوم الحديث للحاكم: قيل ليحيىٰ بن معين: الأعمش خير أم الزهري؟

فقال: برئتُ منه إن كان مثل الزهري، إنّه كان يعمل لبني أميّة، والأعمش مُجانب للسلطان، وَرِعٌ[٣].

وفي ميزان الذهبي في ترجمة خارجة بن مصعب أنه قال: قدمتُ على الزهري ـ وهو صاحب شرطة بني أمية ـ فرأيته يركب وفي يده حَرْبَةٌ، وبين يديه الناس، وفي أيديهم الكافركوبات!

فقلت: قبّح الله ذا من عالم، فلم أسمع منه[٤].

وقد عدّه ابن حجر في من أكثر من التدليس وقال: وصفه الشافعي والدارقطني وغير واحد بالتدليس[٥].

وقال القاسم بن محمد ـ من أئمة الزيدية ـ: أمّا الزهريّ فلا يختلف المحدثون وأهل التاريخ في انّه كان مدلّساً[٦]، وأنّه كان من أعوان الظلمة بني أمية، وقد أقرّوه علىٰ شرطتهم[٧].

وقال الشيخ محمد محمد أبو شهبة: اعتبروا من الجرح الذهاب إلىٰ بيوت الحكّام، وقبول جوائزهم، ونحو ذلك مما راعوا فيه إنّ الدوافع النفسيّة قد تحمل صاحبها

---

(١) رجال المشكاة، للدهلوي.

(٢) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١ / ٥٣٠) ضمن كلام الفزاري، ونقل ابن حجر الكلام في ترجمته في تهذيب التهذيب (١ / ١٥٢) إلّا أنه حذف هذه الجملة!

(٣) الاعتصام (٢ : ٢٥٧) ومعرفة علوم الحديث للحاكم (ص ٥٤).

(٤) الاعتصام (٢ : ٢٥٧) وميزان الاعتدال (١ : ٦٢٥) والكامل لابن عديّ (٣ / ٩٢٢).

(٥) تعريف أهل التقديس (ص ١٠٩) رقم (١٠٢).

(٦) لاحظ طبقات المدلسين لابن حجر (ص ١٥) وانظر الجامع لاخلاق الراوي (١ / ١٩١) الحديث ١٣١.

(٧) الاعتصام (٢ : ٢٥٧).

على الانحراف[١].

وقد جرح أبوحازم سلمة بن دينار، الزهريَّ لما أرسل اليه سليمان بن هشام بن عبدالملك، ومعه ابن شهاب الزهري، فدخل ابوحازم فإذا سليمان متكىء، وابن شهاب عند رجليه، فقال ابوحازم كلمات لاذعة لابن شهاب، منها قوله: «إنّك نسيتَ الله، ما كلّ مَنْ يُرسل إليّ آتيه، فلولا الفَرَقُ من شرّكم ما جئتكم...»[٢]

ولقد تكلّم فيه شيخ أهل الجرح والتعديل يحيىٰ بن معين بكلام خشن ـ حول قتل الزهري لغلامه ـ وقال: إنه ولي الخراج لبعض بني أُمية[٣].

وقال يحيىٰ بن معين في معرفة رجاله: هجا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ـ وكان أعمىٰ ـ: الزُهرْيَّ وصالح بن كيسان، ومعاوية بن عبدالله بن جعفر، في بيت واحد فقال:

ليس بإخوان الثقات ابنُ مسلم ولا صالحٌ ولا الطويل معاويهْ[٤]

فنفى ابن معين الوثاقة عن الزهري علىٰ لسان الشاعر، وهو لو لم يوافق عليه ولم يعتقده لم ينقله أو لردّ عليه، لكنه لم يفعل.

وقال القاسم بن محمّد: أليس كان بنوأمية وأتباعهم يلعنون علياً عليه السلام على المنابر، وابن شهاب يسمع ويرىٰ، فماله ما يغضب ويُظهر علمه ؟![٥].

وقال السيّد مجدالدين المؤيّدي: أمّا كون الزهريّ من أعوان الظلمة فما لا خلاف فيه، وقد قدح فيه نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم.

وابن شهاب ممن لا يعدّلون، بطاعة بني أميّة، وتلبيسه وتحريفه ـ لمكان كثرة

---

(١) دفاع عن السنة (ص ٣١) وانظر قصة حماد بن سلمة مع أمير البصرة، في الجامع لأخلاق الراوي (١ / ٧ ـ ٥٦٨) وحلية الأولياء (٦ / ٢٤٩).

(٢) الاعتصام (٢ : ٢٥٨) والكلام بطوله في الإمامة والسياسة (٢ : ١٠٥ ـ ١١٠).

(٣) انظر جامع بيان العلم للقرطبي (٢ / ١٦٠) وصرّح بانه ترك الكلام الخشن لانه لا يليق بمثله، ولكن لم نجد ذكراً لمثل ذلك في رجال ابن معين، ولعلّ الطابعين أيضاً تركوا ذلك رعاية لما يليق بالزهري، وان كان فيه إساءة إلى ابن معين وإلى التراث بالخيانة فيه.

(٤) معرفة الرجال (٢ / ٥٠) رقم (٨٠).

(٥) الاعتصام (٢ : ٢٦٠).

وفادته اليهم ـ معروف ، وهو لسان بني أميّة [١] .

وقال المؤيد بالله في شرح التجريد : الزهريّ عندنا في غاية السقوط [٢] .

واستعمل الإمام زين العابدين عليه السلام أساليب عديدة لإتمام الحجّة على الزهـريّ ، ليعتبر به هو وأمثاله ، وكان التركيز عليه لكـونه أكـبر عـلماء البـلاط ، وأعـرفهم عند العوام :

فمن أساليبه : اسماعهُ المواعظ في المناجاة .

قال الزهريّ : سمعتُ علي بن الحسين سيّد العابدين يحاسب نفسه ويناجي ربّه ، ويقول :

حتّام إلى الدنيا غرورك : وإلىٰ عمارتها ركونك ... ؟ [٣] .

ولما سأله الزهري : أيّ الأعمال أفضل عند الله تعالىٰ ؟

فقال عليه السلام : **ما من عمل بعد معرفة الله تعالىٰ ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله أفضل من بغض الدنيا ، وإن لذلك لشعباً كثيرة ، وللمعاصي شعباً : فأول ما عُـصي الله بـه : الكـبر ... ثم الحسد . فتشعّب من ذلك حبُّ النساء ، وحبُّ الدنيا ، وحبّ الرئاسة ، وحبّ الراحة ، وحبّ الكلام ، وحبّ العلوّ والثروة ، فصرن سبع خصال .**

فاجتمعن كلهنّ في حبّ الدنيا ، فقال الأنبياء والعلماء : « حبّ الدنيا رأس كل خطيئة » والدنيا دنياوان : دنيا بلاغ : ودنيا ملعونة [٤] .

ومنها : التنبيه الخاصّ :

قال المدائني : قارف الزهريّ ذنباً استوحش منه ، وهام علىٰ وجهه ، فقال له علي ابن الحسين : **يا زهريّ ، قنوطك من رحمة الله التي وسعت كلّ شيء أعظم عليك من ذنبك .**

---

(١) لوامع الانوار (ص ٧٩) .

(٢) لوامع الانوار (ص ١١٠) وقد ألّف سماحة السيد بدرالدين الحوثي حول (الزهري) كتاباً حافلاً في فصلين ، فليراجع .

(٣) إلىٰ آخر ما ذكره عليه السلام .

(٤) الكافي (٢ : ١٣٠) المحجة البيضاء (٥ : ٣٦٥) .

فقال الزهري: ﴿ الله أعلم حيثُ يجعل رسالته ﴾ [الأنعام «٦» الآية «١٢٤»] فرجع إلىٰ ماله وأهله [١].

وكان يقول ـ بعد ذلك ـ: عليٌّ بن الحسين أعظم الناس عليَّ منَّة [٢].

ومنها: التصغير والتهوين:

فحينما كان الزهري وعروة بن الزبير ينالان من الإمام علي عليه‌السلام، بلغ ذلك علي بن الحسين عليه‌السلام فجاء حتّىٰ وقف عليهما، وقال:

أمّا أنت يا عروة، فإنّ أبي حاكم أباك إلى الله فحكم لأبي علىٰ أبيك.

وأمّا أنت يا زهريّ، فلو كنت بمكة لأريتك كيرَ أبيك [٣].

ومنها: التكذيب لتزلّفاته:

في الحديث أن الزهريّ قال لعلي بن الحسين عليه‌السلام: كان معاوية يُسكته الحلم، وينطقه العلم!

فقال الإمام عليه‌السلام: كذبتَ يا زهريّ، كان يُسكته الحَصَر، وينطقه البَطَر [٤].

ومنها: الرسالة التي وجّهها الإمام عليه‌السلام إليه:

ويبدو أنّ الزهريَ لم يأبه بكلّ النصائح والتوجيهات السابقة، فتوغّل في دوّامة الحكم الغاشم، والتحق بالبلاط الشاميّ، فلم يتركه الإمام عليه‌السلام، بل أرسل إليه رسالة دامغة، يصرّح فيها بكل أغراضه، ويكشف له، ولأمثاله، أخطار الاتصال بالأجهزة الظالمة.

وقد رواها العامة والخاصة، ونصّ الغزّالي علىٰ أنها كتبت إلى الزهري «لما خالط السلطان» [٥].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق (١٧: ٢٤٥) وكشف الغمة (٢: ٣٠٢) وبحار الأنوار (٤٦: ٧).

(٢) تاريخ دمشق (الحديث ١٢٥) ومختصره لابن منظور (١٧: ٢٤٦).

(٣) شرح نهج البلاغة (٤: ١٠٢).

(٤) الاعتصام (٢: ٢٥٧) وانظر نزهة الناظر (ص ٤٣).

(٥) إحياء علوم الدين (٢: ١٤٣) وانظر المحجة البيضاء في إحياء الاحياء (٣: ٢٦٠).

ورواها من أعلامنا ابن شعبة، ونعتمد نسخته هنا[1] قال:

كتابه عليه السلام إلىٰ محمّد بن مسلم الزُهْريّ، يعظه:

كفانا الله، وإيّاك، من الفتن، ورحمك من النار، فقد أصبحتَ بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك، فقد أثقلتك نِعمُ الله بما أصحّ من بدنك، وأطال من عمرك، وقامت عليك حجج الله بما حمّلك من كتابه، وفقّهك من دينه، وعرّفك من سنّة نبيّه محمّد صلى الله عليه وآله وسلم فرضي لك ـ في كلّ نعمةٍ أنعم بها عليك، وفي كلّ حُجّة احتجّ بها عليك ـ الفرض بما قضىٰ. فما قضىٰ إلّا ابتلىٰ شكرك في ذلك، وأبدىٰ فيه فضله عليك، فقال: ﴿ لئن شكرتم لأزيدنّكم، ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد ﴾ [إبراهيم «١٤» الآية «٧»].

فانظر: أيَّ رجل تكون غداً إذا وقفت بين يدي الله! فسألك عن نعمه عليك: كيف رعيتها؟ وعن حججه عليك: كيف قضيتها؟

ولا تحسبنّ الله قابلاً منك بالتعذير، ولا راضياً منك بالتقصير!

هيهات! هيهات! ليس كذلك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: ﴿ لِتبيِّنُنَّه للناس ولا تكتمونه ﴾ [آل عمران «٣» الآية «١٨٧»].

واعلم أنّ أدنىٰ ما كتمتَ، وأخفّ ما احتملت أن آنست وحشة الظالم، وسهّلت له طريق الغيّ بدنوّك منه حين دنوت، وإجابتك له حين دُعيت!

فما أخوفني أن تبوء بإثمك غداً، مع الخونة، وأن تُسأل عمّا أخذت بإعانتك علىٰ ظلم الظلمة، إنك أخذت ماليس لك ممّن أعطاك، ودنوت ممّن لم يردَّ علىٰ أحدٍ حقّاً، ولم تردَّ باطلاً حين أدناك، وأحببتَ مَنْ حادَّ الله!

أوليس بدعائهم إيّاك حين دعوك جعلوك قطباً أداروا بك رحىٰ مظالمهم، وجسراً يعبرون عليك إلىٰ بلاياهم، وسلّما إلىٰ ضلالتهم.

داعياً إلىٰ غيّهم، سالكاً سبيلهم، يُدخلون بك الشكَّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهّال إليهم.

فلم يبلغ أخصّ وزرائهم، ولا أقوىٰ أعوانهم إلّا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم،

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٤) والمحجة البيضاء (٣: ٢٦٠).

واختلاف الخاصّة والعامّة إليهم.

فما أقلّ ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك، وما أيسر ما عمّروا لك في كَنَف ما خربّوا عليك؟

فانظر لنفسك، فإنّه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول.

وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟

فما أخوفني أن تكون كما قال الله في كتابه: ﴿ فَخَلَف من بعدهم خَلْفٌ ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنىٰ ويقولون سيُغفر لنا ﴾ [الأعراف «٧» الآية «١٦٩»].

إنّك لست في دار مقام، أنت في دارٍ قد آذنتْ برحيل، فما بقاء المرء بعد قرنائه؟

طوبىٰ لمن كان في الدنيا علىٰ وجلٍ، يا بؤس مَن يموت وتبقىٰ ذنوبه من بعده.

إحذر فقد نُبّئتَ، وبادر فقد أُجّلتَ.

إنّك تعامل مَن لا يجهل، وإنّ الذي يحفظ عليك لا يغفل.

تجهّز فقد دنا منك سفر بعيد، وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد.

ولا تحسب أني أردتُ توبيخك وتعنيفك وتعييرك، لكنّي أردتُ أن ينعش الله ما فات من رأيك، ويردّ إليك ما عزُب من دينك، وذكرت قول الله تعالىٰ في كتابه: ﴿ وذكّر فإنّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين ﴾ [الذاريات «٥١» الآية «٥٥»].

أغفلتَ ذكر مَن مضىٰ من أسنانك وأقرانك، وبقيتَ بعدهم كقَرن أعضب.

انظر: هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أم هل وقعوا في مثل ما وقعت فيه؟ أم هل تراهم ذكرت خيراً أهملوه؟ وعلمت شيئاً جهلوه؟

بل: حظيت بما حلّ من حالك في صدور العامّة، وكلفهم بك، إذ صاروا يقتدون برأيك، ويعملون بأمرك، إن أحللت أحلّوا، وإن حرّمت حرّموا، وليس ذلك عندك، ولكن أظهرهم عليك رغبتهم في ما لديك ذهابُ علمائهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وحبّ الرئاسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترىٰ ما أنت فيه من الجهل والغرّة؟ وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟

قد ابتليتهم، وفتنتهم بالشغل عن مكاسبهم ممّا رأوا، فتاقت نفوسهم إلىٰ أن يبلغوا من العلم ما بلغتَ، أو يدركوا به مثل الذي أدركتَ، فوقعوا منك في بحرٍ لا يدرك عمقه، وفي

بلاء لا يقدّر قدره.

فالله لنا ولك، وهو المستعان.

أمّا بعد:

فأعرض عن كلّ ما أنت فيه حتّىٰ تلحق بالصالحين الذين دفنوا في أسمالهم. لاصقةً بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، ولا تفتنهم الدنيا. ولا يفتنون بها.

رغبوا، فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا.

فإن كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا المبلغ، مع كبر سنّك، ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فكيف يسلم الحدث في سنّه؟ الجاهل في علمه؟ المأفون في رأيه؟ المدخول في عقله؟

إنّا لله وإنّا اليه راجعون.

علىٰ من المعوّل؟ وعند مَن المستعتب؟

نشكو إلى الله بثّنا، وما نرىٰ فيك، ونحتسب عند الله مصيبتنا بك!

فانظر:

كيف شكرك لمن غذّاك بنعمه صغيراً وكبيراً؟

وكيف إعظامك لمن جعلك بدينه في الناس جميلاً؟

وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته في الناس ستيراً؟

وكيف قربك أو بعدك ممّن أمرك أن تكون منه قريباً ذليلاً؟

مالك لا تنتبه من نعستك؟ وتستقيل من عثرتك؟ فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحييتُ به له ديناً! أو أَمَتُّ له فيه باطلاً؟

فهذا شكرك من استحملك؟!

ما أخوفني أن تكون كما قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿ أضاعوا الصلاة واتّبعوا الشهوات. فسوف يلقون غيّاً ﴾ [مريم «١٩» الآية «٥٩»].

استحملك كتابه، واستودعك علمه، فأضعتها!

فنحمد الله الذي عافانا ممّا ابتلاك به!

والسلام[١].

---

(١) روى الرسالة في تحف العقول (٢٧٤ ـ ٢٧٧) ورواها الحائري في: بلاغة علي بن

إنّ هذه الرسالة تدلّ علىٰ سياسة الإمام عليه السلام من جهتين:

فأولاً: محتواها يدلّ على انّ الإمام كان يراقب الأوضاع بدقّة فائقة، فهو يضع النقاط علىٰ مواضعها من الحروف، ولا تشذّ عنه صغار الأمور فضلاً عن كبارها؟ ومثل هذا لا يصدر إلّا ممّن لم ينعزل عن الحياة الاجتماعية، ولم يزهد في السياسة.

وثانياً: إنّ إرسال مثل هذه الرسالة إلى الزهري، وهو من أعيان علماء البلاط، لابدّ أن لا تخفىٰ عن أعين الحكّام، أو على الأقل يحتمل أن يرفعها الزهري إلىٰ أسياده من الحكّام! وفي هذا من الخطورة على الإمام الذي أرسل الرسالة ما هو واضح وبيّن، وقد وصفهم فيها بالظلم والفساد، ونهىٰ، وحذّر، وحاول صرف الزهري عن اصطحابهم.

فالسياسة تطفح من جُمَل هذه الرسالة.

لكنّ الإمام عليه السلام ـ في هذه المرحلة ـ لا يأبه بكل الاحتمالات، والأخطار المتوقّعة، بل يصارح أعوان الظلمة بكلّ ما يجب إعلانه من الحقّ، كما صارح الظالمين أنفسهم بالمواجهة، والاستفزاز.

وقد وقفنا علىٰ شيء من مواجهة الإمام عليه السلام للمتظاهرين بالزهد والصلاح ممن كان يميل باطناً إلى الدنيا، ويحبّ الرئاسة والوجاهة، وأوضح مصاديق ذلك: هم عُلماء البلاط ووعّاظ السلاطين الذين ارتبطوا بالولاة والحكّام، ليستمتعوا باللذات من خلال الحضور معهم، والتطفّل علىٰ موائدهم.

←

الحسين عليه السلام (ص ١٢٢ ـ ١٢٦) ورواها المقرم في: الإمام زين العابدين (ص ٤ ـ ١٥٩) ولاحظ إحياء علوم الدين للغزالي (٢: ١٤٣).

ثالثاً: موقفه من الحركات المسلّحة

كان الإمام زين العابدين عليه السلام يخطو نحو أهدافه بحذر تامٍ، ووعي كامل، لا يُثيرُ انتباه الحكّام والولاة المغرورين، كي لا يقضوا علىٰ حركته وهي في المهد.

فهم ،بانهماكهم في ترفهم واغترارهم بقدراتهم، كانوا بعيدين عن الأجواء التي يصنعها الإمام عليه السلام ، فكانوا يعدّون مواقفه شخصيّة خاصة وفرديّة، بل يستوحون منها الانصراف عن التصدّي لأيّ نشاط سياسيّ.

فلذلك لم يُظهر الإمام انتماءاً إلىٰ أيّة حركة معارضة للدولة، ولم يسمح لها أن تتصل بالإمام، سواء الحركات المتحبّبة إليه، كحركة التوّابين وحركة المختار، أو الحركات المحايدة كحركة أهل الحرَّة، أم المعادية له كحركة ابن الزبير في مكّة والعراق!

لكن الآثار تشير إلىٰ أن الإمام عليه السلام لم يكن في معزل عن تلك الحركات، سلباً أو إيجاباً، حسب قربها أو بعدها عن الأهداف الأساسية التي كان الإمام وراء تحقيقها وتثبيتها.

فهو من جهة كان يركّز علىٰ خططه العميقة والواسعة، بالشكل الذي يغرّر بالحكّام الأمويين بصحّة تصورّاتهم عن شغله وشخصه، حتّىٰ أعلنوا عنه أنّه «الخير».

ولعلّ رجال الدولة كانوا في رغبة شديدة في الاحتفاظ بهذا التصوّر، حتّىٰ لا يتورّطوا مع آل أبي‌طالب بأكثر ممّا سبق، وليتفرّغوا لغير الإمام زين العابدين عليه السلام ممّن أعلن الثورة والمعارضة لهم كابن الزبير، فلذا نشروا هذا المعنىٰ في عملية تحريف، ليدفعوا مجموعة من الناس للمشي بسيرة الإمام عليه السلام .

وقد وقف كتّاب من مؤرخي عصرنا الحاضر علىٰ هذه الآثار، فأعلنوا: «أنّ الإمام عليه السلام تبنّىٰ مسلكاً، يرفض فيه كلّ تحرك مناهض للسلطة، ويبتعد عن كلّ نشاط معادٍ لها»[1].

مع أن الإمام زين العابدين عليه السلام كان يهدف من خلال مواقفه ـ حتّى العبادية

---

١) الامام السجاد عليه السلام لحسين باقر (ص ٩٨).

والعلمية والشخصية منها ـ إلىٰ تثبيت مخططاته السياسية كما عرفنا في الفصول السابقة.

وكان مع ذلك يتعامل مع الحركات السياسية الأخرىٰ بشكل مدروس ومدبّر، حسب المواقع والظروف:

فبالنسبة إلىٰ حركة الحرّة:

وجدنا الإمام عليه‌السلام قد أحرز أنها حركةً لم تنبع عن مبدأ يتّفق وضرورات الموقف الإسلاميّ الصحيح، فلا القائمون بها كانوا من العارفين بحقّ الإمام عليه‌السلام، ولا خططهم المعلنة كانت أساسية، ولا أهدافهم كانت واضحة أو مدروسة، وأهم ما كانت عليه خطورةَ الموقع الذي اختاروه للتحرّك، وهو «المدينة» فقد عرّضوها للجيش الشامي الملحد، ليدنّس كرامتها ويستهين بمقدّساتها.

وقد عرفنا أن الإمام عليه‌السلام اتخذ موقف المنجي للمدينة المنكوبة ولأهلها الذين استباح حرماتهم الجيشُ الأمويّ.

ولم تكن حركة الحرّة تنبع أمر الإمام عليه‌السلام ولا قيادته بل ولا إشرافه، بل كان الإمام عليه‌السلام يومها في فترة لملمة قواه وتهيئة وضعه، والتأهّب لخطته المستقبلية.

كما سبق حديث عن ذلك كلّه في الفصل الأول[١].

وأما فتنة ابن الزبير:

فمع أن ابن الزبير لم يكن بأولىٰ من ابن مروان، في الحكم والسيطرة، وأن طموحاته المشبوهة كانت مرفوضة لدىٰ أهل الحقّ، وخاصّة للعلويين وعلىٰ رأسهم الإمام زين العابدين عليه‌السلام.

ومع ما كان عليه من الحقد والعداء لآل عليّ عليه‌السلام[٢] ذلك الذي بدأه في حياته بدفع أبيه في أتون حرب الجمل، وقد حمّله الإمام الصادق عليه‌السلام ذلك الوزر في كلمته

---

(١) لاحظ (ص ٦٥ ـ ٧٢) من هذا الكتاب.

(٢) فقد قال لابن عباس: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة. مروج الذهب (٣: ٨٤ و ٨٩) وانظر تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٦١).

الشهيرة : « ما زال الزُبير منّا أهل البيت حتّىٰ أدرك فرخه فنهاه عن رأيه »[١].

وبدأ في عهد سطوته العداء لآل محمد عليهم‌السلام بصورة مكشوفة لمّا هدّد مجموعة منهم بالإحراق عليهم في شعب أبي طالب بمكة[٢].

وبلغ به حقده أنْ منع الصلاة على النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم قائلاً : « إنّ له « أهيل سوء » يشمخون بأنوفهم » حسب تعبيره الوقح[٣].

وكان ـ بحكم معرفته بموقعيّة الإمام السجاد عليه‌السلام ـ يضع العيون على الإمام يراقبون تصرّفاته[٤].

وقد قتل أخوه مصعب الشيعة بالعراق ، حتّى النساء[٥].

فلذلك كان الإمام يظهر التخوّف من فتنته[٦].

ولعلّ من أوضح مبرّرات الإمام في تخوّفه من فتنة ابن الزبير أنّه اتّخذ مكّة موقعاً لحركته ، مما يؤدّي عند اندحاره إلىٰ أن يعتدي الأمويون علىٰ هذه البلدة المقدَّسة الآمنة ، وعلىٰ حرمة البيت الحرام والكعبة الشريفة ؟

وقد حصل ذلك فعلاً .

مع أنَّ علم الإمام عليه‌السلام بفشل حركته لضعفه وقلّة أنصاره بالنسبه إلىٰ جيوش الدولة الجرّارة ، كان من أسباب امتناع الإمام ومعه كل العلويين من الاعتراف بحركة ابن الزبير .

وهو كان يؤكّد علىٰ أخذ البيعة منهم لكسب الشرعية أولاً ، ولجرّهم معه إلىٰ هاوية الفناء والدمار في ما لو اندحر ، وقد كان متوقّعاً ذلك ، فيقضي علىٰ آل

---

(١) أرسله الصدوق في الخصال (ص ١٥٧) باب الثلاثة ح ١٩٩ .

(٢) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٢٦١) وسير أعلام النبلاء (٤ : ١١٨) وطبقات ابن سعد (٥ : ١٠٠) ومروج الذهب (٣ : ٨٥) .

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٢٦١) مروج الذهب (٣ : ٨٨) .

(٤) شرح رسالة الحقوق ، لعبد الهادي المختار (ص ١٠٢) .

(٥) مروج الذهب (٣ : ١٠٧) وتاريخ اليعقوبي (٢ / ٢٦٤) .

(٦) الكافي (   ) التوحيد للصدوق (ص ٣٧٤) وشرح الأخبار (٣ : ٢٦١) وبحار الأنوار (٤٦ : ٣٧ و ١٤٥) . وحلية الأولياء (٣ / ١٣٤) .

محمد عليهم السلام فيكون قد وصل إلىٰ أمنيته القديمة.

إن الإمام عليه السلام بإظهاره التخوّف من فتنة ابن الزبير، كان قد أحبط كلّ أهداف ابن الزبير وأمانيه الخبيثة تلك.

كما أنّ في هذا التصرّف تهدئةً لِوَغَرِ صدور الأمويين ضدّ آل محمّد عليهم السلام وشيعتهم، تمهيداً لتثبيت العقيدة وترسيخ قواعدها.

وبهذا حدّد الإمام عليه السلام موقفه من الحركات البعيدة عن خطّ الإمامة، والتي لم تنتهج اتّباع الإسلام المحمّدي الخالص الذي يحمله أئمة أهل البيت عليهم السلام.

فهو لم يظهر تجاهها ما يستفيده الأمويون، كما لم يؤيّدها بحيث تكون ذريعة للأمويين علىٰ محاسبة الإمام عليه السلام.

ولا قام بما يعتبر وسيلة يتشبَّث بها أولئك المتحرّكون غير الأصيليْن في الفكر والعقيدة، والمشبوهون في الأهداف والمنطلقات.

فاتّخذ الإمام من هذه الحركات موقف الحزم والحيطة، فهي وإن لم تكن على المعلوم من الحقّ إلّا أنها كانت معارضة للمعلوم من الباطل الحاكم، ومؤديّة إلىٰ تضعيفه وزعزعته، وتحديد سطوته.

والإمام عليه السلام لا يهدف إلىٰ مجرّد إحداث البلبلة، وتعويض فاسد بفاسد، أو نقل السلطة من ابن مروان، إلى ابن الزبير، أو ابن الأشعث، أو غيرهم من المتصدّين للحكم بالباطل، فتركهم الإمام عليه السلام يشتغل بعضهم ببعض حتّىٰ ينكشف للأمة زيف دعواهم الإمامة والخلافة، ويظهر للأمة أنهم ـ جميعاً ـ لا يطلبون إلّا الحكم والسلطة، دون صلاح الإسلام وإصلاح ما فسد من أمور المسلمين.

وأمّا موقفه من الحركات الأُخرىٰ:

فهي بفرض انّها قامت بشعارات حقّة.

كحركة التوّابين في عين الوردة، وشعارهم «يالثارات الحسين»[1] وهم الذين تحالفوا علىٰ بذل نفوسهم وأموالهم في الطلب بثأر الحسين عليه السلام ومقاتلة قتلته وإقرار

---

(١) أيام العرب في الإسلام (ص ٤٣٦).

الحقّ مقرّه في رجل من آل بيت نبيّهم صلوات الله عليه وسلامه[(١)].

وكحركة المختار الذي كتب إلى الإمام علي بن الحسين السجاد عليه السلام يريده على أن يُبايع له، ويقول بإمامته، ويظهر دعوته، وأنفذ إليه مالاً كثيراً[(٢)] وتتّبع قتلة الحسين عليه السلام فقتلهم[(٣)].

ولكنّ الإمام عليه السلام كان حكيماً في تعامله مع المتحرّكين أولئك، فلم يعلنْ عن ارتباطه المباشر بهم، وكذلك لم يعلن عن رفض حركتهم كما واجه ابن الزبير، بل أصدر بياناً عاماً، يصلح لتبرير الحركات الصالحة، من دون أن يترك آثاراً سيئة على الإمام عليه السلام: فقال لعمّه محمد بن الحنفية: **«يا عمّ، لو أنّ عبداً تعصّب لنا أهلَ البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد ولّيتك هذا الأمر، فاصنع ما شئت»**[(٤)].

إن تولية الإمام عليه السلام لعمّه في القيام بأمور الحركات الثوريّة تلك كان هو الطريق الأصلح، حيث أن محمّد بن الحنفيّة لم يكن متّهماً من قبل الدولة بالمعارضة، ولم يُعْرَف منه ما يشير إلى التصدي للإمامة لنفسه، بينما الإمام عليه السلام كانت الدولة تتوجّس منه خيفةً باعتباره صاحب الدم في كربلاء، والمؤهّل للإمامة، لعلمه وتقواه وشرفه، ولم يخفَ علىٰ عيون الدولة أنّ جمعاً من الشيعة يعتقدون الإمامة له.

وبذلك كان الإمام عليه السلام قد حافظ علىٰ وجوده من أذى الأمويين واستمرّ علىٰ رسم خططه والتأكيد علىٰ منهجه لإحياء الدين وتهيئة الأرضيّة للحكم العادل.

وهو مع ذلك لم يقطع الدعم عن تلك الحركات التي انتهجت الثأر لأهل البيت عليهم السلام.

فلمّا أرسل المختار برؤوس قتلة الإمام الحسين عليه السلام إلى الإمام السجّاد عليه السلام، خرّ الإمام ساجداً، ودعا له، وجزّاه خيراً[(٥)].

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية (ص ١٠٤).

(٢) مروج الذهب (٣: ٨٣).

(٣) مروج الذهب (٣: ٨٤).

(٤) بحار الانوار (٤٥ / ٣٦٥) وانظر أصدق الاخبار للسيد الأمين ص ٣٩ والمختار الثقفي، لأحمد الدجيلي (ص ٥٩).

(٥) رجال الكشي (ص ١٢٥ و ١٢٧) وشرح الأخبار (٣: ٢٧٠) وتاريخ اليعقوبي (٢: ٢٥٩).

وقام أهل البيت كافّة بإظهار الفرح، وترك الحداد والحزن، ممّا يدلّ علىٰ تعاطفهم ـ عملياً، وعلنيّاً ـ مع المختار وحركته.

ولو نظرنا إلىٰ هذا العمل، نجده لا يُثير من الأمويين كثيراً من الشكوك تجاه الإمام، إذ من الطبيعي أن يفرح الموتور بقتل ظالمه، ويدعو لمن قتله وانتقم منه وثأر لدماء الشهداء!

خصوصاً، إذا اقترن مع رفض الإمام عليه السلام لقبول هدايا المختار المادّية (١).

فإنّ ذلك يدلّ بوضوح علىٰ أن الإمام عليه السلام لا يريد التورّط سياسيّاً مع حركة بعيدة عنه جغرافيّاً، ولم تلتق مع أهدافه البعيدة المدىٰ حضارياً وتاريخيّاً.

ولا تعدو أن تكون فوزاً أو بُروزاً مقطعيّاً فقط.

وأمّا ما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام من أحاديث في ذمّ المختار أو لعنه:

فالذي يوجّهه أنّ الحكّام الظلمة ـ عامّةً ـ وبني أمية ـ خاصّة ـ استعملوا أساليب التزوير والاتّهامات الباطلة ضدّ معارضيهم بغرض إسقاط المعارضة في نظر العامة.

وقد استهدفوا شخص المختار وأصحابه بأشكال من الاتهامات التي تعبُر علىٰ أذهان العوام، مثل السحر والشعوذة، كما اتّهموه بدعوى النبوّة، والأُلوهية، وما أشبه ذلك من الخرافات، سعياً في إبطال مفعول حركته، وإبعاد الناس عنه، والتشويش علىٰ نداءاته وشعاراته بالطلب بثارات الحسين عليه السلام وتأسّفه علىٰ قتله، وإعلانه عن هويّة القاتلين، وحمايته لبني هاشم من الأذىٰ.

ولقد تواترت أخبار البلاطيّين، واتّهامهم إيّاه علىٰ طريقة «إكذب ثم اكذب ثم اكذب حتّىٰ يصدّقك الناس» وقد ملئت الصحف والكتب والأخبار بتلك الأكاذيب، حتّىٰ صدّقها الناس فعلاً!!

وإذا كان المختار بتلك المنزلة التي أبداها الحكّام والنقلة والرواة والمؤرّخون، وكان من أخبارهم الموحشة عنه ماملأ مسامع الناس وأفكارهم: أنّه ساحر، كذّاب على الله ورسوله، مدّعٍ للنبوّة، وما إلىٰ ذلك من الترّهات والأكاذيب.

إذا كان المختار عند العامة بهذه المنزلة، فهل يجوز للإمام عليه السلام أنْ يدافع ـ علناً ـ عن

(١) مروج الذهب (٣: ٨٣) ورجال الكشي (ص ١٢٦) رقم (٢٠٠).

حركته ؟! أو أنْ يسكت إذا سُئِلَ عنه ؟!

إنّ إظهار التعاطف معه، ولو بأدنىٰ شكل، كانت الدولة تستغلّه لضرب الإمام عليه السلام وتشويه سمعته عند العامة العمياء.

فلا نستبعد أن يكون الإمام عليه السلام قد أصدر ضدّ ما يعرفه الناس عن المختار، ما يبرّىء ساحة الإمام عليه السلام من الموافقة عليه، أو السكوت عنه، ففي الخبر: قام الإمام عليه السلام علىٰ باب الكعبة! يلعن المختار!

فقال له رجل: يا أباالحسين، لِمَ تسبُّه؟ وإنّما ذُبِحَ فيكم ؟!

قال الإمام عليه السلام: إنّه كان كذّاباً، يكذب على الله ورسوله [(١)]

فلو صحَّ هذا الخبر، فإنّ وقوف الإمام عليه السلام علىٰ باب الكعبة، وإعلانه بهذا الشكل عن ذمّ المختار ولعنه، لا يخلو من قصد ـ أكثر من مجرّد اللعن ـ حيث أنّ في ذلك دلالة واضحة علىٰ إرادة مجرّد الإعلان بذلك وتبيينه للناس.

وفي قول المعترض: «ذُبِحَ فيكم» الهدف السياسيّ من تلطيخ سمعة أهل البيت عليهم السلام وتوريطهم بما لطّخوا به سمعة المختار.

إذ لا يصدر مثل هذا الاعتراض، وهذا الإعلان، عن شخص غير مغرض في مثل ذلك الموقف.

ثمّ إنّ ما ورد من أمثال هذه الأحاديث، المشتملة علىٰ ذمّ المختار من قبل أهل البيت عليهم السلام ورواتهم، إنّما رواها رجال الدولة وكتّابهم ومؤرّخو البلاط، مما يدّل علىٰ أن المستفيد الوحيد من ترويجها هم أولئك الذين يرتزقون من الارتباط بالدولة.

هذا لو صحّت تلك الأحاديث والنقول.

وإلّا، فهل يشكّ أحد من دارسي التاريخ في أنّ المختار تحرّك بشعار الأخذ بثارات الحسين عليه السلام وقد وصفه زوجتاه ـ بعد قتله ـ بأنّه «رجل يقول ربّي الله، كان صائم نهاره، قائم ليله، قد بذل دمه لله ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهله وشيعته، فأمكنه الله منهم حتّىٰ شفىٰ النفوس» [(٢)].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، لابن منظور (١٧: ٢٤٣).

(٢) مروج الذهب (٣: ١٠٧) وانظر تاريخ اليعقوبي (٢: ٢٦٤).

وقتل معه سبعة آلاف رجل كلّهم طالبون بدم الحسين (١).

أليس ما قام به المختار من أخذ الثار، مكرمةً تدعو إلى السكوت عنه، على الأقلّ ؟!

ولقد ذكّر الإمام الباقر عليه السلام بمثل هذا في حديثه عن المختار لمّا دخل عليه أبو الحكم ابن المختار، فتناول يد الإمام ليقبّلها فمنعه، ثم قال له: اصلحك الله، إنّ الناس قد أكثروا في أبي وقالوا، والقول ـ والله ـ قولك!... ولا تأمرني بشيء إلّا قبلتُه.

فقال الإمام: سبحانَ الله! أخبرني أبي ـ والله ـ أنّ مهر أُمّي كان ممّا بَعَثَ به المختار.

أوَلم يبْنِ دورنا، وقَتَلَ قتلتنا، وطلب بدمائنا، فرحمه الله.

وأخبرني ـ والله ـ أبي: أنّه كان ليسمر عند فاطمة بنت عليّ يمهّدها الفراش ويُثْني لها الوسائد، ومنها أصاب الحديث.

رحم اللهُ أباك، رحم اللهُ أباك، ما أصاب لنا حقّاً عند أحدٍ إلّا طلبه.... (٢)

وعلىٰ حدّ قول ابن عباس ـ لما طُلِبَ منه سبّ المختار ـ: ذاك رجل قَتَلَ قتلتنا، وطلب ثأرنا وشفىٰ غليل صدورنا، وليس جزاؤه منّا الشتم والشماتة (٣).

إنّ خروج الإمام زين العابدين عليه السلام من أزمة الحركات المعارضة للدولة، على اختلاف مواقفها تجاهَ الإمام، من مُواليةٍ، ومُحايدة، ومُعاديةٍ، وبالشكل الذي لا يترك أثراً سلبيّاً عليه، ولا يحمّله مسؤوليّة، ولا تستفيد الأطراف المتنازعة من موقعه كإمام، وككبير أهل البيت عليهم السلام، ولا تتضرّر أهدافه وخططه التي رسمها لإحياء الدين.

إنّ الخروج من مثل هذا المأزق، وبهذه الصورة، عملٌ جبّار لابدّ أن يُعدّ من أخطر مواقف الإمام السياسيّة، ويستحقّ دراسة معمّقة لمعرفة أسسه، وأبعاده.

وبعد:

إنّ ما بذله الإمام السجّاد عليه السلام من جهود وجهاد في سبيل الله، وما قام به من

---

(١) مروج الذهب (٣: ١٠٧).

(٢) رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال) (ص ١٢٦) رقم (١٩٩).

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤ / ٢٧٨).

فرض الإمامة وواجب الولاية تجاه الدين والأمة، مع اقتران المهمّة بظروف صعبة وحرجة للغاية، حيث ملئت الأجواء بالرعب والردّة والانحراف عن القيم والموازين والأعراف، سواء الدينيّة، ام الأخلاقية، بل حتّى الإنسانية!

إنّ ما بذله الإمام عليه السلام في سبيل القيام بالمهمة تمّ بأفضل ما يُتصوّر، فقد رسم لمخططاته خطّة عمل ناجحة بحيث مهّد الأرضية لتجديد معالم التشيع، ممثلاً لكلّ ما للاسلام من مجد وعدل وعلم وحكمة، لَهُوَ عمل عظيم، يدعو إلى الإعجاب والفخر والتمجيد، ويجعل من الإمام عليه السلام في طليعة القوّاد السياسيّين الخالدين.

ولقد حقّ له عليه السلام أن يكلّل تلك الحياة العظيمة بالطمأنينة التي ملأت وجوده الشريف عندما حُضِرَ، فأغمض عينيه حين الوفاة، وفتحهما ليقول كلمته الأخيرة، فيقرأ ﴿ الحمد لله الذي صدقنا وعده، وأورثنا الأرض، نتبوّأ من الجنة حيث نَشاء، فنعم أجر العاملين ﴾ [سورة الزمر (٣٩) الآية ٧٤] ثم قبض من ساعته[١].

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حيّاً.

وكما كانت نَتائج الثورة الحسينيّة في كربلاء تتبلور في انتصار الإسلام باستمرار شعائره وعدم تمكّن الأعداء من القضاء عليها، بالرغم من استشهاد الصفوة من خيرة المسلمين وعلىٰ رأسهم الإمام أبوعبدالله الحسين السبط الشهيد عليه السلام وأهل بيته وشيعته، فإنّ الظلمة لم يتمكنّوا من محو الإسلام، بل بقيَ مستمرّاً، ممثّلاً في أذانه وصلاته وكعبته وسائر أصوله وضروريّاته.

وقد أعلن الإمام السجّاد عليه السلام عن هذه الحقيقة، وأبرزَ هذه النتيجة في ما أجاب به إبراهيم بن طلحة بن عبيدالله، حين قدم علي بن الحسين عليه السلام وقد قتل الحسين صلوات الله عليه استقبله إبراهيم وقال: يا عليّ بن الحسين، مَنْ غَلَبَ؟ وهو مغطٍّ رأسَه وهو في المحمل ـ فقال له علي بن الحسين: إذا أردت انْ تعلم مَنْ غَلَبَ، ودخل وقتُ الصلاة، فأذِّنْ ثُمّ أقم[٢].

فإنّ الإمام عليه السلام جعل استمرار الشعائر التي تُذكر فيها شهادةُ التوحيد والرسالة

---

(١) الكافي (١ / ٤٦٨) و(٣ / ١٦٥) وانظر عوالم العلوم (ص ٢٩٩).
(٢) أمالي الطوسي (ص ٦٧٧) المجلس (٣٧) الحديث ١٤٣٢ / ١١.

عَلَنا وعلىٰ رؤوس الأشهاد دليلاً على انتصار الحسين عليه السلام وغلبته، وهذا من أعظم العِبَر لمن اعتبر!

فكذلك تبلورت نتائج مخططات الإمام السجّاد عليه السلام في إحياء التشيع من جديد، والتمهيد لقيام أولاده الأئمة عليهم السلام بالحركات التجديدية المتتالية.

الخاتمة

نتائج البحث

وبعد هذا التجوال الذي قمنا به خلال مصادر حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، وأعماله وأفكاره، وأدعيته وأحاديثه، تمكّنا من جمع شتات المؤشّرات إلى الأبعاد السياسيّة في حياة الإمام عليه السلام.

وبعد فرزنا لها في فصول الكتاب علمنا:

أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام قد قام بأعمال سياسية كبيرة في سبيل الأهداف الكبيرة التي من أجلها شرّع الدين.

وإذا لاحظنا صعوبة المهمة التي قام بها في الظروف الحرجة والخطيرة التي عايشها، وعلىٰ طول المدّة حتّىٰ وفاته عليه السلام، عرفنا عظمة تلك الجهود التي بذلها في خصوص هذا المجال وحده.

وهو عليه السلام ـ وإن لم يمدّ يداً إلى السلاح الحديديّ ـ إلّا أنّه التزم النضال بكلّ الأسلحة الأخرى التي لا تقلّ أهميّة وخطورة عن السلاح الحديدي.

فشَهَرَ سلاحَ اللسان بالخطب والمواعظ، وسلاحَ العلم بالتثقيف والإرشاد، وسلاحَ الأخلاق بالتربية والتوجيه، وسلاحَ الاقتصاد بالإعانات والإنفاق، وسلاحَ العدالة بالإعتاق، وسلاحَ الحضارة بالعرفان.

حتّىٰ وقف سدّاً منيعاً في وجه أخطر عمليّة تحريف تهدف إبادة الإسلام من جذوره، في الحكم الأمويّ الجاهليّ.

وبقيت الخطوط الأُخرىٰ لسياسة الإمام عليه السلام غير معلنة ولا واضحة، أو غير مشروحة، حتّىٰ عصرنا الحاضر، فلذلك وقع كثير من كتّاب العصر في وَهْمٍ فظيع،

تجاه الموقف السياسي للإمام عليه السلام حتىٰ نُسبت إليه تهمة الانعزال عن السياسة، بل ممالأة الظالمين، مما لا يقبله أيّ شريف فضلاً عمّن يعتقد في زين العابدين عليه السلام أنه إمام منصوب من قبل الله تعالىٰ، ليلي أمور المؤمنين!

إنّ الإمام عليه السلام كان مسؤولاً ـــ ومن خلال منصبه الإلهي ـ عن كلّ ما يجري في العالم الإسلاميّ، وقد أنجز الإمام عليه السلام بتدابير دقيقة ما يلزم من دور قياديّ، وبكل سريّة وذكاء، فشنّ على الطغاة الحاكمين، وأمثالهم من الطامعين، حرباً شعواء، لكنها باردة صامتةً بيضاء في البداية، أصبحت معلنة صبغتها دماء طاهرة من شيعته في النهاية.

ولم ينقض القرنُ الأوّل، إلّا أخذت آثار سياسية الإمام زين العابدين عليه السلام تبدو على الساحة، بشكل أشعة تنتشر من أفق مظلم طال مائة عامٍ من الانحراف والظلم والتعديّ على الإسلام بمصادره:

القرآن الذي منع تفسيرُه وتأويله من المصادر الموثوقة.

والحديث الذي منع تدوينهُ ونشُره، وأُحرق كثير منه.

ورجاله الذين نفوا، وأُخرجوا من ديارهم، أو قتّلوا تقتيلاً.

ومكارمه وأخلاقه وفقهه وتراثه الذي طالته أيدي التزوير والدسّ والتحريف.

فشوّهت سمعته،وسُوّد وجه تاريخه.

لكن الإمام السجاد بمواقفه العظيمة ضمن خطط حكيمة، تمكّن من الوقوف امام كل هذه التحدّيات الرهيبة، تلك المواقف التي قدم لها حياته الكريمة.

ولم تنقض فترة علىٰ وفاة الإمام عليه السلام حتىٰ بدأ العدّ التنازليّ للحكم الجاهلي، وبدأ الحكّام الأمويون بالتراجع عن كثير من ملتزماتهم، وتعنّتهم، ولم تطل دولتهم بعيداً، إلّا امّحت آثارها حتىٰ من عاصمتهم دمشق الشام.

وأما أهداف الإمام السجاد عليه السلام فقد تولّاها بعده ابنه الإمام الباقر محمّد بن عليّ ابن الحسين عليه السلام ، ثم من بعده الإمام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ، فاستفادا من وهن الأمويين في تلك الفترة، وتمكّنا من تثبيت دعائم الإسلام والفكر الإماميّ بأفضل ما بإمكانهما.

فكوّنا أكبر جامعة علميّة إسلاميّة، تربّىٰ فيها آلاف من العلماء المبلّغين للإسلام بعد استيعاب معارفه، علىٰ أيدي الإمامين العظيمين.

وقد تمكّن الإمامان من رفع الغشاوة عن كثير من الحقائق المطموسة تحت أكداس من غبار التهم والتشويه والتحريف في شؤون الإسلام، عامَّةً، وفي ما يرتبط بحقّ أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله في الإمامة والحكم، خاصةً.

وعندما نرىٰ تصدّي الحكّام ـ من أمويّين وعباسيّين ـ للإمامَيْن الباقر والصادق عليهما السلام ومَنْ كان علىٰ خطّهما، نجد أنّ ما قاما به يعدّ فتحاً عظيماً في المعيار السياسيّ، وإنجازاً في قاموس الحركات الاجتماعية، خاصة في تلك العصور المظلمة.

لقد قام الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام بتهيئة الكوادر الكفوءة، وتعميق الثقافة الإسلاميّة في المجتمع الإسلامي، وتسليح الأمّة بالعلم، وتثبيت قواعد العقيدة والإيمان، لتكوين جيش عقائديّ منيع، لصدّ التيّارات الإلحادية المبثوثة بين الأمّة، والقضاء علىٰ الطلائع الملحدة المبعوثة من قبل الحكّام مثل علماء البلاط ووعّاظ السلاطين.

وبكل ذلك تميزت الآيولوجيّة الاسلامية المتكاملة، وعلىٰ مذهب الشيعة، المأخوذة من ينابيع الحقّ والصدق، أئمة أهل البيت عليهم السلام، والمعتمدة علىٰ أصفىٰ المصادر الحقّة: القرآن الكريم، والسنة الصحيحة الموثوقة، والمتّخذة من العقل الراجح مناراً لتمييز الحقّ، علىٰ أساس من التقوىٰ والورع والاجتهاد، والإيمان.

فكان هذا العمل تحدّياً معلناً ضدّ الحكومات الفاسدة التي كانت تروّج للتيارات العقائدية الملحدة، والخارجة عن إطار العقائد الإسلامية، وتدعو إلىٰ حياة التفسّخ، والترف، واللهو، والفساد[1].

كما استفاد ابنه العظيم زيد الشهيد عليه السلام من الأرضيّة التي مهّدها الإمام زين العابدين عليه السلام للثورة، فكان عمله دعماً لموقف الإمامين عليهما السلام في تنفيذ خطط الإمام

---

(١) إقرأ كتاب (الأغاني) للوقوف علىٰ جانب منقول من هذه الحياة العابثة التي عاشها الخلفاء! ولاحظ: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندويّ.

زين العابدين عليه السلام واستثمار جهوده، والاستمرار بأهدافه[١].

إنّ تلك التدابير، التي اتّبعها الإمام السجّاد وابناه الإمام الباقر وزيد الشهيد، وحفيده الإمام الصادق عليهم السلام، وشيعتهم المجاهدون علىٰ خطّهم، وتلك المواقف الجريئة التي اتخذوها من الحكّام الظالمين والحكومات الفاسدة، من أجل العقيدة، لا ولن تصدر ممن يركن إلى الدعة والراحة، أو أذهلته المصائب والفجائع.

بل، إنّ ما قاموا به يعدّ في العرف السياسي، أهمّ من حمل السلاح في مثل تلك المرحلة بالذات.

وأمّا مجموع ما انتجته تلك الجهود والتدابير، فهو أكبر مما تؤثّره البسالة والبطولة في ميادين الحروب.

وهو عمل لا يقوم به إلّا أصحاب الرسالات من العلماء بالله الذين يفوق مدادهم فضلاً وأثراً من دماء الشهداء.

وإن مَنْ يعرف أوّليات النضال السياسيّ، وبديهيّات التحرّك الاجتماعيّ، وخصوصاً عند المعارضة، ليدرك أنّ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام السياسيّة التي عرضناها في فصول هذا الكتاب، هي مشاعل تنير الدرب للسائرين علىٰ طريق الجهاد الشائك، ممن يلتقي مع الإمام عليه السلام في تخليد الأهداف الإلهيّة السامية.

وأيّ مناضلٍ يعرض عن كلّ هذه الجهود، ولا يعدّها «جهاداً سياسيّاً» ؟!

والغريب، أنّ أصحاب دعوى النضال والحركة، في هذا العصر ـ وفيهم من اتّهم الإمام بالانعزال السياسيّ ـ يتبجّحون باسم النضال والمعارضة السياسية، لمجرد إصدار بيان، أو إعلان رفضٍ، ولو من بُعد أميال عن مواقع الخطر، ومواقف المواجهة!

ثمّ هم لا يعتبرون تلك التصريحات الخطيرة، وتلك المواجهات والمواقف الحاسمة، التي قام بها الإمام عليه السلام، نضالاً سياسياً ؟!

وهم، يقيمون الدنيا، لو وقعت خدشة في إصبع لهم، ويعتزّون بقطرة دم

---

(١) إقرأ عن زيد الشهيد عليه السلام بحار الأنوار (٤٦: ١٦٨ ـ ٢٠٩) وعوالم العلوم الجزء (١٨).

تراق منهم!

بينما لا يحسبون لذلك الجرح الذي أُثخن به الإمام عليه السلام في كربلاء، وذلك النزيف من الدم والدمع الذي أريق منه على أثر وجوده في الساحة، قيمةً وأثراً؟!

مع أن الآلام التي تحمّلها الإمام عليه السلام في جهاده، ومن خلال جهوده العظيمة، والأخطار التي اقتحمها في سبيل إنجاح مخططه، أكثر ألماً، وأعمق أثراً، من جرح ظاهر يلتئم، وقرح يندمل!

لكن الإمام السجّاد زين العابدين عليه السلام ظهر على الساحة ببطولة وشجاعة تختصّ به كإمامٍ للأمّة، فتحمَّل آلام الجهاد وجروحه، وصبر على آلام الجهود المضنية التي بذلها.

وانفرد في الساحة في تلك الفترة الحالكة، كألمع قائد إلهيّ في مواجهة أحلك الظروف وأصعبها، وأكثر الهجمات ضراوةً، وأكثر الحكومات حقداً وبعداً عن الإسلام، وباسم الخلافة الإسلاميّة.

وخرج من ساحة النضال بأعمق الخطط وأدقّها، وبأبهر النتائج وأخلدها.

وأما نحن ـ الشيعة في الوقت الحاضر ـ:

فإنّا نواجه ـ اليوم ـ حملة شرسة من أعداء المذهب، مدعومة بحملة ضارية من أعداء الإسلام.

ويشبه وضع التشيّع في هذا العصر ـ في كثير من الجهات ـ ما كان عليه في القرن الأول، إذ يعايش أجواء سياسية ونفسية متماثلةً.

فاليأس والقنوط يعمّان الجميع، حتّى العاملين في حقل الحركات الإسلامية، والمنضوين تحت ألوية الأحزاب والمنظمات والمجالس والمكاتب.

والارتداد، المتمثّل بابتعاد عامة الناس عن خطّ الإمامة والولاية، وفي ظروف غيبة الإمام عليه السلام، التي معها تزداد الحَيْرة وتتأكّد الشبهة.

وتعدُّد الاتجـاهات والآراء والأهـواء، التي اقتطعت أشلاء الأُمّة، وفرّقتها أيدي سبأ.

والحكومات الجائرة، بما تمتلك من أجهزة القمع، وأساليب الفتك والهتك، والسجن والقتل، وبأحدث أساليب التعذيب، خصوصاً تلك الحاملة لسيوف التكفير ومشانق الاتهام بالرِّدة، وبدعوىٰ شعارات إسلامية مزيَّفة.

والاختراق الثقافيّ الهدَّام، لصفوف الأُمَّة الإسلامية وعقولها، وبوسائل الإعلام الحديثة، المقروءة والمسموعة والمرئيّة، وباستخدام الأثير والأشعة والأقمار الصناعية!

والغزو الفكري المخلخل للوجود الدينيّ من الداخل، بالأفكار والشبهات المضلّلة، والحملات الكاذبة، الطائشة ضدّ المقدّسات الإسلاميّة، التي تروّجها الدول الاستعمارية الحاقدة، ويزمِّر لها الحكّام العملاء في البلدان الإسلامية.

والتصرّفات العشوائية المشبوهة التي يقوم بها الضالُّون من رجال الدين، والبلاطيُّون من وعّاظ السلاطين، والمتزلّفون إلى المناصب والأموال والفخفخة والعيش الرغيد في القصور، والمتطفّلون على الموائد وفي السهرات، والمُتّكِؤون علىٰ أرائك الحكم وأسرّة الإدارة، والراكنون إلى الذين ظلموا أنفسهم بالمعاصي، وحكموا الناس بالجور.

وأصحاب الدعاوى الزائفة بالاجتهاد والمرجعيّة، مع فقدان أوليات المعارف اللازمة، والفراغ من الالتزام الصحيح بأُصول العقيدة، والانتماء المذهبي، وإنّما بالركون إلى الحزبيّة الضيّقة، وبدعوى الانطلاق لمسايرة الجيل المتطلّع وادّعاء مصادمة الواقع بالفتاوي التي لا أساس لها في الفقه ومصادره، وبالأفكار المخالفة لضرورات الدين والمذهب، باسم التجديد، والتوعية، والتوحيد، والتأليف! وغير ذلك من العناوين العصريّة الغارّة لأفكار الشباب! وبالأموال التي توزّع بأرقام كبيرة، من مصادر مجهولة! أو معلومة!!

إنّ كلّ هذه الحقائق الجارية في عصرنا، تمثّل ـ بالضبط ـ الفصول التي عاصرها الإمام زين العابدين عليه السلام لكن بشكلها العصري.

لكنّ الحقّ الناصعَ وهو «الإسلام» المتأصِّل في قلوب المؤمنين، يتجلّىٰ أكثر ممّا مضىٰ بفضل الثقافة الواسعة حول المعارف الإسلاميّة، وظهور حقائق القرآن والسنّة،

وفضل أهل البيت عليهم السلام . ذلك الذي لم يَعُد اليوم مكتوماً ولا ممنوعاً .

وأساليب عمل الإمام السجّاد عليه السلام وجهاده وتعاليمه السياسيّة والاجتماعيّة ماثلة أمام مَنْ يطلب الحقّ !

فعلىٰ كلِّ مَن يُريد النضال والحركة في سبيل الله ، أنْ يقتديَ بإمامه ، ويجعل عمله مشعلا يهتدي بنور إرشاده ، ويسير علىٰ منهجه في النضال والتحرُّك السياسيّ والاجتماعيّ ، فيكون علىٰ بصيرة من أمر دينه ، ويصل إلىٰ أفضل النتائج المتوخّاة في أمر دنياه .

والله المستعان

والْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ

وصلى الله علىٰ رسوله المصطفى الأمين وآله الطاهرين

المــــلاحــق

الملحق الاوّل : رسالة الحقوق

الملحق الثاني : من تقاريظ الكتاب نثراً ونظماً

الملحق الثالث : تقرير موجز عن المباراة الكـتابية عن الإمام السجّاد عليه السلام



الملحق (١)

رسالة الحقوق
عن الإمام السجّاد عليه السلام
برواية أبي حمزة الثُمالي

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

توثيق الرسالة:

اتّفقت المصادر الحديثيّة ـ كافةً ـ علىٰ نسبة هذا الكتاب إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

برواية أبي حمزة الثُمالي ثابت بن دينار الشهير بابن أبي صفيّة الأزدي الكوفي، صاحب الدعاء المشهور باسمه الذي يُتلىٰ في أسحار شهر رمضان المبارك، وقد توفّي عام (١٥٠)، لقي من الأئمة السجّاد والباقر والصادق والكاظم عليهم السلام.

قال النجاشي: كان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، وروىٰ عنه العامّة [١].

وقد نسبه إليه النجاشي باسم «رسالة الحقوق» عن علي بن الحسين عليه السلام، ثم أسند روايتها إليه [٢].

لكن المنقول عن الكليني أنّه أوردها في ما جمعه باسم «رسائل الأئمة عليهم السلام» مما يدلّ علىٰ كون الكتاب «رسالةً» بعثها الإمام عليه السلام إلىٰ بعض أصحابه [٣]، وبهذا جاء

---

(١) رجال النجاشي (ص ١١٥) رقم ٢٩٦.
لكنّهم انهالوا عليه قدحاً وجرحاً، وبما أنّا لم نجد في ما رُوي عنه، وبطريقه ما يقتضي ذمّه، فضلاً عن جرحه، نعرف أنّه لا سبب لموقفهم منه إلّا التعصّب المذهبي والطائفية البغيضة، وإلّا فالرجل كما وصفه النجاشيّ وغيره من علماء الرجال الإماميّة، وقد حرم العامّة أنفسهم من معارف أهل البيت عليهم السلام بمثل هذه المواقف الظالمة.

(٢) المصدر (ص ١١٦).

(٣) نقله في مستدرك الوسائل (١١ / ١٦٩) عن فلاح السائل ابن طاوس، وسيأتي.

التصريح في بعض أسانيد الرسالة[١].

ولعلّ المرسل إليه هو أبوحمزة نفسه وبذلك يوجّه اختصاص روايتها به، وانتهاء الأسانيد كلّها إليه.

مصادر الرسالة:

تعدّدت مصادر هذه الرسالة:

فأوردها من القدماء الشيخ الصدوق في العديد من كتبه: أعظمها كتاب من لا يحضره الفقيه، الذي هو من الأُصول الحديثية الأربعة، وأوردها في الخصال، والأمالي.

والشيخ الصدوق أسْنَدَ رواية الكتاب إلىٰ أبي‌حمزة الثمالي في الخصال والأمالي، إلّا أنّه حذف الإسناد في الفقيه، علىٰ دأبه فيه حيث أنّه يحذف الأسانيد ويُحيل علىٰ المشيخة التي أعدّها لذكرها، فلا يعدّ الحديث ـ في هذا الفرض ـ مرسلاً.

وقد أورد أسانيده إلىٰ أبي‌حمزة الثمالي في المشيخة وقال: وطرقي إليه كثيرة ولكنني اقتصرت علىٰ طريق واحد منها[٢].

وأما الكليني:

فالمنقول عن ابن طاوس في فلاح السائل من قوله: «رُوّينا بإسنادنا في كتاب (الرسائل) عن محمد بن يعقوب الكليني، بإسناده إلىٰ مولانا زين العابدين عليه السلام»[٣] يدلّ علىٰ كون الحديث مسنَداً عند الكليني.

إلّا أنّ كتاب (الرسائل) مفقود، وابن طاوس نقل عنه هكذا بِحذف الإسناد.

ومن المحتمل قويّاً أن يكون الكليني قد رواه عن شيخه علي بن إبراهيم، الذي يروي الرسالة كما في سند النجاشي، كما سيأتي.

وقد أورد ابن شعبة الحرّاني الحسن بن علي بن الحسين أبومحمد هذه (الرسالة) في كتابه العظيم (تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم) وهي مرسلة شأن كلّ ما

(١) الخصال (ص ٥٦٤) رقم (١).

(٢) شرح مشيخة الفقيه (ص ٣٦) من المطبوع مع الفقيه، الجزء الرابع.

(٣) لاحظ مستدرك الوسائل (١١ / ١٦٩).

في الكتاب

إلّا أن من المطمأنّ به كون رواياته في الأصل مسندة، لأمرين:

الأول: لقوله في مقدّمة الكتاب: وأسقطتُ الأسانيد، تخفيفاً وإيجازاً، وإن كان أكثره لي سماعاً، ولأنّ أكثره آداب وحكم تشهد لأنفسها[١].

فقد حذف الأسانيد تخفيفاً، وهذا أمر متداول عند المؤلّفين، بعد عصر التدوين، لثبوت الأسانيد في مواضعها من الأصول المنقول منها، وإن كانت المحافظة على الأسانيد وإثباتها أحوط، لما يتعرّض له التراث من الآفات.

وكذلك حَذَفَ الأسانيد، لأنَّ الحاجة اليها إنّما هي ماسّة في باب الأحكام ومسائل الشريعة، وأمّا الآداب والحكم فلا تكون الأحاديث فيها إلّا مرشدةً إلىٰ ما يقتضيه العقل والحكمة والتدبير، والمضامين تشهد بصحة الأحاديث من دون تأثير الأسانيد في ذلك.

فأحاديث الكتاب وإن كانت علىٰ ظاهر الإرسال إلّا أنّها مسندة واقعاً.

الثاني: إنّ أحاديث الكتاب مرويّة بأسانيدها في المصادر المتقدّمة، ولا يرتاب الناظر إلىٰ كتاب (تحف العقول) في كون مؤلّفه علىٰ جانب كبير من العلم والمعرفة بالحديث وشؤونه، مما يربأ به من إثبات ما لاسند له في كتابه مع تصريحه بنسبة ما أثبته إلى الأئمة عليهم السلام، ومن المعلوم أنّ النسبة لا يمكن الجزم بها إلّا مع ثبوت الأسانيد.

وفي خصوص رواية (رسالة الحقوق) فإنّ ما أثبته من النصّ موافق لما نقله ابن طاوس عن (رسائل) الكليني[٢] وقد عرفت كون روايته مسندةً.

وقد سمّاها ابن شعبة بـ(رسالة الحقوق)[٣] وهو الاسم الذي ذكره النجاشي لها، عندما أسند إليها، كما مرّ.

---

(١) تحف العقول (ص ٣).

(٢) لاحظ مستدرك الوسائل (١١ / ١٦٩).

(٣) تحف العقول (ص ٢٥٥).

مجموعة الأسانيد:

١ـ سند الصدوق في الخصال:

قال الصدوق: حدّثنا علي بن أحمد بن موسىٰ رحمه الله، قال: حدّثنا محمد بن أبي عبدالله الكوفي، قال: حدّثنا جعفر بن محمّد بن مالك الفزاري، قال: حدّثنا خيران بن داهر، قال: حدّثني أحمد بن علي بن سليمان الجبلي، عن أبيه، عن محمّد بن علي، عن محمد بن فضيل، عن أبي حمزة الثُمالي، قال: هذه رسالة علي بن الحسين عليه السلام إلىٰ بعض أصحابه[(١)].

٢ـ سند الصدوق في الأمالي:

قال الصدوق: حدّثنا علي بن أحمد بن موسىٰ، قال حدّثنا محمد بن جعفر الكوفي الأسديّ، قال: حدّثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد، قال: حدّثنا إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار الثمالي، عن سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال:[(٢)]

٣ـ سند النجاشي:

قال: أخبرنا أحمد بن علي، قال: حدّثنا الحسن بن حمزة، قال: حدّثنا علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين عليهما السلام[(٣)]

أما سند الصدوق في (الفقيه):

فقد ذكر في موضع الحديث ما نصّه: روىٰ إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار، عن سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال[(٤)]

ممّا يدلّ علىٰ كون سنده إليه هو سند الأمالي المنتهي إلى إسماعيل بن الفضل، لكنه

---

(١) الخصال (ص ٥٦٤) رقم (١).

(٢) الأمالي للصدوق (ص ٣٠٢) وهو تمام المجلس (٥٩) في ربيع الآخر سنة (٣٦٨).

(٣) رجال النجاشي (ص ١١٦) رقم (٢٩٦).

(٤) من لا يحضره الفقيه (٢ / ٣٧٦).

قال في المشيخة: «وما كان فيه: عن أبي حمزة الثُمالي، فقد رويته عن أبي رضي الله عنه، عن سعد بن عبدالله، عن إبراهيم بن هاشم، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي، عن محمد بن الفضيل، عن أبي حمزة، ثابت بن دينار الثمالي [١].

وهذا السند يختلف عن أسانيد الصدوق السابقة، فيظهر الاختلاف بين ما أثبته في الكتاب، وبين السند المثبت في المشيخة.

ولو كان إرجاع الصدوق في المشيخة علىٰ طريقه إلى (إسماعيل بن الفضل) وهو الهاشمي، فقد قال: رويته عن جعفر بن محمد بن مسرور رضي الله عنه عن الحسين بن محمد ابن عامر، عن عمّه عبدالله بن عامر، عن محمد بن أبي‌عمير، عن عبدالرحمان بن محمد، عن الفضل بن إسماعيل بن الفضل، عن أبيه إسماعيل بن الفضل الهاشمي [٢].

وهذا السند لايجتمع مع أسانيده السابقة في شيء، فالأمر كما قلنا مرتبك، إلّا أنْ يتدارك بما أفاده بقوله: «وطرقي إليه كثيرة ولكنني اقتصرت علىٰ طريق واحد منها» [٣] وجعل ذلك دالاً على التزامه بنظرية «التعويض» بين الأسانيد.

وقد صرّح المجلسيّ الأوّل المولىٰ محمدتقي في قول الصدوق في الفقيه «روىٰ إسماعيل بن الفضل بإسناده» بقوله: «القويّ كالصحيح» [٤].

والظاهر حكمه علىٰ سند الصدوق في الأمالي المنتهي إلى إسماعيل.

وقال النوري في سند النجاشي: إنّه أعلىٰ وأصحّ من طريق الصدوق في الخصال إلىٰ محمد بن الفضيل [٥].

ويظهر من المشجّرة التي رتّبناها أنّ سَنَد النجاشي ليس أعلىٰ من سند الصدوق في الأمالي، لاستواء عدد الرواة من كلّ منهما إلىٰ أبي حمزة.

مع أنّ سند النجاشي ليس سالماً من النقد، من جهة رواية (إبراهيم بن هاشم) مباشرةً عن (محمد بن الفضيل) فانّ المعروف مكرّراً روايته عن البزنطي، ورواية

---

(١) مشيخة الفقيه (ص ٣٦) طبع مع الجزء الرابع من (من لا يحضره الفقيه).

(٢) مشيخة الفقيه (ص ١٠٢).

(٣) مشيخة الفقيه (ص ٣٦).

(٤) روضة المتقين (٥ / ٥٠٠).

(٥) مستدرك الوسائل (١١ / ١٦٩)

البزنطي عن (محمد بن الفضيل) كما ورد في سند الصدوق في المشيخة إلىٰ أبي حمزة.

ومع ذلك فإنّ السيّد الإمام البروجرديّ قال في (طبقات رجال النجاشي) عند ذكر محمد بن الفضيل: «عن أبي حمزة، عنه إبراهيم بن هاشم، كأنّه من السادسة» وعلّق: وروايته عن أبي حمزة محلّ ريب[١].

ومهما يكن، فإنّ تعدّد الأسانيد والطرق إلىٰ أبي حمزة، لم يدع مجالاً للبحث السَنَدي في هذا الكتاب، خصوصاً على المنهج المختار من عدم اللجوء إلى المعالجات الرجاليّة إلّا في مواقع استقرار التعارض بعدم المرجّحات، والمفروض هنا عدم وجود ما يُعارض مضامين هذه الرواية أصلاً.

مضافاً إلىٰ ما عرفت من أنّ أمثال هذه المضامين، الدائرة حول الآداب والحِكَم ليست بحاجةٍ إلى الأسانيد، لشهادة الوجدان بما فيها.

والأهمّ من كلّ ذلك تلقّي كبار المحدّثين لها بالقبول بإيرادها في كتبهم، المؤلّفة للعمل، خصوصاً كتاب الفقيه الذي وضعه المؤلّف علىٰ أنْ يكون حجّة بينه وبين الله تقدّس ذكره، وأنّ جميع ما فيه مستخرَج من كتبٍ مشهورة عليها المعوّل وإليها المرجع[٢] وهذا كافٍ في تجويز النسبة المعتبرة في الكتب.

---

(١) الموسوعة الرجالية (٦) رجال أسانيد فهرست الشيخ النجاشي (ص ٦١٣) السطر الأوّل.

(٢) من لا يحضره الفقيه (١ / ٣).

محتوى المتن:

تحتوي الرسالة علىٰ (خمسين حقّاً).

وقد جاء التصريح بهذا العدد، في خاتمة المتن الذي أورده في تحف العقول، فقال: «فهذه خمسون حقّاً محيطاً بك»[(١)].

والصدوق لم يورد هذه الخاتمة في رواياته، إلّا أنّه التزم بكون عدد الحقوق «خمسين حقّاً» في كتابه الخصال حيث عنون للباب الذي أورد الرسالة فيه بأبواب الخمسين فما فوقه، وذكر الرسالة في أوّل حديث في الباب، وقال: الحقوق الخمسون التي كتب بها عليّ بن الحسين سيّد العابدين عليه السلام إلىٰ بعض أصحابه[(٢)].

وقد التزم أكثر المعاصرين الذين أوردوا متن الرسالة في مطبوعاتهم بترقيم الحقوق، فزاد بعضهم رقماً واحداً فكان العدد (٥١).

والسبب في ذلك أنّ الصدوق ذكر في رواياته «حقّ الحجّ» وهذا لم يرد في رواية تحف العقول، فلمّا جمع المؤلّفون بين الروايتين، اعتقاداً بوحدة الرسالة، زاد عندهم هذا العدد الواحد.

ووجود «حقّ الحجّ» ضروريّ:

١ـ لأنّه من فروع الدين الهامّة، وممّا بُنِيَ عليه الإسلام من العبادات الخمس الواجبة، كما في روايات كثيرة[(٣)] فلابدّ من ذكره، كما ذكرت حقوق بقيّة العبادات.

٢ـ أنّ الشيخ الصدوق في كتاب مَنْ لايحضره الفقيه، أورد هذه الرسالة في ملحقات كتاب الحجّ، ولا ريبَ في لزوم وجود ارتباط بينها وبين الحجّ، ولو بهذا المقدار، فليلاحظ.

ثم إنّ المؤلّفين المعاصرين ارتبكوا كثيراً في ترقيم سائر الحقوق، فلم يرقّموا ما هو

---

(١) تحف العقول (ص ٢٧٢).

(٢) الخصال (ص ٥٦٤).

(٣) راجع وسائل الشيعة (١ / ١٤ ـ ٢٩) الباب الأول (وجوب العبادات الخمس) من أبواب مقدمة العبادات.

حقّ من جهة، ورقّموا ما ليس بحقّ من جهة أُخرىٰ، وإليك بيان ذلك:

١ـ عدّ جميع المؤلّفين «حقّ نفسك» بالرقم [٢] مع أنّه ليس حقّاً مستقلاً، وإنّما المراد منه حقّ أعضاء نفس الإنسان، بقرينة قوله ـ في المقدّمة ـ في جوامع الحقوق: «[ب] ثم ما أوجبه الله عزّوجلّ لنفسك من قرنك إلىٰ قدمك على اختلاف جوارحك، فجعل لِلسانِك...»[١]

وهذا واضح في كون المراد بحقّ النفس، حقّ ما لنفس الإنسان، أي في جوارحه، في مقابل قوله بعد ذلك: «ثم تخرج الحقوق منك إلىٰ غيرك»[٢]

ثمّ إنّه ذكر عند تفصيل حقوق الأعضاء: ما نصّه: «وأما حقّ نفسك عليك أنْ تستعملها في طاعة الله: فتؤدّي إلىٰ لسانك حقّه»[٣]، فوجد الفاء في «فتؤدي» يقتضي كون ما بعدها تفريعاً وتفصيلاً لما قبلها.

ومن الواضح أنّه لم يذكر للنفس حقّاً غير استعمال الجوارح، فيدل علىٰ أنّ المراد بالنفس «شخص الإنسان» لا النفس الناطقة، فليس المراد وضع حقّ خاص لها، دون الجوارح حتّىٰ يضاف علىٰ حقوقها.

والغريب أن طابع «تحف العقول» عدّ هذا الحقّ برقم [٢] بينما لم يذكر «حقّ الحجّ» فأخلّ بالحقّين كما سيتضح.

٢ـ ذكر في مقدّمة الرسالة، في جوامع الحقوق: «[ج] ثم جعل عزّوجل لأفعالك عليك حقوقاً» ثم ذكر الواجبات وقال في آخرها: «ولأفعالك عليك حقّاً»[٤] فتكون الحقوق المذكورة «ستّة» آخرها «حقّ الأفعال».

وقد ذكر في تحف العقول «حقّ الأفعال» بعد [١٣] «حقّ الهدي» بقوله: «واعلم أنّ الله يُراد باليَسير ولا يُراد بالعسير...» إلىٰ آخره[٥].

---

(١) لاحظ الرسالة (ص ٢٧١).

(٢) لاحظ الرسالة، المقدمة (ص ٢٧١).

(٣) لاحظ الرسالة (ص ٢٧٣).

(٤) لاحظ الرسالة (ص ٢٧١).

(٥) تحف العقول (ص ٢٥٥) لاحظ الرسالة الحق رقم [١٤].

فلا بدّ أنْ يكون حقّ الأفعال، مستقلاً، غير حقّ الواجبات الخمسة المذكورة أوّلاً، ويؤيده أنّ محتواه لايرتبط بما سبقه بشكل مستقيم، بل هو أمر عام لها ولغيرها.

والظاهر أنّ المراد بحقّ الأفعال هو حدّ العمل الذي يجب على الإنسان القيام به في كلّ مجال، حتّىٰ في غير الواجبات الخمسة المذكورة أولاً، وهذا أصل عظيم له دور كبير في حياة الإنسان.

لكن جميع المؤلّفين أهملوا هذا الحقّ في الترقيم، كما أن روايات الصدوق لم تورده إطلاقاً، وهو الحق [١٤] بترقيمنا.

٣ـ اعتبر المؤلّفون «حقّ المملوك» برقم مستقل [٢١] بينما هو داخل في حقّ الرعية بالملك، وله موردان: (الزوجة والمملوك) وهذا هو ثالث حقوق الرعيّة: بالسلطان، وبالعلم، وبالملك، وقد صرّح في المقدّمة ـ في أُصول الحقوق ـ بعنوان [ه] بانّ حقوق الرعيّة ثلاثة.

بينما تصير حسب ترقيمهم، أربعة!

والظاهر أنّ الموجب لهذا الارتباك هو ملاحظتهم لكلمة «حقّ» وعدّهم لها ـ حيث وقعت ـ برقم مستقلّ، من دون تأمّل في المعاني.

وقد وفّقنا الله لتلافي كلّ هذا الارتباك فرتّبنا النصّ إلى أُصول الحقوق، وهي السبعة المُعْلَمة برموز من حروف (أ، ب، ج، د، ه، و، ز).

وإلىٰ فروع الحقوق، وهي الخمسون، مرقمة بالأعداد، ومطبوعة بالحروف البارزة.

وإلىٰ بنود الحقوق، وهي موادّها المذكورة تحت عنوان كلّ حقّ، ذكرنا كلّ مادّةٍ منها في سطر مستقلّ مبدوءاً بشريط في أول السطر: (ـ:).

وبما أنّ النصّ الذي أثبتناه هو جامع بين كلّ الروايات الواردة وملفّق منها، وهي رواية تحف العقول التي اتّخذناها أصلاً، وروايات الصدوق.

* فقد وضعنا المعقوفين ليحتويا ما ورد في روايات الصدوق زيادة علىٰ ما في تحف العقول.

* ووضعنا بين القوسين ما اختصّت به رواية تحف العقول، ولم يرد في

روايات الصدوق.

* وما خرج عن المعقوفين والقوسين، فهو مشترك بين النصّين ووارد في جميع الروايات.

* وما أضفناه من العناوين وغيرها، فقد نبّهنا علىٰ وجه إضافته.

اختلاف النسخ:

ثمّ إنّ من الملاحظ وجود اختلاف بين ما أورده في تحف العقول وبين روايات الصدوق، من جهة، وبين رواية الصدوق في بعض كتبه وبين ما أورده في بعضها الآخر، في عباراتٍ من متن الحديث زيادة وحذفاً تارة، وإجمالاً وتفصيلاً أُخرىٰ.

ووقوع مثل هذا الاختلاف في الأحاديث الطوال أمر غير عزيز، يعود ذلك أساساً إلى اعتماد الرواة على النقل بالمعنىٰ، لأنّ أمثال هذه الروايات تهدف إلىٰ إبلاغ معانيها، وأداء مضامينها، ولا يدخل في القصد منها ما يوجب المحافظة علىٰ ألفاظها بنصوصها، وليست كما هو المفروض في الكلمات القصار، والخطب البلاغية المبتنية على إعمال الصناعات اللفظية والمحسّنات البديعيّة المؤثّرة في نفوس السامعين إلىٰ جانب المعاني والمؤدّيات.

ومن المحتمل أيضاً أن يلجأ بعض الرواة إلى الاختصار لأمثال هذه الأحاديث الطوال، والاقتصار على الجمل المهمّة فقط.

وقد حمّل بعضُ المتأخّرين الشيخَ الصدوق مسؤولية القيام بالاختصار، قائلاً: «إنّه يختصر الخبر الطويل، ويُسقط منه ما أدّىٰ نظره إلىٰ إسقاطه»[(١)].

لكنّ هذا تحاملٌ على الشيخ الصدوق المعترَف له بكثرة النقل للأخبار والحفظ والمعرفة بالحديث والرجال والآثار[(٢)].

ومع احتمال النقل بالمعنىٰ كما ذكرناه، لم تصل النَوْبة إلى احتمال الاختصار أصلاً.

مع أنّ أصل الاختصار أمر جائزٌ لا مانع منه، إذ هو عبارة عن تقطيع الحديث، المعمول به، والمقبول من دون نزاع، لتعلّق غرض المحدّث ببعض الحديث

---

(١) مستدرك الوسائل (١١ / ١٧٠).

(٢) لاحظ الخلاصة، رجال العلامة الحلي (ص ١٤٧) رقم (٤٤).

فيقتصر عليه.

مضافاً إلىٰ أنه لادليل علىٰ نسبة الاختصار ـ المفروض ـ إلى الشيخ الصدوق.

فمن المحتمل ـ قويّاً ـ أن يكون بعض الرواة السابقين على الصدوق، قد اختصر النصّ، ورووه له مختَصراً.

ويشهد لهذا الاحتمال: أن روايات الصدوق في كتبه المختلفة هي في نفسها متفاوتة.

مع أنّ الأصل هو رواية اللفظ.

إلّا أن المقارنة بين النصّين تعطي اطمئناناً بأنّ الرواة مع اختصارهم للنصّ، عمدوا إلىٰ نقل مقاطع بطريق رواية المعنىٰ، فالنصّان لايختلفان في المعنىٰ عند اختلافهما في اللفظ، وعند اتفاقهما في اللفظ فالاختصار ملحوظ.

وأما وحدة النصّ الصادر من الإمام عليه السلام، فالدليل عليه أمران:

الأول: الاستبعاد الواضح في أنْ تُوجّه رسالة بنصّين مختلفين إلىٰ شخص معيّن، ويرويهما راوٍ واحد، من دون ذكر التفاوت بينهما.

الثاني: تطابُق أكثر عبارات النصّين لفظاً من دون أدنىٰ تفاوت مما يدّل علىٰ وجود أصل مشترك بينهما، وعلىٰ أخذ المختصر من المفصّل.

النصّ المختار:

ومهما يكن، فإنّا تمكنّا بالمقارنة الدقيقة بين النصّين من انتخاب نصٍّ جامع، بالتلفيق بينهما، بحيث لايشذّ عنه شيء من عبارتيهما، ولا كلمة واحدة مؤثّرة في المعنىٰ.

وبما أنّ نصّ (تحف العقول) هو أوفىٰ، وأجمع، وأسبك، وأكثر تفصيلاً فقد جعلناه (الأصل) وأوعزنا إلىٰ ما في روايات الصدوق من الفوائد والزوائد، بما لا يفوت معه شيء مما له دخل في جميع أبعاد النصّ.

وقد أشرنا إلى الرموز المستعملة في عملنا سابقاً.

ولم نُشِرْ إلى الأخطاء الواضحة، ولا الاختلافات المرجوحة، تخفيفاً للهوامش.

نسخ الرسالة:

لقد تداول الأعلام هذه الرسالة القيّمة بالرعاية والعناية، وتناقلوها علىٰ طولها في

مؤلّفاتهم، فقد وردت في الكتب التالية مخطوطها ومطبوعها، كما نشرت مستقلةً أيضاً، وإليك ما وقفنا عليه من طبعاتها:

١ـ كتابُ مَنْ لايحضره الفقيه، للشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين (ت ٣٨١) وقد أوردها في نهاية كتاب الحج، بعنوان (باب الحقوق) فلاحظ (ج ٢ ص ٣٧١ـ٣٨١) من طبعة النجف.

٢ـ روضة المتّقين شرح الفقيه، للمحدث المولىٰ محمدتقي المجلسي الأول (ت ١٠٧٠) في (ج ٥ ص ٥٠٠ـ٥٢٧) مشروحةً.

٣ـ الخصال، للشيخ الصدوق، في أبواب الخمسين فما فوقه (ص ٥٦٤ـ ٥٧٠).

٤ـ الأمالي، للشيخ الصدوق، في المجلس (٥٩) (ص ٣٠١ـ٣٠٦).

٥ـ تحف العقول، لابن شعبة الحراني (ق ٤) (ص ٢٥٥ـ٢٧٢).

٦ـ مكارم الأخلاق، للطبرسي صاحب مجمع البيان (ق ٦) (ص ٤٥٥).

٧ـ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي محمد باقر بن محمد تقي (ت ١١١٠) في الجزء (٧٤).

٨ـ عوالم العلوم والمعارف، للشيخ عبدالله البحراني (ق ١٢) في الجزء (١٨).

٩ـ مستدرك الوسائل، للمحدّث النوري حسين بن محمد تقي (ت ١٣٢٠) في (٢ / ٢٧٤) من الطبعة الأولىٰ و (١١ / ١٥٤) من الطبعة الحديثة.

١٠ـ أعيان الشيعة، للإمام السيد محسن الأمين العاملي (ج ٤ ص ٢١٥ـ ٢٣٠).

١١ـ بلاغة علي بن الحسين عليه‌السلام، للشيخ جعفر عباس الحائري (المعاصر) (ص ١٣٠ـ١٦٣).

١٢ـ الإمام زين العابدين عليه‌السلام، للسيد عبدالرزّاق المقرَّم الموسوي (ت ١٣٩١ هـ) (ص ١١٨ـ ١٣٥).

١٣ـ حياة الإمام زين العابدين عليه‌السلام للشيخ باقر شريف القرشي (المعاصر) (ص ٤٧٧ـ ٥١١).

١٤ـ شرح رسالة الحقوق، للخطيب السيد حسن القبانچي الحسيني فقد شرح الرسالة في مجلدين، طبعا في النجف، وأُعيدا في قم (١٤٠٦) وبيروت.

١٥ـ وتنسب إلى الإمام زيد الشهيد باسم «الرسالة الناصحة والحقوق الواضحة» وتشبه أنْ تكون مختصرةً من رسالة الحقوق المروية عن والده الإمام زين العابدين عليه السلام، كما جاء في مؤلّفات الزيدية (٢ / ٤٤) رقم (١٦٠٨) لصديقنا العلامة السيّد أحمد الحسيني.

وذكر صديقنا الكاتب المعجمي الشيخ عبدالجبّار الرفاعيّ كتاب الحقوق للإمام زيد بن عليّ، في كتابه: معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت عليهم السلام (ج ٨ص ١٨١) برقم (٢٠٤٥٣) وقال: مخطوط في الجامع الكبير في صنعاء برقم ٢٣٦٤.

كما ذكرها في هذا الجزء بعنوان «رسالة الحقوق» برقم (٢٠٤٩١) وأورد طبعاتها، ومنها: بغداد ١٣٦٩هـ (١٧٩ ص) تحقيق عبدالهادي المختار، سلسلة حديث الشهر (٦).

والأعمال المؤلّفة حول (رسالة الحقوق) ضمن ما أورده الشيخ الرفاعيّ مما كتب عن الإمام السجّاد عليه السلام في هذا المجلّد هي بالأرقام:

* ٢٠٣٧٢: رسالة إمام زين العابدين (بالاردو).
* ٢٠٣٩٩: رسالة حقوق إخوان (ترجمة فارسية).
* ٢٠٤٠٠: رسالة حقوق (ترجمة فارسية).
* ٢٠٤٨٩: رسالة الحقوق (ترجمة فارسية).
* ٢٠٤٩٠: رسالة الحقوق (بالاردو).
* ٢٠٧٤٢: النَهْجَيْن في شرح رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين عليه السلام، للشيخ صالح بن مهدي الساعدي...

سندنا إلىٰ رواية الرسالة:

لقد مَنَّ الله على الأُمّة الإسلاميّة ببذل الجهد والعناية في حفظ التراث الإسلاميّ، وخصوص الحديث الشريف، بالمراقبة التامّة عليه، وتحمّله بكلّ دقّة وأدائه بكلّ احتياط، وقد وفّقنا الله تعالىٰ للسلوك في السلسلة الشريفة لِرواة الحديث بطريقة الإجازة المتداولة بين الأعلام والمتعارف عليها بين علماء الإسلام، وبذلك تتّصل

بطرق مشايخنا الكرام إلىٰ رواية هذه الرسالة.

فأروي عن مشايخي الكرام وهم عدّة ممّن لقيتُهم من المشايخ، وأوّلهم وأعلاهم سَنَداً شيخ مشايخ الحديث في القرن الرابع عشر الإمام الشيخ آقا بزرك الطهراني (١٢٩٣ـ١٣٨٩) وآخرهم سيّد مشايخ العصر الحجّة النسّابة السيّد شهاب الدين الحسيني المرعشيّ (١٣١٥ـ١٤١١) بطرقهما المتّصلة بالعنعنة المقدّسة، إلى ابن طاوس، وابن شعبة، والنجاشي، والصدوق، والكليني، أئمّة الحديث الذين أثبتوا هذه الرسالة في مؤلّفاتهم، بأسانيدهم التي أثبتناها سابقاً.

وقد فصّلنا ذكر الطرق والمشايخ إلى المؤلّفات والأُصول والكتب في ثبتنا الكبير «ثَبَت الأسانيد العوالي من مروّيات الجلالي» والحمد لله علىٰ توفيقه.

وبعد:

فإنّ ما نقدّمه اليومَ هو أوثقُ ما طُبِعَ حتّىٰ الآن لهذه الرسالة من النصوص ـ سواءٌ ما جاء ضمن المؤلّفات أم ما طبع مستقلّاً؟ ـ بالنسبة إلى المقارنة الدقيقة بين جميع النسخ والمروّيات، وإلى انتخاب النصّ الموحَّد الجامع لكلّ ما جاء فيها، وإلىٰ إخراجه وتنظيمه وترقيمه.

وأمَلُنا أنْ نكون بتقديمه، قد أدّيْنا بعض ما يجب علينا تجاه التراث الإسلاميّ العزيز، من واجبات التحمّل والصيانة، والضبط والتحقيق، والأداء والتبليغ.

والحمد لله علىٰ نعمه المتواترة، حمداً كما هو أهلُه وكما يجبُّ أنْ يُحْمَدَ، ونصلّي ونسلّم علىٰ سيّدنا رسول‌الله مُحمّد، وعلى الأئمّة الأطهار من آله الأخيار أولي العدل والفضل والمَجْد.

حُرِّر في السابع عشر من ربيع المولود عام ١٤١٧هـ.

وكتب

السيّد محمّد رضا الحسيني

الجلالي

وهذه مشجّرة الأسانيد، ويظهر منها مدىٰ الارتباط بينها، وقُرب الإسناد وبُعده في كلّ منها، ومدىٰ أخذ بعض المصادر من الآخر.

الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجّاد عليه السلام

أبوحمزة الثمالي، ثابت بن دينار، ابن أبي صفيّة

محمّد بن الفضيل

إسماعيل بن الفضل

أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي — إبراهيم بن هاشم

محمد بن علي

عبدالله بن أحمد

الفضل بن اسماعيل بن الفضل

سعد بن عبدالله

علي بن إبراهيم

علي بن سليمان الجبلي

محمّد بن إسماعيل البرمكي

عبدالرحمن بن محمّد

الحسن بن حمزة

أحمد بن علي بن سليمان الجبلي

محمد بن أبي‌عمير

أحمد بن علي

خيران بن داهر

عبدالله بن عامر

جعفر بن محمد بن مالك الفزاري

الحسين بن محمد بن عامر

محمد بن أبي‌عبدالله، جعفر الكوفي الاسدي

جعفر بن محمد بن مسرور

والد الصدوق

النجاشي [الرجال (ص ١١٦)]

الكليني [الرسائل]

علي بن أحمد بن موسىٰ

الصدوق [المشيخة ٣٦] الطريق إلى أبي حمزة الثمالي

ابن طاوس [فلاح السائل]

ابن شعبة [تحف العقول ص ٢٥٥]

[الخصال (ص ٥٦٤)] الصدوق [الأمالي (ص ٣٠٢ المجلس ٥٩]

الصدوق [مشيخه الفقيه ص ١٠١] الطريق إلى إسماعيل بن الفضل

ملاحظة: الخطوط المنقوطة تدل علىٰ أن السند مستخرج و لم نجده في ثبت أو مصدر، و تبدأ الأسانيد من الأسفل إلى الأعلىٰ.

رسالة الحقوق

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

[المقدّمة]

اعلم ـ رحمك الله ـ أنّ لله عليك حقوقاً محيطةً بك في كلّ حركةٍ تحرّكْتَها أو سكنةٍ سكنْتَها [أو حالٍ حُلْتَها] أو منزلةٍ نزلتَها أو جارحة قلّبْتَها أو آلةٍ تصرّفْتَ بها (بعضُها أكبرُ من بعض):

[أ] فأكبر حقوق الله عليك: ما أوجَبَهُ لنفسه تبارك وتعالىٰ من [١] حقّه الذي هو أصل الحقوق (ومنه تُفَرَّعُ).

[ب] ثمّ ما أوجبه الله عزّوجَل لنفسك، من قَرْنك إلىٰ قدمك، علىٰ اختلاف جوارحك:

فجعل [٢] للسانك عليك حقّاً[١] و[٣] لسمعك عليك حقّاً، و[٤] لبصرك عليك حقّاً، و[٥] وليدك عليك حقّاً، و[٦] لرجلك عليك حقاً، و[٧] لبطنك عليك حقاً، و[٨] لفرْجِك عليك حقاً.

فهذه الجوارح السبعُ التي بها تكون الأفعال.

[ج] ثمّ جعل عزّوجل لأفْعالك عليك حقوقاً:

فجعل [٩] لصلاتك عليك حقاً، و[١٠] لحجّك عليك حقاً[٢]، و[١١] لصومك عليك حقاً، و[١٢] لصَدَقتك عليك حقّاً، و[١٣] لهَدْيك عليك حقاً، و[١٤] لأفعالك عليك حقاً.

ثمّ تخرج الحقوق منك إلىٰ غيرك، من ذوي الحقوق الواجبة عليك، وأوجبها

---

(١) في التحف، أخَّرَ ذكر اللسان عن السمع والبصر، هنا، لكنّه قدمه عليهما في ذكر تفصيل الحقوق، فكان ما أثبتناه هنا أنسب.

(٢) الحقّ رقم [١٠] لم يذكر في رواية التحف، لاهنا ولا في تفصيل الحقوق، وإنما ورد في روايات الصدوق، فقط، فلاحظ ما ذكرناه عند التفصيل عن الحقّ [١٠].

عليك: [د] حقوق أئمّتك،ثمّ[هـ] حقوق رعيّتك، ثمّ[و] حقوق رحمك، فهذه حقوقٌ يتشعّبُ منها حقوق.

[د] فحقوق أئمّتك ثلاثة:

أوجبُها عليك [١٥] حقُّ سائسك بالسلطان، ثمّ[١٦] حقّ سائسك بالعلم، ثمَّ[١٧] حقّ سائسك بالمِلْك.

وكلُّ سائسٍ إمامٌ.

[هـ] وحقوق رعيّتك ثلاثة:

أوجبها عليك [١٨] حقُّ رعيّتك بالسُلطان، ثمَّ[١٩] حقُّ رعيتك بالعلم، فإنّ الجاهل رعيّة العالم، ثمَّ[٢٠] حقّ رعيّتك بالمِلْك: من الأزواج وما ملكت الأيمانُ.

[و] وحقوق رَحِمكَ كثيرة، متّصلةٌ بقَدَر اتّصال الرحم في القرابة.

فأوجبها عليك [٢١] حقُّ أُمّك، ثمَّ[٢٢] حقّ أبيك، ثمَّ[٢٣] حقّ ولدك، ثمَّ[٢٤] حقّ أخيك، ثمّ الأقرب فالأقرب، والأول فالأول (١).

[ز] ثمَّ[حقوق الآخرين] (٢):

[٢٥] حقّ مولاك المُنْعم عليك، ثمّ[٢٦] حقّ مولاك الجارية نِعْمَتُك عليه، ثمَّ[٢٧] حقّ ذي المعروف لديك، ثمَّ[٢٨] حقّ مُؤذّنك لصلاتك، ثمَّ[٢٩] حقّ إمامك في صلاتك، ثمَّ[٣٠] حقّ جليسك، ثمَّ[٣١] حقّ جارك، ثمَّ[٣٢] حقّ صاحبك، ثمَّ[٣٣] حقّ شريكك، ثمَّ[٣٤] حقّ مالِك، ثمَّ[٣٥] حقّ غريمك الذي يُطالِبُك (٣)، ثمَّ[٣٦] حقّ خليطك، ثمَّ[٣٧] حقّ خصمك المدّعي عليك، ثمَّ[٣٨] حقّ خصمك الذي تدّعي عليه، ثمَّ[٣٩] حقّ مُسْتشيرك، ثمَّ[٤٠] حقّ المُشير عليك، ثمَّ[٤١] حقّ مُسْتنصِحك، ثمَّ[٤٢] حقّ الناصِح لك، ثمَّ[٤٣] حقّ مَنْ هو أكبر منك، ثمَّ[٤٤] حقّ مَنْ هو أصغر منك، ثمَّ[٤٥] حقّ سائلك، ثمَّ[٤٦] حقّ مَنْ سألتَهُ، ثمَّ[٤٧] حقّ

---

(١) في غير التحف: الأولىٰ فالأولىٰ.

(٢) ما بين المعقوفين هنا زيادة منّا، لتحديد عناوين أُصول الحقوق السبعة، والمعبّر عنها بـ«الحقوق الجارية ...» في آخر هذه المقدّمة، فلاحظ.

(٣) أضاف في النسخ هنا: «**ثمّ حقّ غريمك الذي تُطَالبه**» وهذا غير مذكور في تفاصيل الحقوق، لا في الصدوق ولا التحف، وبدونه تتم الحقوق: خمسين حقّاً، فالظاهر كونه زائداً.

مَنْ جرىٰ لك علىٰ يَدَيْه مساءةٌ بقولٍ أو فعل، عن تعمّدٍ منه أو غير تعمّد، [ثمَّ[٤٨] حقّ من جرىٰ علىٰ يديه مسرّة من قول أو فعل][١] ثمَّ[٤٩] حقّ أهل ملّتك عامّة، ثمَّ[٥٠] حقّ أهل ذمّتك.

ثمَّ[٢] الحقوق الجارية بقَدَر عِلَل الأحْوال وتصرُّف الأسْباب.

فطوبىٰ لِمَنْ أعانه الله علىٰ قضاء ما أوجب عليه من حقوقه، ووفّقهُ لذلك وسدّده[٣].

[أ ـ حقّ الله][٤]

[١] فأمّا حقّ الله الأكبر عليك:

ـ فأنْ تعبدَهُ لاتُشرِكَ به شيئاً، فإذا فعلتَ ذلك بإخْلاصٍ جَعَل لك علىٰ نفسه أنْ يكفيَكَ أمرَ الدنيا والآخرة (ويحفظَ لك ما تحبُّ منها).

[ب ـ حقوق الأعضاء](٥)

وأمّا حقّ نفسك[٦] عليك: أنْ تستعملَها[٧] في طاعة الله: (فتؤدّي إلىٰ لِسانك حقّه، وإلىٰ سمعك حقّه، وإلىٰ بصرك حقّه، وإلىٰ يدك حقّها، وإلىٰ رجلك حقّها، وإلىٰ بطنك حقّه، وإلىٰ فرجك حقّه، وتستعينَ بالله علىٰ ذلك):

---

(١) هذا الحقّ مذكور في المتن في النصّين، لكنه لم يذكر هنا في مقدمة الصدوق في الخصال.

(٢) كذا جاءت كلمة (ثمّ) هنا في الروايات والنسخ كلّها وأظنها مصحفة عن (هي) إشارة إلىٰ جميع الحقوق المذكورة في [ز] ويؤيد هذا، أن الرسالة ـ في كل نسخها ـ تنتهي عند ذكر (حقّ أهل الذمة) ولم يذكر فيها عن حقوق أُخرىٰ أيّ شيء، فليلاحظ.

(٣) هذه المقدمة لم يوردها الصدوق في الفقيه ولا الامالي، وإنّما اوردها في الخصال كما في التحف.

(٤ـ٥) مابين المعقوفين أضفنا لتوحيد النسق مع العناوين التالية المثبتة في أصل التحف.

(٦) اعتبر كثير من الذين طبعوا رسالة الحقوق في عصرنا «حقّ النفس» حقّاً منفصلاً وأعطوه رقماً مستقّلاً، فأدّىٰ بهم ذلك إلىٰ زيادة عدد الحقوق إلىٰ (٥١) بينما هي (خمسون) قطعاً كما عرفت في المقدّمة، مع أنّ هذا هو عنوان جامع لما تحته من (حقوق الأعضاء) كما سجّلنا فلاحظ، وقد عدّها في تحف العقول المطبوع مستقلاً بينما لم يورد (حقّ الحجّ) الآتي برقم [١١] وسيأتي أنّ من الضروري إيراده.

(٧) في نسخة: تستوفيها.

[٢] وأمّا حقّ اللسان:

ـ فإكرامه عن الخَنىٰ.

ـ وتعويده على الخير [والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم].

(ـوحمله على الأدَبِ

ـ وإجمامُه إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا.

ـ وإعفاؤهُ عن الفضول الشنيعة، القليلة الفائدة التي لايـؤمَنُ ضررُهـا مـع قِـلّة فائدتها.[٨]

ـ ويُعَدّ شاهدَ العقل، والدليل عليه، وتزيُّن العاقل بعقله حسنُ سيرته في لسانه.

ولاقوّة إلّا بالله العليّ العظيم)[٩]

[٣] وأمّا حقّ السمع:

ـ فتنزيهُهُ عن أنْ تجعلَه طريقاً إلىٰ قلبك إلّا لفوهةٍ كريمة تُحدِث في قلبك خيراً، أو تكسُب خلقاً كريماً، فإنّه باب الكلام إلى القلب، يؤدّي إليه ضروبَ المعاني علىٰ ما فيها من خيرٍ أو شرٍّ.

ولا قوة إلّا بالله[١٠]

---

(٨) في روايات الصدوق: **وترك الفضول التي لا فائدة فيها.**

(٩) روىٰ الكليني بسنده عن إبراهيم بن مهزم الأسدي عن أبي‌حمزة [الثمالي] عن علي بن الحسين عليه‌السلام قال: إنّ لسان بني آدم يُشْرف علىٰ جميع جوارحه، فيقول: كيف أصبحتم؟

فيقولون: بخيرٍ، إنْ تركتَنا.

ويقولون: اللهَ، اللهَ فينا.

ويُناشدونه ويقولون: إنّما نثاب [بك] ونعاقب بك.

الكافي (٢ / ١١٥) كتاب الايمان والكفر، باب الصمت وحفظ اللسان، ورواه في الاختصاص المنسوب إلى المفيد (ص ٢٣٠) وما بين المعقوفات منه.

(١٠) في الصدوق: **فتنزيهه عن سماع الغِيْبَة، وسماع مالا يحلّ سماعه.**

[٤] وأمّا حقّ بصرك :

ـ فغضّهُ عمّا لايحلّ لك .

(ـوترك ابتذاله إلّا لموضع عِبْرةٍ تستقبلُ بها بَصَراً ، أو تستفيد بها عِلماً ، فإنّ البَصَر بابُ الاعتبار)(١)

[٥] وأمّا حقّ يدك :

ـ فأنْ لاتبسطها إلىٰ ما لايحلّ لك (فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الآجل ، ومن الناس بلسان اللائمة في العاجل .

ـ ولاتقبضها عمّا افترضَ اللهُ عليها .

ولكن توقّرها : بقَبْضها عن كثير ممّا يحلّ لها ، وبسطها إلىٰ كثيرٍ ممّا ليس عليها ، فإذا هيَ قد عُقِلَتْ وشُرِّفَتْ في العاجل وَجَبَ لها حُسْنُ الثواب من الله في الآجل)(٢) .

[٦] وأمّا حقّ رِجْلِك (٣) :

ـ أنْ لاتمشيَ بها إلىٰ ما لايحلّ لك . [فبها تقف على الصراط ، فانظر أن لاتَزِلّ بك فتردىٰ في النار]

(ـ ولاتجعلَها مطيّتَك في الطريق المستخفّة بأهلها فيها ، فإنّها حاملتُك وسالكةٌ بك مسلك الدين ، والسبق لك .

ولاقوّة إلّا بالله) .

[٧] وأمّا حقّ بطنك :

ـ فأنْ لاتجعلَه وعاءاً (لقليل من) الحرام (ولا لكثير .

ـ وأنْ تقتصِدَ له في الحلال ، ولا تُخرجه من حدّ التقوية إلىٰ حدّ التهوين ،

---

(١) في الصدوق ـ بدل ما بين القوسين ـ : **وتعتبر بالنظر به .**

(٢) مابين القوسين ليس في روايات الصدوق .

(٣) في أكثر النسخ « رجليك » مع تثنية الضمائر العائدة إليها في الفقرة الأُولىٰ . وقد أفردنا الجميع لوروده في نسخ أخرىٰ ، كما أنّه الأنسب بسائر الفِقَر .

وذهاب المروءة.

ـ وضبطه إذا هَمَّ، بالجوع والعطش[(١)].

ـ [ولا تزيد على الشَبَع] فإنّ الشَبَع المنتهي بصاحبه إلى التخم مَكْسَلةٌ ومَثبَطة ومَقْطَعة عن كلّ برّ وكرم، وإنّ الريّ المنتهي بصاحبه إلى السُكر مَسْخَفَةٌ ومَجْهَلة ومَذْهَبة للمروءة).

[٨] وأما حقّ فرجك:

ـ (فحفظه ممّا لايحلّ لك [أنْ تُحْصِنَه عن الزنا، وتحفظه من أنْ يُنْظَر إليه] والاستعانة عليه بغضّ البَصَر، فإنّه من أعون الأعوان، وكثرة ذكر الموت، والتهدّد لنفسك بالله والتخويف لها به.

وبالله العصمة والتأييد، ولاحول ولاقوّة إلّا به).

[ج] ثمَّ حقوق الأفعال[(٢)]

[٩] فأمّا حقّ الصلاة:

ـ فأن تعلم أنّها وفادة إلى الله، وأنّك قائمٌ بها بَيْنَ يدي الله، فإذا علمتَ ذلك كنتَ خليقاً أنْ تقومَ فيها مقامَ العبد، الذليل [الحقير]، الراغب، الراهب، الخائف، الراجي، المسكين، المتضرّع، المُعَظِّم مَنْ قامَ بَيْنَ يديه بالسُكونِ والإطْراق[(٣)] (وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه.

والطلب إليه في فكاك رقبتك التي أحاطت بها خطيئتك، واستهلكتها ذنوبك).

ـ [وتُقْبل عليها بقلبك.

ـ وتقيمها بحدودها وحقوقها].

ولاقوّة إلّا بالله.

---

(١) في نسخة التحف: والظمأ.

(٢) هذا العنوان لم يرد في الصدوق.

(٣) في الصدوق: والوقار، بدل (والإطراق).

١٠ـ [وحقّ الحجّ:

ـ أنْ تعلم أنَه وفادة إلىٰ ربّك، وفِرارٌ إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك][١]

[١١] وأمّا حقّ الصوم:

ـ فأنْ تعلم أنـّه حجابٌ ضربه الله علىٰ لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك، ليسترك به من النار [فإن تركت الصوم خرقتَ سِتْرَ الله عليك].

(وهكذا جاء في الحديث: «الصوم جُنَّةٌ من النار» فإنْ سكنتْ أطرافك في حجبتها رجوتَ أن تكون محجوباً، وإن أنتَ تركتها تضطرب في حجابها، وترفع جنبات الحجاب فتطّلعَ إلىٰ ما ليس لها، بالنظرة الداعية للشهوة، والقوّة الخارجة عن حدّ التُقْية لله، لم تأمن أنْ تخرق الحجابَ وتخرجَ منه.

ولاقوة إلّا بالله)

[١٢] وأمّا حقّ الصدقة:

ـ فأنْ تعلم أنّها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لاتحتاج إلى الإشهاد [عليها] (فإذا علمتَ ذلك) كنتَ بما استودعتَه سِرّاً أوثق [منك] بما استودعته علانيةً (وكنتَ جديراً أنْ تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكانَ الأمر بينك وبينه فيها سراً علىٰ كلّ حال، ولم تستظهر عليه في ما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها كأنـّك أوثق في نفسك لاكأنّك لاتثقّ به في تأدية وديعتك إليك.

ـ[وتعلم أنّها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة]

ـ ثمّ لم تمتَنَّ بها علىٰ أحدٍ، لأنّها لك، فإذا امتننتَ بها لم تأمن أنْ تكون بها مثل تهجين حالك منها إلىٰ مَنْ مننت بها عليه، لأنّ في ذلك دليلاً علىٰ أنك لم تُرِد نفسك بها، ولو أردتَ نفسك بها لم تمتَنَّ بها علىٰ أحدٍ.

---

(١) حقّ الحجّ هذا لم يرد في تحف العقول، ووجوده ضروري، كما شرحنا في المقدمة.

ولاقوّة إلّا بالله)

[١٣] وأمّا حقّ الهَدْي :

ـ فأن تُخلِصَ بها الإرادة إلىٰ ربّك ، والتعرُّض لرحمته وقبوله ، ولاتريد عيون الناظرين دونه ، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلّفاً ولا متصَنّعاً ، وكنت إنّما تقصد إلى الله [(١)]

[١٤ وأما حقّ عامّة الأفعَال] [(٢)]

ـ واعلم أنَّ الله يُراد باليسير ، ولا يُراد بالعسير ، كما أراد بخلقه التَيْسير ولم يُرد بهم التَعْسير .

ـ وكذلك التذلّل أولىٰ بك من التَدَهْقُن ، لأَنّ الكُلفة والمؤونة في المتدهْقِنين ، فأمّا التذلُّل والتمسْكن فلا كُلْفة فيهما ، ولا مؤونة عليهما ، لأنّهما الخِلقة ، وهما مُوجودان في الطبيعة .

ولا قوّة إلّا بالله .

[د] (ثمّ حقوق الأئمّة) [(٣)]

[١٥] فأمّا حقّ سائسك بالسُلطان :

ـ فأنْ تعلم أنّك جُعِلتَ له فِتنةً ، وأنّه مُبتلىً فيك بما جعله الله له عليك من السُلطان .

(ـوأنْ تُخلص له في النصيحة .

ـوأنْ لاتماحكه ، وقد بُسِطَتْ يدُه عليك ، فتكونَ سبب هلاك نفسك وهلاكه .

---

(١) في الصدوق : وحقّ الهدي : **أنْ تُريد به الله عزّوجلّ ، ولاتُريد خلقه ، ولاتُريد به إلّا التعرّض لرحمة الله عزّوجلّ ونجاة روحك يومَ تلقاهُ .**

(٢) هذا العنوان من وضعنا ، وقد أوضحنا أنّ عدّ هذا الحقّ ضروريّ ، لقوله في مقدّمة الرسالة بعد حق الهدي : « ولأفعالك عليك حقّاً » وقد شرحنا ذلك في المقدّمة ، وذكرنا أنّ المؤلّفين لم يرقّموا هذا الحقّ ، وهو ساقط من روايات الصدوق بالكليّة .

(٣) العنوان الأصلي لم يرد في الصدوق ، وكذا جميع العناوين الاصلية التالية .

ـوتذَلَل وتلطّف لإعطائه من الرضا ما يكفّه عنك ولايضرّ بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله.

ـولاتعازّه، ولاتعانده، فإنّك إنْ فعلتَ ذلك عققْتَه، وعقَقْتَ نفسك، فعرّضْتها لمكروهه، وعرّضْتَهُ للهلكة فيك، وكنت خليقاً أن تكون مُعينا له عليه نفسك)[١] وشريكاً له في ما أتىٰ إليك [من سوء].

ولاقوّة إلّا بالله.

[١٦] وأمّا حقّ سائسك بالعلم:

-فالتعظيم له.

ـوالتوقير لمجلسه.

ـوحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه.

(ـوالمعونة له علىٰ نفسك في ما لا غنىٰ بك عنه من العلم، بأنْ تفرّغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتزكي له قلبك، وتجلي له بصرك: بترك اللّذات، ونقص الشهوات.

ـوأنْ تعلم أنّك ـفي ما ألقىٰ إليك ـ رسولُه إلىٰ من لَقِيَك من أهل الجهل، فلزِمَك حسنُ التأدية عنه إليهم، ولا تخُنْهُ في تأدية رسالته، والقيام بها عنه إذا تقلّدتها).

[ـوأن لاترفع عليه صوتك.

ـوأن لاتجيبَ أحداً يسأله عن شيء حتّىٰ يكونَ هو الذي يُجيب.

-ولاتحدّثَ في مجلسه أحداً.

ـولاتغتابَ عنده أحداً.

ـوأن تدفعَ عنه إذا ذكر عندك بسوء.

ـوأنْ تستر عيوبه.

ـوتُظهر مناقبه.

ـولاتُجالس له عدوّاً.

ـولا تُعادي له وليّاً.

---

(١) في الصدوق بدل ما بين القوسين قوله: وأنّ عليك أنْ لاتتعرّض لسخطه، فتُلقي بيدك إلىٰ التهلكة، وتكون شريكاً له في ما يأتي إليك من سُوء.

فإذا فعلتَ ذلك شهدتْ ملائكةُ الله عزّوجلّ بأنّك قصدتَهُ وتعلّمتَ علمه لله جلّ وعزّ اسمه، لا للناس][١].

ولاحول ولاقوّة إلّا بالله.

[١٧] وأمّا حقّ سائسك بالمِلْك:

ـفنحوٌ من سائسك بالسلطان، إلّا أنّ هذا يملك مالا يملكه ذاك. تلزمك طاعته في مادَقَّ وجلّ منك إلّا أنْ تخرجَك من وجوب حقّ الله، فإنْ حقّ الله يحول بينك وبين حقّه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعتَ إلىٰ حقّه فتشاغلت به.

ولاقوّة إلّا بالله[٢]

[هـ] (ثم حقوق الرعيّة)

[١٨] فأمّا حقّ رعيّتك بالسُلطان:

(ـفأنْ تعلمَ أنّك إنّما اسْترعيتَهم بفضل قوّتك عليهم، فإنّه إنّما أحلّهم محلّ الرعيّه لك ضعفهم، وذلّهم، فما أولىٰ مَنْ كفاكَهُ ضعفُهُ وذلّه ـحتّىٰ صيّره لك رعيّةً، وصيّر حكمك عليه نافذاً، لايمتنع عنك بعزّةٍ ولاقوّةٍ، ولايستنصر في ما تعاظمه منك إلّا بالله ـ بالرحمة والحياطة والأناة!)[٣]

[ـفيجب أنْ تعدِلَ فيهم، وتكونَ لهم كالوالد الرحيم.

ـوتغفر لهم جهلهم.

ـولاتعاجلهم بالعقوبة]

(وما أولاك ـإذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوّة التي قهرت بها ـ أنْ تكون لله شاكراً! [وتشكر الله عزّوجل علىٰ ما آتاك من القوّة عليهم] ومَنْ شكر الله أعطاه في ما أنعم عليه.

---

(١) مابين المعقوفين ورد في الصدوق، واكثر المذكورات من حقوق المعلّم مذكور في حديث مسند إلىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام، لاحظ آداب المتعلمين (ص ٧٤ـ ٧٧) الفقرة [٢١].

(٢) في الصدوق بدل هذا الحقّ: **فأن تطيعه، ولاتعصيه، إلّا في ما يسخط الله عزّوجلّ، فإنّه لاطاعة لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق.**

(٣) في الصدوق: **فأن تعلم أنّهم صاروا رعيتّك لضعفهم وقوّتك.**

ولاقوّة إلّا بالله).

[١٩] وأمّا حقّ رعيّـتك بالعلم:

ـفأن تعلم أنّ الله قد جعلك قيّماً لهم في ما آتاك من العلم، وولّاك[١] من خزانة الحكمة.

فإنْ أحسنْت في [تعليم الناس] (ما ولّاك الله من ذلك، [ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم] وقمتَ لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب الذي إذا رأىٰ ذا حاجةٍ أخرج له من الأموال التي في يديه [زادك الله من فضله] كنت راشداً، وكنتَ لذلك آملاً معتقداً.

وإلّا[٢] كنتَ له خائناً، ولخلقه ظالماً، ولسلبه وغِرِّه متعرّضاً)

[كان حقّاً على الله عزّوجلّ أنْ يسلبَك العلم، وبهاءَهُ، ويُسقطَ من القلوب محلّك].

[٢٠ وأمّا حقّ رعيّـتك بالملك][٣]

وأمّا حقّ رعيّـتك بملك النكاح[٤]

ـفأنْ تعلم أنّ الله جعلها لك سَكَناً (ومستراحاً) وأُنْساً (وواقيةً.

ـوكذلك كلّ واحد منكما يجب أنْ يحمد الله على صاحبه) ويعلم أنّ ذلك نعمة منه عليه (ووجب أنْ يُحسن صحبة نعمة الله).

ـفتكرمها وترفق بها.

ـوإن كان حقّك عليها أوجب[٥] (وطاعتك لها ألزم في ما أحببتَ وكرهتَ، مالم تكن معصيةً) فإنّ لها [عليك] حقّ الرحمة والمؤانسة) [أنْ ترحمها، لأنّها أسيرك.

ـوتطعمها، وتسقيها، وتكسوها.

ـفإذا جهلتْ عفوت عنها]

---

(١) في الصدوق: وفتح لك، بدلّ (وولاك).

(٢) في الصدوق: **وإن انت منعت الناس علمك، أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك.**

(٣) هذا العنوان منّا لتوحيد النسق، ولكنّ المؤلّفين جعلوا ما تحته حقّين: حق الزوجة، وحقّ ملك اليمين، وهو سهو كما شرحنا في المقدّمة.

(٤) في الصدوق: **وأما حقّ الزوجة.**

(٥) في تحف العقول: أغلظ، بدل: أوجب.

(ـوموضع السكون إليها قضاءُ اللذة التي لابدّ من قضائها، وذلك عظيم.
ولاقوّة إلّا بالله).

وأما حقّ رعيّتك بِمُلك اليمين [١]:

ـفأن تعلم أنّه خلقُ ربّك [وابن أبيك وأُمّك] ولحمك ودمك، وأنك تملِكُهُ. لا أنْتَ صنعتَه دونَ الله، ولا خلقتَ له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريتَ له رزقاً [٢]، ولكنّ الله كفاك ذلك، ثمّ سخّره لك، وائتمَنَك عليه، واستودَعَك إيّاه (لتحفظه فيه، وتسير فيه بسيرته، فتطعمه ممّا تأكل، وتلبسه ممّا تلبس، ولا تكلّفه ما لايُطيق) [٣]

ـفإنّ كرهته (خرجت إلى الله منه و) استبدلت به، ولم تعذّب خلق الله عزّوجلّ.
ولاقوّة إلّا بالله.

[و] (وأمّا حقّ الرحم)

[٢١] فحقّ أُمّك:

ـأنْ تعلم أنّها حملتْك حيث لايحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتْك من ثمرة قلبها ما لايُطعم أحدٌ أحداً، وأنّها وَقَتْك بـ(سمعها وبصرها ويدها ورجلها وشعرها وبشرها) و) جميع جوارحها (مُستَبْشِرةً بذلك فَرِحةً، موابلةً محتَملةً لما فيه مكروهها وأَلَمِها وثقلها وغَمّها، حَتّىٰ دفعتها عنك يدُ القدرة، وأخرجتك إلى الأرض.

ـفرضيت أن تشبعَ وتجوع هي [٤]، وتكسوك وتعرىٰ، وتَرويك وتظمأ، وتُظِلّك وتضحىٰ، وتُنْعِمك ببؤسها، وتلذّذك بالنوم بأَرَقها، (وكانَ بطنُها لك وعاءاً، وحِجْرها لك حواءاً، وثديُها لك سقاءاً، ونفسُها لك وقاءاً) تباشِر حَرّ الدنيا وبردها لك ودونك

---

(١) في الصدوق: وأما حقّ مملوكك.

(٢) في بعض نسخ الصدوق: «لم تملكه، لأنّك صنعته دون الله! ولا خلقت شيئاً من جوارحه ولا أخرجت له رزقاً».

(٣) بدل ما بين القوسين في الصدوق: ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك.

(٤) في الصدوق: ولم تَبال أنْ تجوعَ وتُطعمك ... وهكذا إلىٰ آخر الفقرة، باختلاف يسير.

ـ(فتشكرها علىٰ قدر ذلك): [فإنّك لاتطيق شكرها] (ولاتقدر عليه) إلّا بعون الله وتوفيقه.

[٢٢] وأمّا حقّ أبيك:

ـفتعلم أنّه أصلُك، (وأنّك فرعُه) وأنّك لولاه لم تكن، فمهما رايتَ في نفسك مما يُعْجبك فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه.

ـفأحمد الله واشكره علىٰ قدر ذلك.

ولاقوّة إلّا بالله.

[٢٣] وأمّا حقّ ولدك:

–فتعلم أنّه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه.

ـوأنّك مسؤول عمّا ولّيتَهُ من حُسْن الأدب، والدلالة علىٰ ربّه، والمعونة له علىٰ طاعته (فيك وفي نفسه، فمثابٌ علىٰ ذلك ومعاقب).

ـفاعمل في أمره عمل [مَنْ يعلم أنّه مثابٌ على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه] (المتزيّن بِحُسْن أثره عليه في عاجل الدنيا المعذِر إلىٰ ربّه في ما بينك وبينه بحسن القيام عليه، والأخذ له منه.

ولا قوّة إلّا بالله).

[٢٤] وأما حقّ أخيك:

ـفأنْ تعلم أنّه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجيء إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوّتك التي تصول بها(١)

ـفلا تتّخذه سلاحاً علىٰ معصية الله.

ـولاعُدَّة للظلم لخلق الله (٢)

ـولاتدع نصرته علىٰ (نفسه، ومعونته علىٰ) عدوّه (والحؤول بينَهُ وبين شياطينه) و (تأدية) النصيحة إليه، (والإقبال عليه في الله).

---

(١) في الصدوق: فأنْ تعلم أنّه يدك وعزّك وقوّتك.

(٢) في تحف العقول: بحقّ الله.

-فإن انقاد لربّه وأحسن الإجابة له،[١] وإلّا فليكن اللهُ (آثـرَ عـندك و) أكـرم عليك منه.

ولا قوّة إلّا بالله.

[ز-حقوق الآخرين]

[٢٥] وأمّا حقّ المنْعِم عليك بالولاء:

فأن تعلم أنـّه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذُلّ الرِقّ ووحشته إلىٰ عزّ الحـرّيّة وأُنسها، وأطلقك من أسْر الملكة، وفكّ عنك قيد[٢] العبوديّة (وأوجدك رائحة العزّ) وأخرجك من سجن القَهْر[٣] (ودفع عـنك العُسر، وبسـط لك لسـانَ الإنـصاف، وأباحك الدنيا كلّها) فملّكَكَ نفسَك، (وحلّ أسْركَ) وفرّغَكَ لعبادة ربّك (واحـتملَ بذلك التقصير في ماله)

-فتعلم أنـّه أوْلىٰ الخلق بك (بعد أُولي رحمك) في حياتك وموتك، وأحقّ الخلق بنصرك[٤] (ومعونتك، ومكانفتك في ذات الله، فلا تُؤْثِر عليه نفسك) ما احتاج إليك.

[٢٦] وأما حقّ مولاك الجارية عليه نعمتُك:

-فأنْ تعلم أنّ الله جعلك حاميةً عليه، وواقيةً، ونـاصراً، ومـعقلاً، وجـعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحريّ أنْ يحجبك عن النار، فيكون ذلك ثوابك منه في الآجل.

-ويحكم لك بِميراثه في العاجل-إذا لم يكن له رَحِمٌ- مكافأةً لما أنفقته من مالك عليه وقمت به من حقّه بعد إنْفاق مالك، فإن لم تقم بحقّه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه.

---

(١) في الصدوق: **فإنْ أطاع الله تعالىٰ.**

(٢) في التحف: **حلق**، بدل قيد.

(٣) في الصدوق: **من السجن.**

(٤) في الصدوق: **وأن نصرته عليك واجبة بنفسك ما احتاج إليه منك.**

ولاقوّة إلّا بالله [(١)]

[٢٧] وأما حقّ ذي المعروف عليك:

ـفأنْ تشكره

ـوتذكر معروفه.

ـوتنشر له [(٢)] المقالة الحسنة.

ـوتُخلص له الدعاء في ما بينك وبين الله سبحانه. فإنك إذا فعلتَ ذلك كنتَ قد شكرتَه سرّاً وعلانيةً.

ـثمّ إن أمكنك مكافأته بالفعل [(٣)] كافأته (وإلّا كنتَ مُـرْصِداً له مـوطِّناً نـفسك عليها).

[٢٨] وأمّا حقّ المؤذّن:

ـفأنْ تعلم أنـّه مذكّرك بربّك، وداعيك إلىٰ حظّك، وأفضل أعوانك علىٰ قـضاء الفريضة التي افترضها الله عليك.

ـفتشكره علىٰ ذلك شكرك للمحسن إليك.

ـ(وانْ كنتَ في بيتك مهتّماً لذلك، لم تكن لله في أمره متّهماً، وعلمت أنـّه نعمة من الله عليك، لاشكَّ فيها، فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عَليها علىٰ كل حال.

ولاقوّة إلّا بالله).

[٢٩] وأمّا حقّ إمامك في صلاتك:

ـفأن تعلم أنـّه قد تقلّد السفارة في ما بينك وبين (الله، والوفادة إلىٰ) ربك.

ـوتكلّمَ عنك ولم تتكلّمْ عنه.

ـودعا لك ولم تدعُ له

---

(١) في الصدوق: فأن تعلم أنّ الله عزوجل جعل عتقك له وسيلة إليه، وحجاباً لك من النـار، وأنّ ثوابك في العاجل ميراثه، إذا لم يكن له رحم، مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنة.

(٢) في الصدوق: وتكسبه، بدل وتنشر له.

(٣) في الصدوق: يوماً، بدل (بالفعل).

ـ(وطُلِبَ فيك ولم تُطْلَب فيه)

ـوكفاك همّ[1] المقام بين يدي الله (والمسألة له فيك، ولم تكفه ذلك) فإن كان في شيء من ذلك تقصير[2] كان به دونك [وإنْ كان تماماً كنت شريكه] (وإن كان آثماً لم تكن شريكه فيه).

ـولم يكن له عليك فضل، فوقىٰ نفسَك بنفسه، و(وقىٰ) صلاتك بصلاته.

ـفتشكر له علىٰ [قدر] ذلك.

(ولا حول ولاقوّة إلّا بالله).

[٣٠] وأمّا حقّ الجليس:

ـفأن تُلين له (كنفك، وتطيّب له) جانبك

ـوتنصفه في مجاراة اللفظ.

(ـولا تُغرق في نزع اللحظ إذا لحظت.

ـوتقصد في اللفظ إلىٰ إفهامه إذا لفظت).

ـوإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلّا بإذنه[3]

ـ[وتنسىٰ زلّاته.

ـوتحفظ خيراته.

ـولاتُسْمعه إلّا خيراً]

(ولاقوّة إلّا بالله)

[٣١] وأمّا حقّ الجار:

ـفحفظه غائباً.

ـوإكرامه شاهداً.

---

(١) في الصدوق: **هول**.

(٢) في الصدوق: **نقص**.

(٣) في الصدوق، اختلاف في الفاظ هذه الفقرة، والمعنىٰ واحد.

ـونصرته (ومعونته في الحالين جميعاً) [إذا كان مظلوماً].

ـولا تتّبع له عورةً (ولاتبحث له عن سوءة لتعرفها، فإن عرفتها منه ـمن غير إرادةٍ منك ولاتكلُّفٍ ـ كنت لما علمتَ حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنّة عنه ضميراً لم تتّصل إليه لانطوائه عليه)[(١)]

[وإن علمت انه يقبل نصيحتك نصحتَه في ما بينك وبينه].

(ـلاتستمع عليه من حيث لايعلم).

ـولا تسلّمه عند شديدة.

(ـولاتحسده عند نعمة).

ـوتُقيل عثرته، وتغفر زلّته[(٢)] (ولاتدّخر حلمك عنه) إذا جهل عليك.

ـولاتخرج أن تكون سلماً له، تردّ عنه لسان الشتيمة، وتُبطل فيه كَيْد حامل النصيحة[(٣)])

ـوتعاشره معاشرةً كريمة.

(ولا حول) ولاقوّة إلّا بالله.

[٣٢] وأمّا حقّ الصاحب:

ـفأن تصحبه بالفضل (ما وجدت إليه سبيلاً) و(إلّا فلا أقلّ من) الإنصاف[(٤)]

ـوأن تكرمه كما يكرمك (ولايسبقك في ما بينك وبينه إلىٰ مكرمة، فإن سبقك كافأتَهُ)[(٥)]

ـ(وتحفظه كما يحفظك)

ـ[وتودّه كما يودّك] (ولاتقصّر به عمّا يستحقّ من المودّة

---

(١) في الصدوق ـبدل ما بين القوسين ـ: فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه.

(٢) في الصدوق: ذنبه.

(٣) كذا، ولعلها: «النميمة» لأنّها أنسب بما قبلها وما بعدها سجعاً، ولأن حامل النصيحة لا كيد له ظاهراً، فلاحظ.

(٤) في الصدوق: فان تصحبه بالتفضّل والإنصاف.

(٥) هذه الجملة مؤخرة في التحف عن الجملة التالية.

ـ تلزم نفسك نصيحته وحياطته.

ـ ومعاضدته علىٰ طاعة ربه)

ـ ومعونته علىٰ نفسه في ما لا يهمّ[١] به من معصية (ربّه).

ـ ثمّ تكون[٢] عليه رحمة، ولا تكون[٣] عليه عذاباً.

ولا قوّة إلّا بالله.

[٣٣] وأمّا حقّ الشريك:

ـ فإنْ غاب كفيتَه.

ـ وإنْ حضر ساويتَه[٤].

ـ ولا تعزم علىٰ حكمك دون حكمه.

ـ ولا تعمل برأيكَ دونَ مُنَاظرته.

ـ تحفظ عليه ماله.

ـ وتَنْفي عنه خيانته[٥] في ما عَزّ أوهانَ، فـ(إنّه بلَغَنَا) «أنّ يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا».

ولا قوّة إلّا بالله.

[٣٤] وأمّا حقّ المال:

ـ فأنْ لا تأخذَه إلّا من حِلّه.

ـ ولا تُنفقه إلّا في حلّه[٦] (ولا تحرّفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله ـ إذا كان من الله ـ إلّا اليه، وسبباً إلى الله).

---

(١) في الصدوق: وتزجره عما يهمّ، الىٰ آخره.

(٢) في الصدوق: وكن.

(٣) في الصدوق: ولا تكن.

(٤) في الصدوق: رعيته، بدل (ساويتَه).

(٥) في الصدوق: ولا تخُنْهُ.

(٦) في الصدوق: في وجهه.

ـولاتُؤثِر به علىٰ نفسك مَنْ لايحمدك (وبالحريّ أن لايُحسن خلافته[١] في تركَتِك، ولا يعمل فيه بطاعة ربّك، فتكون مُعيناً له علىٰ ذلك، أو بما أحدثَ في مالك أحسن نظراً، فيعمل بطاعة ربّه فيذهب بالغنيمة).

[ـفاعمل فيه بطاعة ربّك، ولا تبخل به] فتبوءَ بـ(الإثمِ و) بالحسرة والندامة مع التبعة.

ولاقوّة إلّا بالله.

[٣٥] وأمّا حقّ الغريم الطالب لك:

ـفإنْ كنتَ مُوسِراً أوفيتَه[٢] (وكفيتَه وأغنيتَه، ولم تردُدْه وتمطله، فإنْ رسول الله ﷺ قال: «مطلُ الغنيّ ظلم»)

ـوإنْ كنتَ مُعْسِراً أرضَيْتَه بحُسْن القول (وطلَبت إليه طلباً جميلاً) ورَدَدْتَه عن نفسك ردّاً لطيفاً.

(ولَم تجمع عليه ذهاب ماله، وسوء معاملته، فإنّ ذلك لؤمٌ.
ولاقوّة إلّا بالله)[٣]

[٣٦] وأمّا حقّ الخليط:

ـفأن لاتغرَّه.

ـولاتغشّه.

(ـولاتكذّبه.

ـولاتغفله)

ـولا تخدعه.

(ـولاتعمل في انتقاضِهِ عمل العدوّ الذي لايُبقي علىٰ صاحبه.

ـوإن اطمأنَّ إليك استقصيت له علىٰ نفسك، وعلمت: «أنّ غبن المسترسل ربا».

---

(١) في بعض نسخ التحف، خلافتك.

(٢) في الصدوق: **أعطيته**.

(٣) هنا موضع «**حق الغريم الذي تطالبه**» الذي ذكر في المقدمة مع فروع الحقوق، لكنّه لم يعنون هنا في أيّ من النصين لا في تحف العقول، ولا في كتب الصدوق.

[ـوتتّقي اللهَ تبارك وتعالىٰ في أمره]
ولاقوّة إلّا بالله).

[٣٧] وأمّا حقّ الخصم المدّعي عليك:

ـفإن كانَ ما يدّعي ـ عليك حقّاً [كنتَ شاهدَه علىٰ نفسك] (لم تنفسخ في حُجَّته) [ولم تظلمه] (ولم تَعْمل في إبطال دعوته) [وأوفيته حقّه] (وكنْتَ خَصْم نفسك له، والحاكم عليها، والشاهد له بحقّه، دون شهادة الشهود، فإنّ ذلك حقّ الله عليك).

ـوإن كان ما يدّعيه باطلاً رَفَقْتَ به) وردَعته[1] وناشدته بدينه) [ولم تأتِ في أمره غير الرفق، ولم تُسْخط ربّك في أمره] (وكسرتَ حدّتَهُ بذكر الله، وألغيتَ حشو الكلام ولُغَطَهُ الذي لايردّ عنك عادية عدوّك، بل تبوء بإثمِهِ، وبه يشحذ عليك سَيْف عداوته، لأنّ لفظة السوء تبعث الشرّ، والخير مَقْمَعَةٌ للشرّ.
ولاقوّة إلّا بالله).

[٣٨] وأمّا حقّ الخصْم المدّعىٰ عليه:

ـفإنّ كانَ ما تدّعيه حقّاً[2] أجْملتَ في مقاولته (بمخرج الدعوىٰ فإنّ الدعوىٰ غلظةٌ في سمع المدّعىٰ عليه) [ولم تجحَدْ حقه].
(ـوقصدت قصد حجّتك بالرفق، وأمهل المهلة، وأبين البيان، وألطف اللطف.
ـولم تتشاغل عن حجّتك بمنازعته بالقيل والقال، فتذهب عنك حجّتُك، ولايكون لك في ذلك دَرْكٌ)
[وإنْ كنتَ مُبْطلاً في دعواك اتّقيْتَ الله عزّوجلّ، وتُبْتَ إليه، وتركتَ الدعوىٰ]
(ولاقوّة إلّا بالله)

---

(١) كذا في بعض النسخ، والظاهر أنه الصواب وفي أكثرها ورَوّعْتَهُ والظاهر عدم صحّته، وفي بعض النسخ: ورّعته، فمعناه دعوته إلى الورع.
(٢) في الصدوق: **إن كنت محقّاً في دعواك ....**

[٣٩] وأمّا حقّ المستشير:

ـفإنْ حضرك له وجه رأي، جهدتَ له في النصيحة و[١] أشرت عليه (بما تعلم أنّك لو كنتَ مكانه عملتَ به.

ـوذلك ليكنْ منك في رحمةٍ، وليْنٍ، فإنّ الليْن يؤنِسُ الوحشةَ، وانّ الغلظ يُوحش موضع الأُنس.

ـوإن لم يحضرك له رأي، وعرفتَ له مَنْ تثقُ برأيه وترضى به لنفسك، دَلَلْتَه عليه وأرشدته إليه[٢] فكنتَ لم تألُهْ خيراً، ولم تدّخره نصحاً.

ولاحول ولاقوّة إلّا بالله)

[٤٠] وأما حقّ المُشير عليك:

ـأنْ لاتتّهِمَه في مالا يُوافقك عليه من رأيه (إذا أشارَ عليك. فإنّما هي الأراء وتصرُّف الناس فيها واختلافهم، فكن عليه في رأيه بالخيار، إذا اتّهمْتَ رأيه، فأمّا تهمتُهُ فلا تجوزُ لك، إذا كانَ عندكَ ممّن يَستحقّ المشاورة.

ـولاتدعْ شُكْره على ما بدا لك من إشخاص رأيه، وحُسْن وجه مشورته)

ـفإذا وافقك حمدتَ الله (وقبلتَ ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها، إن فزع إليك.

ولاقوّة إلّا بالله).

[٤١] وأمّا حقّ المستنصِح:

ـفإنّ حقّه أنْ تؤدّيَ إليه النصيحةَ (على الحقّ الذي ترىٰ له أنّه يحمل، وتُخرج المخرجَ الذي يلين علىٰ مسامعه، وتكلّمه من الكلام بما يُطيقه عقله. فإنّ لكلّ عقلٍ طبقةً من الكلام يعرفه ويَجْتنيه)[٣]

ـوليكن مذهبُك الرحمة [له والرفق به]

---

(١) في الصدوق: **إنْ علمت له رأياً.**

(٢) في الصدوق: **وإنْ لم تعلم أرشدتَه إلىٰ مَنْ يعلم.**

(٣) كذا في بعض النسخ وفي أكثرها: يجتنبه، فلاحظ.

(ولاقوّة إلّا بالله).

[٤٢] وأمّا حقّ الناصِح:

ـفأنْ تُلين له جناحك.

ـ(ثمّ تُشَرْئب[١] له قلبَك، وتفتح له سمعَك، حتّىٰ تفهمَ عنه نصيحته[٢].

ـثمّ تنظر فيها): فإنْ كانَ وُفِّقَ فيها للصواب[٣] حمدتَ الله (علىٰ ذلك، وقبلتَ منه وعرفتَ له نصيحته).

ـوإن لم يكن وُفِّقَ له فيها[٤] رحمتَه، ولم تتّهِمْهُ، وعلمتَ أنـه (لم يألُك نصحاً، إلّا أنـه) أخطأ، [ولم تُؤاخذه بذلك] إلّا أنْ يكونَ (عندك) مستحِقّاً للتهـمة، فـلا تـعبأ بشيءٍ من أمره علىٰ (كلّ) حال.

ولاقوّة إلّا بالله.

[٤٣] وأما حقّ الكبير:

ـفإنّ حقّه توقير سِنِّهِ.

ـوإجلال إسلامه، إذا كان من أهل الفضل في الإسلام، بتقدُّمه فيه[٥]

ـوترك مقابلته عند الخِصام.

ـولاتسبقه إلىٰ طريق.

ـولا تؤمّه في طريق[٦]

ـولا تستجهله.

ـوإن جهل عليك، تحمّلتَ، وأكرمته بحقّ إسلامه [وحرمته] (مع سِنّه، فإنّما حقّ السِن بقدر الإسلام.

---

(١) كذا في النسح، ولعلّ الكلمة «تشرّف».

(٢) في الصدوق: **وتُصغي إليه بسمعك**، بدل هذه الفقرة.

(٣) في الصدوق: **فإن أتي الصواب**.

(٤) في الصدوق: **وإن لم يوفّق**، وفي بعض النسخ: **يوافق**.

(٥) في التحف لتقديمه، وفي الصدوق: **إجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك**.

(٦) في الصدوق، **ولاتتقدمه**.

ولاقوّة إلّا بالله).

[٤٤] وأمّا حقّ الصغير :
ـفرحمته [١]
ـ(وتثقيفُه وتعليمه)
ـوالعفو عنه ، والستر عليه .
ـوالرفق به .
ـوالمعونة له .
ـ(والستر علىٰ جرائر حداثته ، فإنّه سببٌ للتوبة .
ـوالمداراة له ، وترك مماحَكته ، فإنّ ذلك أدنىٰ لرشده)

[٤٥] وأمّا حقّ السائل :
ـفإعطاؤه [علىٰ قدر حاجته] [٢] إذا تيقّنتَ صدقَهُ وقَدَرْتَ علىٰ سَدّ حاجته .
ـوالدعاء له في ما نَزَلَ به .
ـوالمعاونة له علىٰ طلبته .
ـوإن شككتَ في صدقه ، وسبقتْ إليه التهمةُ له ، ولم تعزم علىٰ ذلك ، لم تأمَنْ أنْ يكونَ من كيد الشيطان ، أراد أنْ يصدَّك عن حظّك ، ويحولَ بينك وبين التقرُّب إلىٰ ربّك ، فتركتَه بستْرِهِ ، وردَدْتَه ردّاً جميلاً .
ـوإنْ غلبتْ نفسُك في أمره ، وأعطيتَه علىٰ ما عَرَضَ في نفسك منه ، فإنّ ذلك من عزم الأُمور .

[٤٦] وأمّا حقّ المسؤول :
ـإنْ أعطىٰ قُبِلَ منه (ما أعطىٰ) بالشُكر له ، والمعرفة لفضله .
ـوَطلب وجه العُذْر في منعه [٣]

---

(١) أضاف الصدوق : **في تعليمه** .
(٢) إلىٰ هنا ينتهي ما في الصدوق من حقوق السائل .
(٣) في الصدوق : **وان مَنَعَ فاقبل عُذره** .

(ـوأحْسِنْ به الظنّ.

ـواعلم أنَّه إنْ مَنَعَ فمالَه مَنَعَ، وأنْ ليس التثريبُ في ماله، وإنْ كان ظالماً. فإنّ الإنسان لظلوم كفّار)

[٤٧] وأمّا حقّ مَنْ سَرَّكَ (اللهُ به وعلىٰ يديه) (١):

ـفإن كانَ تعمّدها لك: حمدتَ الله أوّلاً، ثمّ شكرتَهُ (٢) علىٰ ذلك بقدره، في موضع الجزاء.

ـوكافأته علىٰ فضل الابتداء، وأرصدتَ له المكافأةَ.

ـوإن لم يكن تعمّدها: حمدتَ الله وشكرته، وعلمت أنّه منه، توحّدك بها.

ـوأحببتَ هذا (٣) إذْ كان سبباً من أسباب نِعَمِ الله عليك.

ـوترجو له بعد ذلك خيراً، فإنّ أسبابَ النِعم بركةٌ حيثُما كانَتْ، وإنْ كان لم يتعمّد. ولاقوّة إلّا بالله.

[٤٨] وأمّا حقّ مَنْ ساءَك (القضاء علىٰ يَدَيْه، بقولٍ أو فعلٍ):

ـفإنْ كانَ تعمّدها كان العفوُ أولىٰ بك (٤) (لما فيه له من القَمْع، وحُسْن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق.

ـ[وإن علمت أنّ العفوَ عنه يضرُّ، انتصرتَ] فإنّ الله يقول: ﴿ ولَمَن انتصر بعد ظُلْمِه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ (إلىٰ قوله ﴿ من عزم الأمور ﴾ (٥)

وقال عزّوجلّ ﴿ وإنْ عاقَبْتُم فعاقِبُوا بِمِثْلِ ما عُوقِبْتُم بِهِ ولَئِنْ صَبَرْتُم لهو خيْرٌ للصابِرين ﴾ (٦) هذا في العَمْد.

ـفإنْ لم يكن عَمْداً، لم تظلمه بتعمُّد الانتصار منه، فتكونَ قد كافأته في تعمّد

---

(١) في الصدوق: بدل ما بين القوسين: لله تعالىٰ.

(٢) في الصدوق في هذا الحق: «أنْ تحمد الله عزوجّل أوّلاً، ثم تشكره» فقط، ولم يورد باقي ما هنا.

(٣) هذا إشارة إلى الشخص الذي سرّك.

(٤) في الصدوق: أن تعفو عنه، فقط، ثم ذكر قوله: [وإن علمت...الخ].

(٥) سورة الشورى (٤٢) الآية: ٤١ـ٤٣.

(٦) سورة النحل (١٦) الآية: ١٢٦.

علىٰ خطأ.

ـورفقتَ به، وردَدْتَه بألْطَفِ ما تقدِرُ عليه.

ولاقوّة إلّا بالله)

[٤٩] وأمّا حقّ أهل مِلّتك (عامَّةً):

ـفإضمار السلامة.

ـو (نشر جِناح) الرحمة [بهم]

ـوالرفق بمسيئهم.

ـوتألّفهم.

ـواستصلاحهم.

ـوشكر محسنهم (إلىٰ نفسه، وإليك، فإنّ إحسانه إلىٰ نفسه إحسانٌ إليك، إذا كَفَّ عنك أَذاه، وكفاك مؤونته، وحبس عنك نفسه.

ـفَعُمَّهم ـ جميعاً ـ بدعوتك.

ـوانصرهم ـ جميعاً ـ بنصرتك).

[ـوكُفَّ الأذىٰ عنهم.

ـوتُحبُّ لهم ما تُحبّ لنفسك، وتكرهُ لهم ما تكره لنفسك].

ـوأنْزِلْهُم ـ جميعاً منك منازلهم: كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ (١) [وعجائزهم بمنزلة أُمّك].

(ـفَمَنْ أتاك تعاهَدْتَه بلُطفٍ ورحمةٍ.

ـوصِلْ أخاك بما يجبُ للأخِ علىٰ أخيه).

[٥٠] وأمّا حقّ أهْل الذمّة:

ـ(فالحكم فيهم) أنْ تقبل منهم ما قَبل الله.

ـ(وتفي بما جعل الله لهم من ذمّته وعهده.

---

(١) في الصدوق بدل ما هنا: وأن يكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمّك، والصغار بمنزلة أولادك.

ـوتكِلَهم إليه في ما طلبوا من أنفسهم، وأُجبروا عليه.

ـوتحكم فيهم بما حكم الله به علىٰ نفسك، في ما جرىٰ بينك وبينهم من معاملة).

[ـولاتظلمهم ما وَفَوا لله عزّوجل بعهده] (وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمّة الله، والوفاء بعهده وعهد رسول الله ﷺ حائلٌ، فإنّه بلغنا أنـّه قال: «مَنْ ظَلَمَ معاهَداً كنتُ خصمه» فاتّق الله.

ولاحول) ولا قوّة إلّا بالله.

[الخاتمة]

(فهذه خمسون حقاً محيطاً بك، لاتخرج منها في حال من الأحوال، يجب عليك رعايتها، والعمل في تأديتها، والاستعانة بالله جلّ ثناؤه علىٰ ذلك.

ولاحول) ولاقوة إلّا بالله.

والحمد لله ربّ العالمين [وصلواته علىٰ خير خلقه محمّد وآله أجمعين وسلم تسليما][(١)]

---

(١) هذه الخاتمة لم ترو في روايات الصدوق.

الملحق (٢)
من تقاريظ الكتاب نثراً ونظماً

نشر في مجلّة «الذكر» الشهرية التي يعدّها الطلبة اللبنانيون في معهد الإمام شرف الدين رحمه الله في حوزة مدينة قم المقدّسة. العدد (٧) جمادىٰ الأولىٰ، السنة الأُولىٰ (١٤١٤هـ) ص (٤٣ ـ ٤٤)

بقلم العلامة الخطيب البارع الشاعر المفلّق المرحوم الشيخ محمد رضا آل صادق مقالٌ هذا نصّه:

بسم الله الرحمن الرحيم

جهاد الإمام السجّاد علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام
سفر قيّم جديد

ومما يجدر ذكره أنّ هذا الكتاب قد حظِي بالجائزة الأُولىٰ في المباراة التي أقامتها مؤسّسة آل البيت عليهم السلام ببيروت...

وينبغي أنْ نلقيَ الضوء على الكتاب والكاتب بما يرسم الصور المتوخّاة للقارىء اللبيب.

أمّا (الكتاب) فيتناول جهاد الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام السياسيّ الذي غفلت عنه جلّ أقلام الكتّاب القُدامىٰ والمعاصرين بل حاولتْ أنْ تجعل منه رجلاً منصرفاً عن ميادين الجهاد والسياسة إلىٰ صوامع العبادة والزهد وما إلىٰ ذلك...

وقد مهدّ المؤلّف لكتابه بمقدمة ضافية وافية بيّن فيها ما دفعه إلىٰ تأليف هذا الكتاب أوّلاً.

ثمّ بحث عن الإمامة ومستلزماتها بصورة مفصّلة، وأعقب ذلك بحثاً عن إمامة السجّاد وآراء المذاهب الإسلاميّة في هذا الشأن.

وجعل الكتاب في خمسة فصول...

تحدّث في الفصل الأوّل: عن أدوار النضال في حياة الإمام زين العابدين عليه السلام في كربلاء والأسر والمدينة.

وتحدّث في الفصل الثاني: عن النضال الفكري والعلميّ في مجالات القرآن والحديث والعقيدة والشريعة والأحكام.

وتحدّث في الفصل الثالث: عن النضال الاجتماعي والعملي في مجالات الأخلاق والتربية ومقاومة الفساد وما إلىٰ ذلك.

وتحدّث في الفصل الرابع: عن زهد الإمام وبكائه ودعائه.

كما تحدّث في الفصل الخامس: ـ عن مواقف الإمام السجّاد عليه السلام الحاسمة من الظالمين وأعوانهم ومواقفه المبدئيّة من الحركات المسلّحة.

ثمّ خلص إلىٰ خاتمة الكتاب التي أوجز فيها نتائج البحث.

وممّا ورد فيها قوله: ـ

«إنّ الامام زين العابدين عليه السلام قد قام بأعمال سياسيّة كثيرة في سبيل الأهداف الكبيرة التي من أجلها شُرِّع الدين.

وهو عليه السلام ـ وإن لم يمدّ يداً إلى السلاح الحديدي ـ إلّا أنّه التزم النضال بكلّ الأسلحة الأُخرىٰ التي لاتقلّ اهميّة وخُطورة من السلاح الحديدي.

فشهر سلاح اللسان بالخطب والمواعظ، وسلاح العلم بالتثقيف والإرشاد، وسلاح الأخلاق بالتربية والتوجيه، وسلاح المال بالإعانات والإنفاق، وسلاح العدالة بالإعتاق، وسلاح الحضارة بالعرفان»..

كما أكّد المؤلّف في هذه الخاتمة: **أنّ من يعرف أوليّات النضال السياسي وبديهيات التحرّك الاجتماعي وخاصةً عند المعارضة، لَيُدرِك أنّ سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام السياسية التي عرضناها في فصول هذا الكتاب، هي مشاعل تُنير النهج للسائرين علىٰ طريق الجهاد الشائك ممن يلتقي مع الإمام عليه السلام في تخليد الأهداف الإلهية السامية..**

وتتجلّىٰ قيمة هذا الكتاب ـ كما ترىٰ ـ عندما يعرف القاري أنّ المؤلّف رجع إلىٰ ما يقرب من مئة وتسعين مصدراً، ومرجعاً ممّا كتبه الفريقان من أهل السنة والشيعة حول شخصية الإمام زين العابدين وحياته وسيرته.

كما يتبيّن السرّ للقارىء بوضوح في علّة عدول الإمام السجّاد عن الكفاح المسلّح إلى الجهاد باللسان والمال والسُبُل الأُخرىٰ حين يطّلع علىٰ أنّ الإمام قد صرّح قائلاً: «ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبُّنا».

وأمّا الكلام عن (مؤلّف الكتاب).

فالحقّ أنّه أشهر من أنْ يُذكر فقد عرفته الأوساط العلميّة: كاتباً قديراً، وعالِماً نِحْريراً، له طول باعٍ وسعة اطّلاعٍ في التحقيق والرجال والفقه والأُصول، بحيث أحسبه في غِنىً عن البيان بعد أنْ أصبحَ ممّن يُشار إليه بالبنان.

وحسبُنا أن نذكر ـ علىٰ سبيل الاستشهاد ـ أنّه سبق أنْ فاز كتابه الموسوم برسالة أبي غالب الزُراري إلى ابن ابنه في آل أعين، وتكملتها: لابي عبدالله الغضائري بجائزة الكتاب السنويّ في حقل تحقيق التراث بإيران قبل عامين..

فطوبىٰ له وحسن مآب، وأخذ الله بيديه وأيدينا جميعاً إلىٰ ما فيه الخير والصواب..

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله ربّ العالمين.

وصلّىٰ الله علىٰ سيّدنا ونبيّنا محمّد الصادق الوعد الأمين، وآله الهُداة الميامين، واللعنة الدائمة علىٰ أعدائهم أجمعين آمين.

كُتِبَ في يوم الجمعة الأوّل من ربيع الأوّل سنة ١٤١٤ هجرية بقم
عُشّ آل محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم.

محمد رضا آل صادق

مقاطع من نظم
العلاّمة الخطيب الشاعر الباهر الشيخ سعيد المنصوري
دام ظله

في تقريض وتاريخ صدور كتاب « جهاد الإمام السجّاد » في عام (١٤١٤) هـ

المقطوعة الأُولىٰ

جهادُ الإمامِ كتابٌ لهُ — عند أهل الحِجا قيمةٌ راجحَهْ
مؤلّفُهُ رجلٌ فاضِلٌ — أدّلتُهُ قدْ أتَتْ واضِحهْ
فأكْرِمْ بهِ من فتىً عالمٍ — مواضيعُهُ كلّها ناجِحهْ
فقرّي عُيوناً بني هاشِمٍ — بِشِبْلٍ مواهبُهُ صالِحهْ
فإنْ قلتَ للنجم أرِّخْهُ « طُلْ — تجارتُهُ فيكم رابحهْ »

١٤١٤

المقطوعة الثانية

إنّ الجلاليَّ بتأليفهِ — لدىٰ المباراةِ : « جهادَ الإمامْ »
أوضَحَ أمراً لم يكنْ واضحاً — بخيرِ أُسْلوبٍ وخير الكلام
وفي بيانٍ ساحِرٍ جاذبٍ — قد كَسَبَ السبْق ونالَ المرامْ
أبدَعَ في موضوعه خدمةً — لأهل بَيْت الوحْي خير الأنامْ
ففيهِ أنوارُ الهُدىٰ أشرقَتْ — وعن طريق الحقّ أجلىٰ الظَلامْ
وحينَ قالوا : علمُه دافِقٌ — أرّخْتُه : « دفق كصوب الغمامْ »

١٤١٤

المقطوعة الثالثة

إقرأ كتاباً بِيَراع الرضا — فيه لنا قد خُطّتِ الأسطرُ
فقل له فضلٌ علىٰ غيره — وثُمَّ أرّخ « فَيَدٌ تُذْكَرُ »

المقطوعة الرابعة

«محمّد الرضا» قد فُزْتَ في ما ... به وافيتنا فوزاً عظيما
رسمتَ حقيقةً لاريبَ فيها ... وسفّهتَ المُبْطَّنَ والسقيما
فسِفْركم «الجهاد» دليلُ خيرٍ ... ونورٌ في البلاد سرىٰ عميما
«لِزين العابدين» حوىٰ دروساً ... لها أطلقتُمُ قلماً سليما
سيأتيكم غَداً عوناً ويأتي ... لمنْ كَذَبوا عليه غداً خصيما
فِدىٰ مجموعةِ الأبطال رُوحي ... إماماً كانَ مِقداماً حليما
سِياسيّاً أبِيّاً أرْيَحيّاً ... وإنْ نالَ الورىٰ عُسْرٌ كريما
إلى العَليا به سلكتْ جدودٌ ... وآباءٌ صِراطاً مستقيما
كتبتَ به صحائفَ محكماتٍ ... فدُمْ في ما تسجّله حكيما
بذكرك قد أشدْتُ ولا أُبالي ... وقلتُ ـ مسبّحاً ربّاً عليما
لمن قالوا: أتعرف للجلالي ... كتابَ هُدىً حديثاً أو قديما؟
ـيداه لجانب التاريخ «صدقاً ... بجدٍّ قدّمَتْ دُرّاً يتيما»

١٤١٤

الملحق (٣)

تقرير موجز عن المباراة الفكرية عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين السجّاد عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالىٰ: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربىٰ ﴾ [الشورىٰ ٢٣].

أعلنت مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ـ فرع بيروت ـ مباراة كتابية عن الإمام السجاد عليه السلام ودعت السادة الكتّاب والمؤلّفين والمحقّقين للمشاركة فيها إحياءً لأمرهم عليهم السلام، وفق بيانات وشروط علمية.

وفي المواعيد المحددة لمباراة الإمام السجّاد عليه السلام وصل إلى المؤسسة أربعة وعشرون كتاباً من مختلف أنحاء العالم، وهي كالآتي:

١ـ جهاد الإمام زين العابدين عليه السلام ـ السيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

٢ـ الصحيفة السجادية خصائصها ومضامينها ـ الدكتور شلتاغ عبود.

٣ـ الإمام زين العابدين عنقود مرصع ـ الأستاذ سليمان كتّاني.

٤ـ إمامة علي بن الحسين عليه السلام دراسة وتحليل ـ الأستاذ محمود محمد كلوت.

٥ـ في رحاب سياسة الإمام زين العابدين عليه السلام ـ الشيخ محمود البغدادي.

٦ـ الحياة السياسية للإمام السجاد عليه السلام ـ الشيخ نوري حاتم.

٧ـ ضفة النور ـ الأستاذ عبدالمجيد فرج الله.

٨ـ الإمام السجاد عليه السلام امتداد النبوة في حركية الرسالة ـ الأستاذ نبيل علي صالح.

٩ـ الإمام علي بن الحسين من المهد إلى اللحد ـ الأستاذ عدي محمد أحمد.

١٠ـ الإمام السجاد جهاد وأمجاد ـ الدكتور حسين الحاج حسن.

١١ـ ترجمة الإمام السجاد في كتاب تأريخ دمشق لابن عساكر «تحقيق

مخطوطة» ـ الشيخ محمد باقر المحمودي.

١٢ـ حياة الإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ الشيخ ياسين محمد عمار.

١٣ـ قراءة في حياة الإمام السجاد عليه‌السلام ـ الأخ نوري نعمة البطاط.

١٤ـ وصي الرسول الرابع الإمام علي بن الحسين السجاد عليه‌السلام عصره وحياته ـ الشيخ أحمد علي رجب.

١٥ـ هيبة الحقّ ـ الأستاذ عبدالزهرة الركابي.

١٦ـ الإمام زين العابدين في شعر القدماء والمعاصرين ـ الأستاذ إسماعيل الخفاف.

١٧ـ آفاق قرآنية في فكر الإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ الشيخ طالب السنجري.

١٨ـ ديوان الإمام السجّاد عليه‌السلام ـ السيد مجيب الرفيعي.

١٩ـ الإمام السجاد عليه‌السلام قدوة العبّاد وأرباب السياسة ـ الأخ أبوصلاح المظفر.

٢٠ـ ومضات من حياة الإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ الأخ محمد الحاجي.

٢١ـ شرح الصحيفة السجادية للميرزا محمد بن محمد رضا المشهدي، «تحقيق مخطوطة» ـ الشيخ محمد رضا آل صادق.

٢٢ـ في رحاب أميرالعابدين وزين الساجدين ـ الدكتور عارف ثامر.

٢٣ـ عبرات المحبين عن الإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ الأخ صاحب الباقر.

٢٤ـ سيرة ومسيرة الإمام زين العابدين عليه‌السلام ـ الأخ علي سعيد.

وقد تشكّلت لجنة من الأساتذة للتحكيم والإشراف على المباراة وفرز الفائزين الثلاث الأوائل، وبعد مطالعة دقيقة للكتب المشاركة استمرت عدة أشهر، أعلنت اللجنة نتائج المباراة، في تقرير، نصه:

«بتأريخ الخميس ١٠/٦/١٩٩٣، اجتمع في مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام ـ بيروت، أعضاء اللجنة المكلّفة دراسة الأبحاث المقدّمة للمؤسسة حول شخصية الإمام السجاد وتراثه، والمكونة من السادة:

الدكتور محمد كاظم مكي، الدكتور يحيىٰ الشامي، الدكتور سمير سليمان، الأستاذ حامد الخفاف.

وبعد مراجعة التقارير الخطيّة الموضوعة من قبل أعضاء اللجنة تبيّن أن الباحثين المبينة أسماؤهم أدناه قد فازوا بالمراتب التالية:

١ـ السيد محمّد رضا الحسيني الجلالي، الفائز بالجائزة الأولىٰ.

٢ـ الدكتور شلتاغ عبود، الفائز بالجائزة الثانية.

٣ـ الأستاذ سليمان كتاني، الفائز بالجائزة الثالثة.

الفهارس العامّة

دليل الفهرسة ٣٠٢

أوّلاً: الآيات الكريمة ٣٠٩

ثانياً: الأحاديث الشريفة والآثار ٣١٢

ثالثاً: الأعلام ٣٢٢

رابعاً: المواضع والأيام والقبائل والمصطلحات ٣٢٦

خامساً: قائمة المصادر والمراجع ٣٢٩

سادساً: فهرس المحتوىٰ ٣٤٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

دليل الفهرسة

١ـ الفهارس مرتّبة علىٰ أرقام صفحات الكتاب .

٢ـ فهرس الآيات مرتّب علىٰ ترتيب السور ، ثم الآيات في كل سورة ، بارقامها بين الأقواس .

٣ـ فهرس الأحاديث والآثار مرتّب علىٰ أطراف الجملة المنقولة في الكتاب ، حسب حروف المعجم ، ووضعنا أسماء القائلين بين قوسين في نهاية المنقول .

٤ـ في فهرس الأعلام ، لم نذكر اسماء المعصومين عليهم‌السلام .

٥ـ الحرف (هـ) قبل الرقم يدل علىٰ ورود العنوان في هامش الصفحة .

والله الموفّق

أوّلاً: فهرس الآيات الكريمة

البقرة (٢)

* الآية (٢٠٦) اقتباس / ١٧٦.
* ولكم في القصاص حياة (١٧٩) / ٨٦.
* أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم... (٢١٤) / ١٢٧.

آل عمران (٣)

* لن تنالوا البرّ حتّىٰ تنفقوا ممّا تحبون (٩٢) / ١٤٩.
* واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا (١٠٣) / ١٣٥.
* والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحبّ المحسنين (١٢٤) / ١٤٨.
* لتبيّننه للناس ولا تكتمونه (١٨٧) / ٢٢٨.

الأنعام (٦)

* وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا (٦٨) / ١٢٢.
* الله أعلم حيث يجعل رسالته (١٢٤) / ١٢١ ـ ٢٢٦.

الأعراف (٧)

* فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب... (١٦٩) / ٢٢٨.
* إنّ الذين اتقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون (٢٠١) / ١ ـ ١٦٢.

الأنفال (٨)

* القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل... يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا (٤١ ـ ٤٥) / ٨٧.

التوبة (٩)

* إنّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم... وبشر المؤمنين (١١١) / ٢٤.

يونس (١٠)

* إنّما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه... لقوم يتفكرون (٢٤) / ١٦٣.

هود (١١)

* ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار (١١٣) / ١٦٣.

إبراهيم (١٤)

* لئن شكرتم لازيدنكم (٧) / ١٧٠ .
* لئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد (٧).
* ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد (١٤) / ١٦٦ .

النحل (١٦)

* أفأمن الذين مكروا السيئات أن يخسف الله بهم ... أو يأخذهم علىٰ تخوّف (٤٥ـ٤٧) / ١٦٢ .

الاسراء (١٧)

* ولاتقف ما ليس لك به علم (٣٦) / ١٢٢ ـ ١٢٣ .

مريم (١٩)

* هل تحسّ منهم من أحد أو تسمع لهم ركزاً (٩٨) / ٢٢٠ .
* أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيّاً (٥٩) / ٢٣٠ .

الانبياء (٢١)

* وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة ... حتّىٰ جعلناهم حصيداً خامدين (١١ ـ ١٥) / ١٦٢
* ولئن مسّتهم نفحة من عذاب ربك (٤٦) / ١٦٢ .
* ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ... وكفىٰ بنا حاسبين (٤٧) / ١٦٢ .
* إن هذه امتكم امة واحدة وأنا ربكم فاعبدون (٩٢) / ١٣٥ .
* من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون (٩٤) / ١٦٦ .

الحج (٢٢)

* إنّ الله لايحب كلّ خوّان كفور (٣٨) / ٢١١ .

المؤمنون (٢٣)

* حتّىٰ إذا جاء أحدهم الموت قال ربّ ارجعون لعلي أعمل صالحاً (١٠٠) / ١٦٥
* فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ (١٠١) / ١٣٨ .

الاحزاب (٣٣)

* الآية (٥٧) اقتباس / ١٧٦ .

فاطر (٣٥)

* ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ، ومنهم مقتصد ، ومنهم سابق بالخيرات (٣٢) / ٢٠ .

الزمر (٣٩)

* الله يتوفى الأنفس حين موتها (٤٢) / ٩٠.

* الحمد لله الذي صَدقنا وعده وأورثنا الأرض ...الآية (٧٤) / ٢٣٨.

الشورىٰ (٤٢)

* قل لا أسالكم عليه أجراً إلّا المودّة في القربىٰ (٢٣) / ٥٦.

* ولمن انتصر بعد ظلمه ...من عزم الامور (٤١ـ٤٣) / ٢٩٤

الجاثية (٤٥)

* قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله (١٤) / ١٤٨.

الذاريات (٥١)

* وذكر فان الذكرىٰ تنفع المؤمنين (٥٥) / ٢٢٩.

الحديد (٥٧)

* اعلموا أنما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة ... والله ذو الفضل العظيم (٢٠ ـ ٢١) / ١٦٧.

* لكي لا تأسوا علىٰ ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم (٢٣) / ١٧٠ ـ ١٧١.

الحشر (٥٩)

* يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ... اولئك هم الفاسقون (١٨ ـ ١٩) / ١٦٧.

التغابن (٦٤)

* إنما أموالكم واولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم (١٥) / ١٦٦.

البلد (٩٠)

* ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين (٨ ـ ١٠) / ١٦٧.

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة والآثار

* آيات القرآن خزائن العلم، فكلما فتحت خزانة (السجّاد) / ٨٥.
* أءتي مَنْ انتفع بمجالسته في ديني (السجاد) / ١٣٨.
* أبعدوا عن الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه (السجاد) / ١٧٣.
* ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا (النبي للحسنين) / ٢٥.
* أترىٰ هذا المترف ـ عمر بن عبدالعزيز ـ إنه لن يموت حتّىٰ يلي الناس... (السجاد) / ٢١٧.
* أحرم علي بن الحسين عليه السلام فلما أراد أن يقول (لبيك اللهم لبيك)... (مالك) / ١٦٤.
* احفظوني في عترتي وأهل بيتي فمن حفظني حفظه الله... (النبي) / ٤٩.
* أخشىٰ أن اقول (لبيك) فيقول لي (لا لبيك) (السجاد) / ١٦٤.
* ادع لي مطرفاً (السجاد) / ١٤٦.
* إذا أردت أن تعلم مَنْ غلب فاذن ثم أقم (السجاد) / ٢٤٠.
* إذا رأيتم الرجل قد حسّن سمته وهدية... فرويداً لايغرّنكم... (السجاد) / ١٧٥.
* إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم (في الآية ١١١ من التوبة) فالجهاد معهم أفضل من الحج (السجّاد) / ٢٤.
* إذا كان يوم القيامة نادىٰ منادٍ: أين زين العابدين؟... (النبي) / ٣٥،٣٦،٣٧.
* أذنب غلام لعلي بن الحسين ذنباً استحق منه العقوبة.... ١٤٨.
* إذهب، فأحبّ أبابكر وعمر، وتولّها فما كان من إثم ففي عنقي. (السجّاد) ١٠٤.
* ارتد الناس بعد قتل الحسين إلاّ... ثم إن الناس لحقوا (الصادق) / ٧٢،٧٣.
* استعن بنا على ما شئت (السجاد) / ١٢٠.
* استنماء المال تمام المروءة (السجاد) / ١٤٣.
* اصبحنا في قومنا بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون... فهكذا أصبحنا... (السجاد) / ٥٥.
* أطرق واصمُت والزم منزلك واعبد ربك حتّىٰ يأتيك اليقين (حديث اللوح) / ٦٣.
* اعلم ـ رحمك الله ـ أنّ لله عليك حقوقاً محيطة بك... (رسالة الحقوق للسجّاد) / ٢٧١ ـ ٢٩٦
* أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر (النبي) / ٤٩.
* ألا من أجور الناس مَنْ رأىٰ جوره عدلاً وعدل المهتدي جوراً (السجّاد) / ٩١.
* إلىٰ مَنْ يذهب الناس... قل لهم يجيئون

إليَّ (السجاد) / ٩٧.
* الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله ونصر أميرالمؤمنين وحزبه (عبيدالله بن زياد) / ٩٠.
* الحمد لله الذي جعل مملوكي يامنني (السجاد) / ١٤٨.
* الحمد لله رب العالمين ... أيها القوم إن الله تعالى ابتلانا بمصائب (السجّاد) / ٦٦.
* اللهم اسقنا الغيث وانشر علينا رحمتك بغيثك المغدق ... (دعاء الاستسقاء للسجّاد) / ٢٠٠ـ٢٠١.
* اللهم انك أيدت دينك في كلّ أوان بإمام أقمته علما ... (السجاد) / ٩٨.
* اللهم، إن هذا المقام لخلفائك وأصفيائك (السجاد) / ٩٩.
* اللهم رب السماوات السبع وما أظللن (السجاد) / ٧١.
* اللهم صلّ علىٰ محمّد واله، وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك ... (دعاء الثغور للسجاد) / ١٩٦ـ١٩٩.
* اللهم، وصلّ علىٰ أوليائهم المعترفين بمقامهم. (السجاد) / ١٢٦.
* ألهتنى النار الأُخرىٰ (السجاد) / ١٦٥.
* إلهي، بدت قدرتك ولم تبد هيبة جلالك فجهلوك ... (السجاد) / ٩٢.
* أما أنت يا عروة فإن ابي حاكم أباك ... وأما أنت يا زهري ... (السجاد) / ٢٢٧.
* أما إنه سيلي ثم يموت فيبكي عليه أهل الأرض ويلعنه أهل السماء (الباقر) هـ٢١٧.
* أما بعد، فانظر دماء بني عبدالمطلب فاحتقنها واجتنبها ... (رسالة عبدالملك إلى الحجاج) / ٢٠٧.
* أما بعد، فانك كتبت يوم كذا وكذا من ساعة كذا وكذا ... (رسالة السجاد الىٰ عبدالملك) / ٢٠٧.
* أما بعد، فإن الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون ... (السجاد) / ٢١١.
* أما بعد، فإني لا أعلم أصحاباً أوفىٰ ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ من أهل بيتي (الحسين) / ٤٥.
* أما بعد، فقد بلغني كتابك تعنّفني فيه بتزويجي مولاتي وتزعم ... (السجاد) / ١٣٩.
* أما ترضىٰ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا انه لا نبيّ بعدي ... فمن هذا هو من رسول‌الله ﷺ بمنزلة هارون من موسىٰ (السجاد) / ١٠٧.
* أما الجنّة فلن تفوتكم ولكن تنافسوا في الدرجات. (السجاد) / ١٢٦.
* اما الحسين (الأصغر) فحليم يمشي على الارض هونا (الباقر) / ١٢٩.
* أما لو كنت عندنا بالمدينة لأريناك مواطن جبرئيل من دورنا ... (السجاد) / ١١٣.
* أما والله لولا حضور الحاضر وقيام الحجة

بوجود الناصر ... (أميرالمؤمنين في الخطبة الشقشقية) / ٢٤.
* أنا ابن مكة ومنىٰ، أنا ابن زمزم والصفا، انا ... انا ... (السجّاد) / ٥١ ـ ٥٣.
* إنا أهل بيت نطيع الله في ما نحب ونحمده في ما نكره (السجاد) / ١٨٦.
* إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين (الحجاج لعبدالملك) / ٢١١.
* انا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكىٰ (الحسين) / ١٨١.
* أنا عامل من عمّال الله أُعطي مَنْ أعطاه الله ... (معاوية) / ٩٠.
* إن أفضل الأعمال ما عمل بالسُنّة وإن قلّ (السجاد) / ٨٣.
* إنا قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويدع الصلاة (أهل المدينة في ذم يزيد) / ٦٧.
* إنّا من أهل البيت الذي افترض الله مودّتهم علىٰ كل مسلم ... (السجّاد) / ٥٦.
* انتظار الفرج عبادة (النبي) / ٨٤.
* أنت سيد الناس تذهب إلىٰ هذا العبد وتجالسه ؟ (رجل للسجاد) / ١٣٧.
* أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ (النبيّ) / ١٧ ولاحظ ١٠٧.
* إن الامام عليه السلام قاسم الله تعالىٰ ماله مرتين / ١٤٣.
* إنّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، وإرث الأوصياء ... (الرضا) / ١٨.
* إنَ دين الله لا يصاب بالعقول الناقصة ... (السجاد) / ١١٣.
* إنّ الصدقة في سواد الليل تطفيء غضب الرب (السجاد) / ١٤١.
* انظروا، مَنْ قامت عليه البيّنة أنّه يحب علياً وأهل بيته، فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه (معاوية) / ١٤٠.
* إن علامة الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة تركهم كل خليط وخليل ورفضهم ... (صحيفة الزهد للسجاد) / ١٦٥ ـ ١٦٧.
* إنّ علي بن الحسين أفقه أهل البيت (الشافعي) / ١١٤.
* إن علي بن الحسين عليه السلام كان يحمل الخبز بالليل علىٰ ظهره يتبع به المساكين (أبوحمزة الثمالي) / ١٤١.
* إنّ غبن المسترسل ربا / ٢٨٩.
* إن الغناء في المدينة لاينكره عالمهم ولا يدفعه عابدهم (ابو الفرج) / ١٥٩.
* إن قاتل أبي أفسد بما فعله دنياه عليه، وأفسد أبي عليه آخرته فإن أحببت أن تكون هو، فكن (السجاد) / ٢٠٩.
* إن قتل الحسين أشد ما كان في الاسلام على المسلمين ... (عبيدالله بن سليمان) / ٧٢.
* إنّ القدر والعمل بمنزلة الروح والجسد ...

ولله فيه العون لعباده الصالحين (السجاد) / ٩١.

* إن قرّاء القرآن لم يذهبوا إلى الحجّ إلّا اذا ذهب علي بن الحسين (سعيد بن المسيب) / ٨٥ـ٨٦.

* إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد... (السجاد) / ١٧٠.

* إن كان حبٍّ أهل البيت رفضاً، فنَعَمْ (الفرزدق) في جواب: أورافضيٌّ أنتَ؟) / ٢١٥

* إنك علمت أن في أكفائك من قريش من تتمجّد به في الصهر (عبدالملك للسجاد) / ١٣٨.

* إن للحمق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف... فنعوذ بالله من تلك الدول
* ومن الحياة في النقمات. (السجاد) / ١٣٣.

* إنّ الله تعالىٰ مسخ اولئك القوم لاصطيادهم السمك، فكيف ترىٰ ـ عند الله عزّوجلّ ـ يكون حال من قتل أولاد رسول الله ﷺ وهتك حريمه... (السجاد) / ٨٧.

* إنّ الله عزوجل أوصىٰ بخلقه علىٰ لسان النبي إلىٰ علي بن أبي طالب والحسن والحسين وإلى الأخيار من ذريّة الحسن والحسين أوّلهم علي بن الحسين، وآخرهم المهدي (الهادي إلى الحق) / ٣٠.

* إنّما يجلس الرجل حيث ينتفع (السجاد) / ١٣٨.

* إنه (السجاد) كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، حتّى ان السقائين... / ٨٥.

* إنه كان كذاباً يكذب على الله ورسوله (السجاد) / ٢٣٦.

* إن يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا / ٢٨٨.

* إني رأيت مساجدهم (أهل المدينة) لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية (عروة) / ١٦٠.

* إن يزيد لرجل ليس له دين (اهل المدينة) / ٩٥.

* إني لاستحيي من الله عزوجل أن أرىٰ الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا (السجاد) / ١٤٣.

* ايها الناس، اتقوا الله واعلموا انكم إليه راجعون، فتجد كل نفس ما عملت... (السجاد) / ١٦٠.

* أيها الناس، ان كلّ صمت ليس فيه فكر فهو عيّ... (السجّاد) / ٤٩.

* أيها الناس، أعطينا ستّاً وفضلنا بسبع... (السجاد) / ٥١.

* أو ما علمت يابن أخي: إن قائمنا لقاعدنا وقاعدنا لقائمنا... (زيد الشهيد) / ١٣٠.

* بليّة الناس علينا عظيمة إن دعوناهم لم يستجيبوا لنا (الباقر) / ١٠٢.

* بمنزلتهما منه الساعة (السجاد) / ١٠٣.
بُنيّ، إنّي جعلتك خليفتي من بعدي لايدّعيها في ما بيني وبينك أحد... (السجاد) / ٩٩.
* التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كنابذ كتاب الله وراء ظهره إلّا أن يتقي تقاة (السجّاد) / ٢٧.
* تجمع بالمدينة قوم من السودان غضبا لابن الحنفية ومراغمة لابن الزبير (البلاذري) / ١٤٧.
* تدرون بين يدي مَنْ أريد أن أقوم؟ (السجاد) / ١٦٤.
* ثمانية (الأئمة من بعد السجاد) لأنّ الأئمة بعد رسول‌الله عليه السلام اثنا عشر اماماً... (السجاد) / ٩٧.
* جرى الأمر في ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الصفوة بعد الصفوة لايكون إلّا في خير أهل زمانه وأكثرهم اجتهاداً.... (القاسم) / ٣٠.
* جعلت جارية لعلي بن الحسين تسكب عليه الماء... فسقط الابريق / ١٤٨.
* حتّام إلى الدنيا غرورك وإلىٰ عمارتها ركونك (السجاد) / ٢٢٦.
* خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ عليه السلام (خاتم السجاد) / ١٨٥.
* خير هذه الأُمة بعد نبيها (أميرالمؤمنين) / ١٠٧.
* دخل علي بن الحسين على محمد بن اسامة ابن زيد في مرضه (عمرو بن دينار) / ١٤٣.
* ذات كرب وبلاء، هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم... (عليّ) / ١٨١.
* رحم الله عبداً قال خيراً فغنم أو صمت فسلم (النبي) / ١٢٣؛.
* رسول الله يسلم عليك (جابر للباقر) / ٣٦.
* زره كل يوم، فإذا لم تقدر فكل جمعه (السجاد) / ١٨٤.
* سادة الناس في الدنيا الاسخياء... (السجاد) / ١٢٢.
* سبحان الله، أخبرني ابي والله ان مهر أُمي كان مما بعث به المختار (الباقر) / ٢٣٩.
* سمعت علي بن الحسين وكان أفضل هاشمي أدركته. (يحيىٰ بن سعيد) / ١٦٨.
* سيّدي بمحبتك إلّا سقيتهم الغيث (السجاد) / ١٧٣.
* الصوم جُنّة من النار / ٢٧٧.
* ضمّ الامام السجّاد عليه السلام إلىٰ نفسه أربعماءة منافية يعولهنّ... / ٦٩.
* العامل بالظلم والمعين له والراضي به شركاء ثلاثة (السجاد) / ٢٢٢.
* عباد الله هذا قصاص قتلكم لمن تقتلونه في الدنيا وتفنون روحه، أفلا... (السجاد) / ٨٦.
* العصبية التي يأثم صاحبها أن يرى

الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين... (السجاد) / ١٣٩.
* علي بن الحسين أعظم الناس عليَّ مِنّةً (الزهري) / ٢٢٦.
* عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده... فمن قرأ منها قال له: إقرأ وارق... (السجاد) / ٨٥.
* عليكم بأداء الامانة، فوالذي بعث محمداً بالحق نبياً، لو أنّ قاتل أبي الحسين ائتمنني على السيف... (السجاد) / ١٨٦.
* الفكرة مرآة تري المؤمن حسناته وسيّئاته (السجاد) / ١٢٢.
* فكيف أصنع بحديث حدثنيه سعيد... (السجاد) / ١٠٧.
* فما تمدّون أعينكم؟ لقد كان مَنْ قبلكم ممن هو على ما أنتم عليه، يؤخذ وتقطع يده ورجله ويصلب! (السجاد) / ١٢٧.
* فوالله، لقد امتلأ ثوبي منه خيفة (عبدالملك ابن مروان) / ١٧٧، ٢١٣.
* قاتلوهم ولا تأثموا من قتالهم بنيّة ويقين (يحيىٰ بن ام الطويل) / ١٢٨.
* قتل أبي الناسُ (السجاد) / ٩٠.
* قوموا عنّي، لاقرّب الله دوركم فإنّكم متسترون بالإسلام ولستم من أهله (السجاد) / ١٠٥.
* كان ابي علي بن الحسين عليه السلام قد اتخذ منزله ـ من بعد مقتل أبيه الحسين عليه السلام ـ بيتاً من شَعْر وأقام بالبادية... (الباقر) / ٦١.
* كان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الصلاة اقشعر جلده... (الصادق) / ١٦٥.
* كان علي بن الحسين عليه السلام إذا مشىٰ لايجاوز يديه فخذيه ولا يخطر بيده / ١٦٤.
* كان علي بن الحسين أفضل هاشمي أدركته. (حماد بن زيد) / ١٦٨.
* كان علي بن الحسين يُبخّل، فلما مات وجدوه يعول مائة أهل بيت بالمدينة (شيبة ابن نعامة) / ١٤٢.
* كان علي بن الحسين يجلس كل ليلة هو وعروة في مؤخّر مسجد النبي صلى الله عليه وآله (عبدالله ابن حسن) / ١٣٢.
* كان علي بن الحسين عليه السلام يخرج علىٰ راحلته إلىٰ مكة ويرجع لا يقرعها / ١٦٥.
* كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا... في كل جمعة في مسجد رسول‌الله صلى الله عليه وآله (سعيد بن المسيب) / ١٦٠.
* كان عند الامام قوم فاستعجل خادم له شواءً كان في التنور... / ١٤٩.
* كان ناس من أهل المدينة يعيشون لايدرون من أين كان معاشهم، فلما مات علي بن الحسين عليه السلام فقدوا ما كان يؤتون به بالليل. (محمد بن إسحاق) / ١٤١.

* كتاب الله وكلامه (السجّاد في القرآن) / ٨٦.
* كذبت يا زهري كان يسكته الحصر، وينطقه البطر (يعني معاوية) (السجاد) / ٢٢٨.
* كفانا الله وإياك من الفتن ورحمك من النار... (رسالة السجاد الى الزهري) / ٢٢٧ ـ ٢٣٠.
* كفانا الله وإيّاكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين و... (السجاد) وهي رسالته الىٰ أصحابه / ١٢٣ ـ ١٢٥.
* كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء. (يحيىٰ بن ام الطويل) / ١٢٨.
* كُنا نعلّم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن (السجاد) / ٧٥.
* لا تلوموني، فإن يعقوب عليه السلام فقد سبطاً من ولده فبكىٰ حتّى ابيضت عيناه... (السجاد) / ١٨٣.
* لاتنتقص عليا، فإن الدين لم يبن شيئا فاستطاعت الدنيا أن تهدمه... (عامر بن عبدالله بن الزبير) / ٢١٩.
* لاحسب لقرشيّ، ولا عربي، إلّا بالتواضع، ولا كرم إلّا بالتقوىٰ... (السجاد) / ١٣٩.
* لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. / ٢٨٠ه.
* لا قدست امة فيها البربط (السجاد) / ١٦٠.
* لا يفخر أحد علىٰ أحد فانكم عبيد والمولىٰ واحد (السجاد) / ١٣٧.
* لا يقول رجل في رجل من الخير ما لا يعلم إلّا أوشك أن يقول فيه من الشر ما لا يعلم... (السجاد) / ٢٢٢.
* لايوم كيومك يا أبا عبدالله، ويبكي عليك كل شيء (الحسن) / ١٨١.
* لكل واحد منهما (الكلام والسكوت) آفات، وإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت (السجّاد) / ٥٧.
* لما مات علي بن الحسين عليه السلام وجدوا بظهره أثراً... مما كان ينقل الجراب... (عمرو بن ثابت) / ١٤٢.
* لو أن الدنيا كانت في كف هذا ثم سقطت منه ما كان ينبغي له ان يبكي (السجاد) / ١٨٧.
* لولا العامان لهلك النعمان (ابو حنيفة) / ١١٤.
* لو لم يرني الله أهلاً لهذا الأمر ما تركني وإيّاه (معاوية) / ٨٩.
* لو مات ما بين المشرق والمغرب ما استوحشت بعد ان يكون القرآن معي (السجاد) / ٨٥.
* لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه...

ولو بسفك المهج وخوض اللجج (السجاد) / ١٢٢.

* ليس لك ان تقعد مع من شئت، لأن الله تعالىٰ يقول في الانعام ... (السجاد) / ١٢٢.

* ما بمكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا (السجاد) / ٥٩، ٦٨.

* ما تدرون بين يدي مَنْ أقوم؟ ومَنْ أناجي؟ (السجاد) / ١٦٤.

* ما ندري كيف نصنع بالناس إن حدثناهم ... (السجاد) / ١٠٢.

* ما رؤي في أولاد الانبياء مثل علي بن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب ... (جابر) / ١٦٩.

* ما رأيت أورع منه (سعيد بن المسيب) / ١٦٨.

* ما رأيت قرشيا أو هاشمياً أفضل من علي بن الحسين (الزهري) / ١٦٨.

* ما رأيت هاشميّاً أفضل من علي بن الحسين وما رأيت أحداً كان أفقه منه. (ابوحازم) / ١١٣.

* ما زال الزبير منا أهل البيت حتّىٰ أدرك فرخه فنهاه عن رأيه (الصادق) / ٢٣٤.

* ما فقدنا صدقة السرّ حتّىٰ مات علي بن الحسين (أهل المدينة) / ١٤٢.

* ما كان ذلك لرأي مني لقد مليء قلبي منه رعباً (مسرف بن عقبة) / ٧١، ١٧٧.

* ما من عمل بعد معرفة الله تعالىٰ ومعرفة رسول‌الله ﷺ أفضل من بغض الدنيا ... (السجاد) / ٢٢٦.

* ما ندري كيف نصنع بالناس إن حدثناهم ... ضحكوا وإن سكتنا لم يسعنا (السجّاد) / ٨٣.

* ما هذا الجهد الذي كلّفته نفسك فانك من اسرة بهم يستدفع البلاء ... (جابر للسجاد) / ١٦٨.

* مرحباً بكم، انتم ودائع العلم (السجاد) / ١٢٢.

* مرحباً بوصيّة رسول‌الله ﷺ (السجاد) / ١٢٢.

* مطل الغنيّ ظلم (رسول‌الله) / ٢٨٩.

* معاشراً أولياء الله، إنّا بُرءاء مما تسمعون، من سب علياً عليه السلام فعليه لعنة الله ... (يحيىٰ ابن ام الطويل) / ١٢٧.

* مقتضىٰ مذهبك، والدك ليس بإمام فإنّه لم يخرج قط ولا تعرّض للخروج (الباقر لزيد) / ٣٢.

* مَنْ أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب منها إرباًمنه ... (النبيّ) / ١٤٦.

* مَنْ أمر بالمعروف ونهىٰ عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله (النبي) / ٢٦.

* من ختم القرآن بمكة لم يمت حتّىٰ يرىٰ رسول‌الله ﷺ ويرىٰ منزله في الجنة (السجاد) / ٨٥.

* من ظلم معاهداً كنت خصمه (رسول‌الله) / ٢٩٦.
* من قال فينا بيتاً من الشعر بنى الله له بيتا في الجنة (حديث) / ١٨٨.
* من لاق لهم دواة أو قطّ لهم قلما أو خاط لهم ثوباً، أو ناولهم عصا (حديث) / ٢٢١.
* مَنْ مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنا وإن سرق (النبي) / ٩٥.
* من مات لايعرف إمامه ـ أو ـ ليس له إمام، مات ميتة جاهلية (النبي) / ٣٣.
* من يقوىٰ علىٰ عبادة عليّ بن أبي‌طالب عليه‌السلام ؟ (السجاد) / ١٦٩.
مهلاً عن الرجل ... ماستر عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة (السجاد) / ١٤٧.
* نادىٰ علي بن الحسين عليه‌السلام مملوكه مرتين فلم يجبه / ١٤٨.
* نحن أئمة المسلمين وحجج الله علىٰ العالمين وسادة المؤمنين ... (السجاد) / ٩٧.
* نحن أبواب الله ونحن الصراط المستقيم ونحن ...(السجاد) / ٣٧.
* نحن أفراط الأنبياء، وأبناء الاوصياء ... (السجاد) / ٩٧.
* نزلت (آية (٣٢) فاطر) فينا أهل البيت (السجاد) / ٢٠.
* هذا الذي تعرف البطحاء وطأته (ميمية الفرزدق) / ٢١٤.
* هذا ـ بدعٌ، فمن قرأ القرآن واستقبل القبلة فصلوا خلفه ... (السجاد) / ١٠٩.
* هيهات هيهات ومسألتي ان لا تكونوا لنا ولا علينا. (السجاد) / ٦٢.
* هيهات هيهات يا طاوس دع عني حديث أبي وأمي وجدّي، خلق الله الجنة لمن أطاعه ... (السجاد) / ١٣٨.
* وأما وجه الحرام من الولاية، فولاية الوالي الجائر وولاية ولاته ... (الصادق) / ٢٢١.
* واهاً لك من تربة، ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب (عليّ) / ١٨١.
* والله، إنّا خرجنا لنردكم عن باطلكم إلىٰ حقنا (رباح غلام ابن عمر) / ١٤٧.
* وجدناه في الصحيفة واللوح اثنا عشر اسما مكتوبة إمامتهم (السجاد) / ١٠٠.
* وكان علي بن الحسين عليلاً، وارتث يومئذ وقد حضر بعض القتال (تسمية من قتل) / ٤٣.
* وكنتم علىٰ شفا حفرة من النار مذقة الشارب ونهزة الطامع ... من خطبة الزهراء عليها‌السلام / ١٥٩.
* وكيف بهم ؟ وقد خالفوا الآمرين ... (السجاد) / ١١١.
* وما أطاق عمل رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله من هذه الامة غيره (غير علي) وما أشبهه من ولده ... من علي بن الحسين.

(الصادق) / ١٦٩.
* وهذه الرزية التي لا مثلها رزية (السجاد) / ١٨٤.
* وهل البكاء إلّا للمحن الكبار، وأيّ محنة أكبر من أن يرىٰ الإنسان... (السجاد) / ١٤٢.
* ويحقّ علىٰ مَنْ أراد الله والانتصار للدين أنْ لا يظهر نفسه ولا يعود بسفك دمه ودماء المسلمين وإباحة الحريم إلّا ومعه فئة... (الحسن) / ٢٤.
* ويلك أيها الخاطب اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق (السجاد) / ٥١.
* يا أباعبدالله، إلى ابني هذا ـ وأشار إلى الباقر عليه السلام فإنه وصيّي... ليست الإمامة بالكِبَر والصِغَر (السجاد) / ٩٩.
* يا أباعبدالله، لتلدنَّ لك خير أهل الأرض (أميرالمؤمنين للحسين) / ٣٧.
* يا أخي عليك بالصبر إلّا أن تجد أعواناً وأنصاراً فاشهر سيفك حينئذٍ... (النبي لعلي) / ٢٤.
* يا بنيّ، أعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي... (السجاد) / ١٦٩.
* يا جابر، لا أزال علىٰ منهاج أبويّ مؤتسيا بها حتّىٰ ألقاهما (السجاد) / ١٦٩.
* يا جابر يولد له (للحسين) مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادىٰ مناد... ثم يولد له ولد اسمه محمد فإن ادركته يا جابر فأقرئه مني السلام... (النبي) / ٣٦.
* يا حجّاج، عمدت إلىٰ بناء إبراهيم واسماعيل عليهما السلام وألقيته في الطريق، كانك ترى انه تراث ابيك (السجّاد) / ١١٥.
* يا زهري، أوتظنّ هذا مما ترىٰ عليّ وفي عنقي يكرثني.... (السجاد) / ٢١٢.
* يا زهري، قنوطك من رحمة الله... اعظم من ذنبك (السجاد) / ٢٢٦.
* يا علي، إن من اعتزل أهل الجور والله يعلم منه سخطه لأعمالهم... (عروة للسجاد) / ١٣٣.
* يا علي بن الحسين، إني لستُ قاتل ابيك (عبدالملك) / ٢٠٩.
* يا عمّ، لو أن عبداً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس مؤازرته، وقد وليتك هذا الأمر فاصنع ما شئت (السجاد) / ٢٣٥.
* يا نفس حتّامَ إلى الدنيا سكونك وإلىٰ عمارتها ركونك... (السجاد) / ١٧١.
* يا هذا، لو صرت إلىٰ منازلنا لأريناك آثار جبرئيل في رحالنا، ايكون أحدٌ أعلم بالسُنّة مِنا (السجاد) / ١١٢.
* يخرج من صلب محمد ابني سبعة من الاوصياء فيهم المهديّ (السجاد) / ١٠٠.
* يولد لابني هذا (الحسين) ابن يقال له «علي بن الحسين» إذا كان يوم القيامة نادىٰ... (النبيّ) / ٣٦، ٣٧.

ثالثاً : فهرس الأعلام

الآبي القاضي / ١٧
آل أعْيَن / ١٢٨
ابان بن تغلب / ١١٥
إبراهيم بن سعد / ١٨٦
إبراهيم بن طلحة بن عبيدالله / ٢٤٠.
أحمد أمين المصري / ٩٤، ١٣٧
أحمد بن الحسين بن هاشم الحسيني شديو، مانكديم / ٣٢
أحمد بن حنبل / ٤٤
إسماعيل بن علي أبوسهل النوبختي / ٦٢
أشعث بن عبدالملك / ١٧٤
الأعمش / ٢٢٤
أبو أيوب الانصاري / ٢٥هـ
بدر الدين الحوثي / ٣٠هـ، ٢٢٥
برّة بنت عروة الثقفي / ٤٣
بشر (بشير) بن حذيم (حذلم) / ٦٥، هـ
أبوبكر / ٨٢، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨
أبوبكر الهذلي / ٣٦
بلال بن ابي بردة / ١٣٦
جابر بن عبدالله الانصاري / ٣٦، ٦٣، ١٦٨، ١٦٩
الجاحظ / ٣٥، ٩٤
جعفر الشهيدي الدكتور السيد / ٢١٤، ٢١٥
الحجاج (الثقفي سفّاك العراق) / ٢، ٣٤هـ، ٥٧، ٨٢، ١١٥، ١١٦، ١٢٨، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١١
حذيم بن شريك الاسدي / ٦٥هـ
الحسن البصري / ١٧٤
الحسن بن عبدالله أبوأحمد / ٣٦
الحسن بن على بن زكريا / ٣٦
الحسن المثنىٰ بن الحسن المجتبىٰ الملقب بالرضا / ٣٢، ٣٣، ٣٤
الحسين الأصغر ابن الإمام السجّاد عليه السلام / ١٢٩، هـ
حفص بن غياث القاضي / ١٧٤
ابو الحكم ابن المختار / ٢٣٩
حُكيم بن جُبير / ١٠٧
حماد بن يزيد / ١٦٨
حماد بن سلمة / ٢٢٤
ابو حمزة الثمالي / ٦١، ١٢٥هـ، ١٢٨، ١٨٤، ١٤١
ابو حنيفة / ٩٦، ١١٤هـ
خارجة بن مصعب / ٢٢٤
ابو خالد الكابلي / ٩٧، ١٢٨
ابن خلدون / ١٣٦
الدارقطني / ٢٢٤
الذهبي / ٣٤
رباح غلام ابن عمر / ١٤٧
ابن الزبير / ٦٨، ٢٣٣، ١٤٧
أبي الزبير (راوي) / ٣٦

الزهـــري / ٣٥، ٨٣هـ، ٩١، ٩٤، ٩٥، ٩٩
١٣٦، ٢١٦، ٢٢٣، ٢١١، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦،
٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١
زيـــد بـــن عـــلي الشـــهيد عليه السلام /
٢٧، ٢٨، ٣٢، ١٢٩
سالم بن ابي حفصة / ١٢٨
سليم بن قيس الهلالي / ١٢٨
سعد بن مالك بن ابي وقاص / ١٠٧، ١٠٨
سعيد بن جبير / ٨٤هـ، ١٢٨
سعيد بن مرجانة / ١٤٦، ١٤٩
ســعيد بــن المسيب / ٣٦، ٨٥، ١٠٧،
١٦٠، ١٦٨
سفيان بن عيينة / ٣٦، ١٦٤
سلمة بن دينار أبو حازم / ٢٢٥
سليمان بن عبدالملك / ٢٢٣
سليمان بن هشام بن عبدالملك / ٢٢٥
الشافعي امام المذهب / ٢٢٤
شبلي / ١٧٥هـ
ابــن شـعبة (الحـراني صـاحب تـحف
العقول) / ٢٢٧
شعيب مولى الامام السجّاد / ١٢٨
ابن شهاب (= الزهري) / ٢٢٥
شهربانويه ـ ام علي بن الحسين ـ / ٣٧، ٤٣
الشهرستاني / ٣١، ٣٢
الشهيد المحلي / ٣٧
شيبة بن نعامة / ١٤٢، ١٧٥هـ
صالح بن كيسان / ٢٢٥
صوحان بن صعصعة بن صوحان / ٦٧
طاوس / ١٧٤
طاوس اليماني / ١٣٨
الطوسي (الشيخ) / ٦٥
عائشة بنت عثمان بن عفّان الاموي (زوجة
مروان) / ٦٩
ابن عائشة / ١٤٢
عامر بن عبدالله بن الزبير / ٢١٨
عامر بن وائلة الكناني / ١٢٨
عبادة بن الصامت / ٩٠
ابن عباس / ٣٦، ٢٣٩
العباس بن بكار / ٣٦
عبدالجبار القاضي / ٨٩
عبدالحق الدهلوي / ٢٢٣
عبدالرحمن بن الأشعث / ٣٣، ٣٤، ١٢٨
عبدالرزاق / ١٤٨
عبدالعزيز سيد الاهل / ١٤٧
عـــبدالغـفار بـن القـاسم الانـصاري ابـو
مريم / ١٤٧
عبدالله بن حسن بن حسن / ١٣٣
عبدالله بن عطاء / ١٤٨
عبدالله بن عطاء التميمي / ٢١٦
عبدالله بن الغسيل / ٦٧
عبدالله بن محمد الباقر / ٧٤
عـــبدالمـــلك بـــن مـــروان / ٧١، ١٣٨،
١٧٧، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١،
٢١٢، ٢١٤هـ

عبيدالله بن زياد / ٩٠
عبيدالله بن سليمان الوزير / ٧٢
عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود / ٢٢٥
عثمان (بن عفان) / ٨٢
عروة بن الزبير / ١٣٢، ١٣٣، ١٦٠، ٢٢٣، ٢٢٦
ابن عساكر / ٣٦
علي بن أحمد أبوالحسن / ٣٦
علي الأصغر الشهيد / ٤٣
علي بن الحسين الشهيد في كربلاء / ٤٢، ٤٣
علي بن محمد بن علي الخزّاز القمي / ٢٨
عمر بن الخطاب / ٨٢، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨
ابن عمر / ١٤٧
عمر بن عبدالعزيز / ٨٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩
عمران بن سليم (راوي) / ٣٥
عمرو بن ثابت / ١٤٢
عمرو بن دينار / ١٤٣
عمرو بن عبيد / ١٧٤
الغزّالي / ٢٢٧
فاطمة بنت الحسين عليها السلام / ١٢٩
فاطمة بنت علي عليها السلام / ٢٣٩
فخر المحققين / ١٧
أبوالفرج الاصفهاني / ١٥٩
الفرزدق / ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦
الفضيل بن الزبَيْر الأسدي الرسّان الكوفي / ٤٢
القاسم بن إبراهيم نجم آل الرسول / ٢٢٥
القاسم بن محمد من ائمة الزيدية / ٢٢٤، ٢٢٥
ابن أبي قرّة / ٦١
ليلى العامرية ام علي الأكبر الشهيد عليه السلام / ٤٣
مالك بن انس فقيه المدينة / ١٥٩، ١٦٤
المأمون العباسي / ٩٤
المؤيد بالله / ٢٢٦
مجد الدين المؤيدي / ٢٢٥
محمد بن اسامة بن زيد / ١٤٣، ١٤٤
محمد بن إسحاق / ١٤١
محمد بن جبير بن مطعم / ١٢٨
محمد بن الحنفية / ١٤٧
محمد بن شيبة / ٢٢٣
محمد بن علي ابن بابويه القمي الصدوق / ٣٥
محمد بن الفرات / ١٠٩
محمد بن مسلم بن شهاب الزهري / ١١٤، ٢٢٧
المختار بن أبي عبيدة / ١٠١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩
المدائني / ٢٢٦
ابن المديني / ٣٦

ابن المرتضىٰ / ٩٠
مروان بن الحكم / ٦٩، ٧٠، ٧١، ٢٠٧
ابن مروان (عبدالملك) / ٢٣٣
المسعودي / ٦٨
مسلم (مسرف) بن عقبة / ٦٣، ٧٠، ٧١، ١٧٧
مصعب بن الزبير / ٢٣٤
مطرف غلام الامام / ١٤٦، ١٤٩
معاوية / ٦٣، ٨٠، ٨٩، ١٣٦، ١٤٠، ٢١٤
معاوية بن عبدالله بن جعفر / ٢٢٥
معاوية بن يزيد بن معاوية / ١٩٤
المفيد (الشيخ) / ١٧، ٢٩، ٣٢، ٣٤
المناوي / ٣٤
المنهال بن عمرو / ٥٥
الموفّق بالله السيد / ٣٦
ميثم التمار / هـ٨٤
نافع بن جبير مولى آل عمر بن
الخطاب / ١٣٧
النسابة (العمري) صاحب المجدي / ٦٥
نصر بن أوس الطائي ابوالمنهال / ٩٧
النعمان القاضي المصري / ٣١
الهادي إلى الحق (= يحيىٰ بن الحسين) / ٣٢
ابو هريرة / ١٤٦
هشام بن إسماعيل اميرالمدينة / ١٢٠
هشام بن عبدالملك / ٩٤، ٩٥، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٣
يحيىٰ بن أُم الطويل / هـ٨٤، ١٢٧
يحيىٰ بن الحسين الهادي إلى الحق (من ائمة الزيدية) / ٢٦، ٣٠
يحيىٰ بن سعيد / ١٦٨
يحيىٰ بن معين / ٢٢٤، ٢٢٥
يزيد / ٦٧، ٦٨، ٩٠، ٩٥
يزيد بن عبدالملك / ٢٢٣

رابعاً: فهرس المواضع والأيام والمصطلحات

آل أبي طالب / ١٤٧
الأدب العربي / ١٨٨
الإرجاء / ٩٣، ٩٤
الاستسقاء (دعاء) / ١٩٨
إشهار السيف / ٢٢، ٢٣
الاصلاح في الامة / ٢٦، ١٣٢، ١٤١
اغلاق الباب وإرخاء الستر / ٢١، ٢٢، ٢٣
ألف ركعة في الليلة / ١٥٨، ١٦٥
الامام / ١٧، ٢٦، ٩٨، ١١١
الإمامة / ١٢، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٦، ٢٧، ٣٨، ٦٠، ٩٦، ٩٨، ١٠١، ١٠٢
الإمامة الروحية / ١٠
الإمامة السياسية / ١١
إمامة السجّاد عليه السلام / ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٥، ٣٨، ٩٦، ٩٧، ٢١٣
الإمامية / ٢٩، ٣١
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر / ٢٦، ٢٧، ٤٠
البصرة / ١٧٣، ١٧٤
البكاء (على سيد الشهداء عليه السلام) / ١٥٧، ١٧٩، ١٨٠، ١٨٤
البكاؤن الخمسة / ١٥٧، ١٨٠
البيت الحرام (=الكعبة) / ٢٣٤
البيوتات الخبيثة / ١٣٣
بيوتات الشرف / ١٣٣، ١٣٤
تبوك (غزوة) / ١٠٧
التدليس / ٢٢٤
تراب كربلاء / ١٨١، ١٨٤
التشبيه والتجسيم / ٩١، ٩٣
التشيّع الاثنى عشرى / ١٠، ١٠٥
تعريب أجهزة الدولة / ١٣٦
التوابين (حركة) / ٢٣٢
التوحيد الالهي / ٨٨، ٩١
الثغور (دعاء) / ١٩٢
الجارودية / ٣١، ٣٢
الجبر الالهي / ٨٨، ٨٩، ٩٠
الجمل (حرب) / ١٧٤، ٢٣٣
الجهاد بالكلمة / ٤٩
الجهاد الاصغر (جهاد الاعداء) / ١٢
الجهاد الأكبر (جهاد النفس) / ١٢
الجهاد السياسي / ٩، ١٣
جيش الموالي والإماء / ١٤٧
الحج وأسراره / ١٧٥
الحجر الأسود / ٢١٤، ٢١٦

حديث اللوح / ٦٣
الحرّة (وقعة) / ٦٢، ٦٥، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٩٥، ١٨٥، ٢٣٢، ٢٣٣
الحزن والمأتم على الحسين عليه السلام / ١٨٠، ١٨١
حركة ابن الزبير / ٢٣٢، ٢٣٣
خاتم الحسين عليه السلام / ١٨٥
الخروج بالسيف / ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨
خلافة الشيخين / ١٠٠، ١٠١
الخليفة / ٩٦
خير أهل الارض / ٣٧
خير لا شرّ فيه / ٧١، ٧٣، ١٨٥
الدعاء / ١٨٧
الدولة / ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤
رسالة الحقوق / ١٥١، ٢٥٥، ٢٩٦
الرق / ١٤٤، ١٥٠
الزهد / ١٥٨، ١٧٠
زهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم / ١٧٤
زيارة الحسين عليه السلام / ١٨٤
الزيدية / ١٩، ٣١، ٣٣
الزيدية المتأخرون / ٣٢، ٣٣
الزيدية القدماء / ٣٨
زين العابدين (لقب الامام السجّاد) / ٣٥ـ٣٧، ١٥٨
السويقة / ١٣٣
سيد الساجدين / ٣٥ـ٣٧، ١٥٨
السيف / ١٩، ٢٠، ٢٣
سيف رسول الله صلى الله عليه وآله / ٢١١
الشام / هـ٦٢
شعب ابن طالب / ٢٣٤
الشيعة / ١٠٩، ١١٠
الصحيفة السجادية / ٩٩، ١٠٠، ١٨٨ـ٢٠١
الصدقة / ١٤١
صفين / ١٨١
الصوم وأقسامه / ١٧٥
طيّبة (=المدينة) / هـ٧٠
عاشوراء (يوم) / ٤٢
عاشوراء (ليلة) / ٤٥
عبادان / ١٧٤
عباد البصرة / ١٧٣
عبادة علي بن ابي طالب عليه السلام / ١٦٩
العراق / ٦٢، ٢٣٢، ٢٣٤
العرب / ١٣٦، ١٣٧
عرفة (يوم) / ٩٨
عرفات (موقف) / ٩٨
العصبيّة والعنصرية / ١٣٨، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠
عصبيّة مضر لبني أُمية /، ١٣٦
العقيق / ١٣٣، ١٦٠
عليّ الخير / ٧٣
الغناء في المدينة / ١٥٩، ١٦٠
الغيب / ٧١، ١٧٧، ١٧٨
الفقر / ١٤٠

الكافركوبات / ٢٢٤
كربلاء / ١٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٥،
٥٩، ٦٠، ٦٥، ٧٠، ٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٥
الكعبة / ٩٥، ١١٥، ١١٦، ١٧٣، ٢٣٤
الكلام والسكوت / ٥٧
الكناسة بالكوفة / ١٢٧
الكوفة / ٦٢
لسان بني أُمية (الزهري) / ٢٢٥
اللوح / ٩٩، ١٠٠
مجزرة كربلاء / ٦٣
المدينة (المنوّرة) / ١٠، ٤١، ٥٩، ٦٠،
٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٨، ٧٠هـ، ٧٢، ٩٥،
١٣٠، ١٣٣، ١٤١، ١٤٢
المدينة (طيبة) / ١٥٩، ١٨٥، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٦
المرجئة (الارجاء) / ٩٦
المسجد الحرام / ٦٨، ٩٥
المسجد النبوي / ٦٤
مسجد رسول الله ﷺ / ٩٢، ٩٣، ١٢٨،
١٣٢، ١٣٣، ٢٢٣
مشغول بنفسه (السجّاد) / ١٨٦، ٢١٢
معركة كربلاء / ١١، ٤٢، ٤٨، ١٧٩
مكة / ٥٩، ٦٨، ١٤٧، ١٧٣، ٢٣٤
الموالي / ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨
ميميّة الفرزدق / ٢١٤، ٢١٥
الناس (تطلق على العامة) / ٦١هـ / ٦٢
النزارية / ١٣٥
النصّ (على الامامة) / ٢٧، ١٠١
النص على السجّاد / ٣٠، ٣١، ٧٤
النصّ الخفي / ٣٧
النفس والخطاب معها / ١٧١
وقعة كربلاء / ٥٠، ١٠٥
يا لثارات الحسين عليه السلام / ١٢٩
يثرب (المدينة) / ١٥٩
اليمنية / ١٣٥
يوم كربلاء / ٤٤

خامساً: فهرس المصادر والمراجع

١ـ **الائمة الأربعة**: لمصطفىٰ الشكعة.

٢ـ **الأبواب**: للحسين بن حمدان الخصيبي الجنبلائي (ت ٣٥٨). قسم مخطوط من كتابه (الهداية) يوجد في مكتبة المؤلف.

٣ـ **أبوحنيفة**: للشيخ أبي زهرة.

٤ـ **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات**: للحر العاملي محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ) طبعه وأكمله أبوطالب تجليل التبريزي ـ قم.

٥ـ **الاحتجاج علىٰ أهل اللجاج**: للطبرسي، أحمد بن علي بن أبي‌طالب (ق ٦) تعليق السيد محمد باقر الموسوي الخرسان، منشورات الأعلمي بيروت ١٤٠٣هـ.

٦ـ **الأحكام في الحلال والحرام**: للهادي إلى الحق، يحيىٰ بن الحسين الزيدي (ت ٢٩٨) الطبعة الأولىٰ ١٤١٠هـ.

٧ـ **إحياء علوم الدين**: لمحمد الغزالي طبع مصر.

٨ـ **الأخبار الطوال**: للدينوري أحمد بن داود (ت ٢٨٢). تحقيق عبدالمنعم عامر، طبع وزارة الإرشاد القومي مصر ١٩٦٠، اعادته منشورات الشريف الرضي ـ قم ١٤٠٩هـ.

٩ـ **الاختصاص**: المنسوب إلى الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (ت ٤١٣) صححه علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين ـ قم (دون تاريخ).

١٠ـ **اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)**: للشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠) صححه الشيخ حسن المصطفوي، دانشگاه مشهد ـ مشهد ١٣٤٨هـ. ش.

١١ـ **الإرشاد إلى حجج الخلق على العباد**: للشيخ المفيد (ت ٤١٣) المطبعة الحيدرية ـ النجف.

١٢ـ **اسد الغابة في معرفة الصحابة**: لابن الأثير الجزري الطبعة المحققة الحديثة.

١٣ـ **الاشهاد**: لابن قبة الرازي، في رد أبي زيد العلوي الزيدي. نقل عنه الشيخ الصدوق في (اكمال الدين).

١٤ـ **أصدق الأخبار في الأخذ بالثار**: للإمام السيد محسن الأمين العاملي ـ طبع النجف.

١٥ـ **أصل عاصم بن حُميد الحناط ـ مع الأُصول الستّة عشر**: بإشراف الشيخ حسن

المصطفوي ـ طهران ١٣٧١ واعيد في قم ١٤٠٥ .

١٦ـ **الاعتبار وسلوة العارفين** : للسيد الموفق بالله الحسين بن اسماعيل الجرجاني المعروف بالشجري ، مصورة من مخطوطة كتبت سنة (١٣١٢) في (١٩٨) صفحة ، يملكها المؤلّف .

١٧ـ **الاعتصام بحبل الله المتين** : للقاسم بن محمد بن على الزيدي (ت ١٠٢٩) مطابع الجمعية العلمية الملكية ، الأردن ـ عمان ١٤٠٣ هـ .

١٨ـ **أعيان الشيعة** : للإمام السيد محسن الأمين العاملي (ج ٤) مطبعة الانصاف بيروت ١٣٨٠ ـ أعادته دار التعارف ١٤٠٠ .

١٩ـ **الأغاني** : لأبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين طبع دار الكتب ـ مصر ، وطبعة الثقافة .

٢٠ـ **الإفصاح** : للشيخ المفيد (ت ٤١٣) مؤسسة البعثة ـ قم ١٤١٢ هـ .

٢١ـ **إكمال الدين وإتمام النعمة في إثبات الغيبة وكشف الحيرة** [(١)] ، للشيخ الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الرازي (ت ٣٨١) . صححه علي أكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ١٣٩٥ هـ .

٢٢ـ **الإمامة والتبصرة من الحيرة** : للشيخ علي بن الحسين بن بابويه ابي الحسن القمي (ت ٣٢٩) تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام لإحياء التراث ـ بيروت ١٤٠٧ هـ .

٢٣ـ **الإمام زين العابدين** عليه‌السلام : للسيد عبدالرزاق الموسوي المقرم . دار الشبستري للمطبوعات ـ قم ـ عن الطبعة النجفية الأولىٰ .

٢٤ـ **الإمام السجّاد** عليه‌السلام : لحسين باقر مطبعة الحوادث ، بغداد ١٩٧٩ .

٢٥ـ **الإمام جعفر الصادق** : للمستشار عبدالحليم الجندي . المجلس الأعلىٰ للشؤون الاسلامية ـ جمهورية مصر ١٣٩٧ .

٢٦ـ **أمالي الصدوق** : للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٤٠٠ هـ .

٢٧ـ **أمالي الطوسي** : للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) المطبعة الحيدرية في جزئين النجف الأشرف ، أعادته بالاوفست مكتبة الداوري ـ قم ، وطبعة مؤسسة البعثة ـ قم ١٤١٤ هـ (في مجلد واحد) .

٢٨ـ **الأمالي** : للشيخ المفيد (ت ٤١٣) . صححه علي أكبر غفاري ، طبعة جامعة المدرسين ـ قم ١٤٠٣ هـ .

---

(١) طبع الكتاب باسم (كمال الدين) خطأ .

٢٩ـ **الإمامة والسياسة**: لابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦) مؤسسة الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٨.

٣٠ـ **أنساب الأشراف**: للبلاذري (الجزء الثالث ترجمة أولاد الإمام علي عليه السلام) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ط الأول ١٣٩٧ هـ.
(والجزء الرابع).

٣١ـ **انوار التمام**: لاحمد بن يوسف زبارة. مطبوع مع (الاعتصام) للقاسم، الاردن ـ عمان ١٤٠٣ هـ.

٣٢ـ **أيام العرب في الإسلام**: تأليف محمد أبوالفضل ابراهيم، وعلي محمد البجاوى الطبعة الرابعة، عيسىٰ البابي ـ القاهرة ١٣٩٤ هـ.

٣٣ـ **أوائل المقالات في المذاهب المختارات**: للشيخ المفيد (ت ٤١٣) علق عليه الشيخ فضل الله الزنجاني، المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٩٣ هـ.

٣٤ـ **بحار الأنوار**: للشيخ المجلسي، المولىٰ محمد باقر بن محمد تقي الاصفهاني (ت ١١١٠) تحقيق السيد محمد مهدي الخرسان الموسوي. الجزء (٤٦) المكتبة الإسلامية ـ طهران (الطبعة الحديثة) ١٣٩٦ هـ.

٣٥ـ **البداية والنهاية في التاريخ**: لابن كثير.

٣٦ـ **البرهان في تفسير القرآن**: للسيد هاشم بن سليمان البحراني مؤسسة إسماعيليان ـ قم (دون تاريخ).

٣٧ـ **بلاغات النساء**: لابن طيفور، احمد بن ابي‌طاهر البغدادي (ت ٣٨٠) المطبعة الحيدرية ـ النجف (١٣٦١) اعادته مكتبة بصيرتي ـ قم.

٣٨ـ **بلاغة علي بن الحسين عليه السلام**: للشيخ جعفر عباس الحائري الطبعة الثانية، مطبعة كربلاء ـ كربلاء المقدسة ١٣٨٥ هـ.

٣٩ـ **تاريخ أهل البيت عليهم السلام**: المنسوب إلىٰ عدة من القدماء تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم ١٤٠٩.

٤٠ـ **تاريخ بغداد**: للخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣) طبع السعادة ـ القاهرة.

تاريخ دمشق: لابن عساكر:

٤١ـ **ترجمة الإمام الحسين عليه السلام**، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي

ـ بيروت ١٣٩٨ .

٤٢ـ**ترجمة الإمام زين العابدين** عليه السلام ،تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة الاولىٰ مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ـ طهران ١٤١٣ .

٤٣ـ **تاريخ دمشق** : تهذيب بدران .

٤٤ـ **تاريخ الطبري** : طبع بيروت .

٤٥ـ **تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام** : لأبي ريّان دار النهضة العربية ، بيروت ط الثانية ١٩٧٣ م .

٤٦ـ **تاريخ اليعقوبي** : لأحمد بن يعقوب ابن واضح الكتاب دار صادر ـ بيروت .

٤٧ـ **التحف شرح الزلف** : في تاريخ الأئمة الزيدية ، للسيد مجدالدين المؤيدي من علماء اليمن المعاصرين الطبعة الاولىٰ بيروت ١٣٨٩ .

٤٨ـ **تحف العقول من آل الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم : لابن شعبة الحراني ، الحسن بن علي بن الحسين أبي محمد صححه علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي لجامعة المدرسين ـ قم ١٤٠٤ .

٤٩ـ **تدوين السنة الشريفة** : للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، الطبعة الأولىٰ ـ مكتب الاعلام الاسلامي ـ قم ١٤١٣ هـ .

٥٠ـ **تذكرة الحفاظ** : للذهبي مطبعة دائرة المعارف ـ حيدرآباد ـ الهند .

٥١ـ **تراثنا** : مجلة فصلية تصدرها مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم صدر العدد الاول سنة (١٤٠٥) .

٥٢ـ **تسمية من قتل مع الحسين** عليه السلام : للفضيل بن الزبير الرسان الأسدي الكوفي (ق ٢) تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، نشر في مجلة (تراثنا) السنة الأولىٰ العدد (٢) ١٤٠٥ هـ .

٥٣ـ **تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس** : لابن حجر العسقلاني تحقيق د. عبدالغفار وزميله دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٤٠٧ .

٥٤ـ **التعريفات** : للسيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٢ هـ) المطبعة الخيرية ، جمالية مصر ١٣٠٦ .

٥٥ـ **تفسير الحبري** : للحسين بن الحكم بن مسلم الكوفي (ت ٢٨٦) تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بيروت ـ ١٤٠٨ هـ .

٥٦ـ **تنزيه الأنبياء والأئمة** عليهم السلام : للسيد الشريف المرتضىٰ علي بن الحسين الموسوي (ت ٤٣٦) طبع المطبعة العلمية النجف ١٣٥٠ ـ أعادته منشورات الشريف

الرضي ـ قم .
٥٧ـ التنبيه : لابي سهل النوبختي نقل عنه الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) .
٥٨ـ تنقيح المقال في علم الرجال : للشيخ عبدالله المامقاني (ت ١٣٥٢) المطبعة المرتضوية النجف ١٣٥٠ .
٥٩ـ تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني طبع حيدآباد ـ الهند .
٦٠ـ تهذيب الكمال : للمِزّي جمال الدين يوسف أبيالحجاج تحقيق بشار عوّاد معروف ، دار الرسالة بيروت ١٤٠٥ .
٦١ـ تواريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم والآل عليهم السلام : للشيخ محمد تقي التستري تحقيق الشيخ محمود الشريفي والاستاذ علي الشكرچي ـ دار الشرافة قم ١٤١٦ هـ .
٦٢ـ التوحيد : للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) صححه السيد هاشم الحسيني الطهراني ، مكتبة الصدوق طهران ١٣٩٨ هـ .
٦٣ـ تيسير المطالب : في أمالي السيد أبيطالب ، ترتيب أحمد بن سعد الدين المسوري منشورات مكتبة الحياة ـ بيروت .
٦٤ـ ثمار القلوب للثعالبي : بواسطة (الحسين عليه السلام) لعلي جلال المصري .
٦٥ـ ثواب الأعمال : للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) صححه علي أكبر الغفاري ، مكتبة الصدوق ـ طهران (دون تاريخ) .
٦٦ـ ثورة زيد بن علي : لناجي حسن منشورات مكتبة النهضة ـ بغداد ١٣٨٦ هـ .
٦٧ـ جامع أحاديث الشيعة : للسيد الامام آقا حسين البروجردي (ت ١٣٨٠) المطبعة العلمية ـ قم ١٣٩٩ هـ .
٦٨ـ جامع بيان العلم وفضله : لابن عبدالبرّ يوسف القرطبي (ت ٤٦٣) دار الكتب العلمية ـ بيروت ، افست عن الطبعة الاولىٰ المصرية .
٦٩ـ الجامع الصغير : لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١) الطبعة الاولىٰ ـ القاهرة .
٧٠ـ الجامع الكافي : للشريف العلوي ابيعبدالله (ت ٤٤٥) مخطوط .
٧١ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) تحقيق محمد عجاج الخطيب طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٢ هـ .
٧٢ـ جزء ابن عساكر فى طريق حديث المنزلة . مخطوط

٧٣ـ **جهاد الشيعة**: للدكتورة سميرة مختار الليثي الطبعة الأولىٰ، افست انتشارات الشبستري ـ قم.

٧٤ـ **الحدائق الوردية**: لحميد الدين أحمد المحلي الشهيد طبع دار اسامة ـ دمشق.

٧٥ـ **الحدود والحقائق في مصطلحات الكلام**: للقاضي أشرف الدين صاعد البريدي تحقيق الدكتور حسين علي محفوظ، مكتبة ديوان الخالصي ـ الكاظمية، مطبعة المعارف ـ بغداد ١٩٧٠.

٧٦ـ **الحسين** عليه السلام: لعلي جلال طبع مصر.

٧٧ـ **الحسين** عليه السلام **سماته وسيرته**: للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي مكتبة الفقيه ـ الكويت ١٤١٦، ودار المعروف قم ١٤١٦.

٧٨ـ **حقائق الايمان**: للشهيد الثاني زين الدين بن علي (ت ٩٦٥) منشورات مكتبة المرعشي ـ قم ١٤٠٩ هـ.

٧٩ـ **حلية الأولياء**: لأبي نعيم الأصفهاني.

٨٠ـ **حياة الإمام زين العابدين** عليه السلام: للشيخ باقر شريف القرشي الطبعة الأولىٰ، افست دار الكتاب الإسلامي ـ قم ١٤٠٩ هـ.

٨١ـ **حياة الإمام علي بن الحسين** عليه السلام: كاظم جواد الحسيني طبع العراق.

٨٢ـ **حياة الإمام الباقر** عليه السلام: للشيخ باقر شريف القرشي طبع النجف.

٨٣ـ **الخصائص**: للسيوطي.

٨٤ـ **الخصال**: للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) صححه علي أكبر الغفاري، منشورات جامعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم ١٤٠٠ هـ.

٨٥ـ **دائرة المعارف الشيعية**: للسيد حسن الأمين الطبعة الأولىٰ بيروت.

٨٦ـ **درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية**: للهادي إلى الحق يحيىٰ بن الحسين الزيدي (ت ٢٩٨) طبعه يحيىٰ عبدالكريم الفضيل، مؤسسة الأعلمي بيروت ١٤٠٢ هـ.

٨٧ـ **دفاع عن السنة**: لأبي شبهة طبع مصر.

٨٨ـ **دلائل الإمامة**: للطبري محمد بن جرير بن رستم الشيعى المطبعة الحيدرية ـ النجف.

٨٩ـ **دلائل النبوة**: لأبي نعيم طبع حلب.

٩٠ـ **دلائل النبوة**: للبيهقى الطبعة الحديثة.

٩١ـ **ديوان الفرزدق**: طبع بيروت.

٩٢ـ **ذكرى عاشوراء والاستلهام من معطياتها فقهياً وأدبياً**: للمؤلّف السيد محمد رضا الحسيني الجلالي مخطوط عند المؤلف.

٩٣ـ **ربيع الأبرار**: للزمخشري طبع بغداد، أعادته منشورات الرضي ـ قم.

٩٤ـ **رجال الطوسي**: للشيخ الطوسي، تحقيق جواد الفيومي، مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم ١٤١٥.

٩٥ـ **رجال الكشي**: اختيار معرفة الرجال، للشيخ الطوسي وصححه الشيخ حسن المصطفوي ـ دانشگاه مشهد ـ ١٣٤٨ ش.

٩٦ـ **رجال المشكاة**: للدهلوي طبع الهند.

٩٧ـ **رسائل الجاحظ**: طبع مصر.

٩٨ـ **رسائل العدل والتوحيد**: دراسة وتحقيق محمد عمارة دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٧١.

٩٩ـ **رسالة أبي غالب الزُراري**: لأحمد بن محمّد بن محمّد بن سليمان (ت ٣٦٨) تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي، مركز البحوث والتحقيقات الإسلامية قم ـ ١٤١٢.

١٠٠ـ **رسالة الحقوق**: عن الإمام السجّاد عليه السلام برواية أبي حمزة الثمالي، لنسخ عديدة ذكرناه في مقدمة الرسالة التي أثبتناها بنصها في الصفحات (٢٥٤ ـ ٢٩٦).

١٠١ـ **رسالة الجاحظ في فضل بني هاشم**: مطبوع في كشف الغمة للاربلي.

١٠٢ـ **الروض النضير شرح المجموع الكبير**: للحسين بن أحمد السياغي مكتبة المؤيد ـ الطائف، الطبعة الثانية.

١٠٣ـ **الرياض من كتب الزيدية**: نقل عنه في (شرح الأزهار) لابن مفتاح.

١٠٤ـ **زندكاني علي بن الحسين** عليه السلام: دكتر سيد جعفر شهيدي، دفتر نشر فرهنگ اسلامي تهران ـ چاپ سوم ١٣٧٠ هـ.ق.

١٠٥ـ **زهرة المهج وتواريخ الحجج**: نقل عنه ابن طاوس في فلاح السائل.

١٠٦ـ **الزيدية في اليمن**: السيد بدر الدين الخوثي الحسني اليماني كراسة مطبوعة في اليمن سنة ١٤١٣ هـ.

١٠٧ـ **زين العابدين**: لعبدالعزيز سيد الأهل طبع مصر.

١٠٨ـ **السرائر**: لابن ادريس محمد العجلي الحلي (ت ٥٩٨) طبعة جامعة

المدرسين ـ قم ١٤١٠ هـ.

١٠٩ـ **سير أعلام النبلاء** : للذهبي (ت ٧٤٨) تحقيق مأمون الصاغرجي ، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٤٠٥ هـ.

١١٠ـ **سيرتنا وسنتنا** : للشيخ عبدالحسين أحمد الأميني النجفي صاحب الغدير مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٣٨٤ هـ.

١١١ـ **شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار** : للقاضي النعمان بن محمد المصري المغربي (ت ٣٦٣) تحقيق السيد محمد الحسيني ، مطابع جامعة المدرسين ـ قم ١٤١٢ هـ.

١١٢ـ **شرح الأزهار** : لأبي الحسن ابن مفتاح .
مطبعة حجازي ـ القاهرة ١٣٥٧ توزيع مكتبة اليمن الكبرىٰ ـ صنعاء .

١١٣ـ **شرح الأصول الخمسة** : للقاضي عبدالجبار المعتزلي .

١١٤ـ **شرح الرسالة** : للشيخ جسوس نقل عنه في نظم المتناثر للكتاني .

١١٥ـ **شرح رسالة الحقوق** : لعبد الهادي المختار كتاب الشهر (٦) بغداد ١٣٦٩ هـ.

١١٦ـ **شرح المواقف العضدية** : للسيد الشريف الجرجاني (ت ٨١٢) الطبعة الأولىٰ ١٣٢٥ نشر الشريف الرضي ـ قم ١٤١٢ هـ.

١١٧ـ **شرح نهج البلاغة** : لابن أبي الحديد المعتزلي تحقيق ابوالفضل ابراهيم ، دار إحياء التراث العربي ـ طبعة ثانية بيروت ١٣٨٧ .

١١٨ـ **شرح مقامات بديع الزمان الهمداني** : لمحمد محي الدين عبدالحميد دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٩ هـ.

١١٩ـ **شناخت إمام ياره رهائي أزمرك جاهلي (في حديث من مات ولم يعرف إمام زمانه)** : للشيخ مهدي فقيه إيماني قم ـ ١٤١٢ .

١٢٠ـ **شواهد التنزيل بقواعد التفضيل للحاكم** الحسكاني النيسابوري (ق ٦) تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٣٩٥ هـ.

١٢١ـ **صحيح البخاري** : طبعة دار إحياء التراث العربي عن اليونينية .

١٢٢ـ **صحيح الترمذي (السنن)** : لمحمد بن عيسىٰ بن سورة . تحقيق إبراهيم عطوة عوض ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

١٢٣ـ **صحيح مسلم** : المطبوع مع شرح النووي دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٧ هـ.

١٢٤ـ الصحيفة السجادية: إملاء الإمام زين العابدين عليه السلام.
طبعات عديدة أضبطُها: طبعة «مكتب قُرآن» في طهران ١٤٠٨ هـ بتقديم المير سيد أحمد الروضاتي الاصفهاني عن نسخة خطيّة قيّمة.

١٢٥ـ صفوة الصفوة: لابن الجوزي ابي الفرج البغدادي (ت ٥٦٧) حققه محمود فاخوري ـ دار الوعي ـ حلب ١٣٩٠ هـ.

١٢٦ـ فدك: للسيد محمد حسن القزويني الحائري (ت ١٣٨٠) تحقيق الشيخ باقر المقدسي قدم له الاستاد عبدالفتاح عبدالمقصود إشراف السيد مرتضىٰ الرضوي ـ مطبوعات النجاح بالقاهرة (١٦) دار المعلم ـ القاهرة ١٣٩٦.

١٢٧ـ الصلة بين التصوف والتشيع: دكتور كامل مصطفىٰ الشيبي، دار المعارف ـ مصر الطبعة الثانية ١٩٦٩.

١٢٨ـ الصواعق المحرقة: لابن حجر أحمد الهيتمي المكي (ت ٩٧٤).
المطبعة الميمنية ـ مصر ١٣١٢ هـ.

١٢٩ـ ضحىٰ الإسلام: لأحمد أمين المصري طبع مصر.

١٣٠ـ طبقات ابن سعد: لمحمد بن سعد كاتب الواقدي طبع ليدن وبيروت.

١٣١ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ: للسبكي.

١٣٢ـ طبقات المدلّسين: لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢) المطبعة الحسينية، القاهرة.

١٣٣ـ العقد الفريد: لابن عبد ربه الأندلسي تحقيق الترحيني، دار الكتب العلمية بيروت ـ ١٤٠٤ هـ.

١٣٤ـ علل الشرائع: للشيخ الصدوق (ت ٣٨١) المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ١٣٨٥ أعادته بالأفست مكتبة الداوري ـ قم.

١٣٥ـ العلم الشامخ في تفضيل الحق على الآباء والمشايخ: لصالح المقبلي طبع مصر ١٣٢٨ هـ.

١٣٦ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: لابن عنبة أحمد بن علي جمال الدين الحسيني (ت ٨٢٨) المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف ١٣٨٠ هـ.

١٣٧ـ عوالم العلوم والمعارف: الجزء (١٨) (ترجمة الإمام السجاد عليه السلام) للشيخ عبدالله البحراني (ق ١٢) تحقيق مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام) ـ قم ١٤٠٧ هـ.

١٣٨ـ عيون أخبار الرضا عليه السلام: للشيخ الصدوق طبع جهان ـ قم.

١٣٩ـ **الغيبة**: للشيخ الطوسي (ت ٤٦٠) مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم ١٤١١ هـ.

١٤٠ـ **فجر الإسلام**: لأحمد أمين المصري.

١٤١ـ **الفخري في الآداب السلطانية**: لابن الطقطقي محمد بن علي بن طباطبا، راجعه ونقحه محمد عوض ابراهيم، وعلي الجارم، مطبعة المعارف ـ القاهرة، طبعة ثانية.

١٤٢ـ **فرحة الغري**: لابن طاوس عبدالكريم المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، الطبعة الاولىٰ.

١٤٣ـ **الفرق بين الفرق**: للبغدادي (ت ٤٣٩). تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مكتبة صبيح ـ القاهرة.

١٤٤ـ **الفصل في الأهواء والملل**: لابن حزم الأندلسي.

١٤٥ـ **فضل زيارة الحسين** عليه السلام: للشريف العلوي. محمد بن علي الكوفي (ت ٤٤٥) اعداد السيد أحمد الحسيني، مطبعة الخيام ـ قم.

١٤٦ـ **فضل الكوفة ومساجدها**: مسند من مزار محمد بن جعفر ابن المشهدي الحائري (ق ٦) تحقيق محمد سعيد الطريحي دار المرتضىٰ ـ بيروت.

١٤٧ـ **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية**: للدكتور كامل مصطفىٰ الشيبي. مكتبة النهضة ـ بغداد ١٣٨٦ هـ.

١٤٨ـ **فلاح السائل**: للسيد علي بن طاوس الحلي (ت ٦٦٤). المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٣٨٥ هـ.

١٤٩ـ **الفهرست**: للشيخ الطوسي، تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية النجف ١٣٨١.

١٥٠ـ **الفهرست لابن النديم محمد بن إسحاق**: تحقيق رضا تجدّد ـ جامعة طهران ـ (دون تاريخ).

١٥١ـ **القاموس المحيط**: للفيروز آبادي محمد بن يعقوب (ت ٨١٧).

مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة ـ الطبعة الشنقيطية.

الكافي: للكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب الرازي (ت ٣٢٩) وهو قسمان:

١٥٢ـ **الاصول**: تصحيح نجم الدين الآملي، المكتبة الإسلامية، طهران ١٣٨٨.

١٥٣ـ **الفروع**: الروضة، صححه علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران ١٣٨٩.

١٥٤ـ **كامل الزيارات**: لابن قولويه، جعفر بن محمد القمي (ت ٣٦٧) صححه عبدالحسين الأميني، المطبعة المرتضوية ـ النجف ١٣٥٦ هـ نشرته بالافست مكتبة وجداني ـ قم.

١٥٥ـ **كتاب في معرفة الله**: للهادي إلى الحق الزيدي (ت ٢٩٨). طبع مع (رسائل العدل والتوحيد) لمحمد عمارة.

١٥٦ـ **كشف الغمة في معرفة أحوال الأئمة**: للاربلي علي بن عيسىٰ مكتبة بني‌هاشمي، تبريز ١٣٨١هـ.

١٥٧ـ **الكشكول في ما جرىٰ علىٰ آل الرسول** ﷺ: للسيّد حيدر الآملي ـ المطبعة الحيدرية النجف.

١٥٨ـ **كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر**: للخزاز علي بن محمد القمي (ق ٤) حققه السيد عبداللطيف الكوهكمره‌اي الخوئي، انتشارات بيدار ـ قم ١٤٠١هـ.

١٥٩ـ **الكنىٰ والألقاب**: للشيخ عباس القمي، مطبعة العرفان ـ صيدا أعادته انتشارات بيدار ـ قم.

١٦٠ـ **كنز العمال**: للهندى المتقي.

١٦١ـ **الكواكب الدرية**: للمناوي (ت ١٠٣١) مصر ١٩٦٣.

١٦٢ـ **لسان العرب**: لابن منظور الأنصاري، محمد بن مكرم الافريقي (ت ٧١١) طبعة مصورة عن بولاق، تراثنا، المؤسسة المصرية العامة.

١٦٣ـ **لسان الميزان**: لابن حجر العسقلاني طبع دائرة المعارف ـ حيدرآباد الهند ـ أعادته مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

١٦٤ـ **اللهوف علىٰ قتلىٰ الطفوف**: لابن طاوس، علي بن موسىٰ بن جعفر الحلي (ت ٦٤٦) المطبعة الحيدرية ـ النجف، أعادته مكتبة الداوري ـ قم.

١٦٥ـ **لوامع الأنوار**: للسيد مجد الدين بن محمد المؤيدي (دام ظله) مخطوط.

١٦٦ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**: للسيد أبي الحسن الندوي طبعة سابعة، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٦٧.

١٦٧ـ **مؤلّفات الزيدية**: للسيّد أحمد الحسيني، منشورات مكتبة السيّد المرعشي ـ قم ١٤١٣هـ.

١٦٨ـ **مجالس ثعلب**.

١٦٩ـ **المجدي في أنساب الطالبيّين**: للسيّد الشريف النسّابة علي بن مجد الدين العمري (ق ٥) تحقيق الدكتور أحمد المهدوي الدامغاني ـ مكتبة السيّد المرعشي ـ قم ١٤٠٩.

١٧٠ـ **مجمع الزوائد**: للهيتمي دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

١٧١ـ **المجموعة الفاخرة (مجموع كتب الهادي يحيىٰ بن الحسين**: مكتبة اليمن الكبرىٰ ـ صنعاء.

١٧٢ـ **المحاسن**: للبرقي، أحمد بن محمد بن خالد القمي صححه السيد جلال الدين المحدث الأرموي، دار الكتب الإسلامية ـ قم ـ طبعة اولىٰ.

١٧٣ـ **المحاسن والمساوي**: للبيهقي طبع بيروت.

١٧٤ـ **محاضرات الادباء**: الراغب الأصبهاني طبعة بيروت.

١٧٥ـ **المحجة البيضاء في تهذيب الأحياء**: للمحدّث محمد بن مرتضىٰ المدعو بالمولىٰ محسن الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ).

دفتر انتشارات اسلامي ـ حوزة علمية ـ قم ـ مطبعة الحيدري.

١٧٦ـ **المحدث الفاصل بين الراوي والواعي**: للرامهرمزي تحقيق محمد عجاج الخطيب، دار الفكر ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ ١٣٩١ هـ.

١٧٧ـ **المختار الثقفي**: لأحمد الدجيلي.

١٧٨ـ **مختصر تاريخ دمشق**: لابن منظور الأنصاري (ت ٧١١) الطبعة الحديثة.

١٧٩ـ **المخمسات**: كتاب منظوم منسوب إلى الإمام السجّاد عليه‌السلام نسخته المخطوطة في مكتبة السيّد المرعشي في قم، برقم (٥٥٥٧) بتاريخ (٩٠٣).

١٨٠ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر**: للمسعودي علي بن الحسين بن الحسن (ت ٣٤١) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة ـ بيروت.

١٨١ـ **مستدرك الصحيحين**: للحاكم النيسابوري (ت ٤٥٠) طبعة حيدرآباد ـ أُفست بيروت دار الفكر.

١٨٢ـ **مستدرك الوسائل**: للشيخ النوري حسين بن محمد تقي الرازي (ت ١٣٢٠) طبع اولاً على الحجر ـ المكتبة الإسلامية ـ طهران. والطبعة الحديثة تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام ـ قم ١٤٠٥ هـ.

١٨٣ـ **مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)**. طبعة مصر (٦ مجلدات) أعادته دار الفكر ـ بيروت.

١٨٤ـ **مسند الرضا عليه‌السلام**: الشيخ عزيز الله العطاردي طبع إيران.

١٨٥ـ **المصنف**: لابن أبي شيبة، الطبعة الحديثة الهند.

١٨٦ـ **المعارف**: لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦) طبع مصر.

١٨٧ـ **معتزلة اليمن (دولة الهادي وفكره)**: لعلي محمد زيد مركز الدراسات والبحوث اليمني ـ صنعاء ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٨١.

١٨٨ـ **معجم رجال الحديث**: للسيد أبي القاسم الموسوي الخوئي. الطبعة الاولىٰ ـ النجف الأشرف ١٣٩٠ هـ.

١٨٩ـ **المعجم الكبير**: للطبراني سليمان بن أحمد (ت ٣٦٠). حققه حمدي السلفي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٩٠ـ **معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت** عليهم‌السلام: للشيخ عبدالجبّار الرفاعي ـ طبع مؤسسة وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي ـ طهران ـ ١٤١١ هـ.

١٩١ـ **معرفة علوم الحديث**: محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥) دائرة المعارف ـ حيدرآباد ـ أعادته دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٧ هـ.

١٩٢ـ **المغرب**: للمطرزي، ناصر بن عبدالسيد بن علي (ت ٦١٦) دار الكتاب العربي ـ بيروت.

١٩٣ـ **مقتل الحسين** عليه‌السلام: للخوارزمي الموفق بن أحمد المكي (ت ٥٦٨) تحقيق الشيخ محمد السماوي، الطبعة الاولىٰ ـ النجف الأشرف ـ أعادته مكتبة المفيد ـ قم.

١٩٤ـ **مقتل الحسين** عليه‌السلام: للسيد محسن الأمين العامليّ.

١٩٥ـ **المقنع في الإمامة**: للسدابادي عبيدالله بن عبدالله الرازي. تحقيق شاكر شبع، مؤسسة النشر الاسلامي ـ قم ١٤١٤ هـ.

١٩٦ـ **الملل والنحل**: للشهرستاني محمد بن عبدالكريم بن أحمد. تحقيق عبدالعزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي ـ القاهرة ١٣٨٧ هـ.

١٩٧ـ **من أدب الدعاء في الإسلام**: للسيد محمد رضا الحسيني الجلالي مقال نشر في مجلة (تراثنا) الفصلية العدد (١) السنة الرابعة ١٤٠٩ هـ.

١٩٨ـ **مناقب آل أبي طالب**: لابن شهرآشوب، محمد بن علي السروي (ت ٥٨٨) ط طهران في أربعة أجزاء، وطبعة دار الاضواء (بيروت ١٩٩١) في خمسة أجزاء مع الفهارس.

١٩٩ـ **مناقب أميرالمؤمنين** عليه‌السلام: لمحمد بن سليمان الكوفي الحافظ تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ط وزارة الارشاد الإسلامي ـ طهران) ١٤١.

٢٠٠ـ **موقف الخلفاء العباسيين من الأئمة الأربعة ومذاهبهم**: لعبد الحسين علي أحمد دار قطري، قطر ١٤٠٥ هـ.

٢٠١ـ **ميزان الاعتدال**: للذهبي (ت ٧٤٨). تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت.

٢٠٢ـ **النجوم الزاهرة**: للتغري بردي طبعة مصر دار الكتب أعادته سلسله (تراثنا) القاهرة.

٢٠٣ـ نثر الدرر : لأبي سعيد ، منصور بن الحسن الآبي بواسطة (كشف الغمة) للاربلي .

٢٠٤ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : للحلواني الحسين بن محمد بن الحسن (ق ٥) مطبعة سعيد ـ مشهد ١٤٠٤ هـ.

٢٠٥ـ نظرية الإمامة : لأحمد محمود صبحي دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩ م .

٢٠٦ـ النظم الإسلامية : لصبحي الصالح طبع بيروت .

٢٠٧ـ نظم المتناثر في الحديث المتواتر : للسيد محمد بن جعفر الكتاني . دار الكتب السلفية ـ مصر ١٩٨٣ م .

٢٠٨ـ نقش الخواتيم عند الأئمة : للسيد جعفر مرتضىٰ العاملي . طبع مشهد ـ مؤتمر الإمام الرضا عليه‌السلام .

٢٠٩ـ النكت الاعتقادية : لفخر المحققين محمد ابن العلامة الحلي (ق ٨) نسب خطا إلى الشيخ المفيد ، طبع المجمع العالمي لأهل البيت ـ قم (١٤١٣) .

٢١٠ـ النكت في مقدمات الاصول : للشيخ المفيد (ت ٤١٣) تحقيق السيد محمد رضا الحسيني الجلالي ، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد ـ قم ١٤١٣ .

٢١١ـ نهج البلاغة : جمع السيد الشريف الرضي من كلام أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام ، طبعة صبحي الصالح ـ بيروت .

٢١٢ـ الوافي : للفيض الكاشاني ، الملا محمد محسن (ت ١٠٩١ هـ) . طبع على الحجر ـ ايران .

٢١٣ـ وسائل الشيعة : للحر العاملي (ت ١١٠٤) . مؤسسة آل البيت عليهم‌السلام لإحياء التراث ـ قم ١٤٠٩ هـ.

٢١٤ـ وفيات الأعيان لابن خلكان : الطبعة الحديثة تحقيق إحسان عباس ـ بيروت .

٢١٥ـ وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢) . تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، المؤسسة العربية ـ القاهرة ١٣٨٢ .

٢١٦ـ ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة : لشرف الدين الناصر . بخط الشيخ أحمد محمد حجر ، دار مكتبة الخير ـ صنعاء اليمن .

سادساً: فهرس المحتوىٰ

دليل الكتاب ٧

المقدمة: لماذا هذا الكتاب؟ ٩ـ١٤

التمهيد وفيه بحثان: ١٥ـ٣٨

البحث الأول: الإمامة ومستلزماتها ١٧ـ٢٨

تعريف الإمامة ١٧

شروط الإمامة عند الزيدية ١٩

هل عارض الائمة عليهم السلام الحركات المسلحة؟ ٢٠

مدىٰ شرطية الخروج بالسيف؟ ٢١

إغلاق الباب وإرخاء الستر ٢١ـ٢٣

موقف الأئمة عليهم السلام من الظالمين ٢٣

بين الحج والجهاد، في كلام الإمام السجّاد عليه السلام ٢٤

دلالة حديث: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا» ٢٥

الشرط الأساسي للإمامة هو الاصلاح لأمر الدين والدنيا ٢٦

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشرائطهما الفقهية ٢٦ـ٢٧

خلاصة هذا البحث ٢٧ـ٢٨

البحث الثاني: إمامة السجاد زين العابدين عليه السلام ٢٩ـ٣٨

اتفاق الشيعة الإمامية علىٰ إمامته عليه السلام ٢٩

إمامة السجاد عليه السلام عند الزيدية ٣٠

خلاف الزيدية في تعيين الامام بعد الحسين عليه السلام من خالف من الزيديّة المتأخرين في إمامة السجاد عليه السلام ٣١

دلالة حديث: أن الارض لاتخلو من حجة ٣٣

دلالة حديث: من مات وليس عليه إمام ٣٣

قول الزيدية بإمامة الحسن المثنىٰ الملقب بـ«الرضا» ٣٣ـ٣٤

اعتراف العامة بإمامة السجاد عليه السلام ٣٤

الإرشاد إلى إمامة السجاد في الحديث المرفوع، في فضل الإمام السجاد عليه السلام ٣٥ـ٣٧
١ـ من طرق الإمامية ٣٥
٢ـ من طرق العامة ٣٦
٣ـ من طرق الزيدية ٣٦ـ٣٧
خير أهل الأرض ٣٧
دعوة الإمام إلى إمامة نفسه ٣٧

الفصل الأول: أدوار النضال في حياة الإمام عليه السلام

٣٩ ـ ٧٥

أوّلاً: في كربلاء ٤٢ـ٤٧
حضور الإمام عليه السلام مع أبيه ٤٢
قتاله عليه السلام يوم عاشوراء حتى جرح في المعركة ٤٢ـ٤٣
الإمام السجاد عليه السلام كان عليلا وقد كان قاتل مع ذلك ٤٤
الإمام الحسين عليه السلام يسمح لمن معه بالانصراف ٤٥
ما قام به الحسين عليه السلام وأصحابه كان فداءاً وتضحية ٤٥ـ٤٦
أثر معركة كربلاء في روحية النضال عند الإمام السجاد عليه السلام والشيعة ٤٦ـ٤٧
ثانياً: في الأسر ٤٨ـ٥٨
بطولة الإمام في أسر الأعداء ٤٨
وجود الإمام عليه السلام استمرار لكربلاء ٤٩
الجهاد بالحكمة عند السلطان الجائر ٥٠
إعلانه عليه السلام عن هوية العترة وهو في أسر بني امية ٥٠
موقفه في مجلس يزيد، وتعريفه بنفسه، وإعلانه عن هويته الشخصية ٥٠
خطبة الإمام في مجلس يزيد ٥١ـ٥٣
الحكمة البالغة في كلام الإمام في ذلك المجلس ٥٤
سياسة الإمام في تأطير خطبته بالإطار الشخصي ٥٥
جواب الإمام لمن سأله: «كيف أصبحت» ٥٥
رفعه عليه السلام لصوته ليُسمع الآخرين ٥٦
المفاضلة بين الكلا م والسكوت عند الإمام عليه السلام ٥٧

الإمام السجاد عليه السلام لسان الحسين عليه السلام وصوته ٥٧ـ٥٨
ثالثاً: وفي المدينة ٥٩ـ٧٥
المدينة الواجمة، والناس الواجمون ٥٩
الإمام السجاد وحيد، وغريب في المدينة ٥٩
الأعباء الثقال التي تحملها الإمام: أعباء كربلاء، والعائلة، والإمامة ٥٩ـ٦٠
في السنين الأولىٰ في المدينة ٦٠
الإجراء الغريب: بيت من «الشَعْر» في البادية ٦٠ـ٦١
الهدف من هذا الإجراء: إبعاد اصابع الإتهام وأعين الرقابة عن نفسه ٦١
سياسة الابتعاد عن الناس ٦٢
ثمرات ذلك الإجراء الفريد ٦٢ـ٦٣
الإمام السجاد عليه السلام كان مأموراً بذلك الإجراء في تلك الفترة الخاصة ٦٣ـ٦٥
ومع وقعة الحرّة ٦٥
خطبة الإمام عليه السلام عند وروده إلى المدينة ٦٥ـ٦٧
موقف أهل المدينة من الإمام ٦٧
أهداف أهل الحرّة ٦٧
موقع الإمام عليه السلام بين ثوار الحرّة ٦٨
أخطاء أهل الحرّة وضعفهم ٦٨
أهل البيت عليهم السلام حافظوا علىٰ حرمة الحرمين ٦٩
ابتعاد أهل المدينة عن الإمام كان في صالح سياسة الإمام ٦٩
حياد الإمام من حركة الحرة ليس انحيازاً إلى الحكومة الظالمة ٦٩
الإمام عليه السلام كان مستهدفاً، ومتهماً في نظر الناس ٧٠
التجاء الإمام إلى القبر الشريف، والدعاء، عند ورود الجيش الشامي ٧١
ومع أعباء القيادة ٧٢
أخطر ما واجهه الإمام انتشار روح اليأس والقنوط في نفوس الامة ٧٢
تفرق الناس عن أهل البيت وارتدادهم عن الإمامة ٧٢ـ٧٣
تخطيط الإمام عليه السلام لاستعادة القوىٰ ٧٣
الإمام حامل للرسالة علىٰ ثقلها ٧٤

الفصل الثاني : النضال الفكري والعلمي

٧٧ـ١١٦

التربية والتعليم من وظائف الانبياء والأئمة عليهم السلام ٧٩ـ٨١
سعي الحكام الظالمين في الصدّ عن الحق بطرق شتىٰ وأساليب ذلك ٨٠
قيام الإمام السجاد عليه السلام بدور التصدي لذلك ٨١
أوّلاً : في مجال القرآن والحديث ٨٢ـ٨٧
القرن الأول فترة المنع الرسمي لنقل الحديث وتدوينه ٨٢
قيام الامام برواية الحديث تحد لأوامر المنع ٨٣
نوعية الحديث المروي عنه عليه السلام ٨٤
مع القرآن : ٨٤
دعوته إلى القرآن وقراءته والنظر فيه ٨٤ـ٨٥
تعظيمه للقرآن ، وقراءته له بصوت حسن ٨٥
احتفاف القرآء بالإمام وملازمتهم له ٨٦
تفسيره للقرآن وتطبيقه لآياته علىٰ قضايا عصره ٨٦ـ٨٧
ثانياً : مجال الفكر والعقيدة ٨٨ـ١١٠
التوحيد الالهي واهتمام الاسلام به ٨٨
الرجعة الاموية وتمسكهم بالصنمية ٨٨
عقيدة الجبر ٨٨ـ٩١
ترويج الدولة الاموية لهذه العقيدة ٨٩
معاوية أول من أظهر عقيدة الجبر ٨٩ـ٩٠
رد الامام السجاد عليه السلام علىٰ إعلان يزيد وعبيد الله ، لهذا المعتقد ٩٠
جواب الإمام السجاد عليه السلام عن القدر ؟ ٩١
عقيدة التشبيه والتجسيم ٩١ـ٩٣
انتشار عقيدة التجسيم في العصر الأموي ٩١
مقاومة الاسلام للافكار المنافية للتوحيد والتنزيه ٩١
استفحال أمر المجسمة والمشبهة في عصر الإمام السجاد عليه السلام ٩١ـ٩٢
نماذج من محاولات الإمام في رد هذه الأفكار ٩٢

رده علىٰ معلني التجسيم في المسجد النبوي ٩٢

بُعد التحدي في هذا الرد ٩٣

مهزلة الإرجاء ٩٣ـ٩٦

معنى الإرجاء وصور من فكرته الخاطئة ٩٣

مبدأ الإرجاء يخدم بني امية ٩٤

بطلان مزعومة الإرجاء ٩٤

الأُمويون يؤكّدون على الإرجاء ٩٤ـ٩٥

قام الإمام الحسين عليه السلام بالتضحية الكبرىٰ لفضح الحكام ٩٥

وقعة الحرّة، وهدم الكعبة نماذج من إجرام آل امية ٩٥

المرجئة يبرّءون الحكّام من الكفر ٩٦

التعاليم السجادية فضحت اكذوبة الإرجاء ٩٦

وفي الإمامة والولاية: ٩٦

أهمية الامامة في النظم الاسلامية ٩٦

اعلان السجاد عليه السلام عن إمامة نفسه رغم خطورة ذلك ٩٧

الأحاديث التي تضمنت هذا الإعلان ٩٧ـ٩٨

إعلان ذلك في دعائه في يوم عرفة ٩٨

أهمية تصدي الإمام لهذا الإعلان في هذا الزمان والمكان ٩٨

إعلان ذلك في دعائه ليوم الجمعة والأضحىٰ ٩٩

وصيته بالامامة إلى ابنه الباقر عليهما السلام ٩٩

إعلان إمامة ابنه عند الزهري عالم البلاط ٩٩

أهداف الإمام السجاد عليه السلام من هذا الإعلان ١٠٠

إثاره خلافة الشيخين ١٠٠

هدف الأمويين من هذه الإثارة بَثُّ الفرقة ١٠٠

موقف المسلمين من خلافة الشيخين ١٠١

تصدي أهل البيت عليهم السلام لمثل هذه الإثارة ١٠٢

جواب الإمام السجاد عليه السلام للسؤال عن منزلة الشيخين ١٠٢

البحث عن خلافة الشيخين تحريف متعمد للواقع الذي تعيشه الامة ١٠٣

الغرض من إثارة خلافة الشيخين إزواء أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، وتشويه سمعتهم أمام العوام ١٠٣ـ١٠٤
اهداف أهل البيت هي الهداية والإرشاد إلى الحق ١٠٣
إحباط الإمام الخطط الجهنميّة ١٠٣ـ١٠٤
محافظة الإمام في اجاباته على الحقائق ١٠٤
كشف الإمام عليه السلام لأقنعة مثيري الفتنة ١٠٤ـ١٠٥
هدف الإمام إرساء قواعد الإيمان ١٠٥
موقف الإمام في قبال الإثارات كان شجاعاً ١٠٦
وكان صريحاً، ومدروساً ١٠٧
الموقف مع أحد العلماء اكثر صراحة ١٠٧ـ١٠٨
الصلاة مع المخالفين: ١٠٩
حكم الصلاة مع المخالفين في الفقه الشيعي ١٠٩ـ١١٠
الذين يخالفون هذا الحكم ليسوا شيعة ١١٠
ثالثاً: في الشريعة والأحكام ١١١ـ١١٦
سعي الحكام إزواء أئمة أهل البيت عليهم السلام في مجال الشريعة والفقه ١١١
اهتمام الإمام السجاد عليه السلام في الكشف عن موقعية اهل البيت عليهم السلام في الشريعة .. ١١١ـ١١٢
كلام الإمام في بيان اختلاف الأمة ١١٢
قول الإمام لرجل: «لو صرت إلىٰ منازلنا لأريناك آثار جبرئيل، أيكون أحد أعلم بالسنة منا» ١١٢ـ١١٣
قوله عليه السلام: إن دين الله لايصاب بالعقول ١١٣
محاربة الإمام عليه السلام للبوادر المضللة للامة عن فقه أهل البيت ١١٣
إقرار كبار العلماء بأفقهية الإمام السجاد عليه السلام ١١٣ـ١١٤
تبيين موقعية فقه أهل البيت نسف لقواعد الخلافة ١١٤
وأخيراً: في إعمار الكعبة المعظّمة ١١٥ـ١١٦

الفصل الثالث: النضال الاجتماعي والعملي

١١٧ ـ ١٥٤

الإصلاح وطرقه وأساليبه ١١٩

قيام الإمام السجاد عليه السلام بما يعدّ معجزة في هذا المجال ١١٩
أوّلاً: في مجال الاخلاق والتربية........................ ١٢٠ـ١٣١
حديث عن أخلاق الامام عليه السلام ١٢٠
موقفه من هشام بن إسماعيل الأموي ١٢٠
ثمرة الأخلاق الفاضلة ١٢١
من أبرز الجهود التي قام بها الإمام هو جمع صفوف المؤمنين وتربيتهم وتحصينهم...... ١٢١
دعوته إلى العلم والفكر ١٢٢
والتحصن ضد وسائل التزوير ١٢٢
رسالته إلىٰ أصحابه في الزهد ١٢٣ـ١٢٥
ويصلي عليهم، ويحثهم على الاحسان إلى الأخوان ١٢٦
أماثل اصحابه وشيعته الذين تربوا علىٰ يده عليه السلام ١٢٧
يحيىٰ بن أم الطويل ١٢٧
سعيد بن جبير ١٢٨
والذين اختفوا، والذين هربوا ١٢٨
وفي الطليعة أبناؤه العظام: ١٢٨
١ـ الإمام الباقر عليه السلام ١٢٨
٢ـ والحسين الأصغر ١٢٩
٣ـ والشهيد زيد ١٢٩
آثار ثورة زيد الشهيد ١٢٩
الشهيد زيد استلهم الشجاعة من أبيه وأخيه ١٢٩
الجيش الذي ناصر زيداً لم يكن وليد ساعته ١٣٠
زيد الشهيد ضحىٰ بنفسه في سبيل تعزيز مواقع الأئمة عليهم السلام ١٣٠
ثورة زيد صرفت أنظار الدولة عن الأئمة وعززت مواقعهم بين الأمة ١٣١
ثانياً: في مجال الإصلاح والدولة ١٣٢ـ١٣٤
إصلاح الأوضاع من أهداف الإمام ١٣٢
اجتماعه كل ليلة والتحدّث عن الاوضاع ١٣٢
الإمام السجاد عليه السلام لم يترك المدينة ١٣٣

كلام الإمام السجاد عليه السلام عن الدول ١٣٣
ثالثاً: في مجال مقاومة الفساد ١٣٥ـ١٥٠
المشاكل الاجتماعية في عصر الإمام عليه السلام ١٣٥
مقاومة الإمام للعصبية والعنصرية ١٣٥
اعتماد الامويين للعصبية والعنصرية ١٣٥
استغلال الجهال لهذه السياسة الأموية ١٣٦
الحكم الأموي لم يكن إسلامياً بل عنصرياً ١٣٧
كان الإمام عليه السلام يشيع الديمقراطية ١٣٨
مقاومة الإمام عليه السلام للعصبية قولا وعملا ١٣٨
كتاب عبدالملك إلى الإمام يعترض عليه بتزوج مولاته ١٣٨
جواب الإمام عليه السلام في رفض العصبية ١٣٩
إثارة سياسة الإمام عليه السلام للجهاز الحاكم ١٤٠
مقاومة الإمام عليه السلام للمشكلة الاقتصادية ١٤٠
سياسة التجويع والتطميع التي اتبعها الامويون ١٤٠ـ١٤١
رفع المستوى الاقتصادي من أهداف الإصلاح ١٤١
سرّية عمل الإمام عليه السلام في هذا المجال ١٤١
أساليب عديدة في عمل الإمام ١٤١ـ١٤٢
بكاء الإمام عليه السلام واعتباره للمشكلة محنة ١٤٢
دعوة الإمام إلىٰ تداول الثروة واستنماء المال واستثماره ١٤٣
المقارنة بين سياسة الإمام عليه السلام الاقتصادية، وسياسة بني أمية ١٤٣ـ١٤٤
مقاومة الإمام عليه السلام لمشكلة الرقيق ١٤٤
الصورة الحقيقية للمشكلة وأبعادها ١٤٤
معاملة الإمام عليه السلام للعبيد قبل عتقهم ١٤٥
سياسة الإمام عليه السلام في عملية العتق ١٤٥
المعتَقون جيل من التلامذة المؤمنين ١٤٧
جيش من الموالي قيد إشارة الإمام عليه السلام ١٤٧
أساليب الإمام عليه السلام في إعتاق العبيد ١٤٨

الإمام يعتق أفره غلمانه ١٤٩
الإمام عليه السلام قدوة للمسلمين في هذا العمل ١٥٠
وأخيرا: مع كتاب رسالة الحقوق ١٥١
دلالتها على العمل السياسي ١٥١ـ١٥٤

الفصل الرابع: التزامات فذّة في حياة الامام عليه السلام

١٥٥ ـ ٢٠١

المظاهر التي تميزت بها سيرة الإمام عليه السلام ١٥٧
أوّلاً: التزام الزهد والعبادة ١٥٨ـ١٧٨
فضيلة الزهد، وتميّز أهل البيت عليهم السلام بها ١٥٨
آثار الإمام السجاد عليه السلام في الزهد ١٥٨
سعي الحكام في إشاعة الترف واللهو ١٥٩
انتشار الفساد والعبث واللهو في الحرمين الشريفين، وخاصة المدينة المنورة ١٥٩
الامام السجّاد عليه السلام يظلّ في المدينة ليعظ الناس ١٦٠
موعظة الإمام عليه السلام في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل جمعة ١٦٠ـ١٦٣
كلام للإمام عليه السلام في الزهد وعلامة الزاهدين ١٦٥ـ١٦٧
آثار اتباع الإمام عليه السلام لهذه السياسة ١٦٧
١ـ اعتراف علماء البلاط بفضل الإمام عليه السلام ١٦٧
٢ـ إبراز فضل أهل البيت عليهم السلام على الملأ ١٦٨
قول الإمام السجاد عليه السلام: «مؤتسيا بأبويَّ» ١٦٩
قول الإمام السجاد عليه السلام: «من يقوىٰ علىٰ عبادة علي» ١٦٩
٣ـ إنارة السبيل للعباد والصالحين ١٧٠
كلامه عليه السلام في صفة الزاهد، وأجزاؤه ودرجاته ١٧٠ـ١٧١
خطابه عليه السلام للنفس بالنثر والشعر ١٧١
٤ـ تزييف دعاوي المبطلين من دعاة التصوف والرهبنة ١٧٢
موقف الإمام عليه السلام من المتظاهرين بالزهد والعزلة ١٧٢
مركز انحراف العباد والزهاد المنحرفين ١٧٢
موقف الإمام عليه السلام من عبّاد البصرة عند الكعبة ١٧٣

انحراف الناس عن أهل البيت عليهم السلام ١٧٣ـ١٧٤
آثار الإمام في شرح العبادة من وجهة روحية ١٧٥
عمل الإمام في الزهد والعبادة تعديل للموقف منهما ١٧٦
كلام الإمام السجاد عليه السلام في تنويع الرجال المتظاهرين بالزهد ١٧٦
قوله في : الرجل ، كل الرجل ، نعم الرجل ١٧٦
٥ـ إرعاب الظالمين ١٧٧
الإمام يملأ الطغاة رعباً وخيفة ١٧٧
الإمام عليه السلام يستغل هذه الظاهرة في صالح سياسته ١٧٨
الإمام عليه السلام بريء من التصوّف والصوفية ١٧٨
ثانياً : البكاء على سيد الشهداء عليه السلام ١٧٩ـ١٨٦
هذه الظاهرة تصاحب الإمام السجاد عليه السلام طول عمره ١٧٩
البكاء حق طبيعي للانسان ١٧٩
الطغاة يستهينون بالبكاء ، والإمام يؤكّد عليه ١٧٩
الإمام السجاد عليه السلام من البكّائين الخمسة ١٧٩
البكاء على سيد الشهداء عليه السلام ليس أمر حزن ويأس بقدر ما هو أمر عبرة وإثارة واستمداد ١٨٠
الحزن على كربلاء أقيم قبلها ومعها وبعدها ١٨٠
الذين أثاروا الحزن على كربلاء هم أهل البيت ١٨٠
الرسول صلى الله عليه وآله يقيم المآتم على الحسين عليه السلام ، وذلك من دلائل النبوة ١٨٠
الأئمة : علي والحسن وحتّى الحسين عليهم السلام يقيمون العزاء ويدعون إلى البكاء على مصاب سيد الشهداء ١٨١
الإمام السجاد عليه السلام يمثل كربلاء ببكائه ، ويعقب أهداف أبيه الحسين عليه السلام ١٨٢
موقف الناس من بكاء الإمام عليه السلام ١٨٢
بكاء الإمام عليه السلام ليس لأجل قضية دنيوية ١٨٣
قول السجاد عليه السلام : لا تلوموني ، فإن يعقوب عليه السلام فقد سبطاً... وقد نظرت إلى أهل بيتي يذبحون ١٨٣
من خطاب الإمام عليه السلام لما ورد المدينة وذكره لرزية كربلاء ١٨٣

أساليب الإمام السجاد عليه السلام لإحياء كربلاء ١٨٤
١ـ زيارة الحسين عليه السلام ١٨٤
٢ـ الاحتفاظ بتربة قبر الحسين عليه السلام ١٨٤
٣ـ حمله خاتم الحسين عليه السلام ١٨٥
الإمام السجاد عليه السلام لم يقم بذلك من أجل العاطفة ١٨٥
الأئمة عليهم السلام بعيدون عن روح الانتقام الشخصي ١٨٥
الإمام عليه السلام اكتسب بتصرّفاته الحكيمة اعتقاد الحكّام فيه : أنه الخير الذي لاشرّ فيه ١٨٥
صبر الإمام عليه السلام علىٰ مصائب الدنيا ١٨٦
هدف الإمام عليه السلام استمرار أهداف الإسلام ١٨٦
ثالثاً : التزام الدعاء ١٨٧
من المظاهر الفذّة في سيرة الإمام عليه السلام ١٨٧
أبعاد أدعيته عليه السلام ١٨٧
الأدب في تراث الأئمة عليهم السلام واهتمامهم به وبتعديله ١٨٨
امتيازُ الصحيفة السجادية بين أدعية الإمام ١٨٨
وأخيراً : مع الصحيفة هدفاً ومضموناً ١٩٠
مع الصحيفة هدفاً ١٩٠
مع الصحيفة مضموناً ١٩٣
المقطع الأول : دعاؤه لأهل الثغور ١٩٤
رعاية الإمام للبلاد الاسلامية الإسلام لايقوم بالأشخاص ولا بالتصرّفات الخاصة ١٩٤
تصرّفات الأئمة عليهم السلام علىٰ أساس حفظ الكيان الإسلامي ولو علىٰ حساب الافراد والعناوين الفرعية ١٩٤
من هم أهل الثغور في زمان الإمام السجاد عليه السلام ؟ ١٩٤
مصلحة الإسلام تقتضي الحماية عن الثغور ١٩٥
الإمام يرعىٰ البلاد الإسلامية من أوسع جبهاتها وحدودها وهي الثغور ١٩٥
الإمام عليه السلام يدعو لأهل الثغور بنفس اللهجة التي يدعو بها على الحكام الظلمة ١٩٦
نص الدعاء لأهل الثغور ١٩٦ـ١٩٩
المقطع الثاني : دعاء الاستسقاء بعد الجدب ١٩٩

رعاية الإمام عليه السلام للأمة في حالتها الاقتصادية ١٩٩
الإمام يفرض نفسه على الساحة السياسية ١٩٩
الإمام يرعىٰ الأمة مع خذلانها له ٢٠٠
قضية الأُمة ككل من القضايا الكبرىٰ ٢٠٠
نصّ دعاء الاستسقاء .... ٢٠٠_٢٠٢

الفصل الخامس: مواقف حاسمة

٢٠٣ ـ ٢٤١

نتائج النضال المرير ٢٠٥
تغيير أُسلوب العمل السياسي في آخر فترة من حياة الإمام عليه السلام من الأساليب السابقة إلى التعرض والاستفزاز ٢٠٥
أوّلاً: مواقفه عليه السلام من الظالمين .... ٢٠٦_٢٢٠
استقرار الإمام في موقع الهجوم على الطغاة ٢٠٦
مواقفه من عبدالملك الأموي ٢٠٧
أيادي الإمام عليه السلام علىٰ عبدالملك وأبيه ٢٠٧
كتاب عبدالملك إلى الحجاج باجتناب دماء بني عبدالمطلب ٢٠٧
إرسال الإمام عليه السلام كتاباً إلىٰ عبدالملك حول ذلك ٢٠٧
الخصوصيات التي احتواها كتاب الإمام، والتي تثير عبدالملك ٢٠٨
ردّ فعل عبدالملك علىٰ كتاب الإمام عليه السلام ٢٠٩
الإمام يطوف أمام عبدالملك، ولايعتني به ٢٠٩
جواب الإمام عليه السلام لعبد الملك وما فيه من الاستفزاز بحسم وقوة وشجاعة ٢٠٩
سعي عبدالملك في استيهاب سيف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الإمام عليه السلام، بالتهديد ٢١٠
رفض الإمام عليه السلام إعطاء السيف ٢١١
حدة التوتر بين الإمام عليه السلام والنظام ٢١١
الحجّاج الداهية يحثّ عبدالملك علىٰ قتل الإمام عليه السلام ٢١١
حديث جلب الإمام وتقييده بالقيود والأغلال، وخروجه منها بطريق الإعجاز، وخوف عبدالملك منه .... ٢١١_٢١٢
دلالات هذا الحديث علىٰ وضع الإمام السياسي .... ٢١٢_٢١٣

موقفه عليه السلام من هشام بن عبدالملك من أشهر المواقف في التاريخ ٢١٣
أبيات من شعر الفرزدق في الموقف ٢١٤
الدلالات الاستفزازية في عمل الإمام عليه السلام ٢١٥
استهداف الإمام عليه السلام لتلك الدلالات ٢١٥
موقفه عليه السلام من عمر بن عبدالعزيز: ٢١٦
ترف عمر في ملبسه ٢١٦
الإمام يراقب عمر، ويتوسّم تطلعاته ٢١٦
آثار جهود الإمام الاجتماعية ٢١٧
إنجازات عمر تؤدي إلىٰ عرقلة جهود الإمام ٢١٧
عمر لم يعمل ما هو الحق وبصالح الامة ٢١٨ـ٢١٩
واقتطف الإمام ثمار جهوده ٢٢٠
ثانياً: موقفه عليه السلام من أعوان الظلمة ٢٢١ـ٢٣١
تشديد الإسلام النكير علىٰ إعانة الظالمين ٢٢١ـ٢٢٢
رواية معايش العباد التي تعدّ إعانة الظالم من كبائر الذنوب ٢٢١
اعتماد الإمام السجاد عليه السلام لهذه القاعدة الإسلامية ومحاولته تجريد النظام الظالم من سلاح الوعّاظ الفاسدين ٢٢٢
أحاديث للامام عليه السلام في هذا المجال ٢٢٢
مساوىء اصطحاب الظالم ٢٢٢
استعمال الإمام عليه السلام الأساليب في الردع من إعانة الظالمين ٢٢٣
الزهري من كبار علماء البلاط ووعّاظ السلاطين ٢٢٣
إجماع أهل البيت، والعلماء علىٰ ترك حديث الزهري والقدح فيه ٢٢٣ـ٢٢٥
الإمام السجاد عليه السلام يستعمل أساليب عديدة لردع الزهري عن إعانة الظالمين والانخراط معهم ٢٢٦
١ـ بإسماعه المواعظ في المناجاة ٢٢٦
٢ـ بالتنبيه الخاص ٢٢٦
٣ـ التصغير والتهوين ٢٢٧
٤ـ بالتكذيب لتزلّفاته ٢٢٧

٥ـ بالرسالة التي وجّهها اليه ونصّها الكامل ٢٢٧ـ٢٣٠
دلالة الرسالة علىٰ سياسة الإمام عليه السلام ٢٣٠
عدم اكتراث الإمام عليه السلام بالخطورات في هذه المرحلة من عمله السياسي........ ٢٣١
ثالثاً: مواقفه عليه السلام من الحركات المسلحة ٢٣٢ـ٢٤١
تصوّر الحكّام عن الإمام عليه السلام الانصراف عن السياسة ٢٣٢
الإمام عليه السلام يحافظ علىٰ بقاء هذا التصوّر، في تصرفاته السياسية الدقيقة ٢٣٢
الإمام عليه السلام لم يكن في معزل عن الحركات السياسية المعاصرة له ٢٣٢
انطلاء ذلك التصوّر علىٰ كُتّاب في العصر الحاضر ٢٣٢
تعامل الإمام السجاد عليه السلام مع الحركات بشكل مدروس ٢٣٣
١ـ بالنسبة إلىٰ حركة الحرّة ٢٣٣
٢ـ فتنة ابن الزبير ٢٣٣
عداء ابن الزبير المعلَن لآل الرسول صلى الله عليه وآله ٢٣٣
مبرّرات تخوّف الإمام من فتنة ابن الزبير ٢٣٤
موقف الإمام عليه السلام من الحركات الأخرىٰ مثل حركة التوّابين، وحركة المختار ٢٣٥
المختار يراسل الإمام السجاد عليه السلام ٢٣٦
الإمام لم يرفض حركة المختار ولم يعلن عن الارتباط به، بل يولّي عمّه للأمر........ ٢٣٦
أهداف الإمام عليه السلام أكبر من حركة المختار المقطعيّة........ ٢٣٦
وجه ما ورد من أحاديث في ذمّ المختار، لو صحّت ٢٣٧
لعن المختار علىٰ باب الكعبة........ ٢٣٨
وجه التشكيك في صحّة هذه الأحاديث........ ٢٣٨
المختار تحرّك بشعار «ثارات الحسين عليه السلام» ٢٣٨
وصف زوجتي المختار، له بأنه كان صائم نهاره قائم ليله...الخ ٢٣٨
الامام الباقر عليه السلام يترحّم على المختار........ ٢٣٩
خروج الإمام عليه السلام من أزمة الحركات، دليل علىٰ عمق سياسة الإمام........ ٢٣٩
نتائج جهود الإمام عليه السلام ٢٤٠ـ٢٤١
الخاتمة: نتائج البحث ٢٤٣ـ٢٥١

الملاحق ٢٥٣
الملحق الأوّل : رسالة الحقوق ٢٥٥ـ٢٩٦
الملحق الثاني : تقاريظ الكتاب نثراً ونظماً ٢٩٧ـ٣٠١
الملحق الثالث : تقرير موجز عن المباراة ٣٠٢ـ٢٠٤
الفهارس العامة ٣٠٧ـ٣٥٧
دليل الفهرسة ٣٠٨
أوّلاً : فهرس الآيات الكريمة ٣٠٩
ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة والآثار ٣١٢
ثالثا : فهرس الأعلام ٣٢٢
رابعاً : فهرس المواضع والأيام والمصطلحات ٣٢٦
خامساً : فهرس المصادر والمراجع ٣٢٩
سادساً : فهرس المحتوىٰ ٣٤٣

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون »
« وسلام على المرسلين »
« والحمد لله رب العالمين

فهرس الأعمال المطبوعة:

١ـآداب المتعلّمين، للإمام المحقّق نصير الدين الطوسي المعروف بالخواجه (ت ٦٧٢)، تحقيق وتوثيق، قم عام (١٤١٦) واشترك في مُسابقة «أُسبوع الكتاب» فانتُخِب أفضلَ الأعمال المختارة وفاز بالجائزة الأولىٰ.

٢ـ أبو الحسن العُريضي، علي بن جعفر الصادق عليه‌السلام، ترجمة حياته، ونشاطه العلميّ، طبعت مع مسائل عليّ بن جعفر عليه‌السلام» مشهد عام ١٤٠٩.

٣ـ الأحاديث المقلوبة وجواباتها، للإمام البروجردي الطباطبائي (ت ١٣٨٠) ترجمتُها من الفارسية ووثّقتها مع مقدمة طبع في قم عام ١٤١٦.

٤ـ الأُرجوزة اللطيفة في علوم البلاغة، ضبط وتقديم، طبعت عام (١٤٠٦) وهي «المنظومة المُحِبّيّة» لمحبّ الدين الحنفي الشهير بابن الشِحنة.

٥ـ أسباب نزول القرآن، أهميتها وطرقها وحجيتها ومصادرها، من مقال نشر في مجلة (تراثنا) العدد (٤) عام ١٤٠٦.

٦ـ أسماء السور القرآنيّة، في مقطوعتين رائعتين في مدح النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم خير البريّة، للكفعمي تقي الدين (ت ٩٠٥)، ضبط وتقديم، نشر في (تراثنا) العدد (٢٨) عام (١٤١٢).

٧ـ الإمامة والتبصرة من الحَيْرة، تأليف المحدّث الفقيه الإمام عليّ بن الحُسين بن موسىٰ بن بابويه الصدوق (ت ٣٢٩) طبع في بيروت عام (١٤٠٧).

٨ـ إنجاح المطالب في الفوز بالمآرب ـ شرح المنظومة المُحِبّيّة، للشيخ محمّد بن محمّد رضا المشهدي القميّ (ق ١٢) تحقيق نشِر في (تراثنا) العدد (٢٥) عام (١٤١١).

٩ـ باب «من لم يرو عن الأئمة عليهم‌السلام» في رجال الطوسي، نشر في (تراثنا) العدد (٧ـ٨) عام (١٤٠٧).

١٠ـ الباقيات الصالحات في اصول الدين، تأليف آية الله العظمىٰ السيد محمد هادي الحسيني الخراساني (ت ١٣٦٨) نشر في (تراثنا) العدد (٢٦) عام (١٤١٢).

١١ـ تاريخ أهل البيت عليهم‌السلام تحقيق، طبع في قم، وبيروت عام (١٤١٠).

١٢ـ تحقيق النصوص بين صعوبة المهمة وخطورة الهفوات، نشر علىٰ شكل حلقات في (تراثنا) العدد (٩) و (١٧) و (١٨).

١٣ـ تدوين السنّة ام تزييف الشريعة؟ نشر في (تراثنا) العدد (٣٥ـ٣٦) عام (١٤١٤) في الرد علىٰ ما جاء في كتاب «تدوين السنة» لإبراهيم فوزي.

١٤ـ تدوين السنة الشريفة، مركز النشر، مكتب الاعلام الاسلامي قم عام ١٤١٣.

١٥ـ التسميات طليعة المؤلّفات في الحضارة الاسلامية موضوعها، ومنهج تأليفها وفهرستها، نشر في (تراثنا) العدد (١٥) عام ١٤٠٩.

١٦ـ تسمية من قُتِل مع الحسين عليه‌السلام من ولده واخوته وشيعته، رواية الفضيل بن الزُبير الرسّان الكوفي (ق ٢)، نشر في (تراثنا) العدد (٢) عام (١٤٠٦).

١٧ـ **تفسير الحِبَري أو ما نزل من القرآن في علي أمير المؤمنين** عليه السلام تأليف المحدّث المفسر الحسين بن الحكم بن مسلم ابي عبدالله الحِبَري الوشاء الكوفي (ت ٢٨١) نشر في بيروت عام ١٤٠٨ وطبع سابقاً في العراق عام (١٣٩٦) لكنه لم ينشر.

١٨ـ **ثبت الأسانيد العوالي بطرق الجلالي**، طبع عام ١٤١٧ مؤسسة ام القرىٰ – بيروت

١٩ـ **جهاد الإمام السجّاد علي بن الحسين** عليه السلام، نشر في قم عام ١٤١٣ وهو الكتاب الذي بين يديك في طبعته الثانية وقد فاز في المباراة الكتابية عن الامام عليه السلام بالمرتبة الاولىٰ.

٢٠ـ **الحسين** عليه السلام **سماته وسيرته**، طبع في الكويت، وقم، دار المعروف عام (١٤١٦).

٢١ـ **الحكايات، في الفرق بين المعتزلة والشيعة**، إملاء الشيخ المفيد (ت ٤١٣) رواية السيّد الشريف المرتضىٰ (ت ٤٣٦) نشر في (تراثنا) العدد (١٦) عام ١٤٠٩، ثم مع مؤلّفات الشيخ المفيد، في المؤتمر الالفي العالمي لوفاة الشيخ المفيد، في قم (١٤١٣)

٢٢ـ **حول نهضة الحسين** عليه السلام، طبع في مجلة (اجوبة المسائل الدينية) مكتب الثقافة الدينية في كربلاء، في العدد (١) محرّم، الدورة العاشرة سنة (١٣٨٥) وطبع عام (١٣٨٦) مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام كربلاء المقدسة مطبعة النعمان ـ النجف.

٢٣ـ **خاتمة وسائل الشيعة**، للحرّ العاملي (ت ١١٠٤) تحقيق، نشر عام (١٤١٢)، وهو الجزء (الثلاثون) من موسوعة وسائل الشيعة.

٢٤ـ **الخلاصة في علم الكلام**، تصنيف الامام قطب الدين السبزواري (ق ٦) نشرت في (تراثنا) العدد (٣٤) عام ١٤١٣.

٢٥ـ **ديوان الإجازات المنظومة**، نشر في (تراثنا) عام ١٤١٣، العدد (٣٥ ـ ٣٦).

٢٦ـ **رسالة أبي غالب الزراري إلىٰ ابن ابنه في ذكر آل أعين**، للمحدث الأقدم أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان الزراري (ت ٣٦٨) تحقيق نشره مركز الدراسات والتحقيقات التابع لمركز الاعلام الاسلامي عام ١٤١١ وقد انتخب أفضل كتاب في مشروع كتاب السنة.

٢٧ـ **رسول الله** صلى الله عليه وآله، في (١٦) صفحة، طبعته مطبعة أهل البيت عليهم السلام كربلاء عام (١٣٨٥).

٢٨ـ **السنّة النبوية الشريفة وموقف الحكّام منها تدوينا وكتابة ونقلاً وتداولاً**، نشر في (تراثنا) العدد (٢٢) عام ١٤١١ هـ.

٢٩ـ **شرح البداية في علم الدراية**، للامام الشهيد الثاني (ت ٩٦٥) ضبط نص، نشره الفيروزآبادي ـ قم عام ١٤١٤.

٣٠ـ **شهداء حقّاً**، نشر في مجلة (ذكريات المعصومين عليهم السلام)الكربلائية العدد (١) عام ١٣٨٥

٣١ـ **عجالة المعرفة في اُصول الدين**، للامام الشيخ ظهير الدين أبي الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله الراوندي (ق ٧) تحقيق، نشر في (تراثنا) العدد (٢٩) عام ١٤١٢ وقد طبع في سلسلة (كتاب تراثنا) برقم (٨) عام ١٤١٧.

٣٢ـ **عروض البلاء علىٰ الأولياء**،للخراساني نشر في (تراثنا) العدد (٣٧) عام ١٤١٤.

٣٣ـ **علم الأئمة** عليهم السلام **بالغيب، والاعتراض عليه بالإلقاء في التهلكة، والإجابات عنه عبر**

التاريخ. نشر في تراثنا العدد (٣٧) عام (١٤١٤).

٣٤ـ فرق الشيعة أو مقالات الإمامية للنوبختي أم للأشعري؟ نشر في (تراثنا) العدد (١) عام ١٤٠٥.

٣٥ـ فوات فهرس الفهارس والأثبات، بذكر بعض ما للإمامية من الإجازات، نشر في (تراثنا) العدد (٢٩) عام ١٤١٢.

٣٦ـ كتابي تازه در علم رجال باسبكي جديد، وترجم من العربية، ونشر في مجلة (آئينه پژوهش) القميّة الصادرة من مكتب الإعلام الاسلامي، العدد (٦) عام (١٤١٠).

٣٧ـ الكنية، حقيقتها وميزاتها، وأثرها في الحضارة والعلوم الاسلامية، نشر في مجلة (تراثنا) العدد (١٧) عام ١٤٠٩.

٣٨ـ مجددو المذهب وسماتهم البارزة، نشر في (تراثنا) العدد (٢٨) السنة ١٤١٤.

٣٩ـ مسند الحِبَريّ نسخة مستخرجة، نشر في (تراثنا) العدد (٣٢ـ٣٣) عام ١٤١٣.

٤٠ـ المصطلح الرجالي «أسند عنه» ما هو وما هي قيمته الرجالية؟ نشر في (تراثنا) العدد (٣) عام (١٤٠٦).

٤١ـ مقدمة «لوامع الأنوار» للسيّد الامام مجد الدين المؤيدي الحسني، نشر في مقدمة الجزء الثالث منه وقد طبع في مكتبة التراث الإسلامي ـ صعدة ـ اليمن عام ١٤١٤.

٤٢ـ مقدمة «المقنع في الإمامة» للسدّآبادي (ق ٥) تحقيق الشيخ شاكرٍ شبع، نشر في جامعة المدرسين قم عام ١٤١٤.

٤٣ـ مقولة جسم لا كالأجسام، بين موقف هشام بن الحكم ومواقف سائر أهل الكلام، نشر في (تراثنا) العدد (١٩) عام ١٤١٠.

٤٤ـ من أدب الدعاء في الاسلام نشر في (تراثنا) العدد (١٤) عام ١٤٠٩.

٤٥ـ المنتقىٰ النفيس من درر القواميس، من كتاب «قواميس الرجال والدراية» للفاضل الدربندي (ت ١٣٨٦) نشر في (تراثنا) العدد (٢٤) عام ١٤١١.

٤٦ـ موقف أهل الكتاب من الحق بين الالتزام والتصرفات المريبة، نشر في مقدمة كتاب «أعاجيب الأكاذيب» للحجة البلاغي (ت ١٣٥٢) قم عام ١٤١٢هـ.

٤٧ـ نظرات في تراث الشيخ المفيد، نشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، عام ١٤١٣.

٤٨ـ نقد الحديث بين الاجتهاد والتقليد، طبع في (تراثنا) العدد (٣٢ـ٣٣) عام ١٤١٣، بعنوان :... نظرة جديدة إلىٰ أحاديث عقيدة المهدي المنتظر وطبع ثانياً مستقلاً، بعنوان :... المهدي في أحاديث المسلمين حقيقة ثابتة. عام ١٤١٧.

٤٩ـ النكت الخفية في النادرة الشريفيّة، نشر في (تراثنا) العدد (١٤) عام ١٤٠٩.

٥٠ـ النكت في مقدمات الاصول، للشيخ المفيد (ت ٤١٣) نشر في تراثنا العدد (٣٠ـ٣١) عام ١٤١٣. وفي مصنفات المفيد، في المؤتمر الألفي للمفيد عام (١٤١٣).

والحمد لله أوّلاً وآخِراً